حاشية فتح الجليل
ببيان
خفي أنوار التنزيل

حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي
لشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي
رحمه الله تعالى
(٨٢٦-٩٢٦ هـ)

تحقيق
السيد الشريف
أ. د. محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني التيلاني

الجزء الثاني

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر
إسطنبول

حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

الجزء الثاني

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

المركز الرئيسي إسطنبول

Algeylani Center Of Scientific Research

00902125117340_00905334866610

مدير التوزيع:

السيد فائق جيلاني: 00905379603434

حلب ـ سورية

مكتبة إسطنبولي: 00963933316794

القاهرة ـ مصر

هاتف: 00201111087778

Markaz al-Jilani Asia Tenggara
(Zawiyah Arraudhah)
- Jl. Tebet Barat VIII No.50, RT.9/RW.4, Tebet Bar., Kec. Tebet, Kota Jakarta Selatan, Daerah Khusus Ibukota Jakarta 12810
Tel: 006287788058845

أندونيسيا

Markaz al-Jilani Indonesia
- Pondok Pesantren Al-Falak Pagentongan-Bogor
KH Hakim Agus 00628128424608
Fachry 006282123580111

Markaz al-Jilani Indonesia
- Pondok Pesantren manbaus sholihin 61151
- Suci manyar Gresik Jatim Indonesia Post Code
Tel: 0062313958575
Handphone: 006285330046338

بيروت ـ لبنان

مركز الجيلاني ـ روضة الكتاب العربي

هاتف: 0096181932019

ISBN: 978-605-2058-12-1(tk)
978-605-2058-14-5(2.c)

من ذخائر التراث الإسلامي يطبع لأول مرة

الطبعة الأولى

1441هـ ـ 2020م

حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي

لشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي

رحمه الله تعالى

(٨٢٦-٩٢٦ هـ)

تحقيق

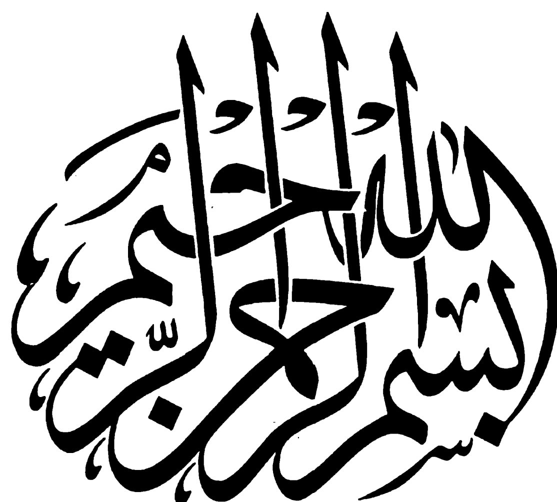
السيد الشريف

أ. د. محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني الجيلاني

الجزء الثاني

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

إسطنبول


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

(٣) مدنية، وآيها مائتان آية

۞ ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٢) ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما فتح (الميم) في المشهور وكان حقها أن يوقف عليها لإلقاء حركة الهمزة عليها ليدل على أنها في حكم الثابت؛ لأنها أسقطت للتخفيف لا للدرج، فإن (الميم) في حكم الوقف كقولهم: واحد اثنان ـ بإلقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين؛ فإنه غير محذور في باب الوقف، ولذلك لم تحرك الميم في لام ـ. وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين. وقرأ أبو بكر

قوله: [في المشهور]؛ أي: من القرآن [**وكان حقها أن يوقف عليها**] كما وقف على ألف ولام لعدم العامل [**لإلقاء حركة الهمزة عليها**] تعليل لفتح الميم [**ليدل**] تعليل لإلقاء حركة الهمزة على الميم [**على أنها**]؛ أي: الهمز [**في حكم الثابت**]؛ أي: لأن ثَبات حركتها كثباتها [**لأنها أسقطت للتخفيف لا للدرج**] نظراً إلى أنها في حكم الابتداء [**فإن الميم**]؛ أي: في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ [آل عمران: ١] [**في حكم الوقف**]؛ أي: فلا دَرج [**كقولهم: واحد اثنان**]؛ أي: بكسر الدال كما بينه بقوله [**بإلقاء حركة الهمزة على الدال**] كما هو ثابتٍ في أكثر النسخ، وما ذكره من أن حركة الهمزة نقلت إلى الميم بعد حذفَ الهمزة تَخفيفاً تبع فيه الزمخشري هنا[1] والذي قالهُ في المفصل تبعاً لسيبويه وكثير من النحاة: أن تحريك الميم إنما هو لالتقاء الساكنين وأوثرت الفتحة للخفة والمحافظة على التفخيم في «الله» [**وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين**]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٦٣].

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾.

بسكونها والابتداء بما بعدها على الأصل. ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور؛ في البقرة**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [٢٥٥]، **وفي آل عمران**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، **وفي طه**: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [١١١]».

۝٣ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن نجوماً. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل، أو بالصدق في أخباره، أو بالحجج المحققة أنه من عند الله ....

قال ابن الحاجب: لا وجه لكسرها إلا البناء لأنه لما فقد فيها مقتضى الإعراب وهو التركيب وجب البناء لعدم الواسطة(١). وقال التفتازاني: لقائل أن يقول: لا نسلم عدم الواسطة بين المبني والمعرب بمعنى: ما فيه الإعراب؛ بل بمعنى: ما من شأنه الإعراب بالفعل، وانتفاء التركيب إنما يوجب انتفاء الإعراب لانتفاء(٢) كون الاسم من قبيل المعربات.

[**روي: أنه ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في ثلاث سور»**] إلى آخره. رواه الطبراني(٣) وغيره بلفظ: «**في ثلاث سور: سورة البقرة وآل عمران وطه**»(٤) والآيات التي ذكرها المصنف اتفقت على: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ لكن نقل البندنيجي عن أكثر العلماء أن الاسم الأعظم هو «الله»(٥) [**نجوماً**]؛ أي: دفعات وهي لا تكون إلا في أوقات إذ النجم هو الوقت، وفي تعبيره بـ«نزّل» بالتشديد إشارة إلى ذلك لأنه يفيد التكثير غالباً، وقيل: «إن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ومن سماء الدنيا منجماً في ثلاث وعشرين سنة»(٦)، فحيث عبر فيه بـ«أنزل»

---

(١) انظر: الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب [ص١٤].
(٢) في نسخة [ز]: (لا انتفاء).
(٣) المعجم الكبير، الطبراني [٨/ ١٨٣/ برقم: ٧٧٥٨].
(٤) مستدرك الحاكم [١/ ٦٨٤/ برقم: ١٨٦١].
(٥) وهذا رأي سهل التستري والعز بن عبد السلام. انظر: تفسير التستري، سهل التستري [١/ ١] تفسير العزّ بن عبد السلام [ص٢].
(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر [٩/ ٤].

وهو في موضع الحال. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب. ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ جملة على موسى وعيسى. واشتقاقهما من الورى والنجل، ووزنهما بـ(تفعلة) و(إفعيل) تعسّف لأنهما أعجميان، ويؤيد ذلك أنه قرئ (الأنجيل) بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العربية، وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والكسائي (التَّوْريٰـةَ) بالإمالة في جميع القرآن، ونافع وحمزة بين اللفظين إِلَّا قَالُون فإنه قرأ بالفتح كقراءة الباقين. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل تنزيل القرآن.

أريد الأول أو بـ«نَزَّل» أريد الثاني، ورد الأول بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧] وبقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤]، والثاني بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد يجاب بأن القول بذلك جرى على الغالب **[وهو في موضع الحال]**؛ أي: محقاً.

[واشتقاقها] إلى آخره. «اشتقاقها» مبتدأ خبره «تعسف» و«الواو» في «ووزنهما» للعطف على «اشتقاقهما».

وقوله: «من الورى والنجل»؛ أي: اشتقاق التوراة من «الورى»، والإنجيل من «النجل» يقال: «وريت الزناد وريا» إذا قدح وظهر منه النار، و«التوراة»: ضياء من الضلال، و«النجل»: هو الأصل، والماء الذي ينزّ من الأرض؛ أي: يخرج منها، ومنه النجل للولد من الأول، والنجل للوالد فهو من الأضداد، والإنجيل أصل ويستخرج منه الأحكام.

[لأنهما أعجميان]؛ أي: فلا يناسب كونهما مشتقين، قال الطيبي: وقيل الذي يدل على أنهما عربيان دخول اللام فيهما. وما ذكره المصنف من أن وزن التوراة «تفعلة» هو قول بعضهم، وأما مذهب الخليل وسيبويه وجمهور البصريين والكوفيين: فوزنها «فوعلة»، والأصل: «ووريَة» بفتح الراء إحالة أو فرعاً عن كسرها فأبدلت الواو تاء وقلبت الياء ألفاً[1].

---

(١) اللباب، ابن عادل [٥/١٦].

۝ ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾
هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾.

﴿٤﴾ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ على العموم إن قلنا إنا متعبدون بشرائع من قبلنا، وإلا فالمراد به قومهما. ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يريد به جنس الكتب الإلٰهية، فإنّها فارقة بين الحق والباطل. ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها، كأنه قال: وأنزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل، أو الزبور أو القرآن. وكرر ذكره بما هو نعت له مدحاً وتعظيماً، وإظهاراً لفضله من حيث إنه يشاركهما في كونه وحياً منزلاً، ويتميز بأنه معجز يفرق بين المحق والمبطل، أو المعجزات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من كتبه المنزلة وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بسبب كفرهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يمنع من التعذيب ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لا يقدر على مثله منتقم، و(النقمة): عقوبة المجرم والفعل منه (نقم) بالفتح والكسر، وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والإشارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة تعظيماً للأمر، وزجراً عن الإعراض عنه.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي شيء كائن في العالم كليّاً كان أو جزئيّاً، إيماناً أو كفراً. فعبَّر عنه بالسماء والأرض إذ الحس لا يتجاوزهما، وإنما قدم الأرض ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، ولأن المقصود بالذكر ما اقترف فيها. وهو كالدليل على كونه حيّاً وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾؛ أي: من الصور المختلفة، كالدليل على القيومية، والاستدلال على أنه عالم بإتقان فعله في

[متعبَدون]؛ أي: بفتح الباء؛ أي: مكلفون ومأمورون من «تعبدته»: اتخذته عبداً [أو الزبور أو الفرقان] معطوفان على جنس الكتب الإلٰهية [وكرر ذكره] راجع إلى قولِهِ: أو القرآن [أو المعجزات] عطف على جنس الكتب الإلٰهية أيضاً.

۞ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ
مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ
وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾.

خلق الجنين وتصويره. وقرئ (تصوركم)؛ أي: صوركم لنفسه وعبادته. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله. ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ إشارة إلى كمال قدرته وتناهي حكمته. قيل: هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربّاً، فإن وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله ﷺ نزلت السورة؛ من أولها إلى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم.

٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ أحكمت عبارتها بأن حفظت من الإجمال والاحتمال. ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أصله ترد إليها غيرها، والقياس (أمهات) فأفرد على تأويل كل واحدة، أو على أن الكل بمنزلة آية واحدة. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ محتملات لا يتضح مقصودها. لإجمال أو مخالفة ظاهر. إلا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء، ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها، فينالوا بها ـ وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها، والتوفيق بينها وبين المحكمات ـ معالي الدرجات. وأما قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] فمعناه: أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة

[وقرئ يصوركم] على أنه فعل ماضي [هذا]؛ أي: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ إلى آخره. [حِجَاج على من زعم أن عيسى كان رباً]؛ أي: لأنه كان يخفى عليه بعض الأمور لاحتجابه بالرَّحِم ومُصَوَّراً فيها، وكل من خفي عليه شيء أو صُوِّر لا يكون رَبّاً، و«أجاب على شُبَهِهم» عطف على «احتج»، وقولهُ: «وأجاب»؛ أي:

اللفظ، وقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ فمعناه: أنه يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ، ﴿وَأُخَرُ﴾ جمع (أُخرَى) وإنما لم ينصرف؛ لأنه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته؛ لأن معناه: أن القياس أن يعرف ولم يعرف لا أنه في معنى المعرف أو عن (أُخَرُ) من ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ فيتعلقون بظاهره أو بتأويل باطل ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه. ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ وطلب أن يؤولوه على ما يشتهونه، ويحتمل أن يكون الداعي إلى الاتباع مجموع الطلبتين، أو كل واحدة منهما على التعاقب. والأول: يناسب المعاند والثاني: يلائم الجاهل. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ الذي يجب أن يحمل عليه. ﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي: الذين ثبتوا وتمكنوا فيه، ومن وقف على

به [**يرد بما**(١)] غيرها هو المتشابه [**معدول عن الآخر**] وهو قول أكثر النحويين محتجين بأن الأصل في «أفعل التفضيل»: أن لا يجمع إلا مقروناً بالألف واللام فعدل عن أصله، وأعطي من الجمع مجرداً ما لا يعطاه غيره إلا مقروناً(٢) وإلى ذلك أشار بقوله: [**ولا يلزم منه معرفته**] إلى آخره؛ أي: أن يكون معرفة [**أو عن آخر من**] عطف على «عن الآخر» وإلى هذا ذهب ابن مالك حيث قال: التحقيق أنه معدول «عن آخر من» مراداً به جمع المؤنث لأن الأصل في أفعل التفضيل أن يستغنى فيه بـ«أفعل» عن «فعل» لتجرده عن الألف واللام والإضافة، كما يستغنى بـ«أكبر» عن «كبر» في نحو رأيتها مع نسوة أكبر منها، فلا يثنى ولا يجمع لكنهم أوقعوا الفعل موقع أفعل فكان ذلك عدولاً من مثال إلى مثال(٣) [**ومناقضة المحكم بالمتشابه**]؛ كمناقضة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] [**مجموع الطلبتين**]؛ أي: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] [**ومن وقف على**

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (يرد إليها غيرها).
(٢) انظر: أوضح المسالك، ابن هشام [٤/ ٣٩٤].
(٣) انظر: همع الهوامع، السيوطي [١/ ٦٤].

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه: كمدة بقاء الدنيا، ووقت قيام الساعة، وخواص الأعداد كعدد الزبانية، أو بما دلّ القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد. ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ استئناف موضح لحال (الراسخين)، أو حال (منهم) أو خبر إن جعلته مبتدأ. ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾؛ أي: كل من المتشابه والمحكم من عنده. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر، وإشارة إلى ما استعدوا به للاهتداء إلى تأويله، وهو تجرد العقل عن غواشي الحس، واتصال الآية بما قبلها من حيث إنها في تصوير الروح بالعلم وتربيته، وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته، أو أنها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. كما أنه جواب عن قوله: لا أب له غير الله، فتعين أن يكون هو أباً له؛ بأنه مصور الأجنة كيف يشاء فيصور من نطفة أبّ ومن غيرها، وبأنه صوره في الرحم والمصور لا يكون أب المصور.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه] قال «الكشاف»: والأول هو الوجه[(١)]؛ أي: لأن المتشابه على الثاني يصير الخطاب به كالخطاب بالمهمل. ومعنى استأثر: اختص.

[﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾]؛ أي: بالمتشابه أو بالكتاب، فقوله: «كل» فتقديره على الأول «كل من المحكم والمتشابه» وعلى الثاني «على من يحكم[(٢)] الكتاب ومتشابهه» [**استئناف موضع حال** «**الراسخين**» **أو حال منهم**]؛ أي: إن جعلت «الراسخين» معطوفاً بقرينة قوله: [**أو خبر إن جعلته مبتدأ**]؛ أي لا معطوفاً[(٣)] [**أو أنها**] عطفاً على «أنها في تصوير الروح» [**عن تشبث النصارى**]؛ أي: تعلقهم بما زعموه من أن عيسى ابن الله [**كما أنه**] الأولى: «كما أنها»؛ أي: الآية [**بأنه مصور الأجنة**] تنازعه جواب قولهم وجوباً.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٦٦].

(٢) في نسخة [ج]: (كل محكم)، وفي نسخة [ب]: (على محكم الكتاب)، وفي نسخة [ز]: (على من محكم).

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٣/ ٤١٣].

۞ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾.

﴿٨﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ من مقال الراسخين. وقيل: استئناف، والمعنى: لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه، قال عليه الصلاة والسلام: «**قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمٰن، إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه**». وقيل: لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحق أو الإيمان بالقسمين، و(بعد) نصب على الظرف، و(إذ) في موضع الجر بإضافته إليه. وقيل: إنه بمعنى: (إن). ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ تزلفنا إليك ونفوز بها عندك، أو توفيقاً للثبات على الحق أو مغفرة للذنوب. ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ لكل سؤل، وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله، وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء.

﴿٩﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ لحساب يوم أو لجزائه. ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء، نبهوا به على أن معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فإنها المقصد والمال. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

[قال عليه الصلاة والسلام: «قلب ابن ادم...»] إلى آخره. رواه الشيخان[1] وغيرهما[2] **[وقيل: لا تبلينا ببلايا تزغ فيها قلوبنا]** وعليه اقتصر الزمخشري ووجهه بأن ما ذكره كناية أو مجاز؛ إذ لا يحسن من الله الإزاغة ليسأل نفيها، وهذا بناء على مذهبه من الاعتزال[3] **[أو الإيمان بالقسمين]**؛ أي: المحكم والمتشابه **[وقيل: إنه بمعنى: «أن»]**؛ أي: المصدرية **[رحمة]**؛ أي: رقة وحُنُوًا **[أو توفيقاً]** عطف على «رقة» المقدرة **[لا يجب عليه شيء]**؛ أي: لأنه وَهَّاب **[تنبهوا]**؛ أي: الراسخون في العلم **[به]**؛ أي: بقولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩] إلى آخره. **[من الطلبتين]** هما ﴿لَا تُزِغْ﴾ إلى آخره. ﴿وَهَبْ لَنَا﴾ إلى آخره.

---

(١) صحيح البخاري [٦/ ٢٦١٩/ برقم: ٦٩٦٥]، صحيح مسلم [٤/ ٢٠٤٥/ برقم: ٢٦٥٤] ولفظ البخاري بالمعنى

(٢) سنن الترمذي [٤/ ٤٤٨/ برقم: ٢١٤٠]. (٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٦٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١١﴾.

يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ فإن الإلٰهية تنافيه وللإشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب، واستدل به الوعيدية. وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقاً.

١٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عام في الكفرة. وقيل: المراد به: وفد نجران، أو اليهود، أو مشركوا العرب. ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: من رحمته، أو طاعته على معنى البدلية، أو من عذابه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ حطبها. وقرئ بالضم بمعنى: أهل وقودها.

١١ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ متصل بما قبله؛ أي: لن تغني عنهم كما لم تغنِ عن أولئك، أو توقد بهم كما توقد بأولئك، ....

[﴿ٱلْمِيعَادَ﴾] وهو الموعد بمعنى: المصدر لأنه اللائق بمفعولية يخلف لا الزمان والمكان [فإن الإلٰهية تنافيه]؛ أي: خلف الميعاد كنظيره من قولك: «الجواد لا يخيب سائله»، وفي ذلك إشارة إلى أن العدول في الآية عن المضمر المخاطب إلى الاسم المظهر؛ للدلالة على أن الحكم مرتب على ما يدل عليه اسم الله كما في التعليق بالوصف، وفي هذا ملاحظة ما الأصل المعنى قيل العلمية وإلى ما ذكر(١) بقوله: [وللإشعار] به؛ أي: بالتنافي.

[وتعظيم]؛ أي: ولتعظم [الموعود لون الخطاب] حيث قال أولاً: إنك، وثانياً: أن الله [واستدل]؛ أي: على القطع بوقوع وعيد الفساق به؛ أي: بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [للوعيد به]؛ أي: القائلون بالقطع بوقوع ذلك [أي: من رحمته أو من طاعته على معنى البدلية]؛ أي: على معنى أن «من» للبدل(٢) كما

---

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب] زيادة: (أشار). (٢) اللباب، ابن عادل [٥/٤٧].

أو استئناف مرفوع المحل تقديره: دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب، وهو مصدر (دأب في العمل) إذا كدح فيه؛ فنقل إلى معنى الشأن. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ عطف على (آلِ فِرْعَوْنَ). وقيل: استئناف. ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ﴾ حال بإضمار (قد)، أو استئناف بتفسير حالهم، أو خبر إن ابتدأت بـ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾. ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف الكفرة.

في: «**لا ينفع ذا الجد منك الجد**»[1] لكن قال أبو حيان: إثبات البدلية لمن أنكره أكثر النحاة بل هي لابتداء الغاية كما قال المبرد؛ أو للتبعيض على أنه صفة لشيء فلما قدمت صارت حالاً، ومعنى «على الله» على الأخير «من رحمته» ليصح تأويل من يبعض مضافاً لمجرورها كما يقال في: «رأيت رجلاً من بني تميم» معناه: «بعض بني تميم» أو «من عذابه» عطف على «من رحمته» المعنى: يعني على هذا تدفع وعلى الأول تكفي[2].

[**أو استئناف**] عطف على «متصل» [**مرفوع المحل**]؛ أي: على الخبر[3] لمبتدأ محذوف [**كدح**]؛ أي: جهد [**فنقل إلى معنى الشأن**[4]] يقال: «هذا دأبك»؛ أي: «شأنك وعلمك» [**حال بإضمار «قد»**]؛ أي: أن جعل «الذين من قبلهم» **عطفاً على ما** قبله [**أو استئناف بتفسير حالهم**]؛ أي: بناء على أن كان «كدأب» مرفوع المحل فإن شأنهم وحالهم يشمل الأمرين: ما فعلوا وهو «التكذيب»، وما فعل بهم وهو «أخذهم بذنوبهم». وأمّا على كونه منصوب المحل فهو استئناف لبيان السبب. قاله التفتازاني وغيره[5]. والسبب: «تكذيبهم بآيات الله»، والمسبب: «عدم غناء أموالهم وأولادهم عنهم شيئاً»، أو «كونهم وقود النار» [**أو خبرٌ إنِ ابتدأتَ بـ«الذين من قبلهم»**]؛ أي: إن جعلته مبتدأ.

---

(١) صحيح البخاري [١/ ٢٨٩/ برقم: ٨٠٨]، صحيح مسلم [١/ ٣٤٣/ برقم: ٤٧١].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٢/ ٢٩٥].

(٣) في نسخة [ز ـ ج]: (الخبرية).

(٤) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (الثاني).

(٥) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٣/ ٤٢٢].

۞ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)﴾.

---

(١٢) ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: قل لمشركي مكة: ستغلبون؛ يعني: يوم بدر، وقيل: لليهود فإنه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش، فقالوا: لا يغرنك أنك أصبت أغماراً لا علم لهم بالحرب؛ لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس! فنزلت. وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر، وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة. وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على أن الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه. ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ تمام ما يقال لهم، أو استئناف وتقديره: بئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لأنفسهم.

(١٣) ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ الخطاب لقريش أو لليهود، وقيل:

[«**فإنه عليه الصلاة والسلام جمعهم...**»] إلى آخره. رواه أبو داود(١) والبيهقي(٢) وغيرهما(٣). و«الأغمار»: جمع غُمْر بضم الغين، وهو من الرجال لم يجرب الأمور، وقوله: نحن الموصوفون بالشجاعة والشدّة [**على أنَّ الأمر**]؛ أي: على أنَّ معنى الأمر أن بالقراءة بالياء الأمر(٤) [**بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه**]؛ أي: بلفظ المخبر.

[﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]]؛ أي: عبرة وخبر كان لكم و﴿فِي

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ١٧٠/ برقم: ٣٠٠١].

(٢) السنن الكبرى، البيهقي [٩/ ١٨٣/ برقم: ١٨٤٠٩].

(٣) جامع البيان، الطبري [٦/ ٢٢٧].

(٤) أي: «سيغلبون ويحشرون»، وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٣٥٩].

للمؤمنين. ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يوم بدر. ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين، وكان قريب ألف أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وذلك كان بعد ما قللهم في أعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا إليهم، فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مدداً من الله تعالى للمؤمنين، أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦]. ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء، وقرئ بهما على البناء للمفعول؛ أي: يريهم الله، أو يريكم ذلك بقدرته، و(فئة) بالجر

﴿فِئَتَيْنِ﴾ نعت لاسمها وهو «آية» **[وكانوا]**؛ أي: «المشركون»، وفي نسخة: وكان؛ أي: «عددهم» **[قريب ألف]**؛ أي: تسعمائة وخمسين **[أو مثلي**[(١)] **عدد المسلمين وكانوا]**؛ أي: المسلمون **[ثلاثمائة وبِضعة عشر]** بكسر الباء أشهر من فتحها: «ما بين الثلاث إلى التسع» على المشهور، والمراد هنا «ثلاثة» إذ عدد أهل بدر كانوا: ثلاثمائة وثلاثة عشر **[وذلك]**؛ أي: «رؤيتهم» كما ذكر بعد ما قللهم؛ أي: المؤمنون **[في أعينهم]**؛ أي: الكفار.

[فلما لاقوهم] ضبط بالفاء؛ أي: خالطوهم والتفوا[(٢)] عليهم، يقال: «أرسلت الصقر على الصيد فلافه»[(٣)]؛ أي: التفَّ عليه وجعله تحت رجليه، وفي نسخ بالقاف، قال الطيبي: والأول أنسب **[مدداً]**؛ أي: إمداد، وهو علة لـ«كثروا» **[أو يرى المؤمنون]** عطف على «يرى المشركون» أشار إلى أن ضمير الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾ راجع إلى المؤمنين على الأول، وإلى المشركين على الثاني **[وكانوا]**؛ أي: المشركون في الواقع **[ثلاثة أمثالهم]**؛ أي: أمثال المؤمنين **[ليثبتوا لهم]** علة لـ«يرى المؤمنون المشركين مثليهم» **[ويؤيده]**؛ أي: القول بأن الضمير «يرونهم» راجع إلى «المؤمنين» **[وقرئ بهما]**؛ أي: بالياء والتاء[(٤)]، **[وفيه]** عطف على «بهما».

---

(١) في نسخة [ج ـ ب]: (مثل).
(٢) في نسخة [ب]: (والتفتوا).
(٣) المحيط في اللغة، ابن عباد [٢/ ٤٥٠].
(٤) الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٣٦٠].

۞ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾.

على البدل من (فئتين) والنصب على الاختصاص، أو الحال من فاعل (التقتا). ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ رؤية ظاهرة معاينة. ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ نصره؛ كما أيد أهل بدر. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التقليل والتكثير، أو غلبة القليل عديم العدة في الكثير شاكي السلاح، وكون الواقعة آية أيضاً يحتملهما ويحتمل وقوع الأمر على ما أخبر به الرسول ﷺ. ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾؛ أي: لعظة لذوي البصائر. وقيل: لمن أبصرهم.

﴿١٤﴾ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾؛ أي: المشتهيات سماها شهوات مبالغة وإيماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ [ص: ٣٢] والمزين هو الله تعالى لأنه الخالق للأفعال والدواعي، ولعله زينه ابتلاء، أو لأنه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى، ولأنه من أسباب التعيش وبقاء النوع. وقيل: الشيطان فإن الآية في معرض الذم. وفرق الجبائي بين المباح والمحرم. ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ

[**والنصب على الاختصاص**]؛ يعني: المدح، وإلا فالمنصوب على الاختصاص الاصطلاحي لا يكون نكرة، وعلى هذا فـ«أُخرَى كافرة» منصوبة على الذَّم [**عديم**] بالجر صفة «للقليل» [**شاكي السلاح**]؛ أي: تامه [**وكون الواقعة**]؛ أي: واقعة بدر [**آية أيضاً**]؛ أي: كما أن ذلك المفسر بأحد الأمرين أية [**يحتملهما**]؛ أي: الأمرين

۝ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾.

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ بيان للشهوات، والقنطار المال الكثير. وقيل: مائة ألف دينار. وقيل: ملء مسك ثور. واختلف في أنه (فعلال) أو (فنعال)، والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم: بدرة مبدرة. و(المسومة) المعلّمة من (السومة) وهي: العلامة، أو المرعية من (أسام الدابة وسومها)، أو المطهمة. و(الأنعام): الإبل والبقر والغنم. ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إشارة إلى ما ذكر. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾؛ أي: المرجع، وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية.

﴿١٥﴾ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ يريد به تقرير أن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا. ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ استئناف لبيان ما هو خير، ويجوز أن يتعلق اللام بـ(خير) ويرتفع (جنات) على (هو جنات)، ويؤيده قراءة من جرها بدلاً من (خير).

[مَسك الثور] بفتح الميم؛ أي: جلده(١) [والمقنطرة مأخوذة منه]؛ أي: من «القنطار» لأن شأن العرب أن يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه تأكيداً به وتنبيهاً على تناهيه، ومن ذلك «ظل ظليل»، و«داهية دهياء»، و«شعر شاعر» [المُعْلمة] بضم الميم وسكون العين.

[من السُّومة] بضم السين [أو المرعية] عطف على المُعْلمة وكذا قوله: [أو المغممة(٢)] وهي التامة الخلق [ويؤيده قراءة من جرها بدل من «خبر»]؛ أي: لأنها

---

(١) جمهرة اللغة، ابن دريد [٤/ ٢٣١].

(٢) في نسخة [ز - ج]: (المطهمة).

۞ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ مما يستقذر من النساء. ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ قرأ عاصم في رواية أبي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله تعالى: ﴿رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦] بكسر الراء وهما لغتان. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ أي: بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات، وقد نبَّه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأوسطها الجنة ونعيمها.

﴿١٦﴾ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ صفة للمتقين، أو للعباد، أو مدح منصوب أو مرفوع. وفي ترتيب السؤال

حينئذ بيان للخبر كما أن هو ﴿جَنَّاتٌ﴾ تفسير له، وهذه القراءة قراءة يعقوب(١)، ويجوز في «جنات» أن تكون منصوبة بإضمار «أعني»، أو بدل من محل بخبر(٢) لأنه نصب [قراءة عاصم]؛ أي: من رواية شعبة، وهما لغتان، الكسر لغة الحجاز، والضم لغة تميم، وقيل بالكسر اسم، وبالضم مصدراً(٣).

[وأحوال الذين اتقوا]؛ أي: نظراً إلى العباد في الآية أقيم مقام المضمر ليدل على أن العبادة سبب لإعداد الجنة للمتقين. كما أشار إليه بقوله: [فلذلك أعد لهم جنات]؛ أي: كثيرة [صفة للمتقين]؛ أي: «للذين اتقوا» [أو مدح] عطف على «صفة» [منصوب]؛ أي: بأعني أو أمدح [أو مرفوع]؛ أي: بأنه خبر مبتدأ محذوف.

[وفي ترتيب السؤال]؛ أي: سؤال المغفرة وما عطف عليها.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٣/ ٤٤٩].

(٢) في نسخة [ز - ج]: (بخير).

(٣) انظر: اتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٣٢٦].

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

على مجرد الإيمان دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها.

﴿١٧﴾ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب، فإن معاملته مع الله تعالى إما توسل وإما طلب، والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما، وإما بالبدن، وهو إما قولي: وهو الصدق، وإما فعلي: وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة، وإما بالمال: وهو الإنفاق في سبل الخير، وأما الطلب: فبالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب؛ بل الجامع لها وتوسيط الواو بينهما للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها، وتخصيص (الأسحار) لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة؛ لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى، والروع أجمع سيما للمجتهدين. قيل: إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون.

﴿١٨﴾ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيَّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها، وإنزال الآيات الناطقة بها. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالإقرار. ﴿وَأُو۟لُوا۟

[أو الاستعداد لها]؛ أي: لأسبابها وأسباب ما عطف [وتوسط الواو بينهما]؛ أي: بين الصفات وهي هنا «الصابرين» وما عطف عليه، فإنها صفات «للذين اتقوا» أو «العباد» أو «الذين يقولون»، وحينئذٍ فالتوسط إنما هو بين أكثر الصفات(١). [والرُّوع] بضم الراء «القلب» كما مرّ [بين وحدانيته] إلى آخره. لأن الشاهد هو

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٥/٨٨].

﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾ بالإيمان بها والاحتجاج عليها، شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد. ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ مقيماً للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله، وإنما جاز إفراده بها ولم يجز: جاء زيد وعمرو راكباً لعدم اللبس كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ [الأنبياء: ٧٢]. أو من (هو) والعامل فيها معنى الجملة؛ أي: تفرد قائماً، أو أحقه؛ لأنها حال مؤكدة،

العالم الذي بين ما علمه فالله ﷻ قد دل على توحيده بجميع ما خلق [بالإيمان بها]؛ أي: بالوحدانية [والاحتجاج عليها]؛ أي: على ثبوتها [شبه ذلك بالبيان] إلى آخره؛ يعني: أنه استعاره تصريحية تبعية؛ حيث شبه بـ«الشهادة» «دلالته على الوحدانية» بما نصب من الدلالة العقلية، ونزل من السمعية وكذلك الإقرار والاحتجاج من الملائكة، وأولي العلم من الثقلين.

[مقيماً للعدل] أشار إلى أن الباء في «بالقسط» للتعدية، ولم يجعله من قبيل «قام بالأمر» إذا ثبت متلبساً به مباشراً له على طريقة الاستعارة من القيام بمعنى: الانتصاب، مبالغة في تجنب وصفه بصفات المخلوقين[1]. [وإنما جاز إفراده بهما] إلى آخره. بيّن به جواز إفراد المعطوف عليه بالحال كالمعطوف في «نافلة» نفى بيان سر تأخيره هنا عن المعطوفين، وكأنه الدلالة على علو رتبتها وقرب منزلتها من الله تعالى، وأما قوله كـ«الكشاف» ولم يجز «جاء زيد وعمرو راكباً»[2] فمنعه أبو حيان بأنه جائز ويحمل على الأقرب؛ كما في الوصف في نحو: «جاء زيد وعمرو الطويل» فإن «الطويل» صفة لعمرو وأما جعله «نافلة» حال من «يعقوب» فهو على أحد الأقوال التي ذكرها في سورة الأنبياء[3] [أي: قوله تعالى]: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ [الأنبياء: ٧٢] [أو من هُو]؛ أي في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[4].

[أو أحقه] عطف على معنى الجملة والعامل «أحقه» [لأنها حال مؤكدة]؛ أي:

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٣/٤٥٧].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٧٢].
(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٢/٣٠٨].
(٤) في نسخة [ب] زيادة: (أو من هو أنسب بالمعطوف عليه وهو من الله والعامل معنى الجملة؛ أي: وهي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾).

أو على المدح، أو الصفة للمنفي؛ وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة، أو حالاً من الضمير. وقرئ (القائم بالقسط) على البدل عن (هو) أو الخبر لمحذوف. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبني عليه قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فيعلم أنه الموصوف بهما، وقدم (العزيز) لتقديم العلم بقدرته على العلم بحكمته، ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل (شهد). وقد روي في فضلها أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى: إن لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد، أَدْخِلُوا عبدي الجنة**». وهي دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله.

لتحقيق الشهادة والمؤكدة لازمة للحال اللازمة وبالعكس [**أو على المدح**] عطف على الحال ممن ذكر [**للمنفي**]؛ أي: وهو إلٰه [**وفيه ضعف للفصل**]؛ أي: بين الصفة والموصوف بأجنبي[(١)] وهو ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ أنه ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[(٢)] وأولوا العلم أنه قائم بالقسط، أو أنه لا إلٰه إلا هو قائماً بالقسط [**وقرئ «القائم بالقسط» على البدل من «هو»**] ضعِّف بأن فيه فصلاً بين البدل والمبدل منه بأجنبي.

[**وليبني عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾**] إنما قدم العزيز لأن «العزّة» تلائم «الوحدانية»، و«الحكمة» تلائم «القيام بالقسط»، فأتى بهما لتقرير الأمرين على ترتيب ذكرهما [**ولأن رفعهما على البدل من الضمير**]؛ أي: أو على الخبر المحذوف.

[**وقد روي في فضلها**] إلى آخره. رواه الطبراني[(٣)] والبيهقي بسند ضعيف[(٤)].

---

(١) انظر: الكوكب الدري، الأسنوي [١/٢٧٦] الكليات، الكفومي [٨٥٦].

(٢) في نسخة [ز ـ ج] زيادة هي: ((وهو؛ أي: قوله: قائماً بالقسط [مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة]؛ أي: للمنفي [أو حالاً عن الضمير] فكأنه قيل: شهد الله والملائكة).

(٣) المعجم الكبير، الطبراني [١٠/١٩٩/برقم: ١٠٤٥٣].

(٤) شعب الإيمان، البيهقي [٢/٤٦٤/برقم: ٢٤١٤] وقال بعده: «عمار بن عمر المختار عن أبيه ضعيفان، وهذا لم يأت به غيرهما، والله أعلم».

۞ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٩﴾.

۝١٩ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى؛ أي: لا دين مرضيّ عند الله سوى الإسلام، وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ، وقرأ الكسائي بالفتح على أنه بدل من (أنه) بدل الكل أن فسر الإِسلام بالإِيمان، أو بما يتضمنه وبدل اشتمال إن فسر بالشريعة. وقرئ (إنه) بالكسر و(أن) بالفتح على وقوع الفعل على الثاني، واعتراض ما بينهما، أو إجراء شهد مجرى قال تارة وعلم أُخْرَى لتضمنه معناهما. ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى، أو من أرباب الكتب المتقدمة في دين الإِسلام فقال قوم: إنه حق، وقال قوم: إنه مخصوص بالعرب، ونفاه آخرون مطلقاً، أو في التوحيد فثلثت النصارى ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. وقيل: هم قوم موسى ....

وضمير «فضلها» للآية [مؤكدة للأولى]؛ أي: وهي آية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ وقيل: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الأول وقيل الثاني: [والتدرع بالشرع]؛ أي: التلبس به. استعار من تدرعت بالدرع؛ أي: لبسته [وقرأ الكسائي بالفتح]؛ أي: بفتح «أنَّ»(١) [على أنه بدل من «إله»] إلى آخره. ضعفه أبو حيان بأن فيه فصلاً بين البدل والمبدل منه بأجنبي، قال: والصواب: أنه معمول للحكيم بإسقاط الجار؛ أي الحكيم بأن الدين(٢) [أو بما يتضمنه]؛ أي: وهو مجموع الإيمان وفروعه [أن فَسّر بالشريعة]؛ أي: بالفروع [على وقوع الفعل]؛ أي: وهو «شهد» [على الثاني واعتراض ما بينهما] لا يخفى ما في هذا التخريج من التكلف [أو أَجْرَى «شهد» مجرى قال: تارة] فكسر «إنه».

[وعلم أُخْرَى] ففتح أن فهو من باب استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه أو في مجازيه [أو في التوحيد] عطف على «دين الإسلام» [وقيل: هم قوم موسى] هو

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه [١/ ٣٦٣].
(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٢/ ٣٠٩].

۞ ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَواۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

اختلفوا بعده. وقيل: هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى عليه السلام. ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾؛ أي: بعد ما علموا حقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج. ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْۗ﴾ حسداً بينهم وطلباً للرئاسة، لا لشبهة وخفاء في الأمر. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وعيد لمن كفر منهم.

﴿٢٠﴾ ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ في الدين، أو جادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج. ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أخلصت نفسي وجملتي له لا أشرك فيها غيره، وهو الدين القويم الذي قامت به الحجج ودعت إليه الآيات والرسل، وإنما عبر بالوجه عن النفس؛ لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِۗ﴾ عطف على التاء وحسن للفصل، ....

والقول بعده مقابلان لقوله تعالى: ﴿الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ﴾ [اختلفوا بعده] اختلافهم هو أن موسى عليه السلام حين استحضر استودع التوراة سبعين حبراً من بني اسرائيل وجعلهم أمنا عليها واستخلف «يوشع» فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعدما جاءهم علم التوراة(١).

[اختلفوا في أمر عيسى]؛ أي: بعد ما علموا أنه عبد الله ورسوله كما شمله قوله: [﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ **أي: بعد ما علموا]** إلى آخره. [﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْۗ﴾] تعليل لاختلفوا. **[أخلصت نفسي وجملتي له]** أشار إلى الوجه مجاز عن جملة الشخص تعبيراً عن الكل بأشرف أجزائه **[وهو]**؛ أي: نفي الشريك **[ومظهر القوى]** بفتح الميم؛ أي: محل ظهورهما **[عطف على التاء]**؛ أي:

---

(١) معالم التنزيل، البغوي [٧/ ١٨٢].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

أو مفعول معه. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب. ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ كما أسلمت لما أوضحت لكم الحجة، أم أنتم بعد على كفركم ونظيره وقوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] وفيه تعيير لهم بالبلادة أو المعاندة. ﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ فقد نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها من الضلال. ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾؛ أي: فلم يضروك إذ ما عليك إلا أن تبلغ وقد بلغت. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ وعد ووعيد.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هم أهل الكتاب الذين في عصره ﷺ. قتل أولهم الأنبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي ﷺ والمؤمنين ولكن الله عصمهم، وقد سبق مثله في سورة البقرة. وقرأ حمزة (ويقاتلون الذين). وقد منع سيبويه إدخال الفاء في خبر (إن) كـ(ليت) و(لعل) ....

أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: لذلك. [**أو مفعوله معه**]؛ أي: تبع فيه «الكشاف»[(١)]، وهو صحيح نظراً إلى أن المشاركة بين المتعاطفين في مطلق الإسلام؛ أي: الإخلاص لا فيه بقيد وجهه حتى يمتنع ذلك لاختلاف وجهيهما.

[**فقد نفعوا أنفسهم**] أشار إلى أن اهتدوا كناية عن هذا المعنى وإلا فلا فائدة في الجزاء، وكذا الكلام في ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [آل عمران: ٢٠] حيث فسره بما بعده [**هم أهل الكتاب الذين في عصره**] التقييد نفي عصره من حيث الحكم والخطاب في «فبشرهم» وإلا فالمعاصرون وأوّلوهم مستحقون للعذاب الأليم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٧٢].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ولذلك قيل: الخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ كقولك: زيد ـ فافهم ـ رجل صالح، والفرق أنه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

﴿٢٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: التوراة أو جنس الكتب السماوية، و(من) للتبعيض أو للبيان. وتنكير (النصيب) يحتمل التعظيم والتحقير.

ففي «يقتلون» إلى آخره. جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز عند الشافعي.

[**ولذلك قيل الخبر**: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾] إلى آخره. وعليه ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جملة معترضة كجملة «فافهم» فيما ذكره بقوله [**كقولك: زيد فافهم رجل صالح**] والمشهور أن جملة «فبشرهم» خبر «أن»، ودخول الفاء لا يمنع ذلك لأن الموصول متضمن معنى الشرط، فدخلت الفاء في خبره ودخول «أن» على ذلك لا يمنع دخولها فيما ذكر[1]؛ لأن المعنى لم يتغير بذلك بل ازداد تأكيداً، وإلى هذا ذهب المصنف حيث ذكر الفرق بين «أن» و«ليت» و«لعل» فقال: [**والفرق أنه**]؛ أي: أن دخول «أن» على الجملة [**لا يتغير معنى الابتداء بخلافهما**]؛ أي: بخلاف «ليت» و«لعل».

[**أي: التوراة أو جنس الكتب السماوية**] أشار بالأول: إلى أن «لام» الكتاب للعهد والمعهود التوراة، وبالثاني: إلى أنها للجنس و«من» على التقديرين [**للتبعيض أو للبيان**] وقيل: هي للبيان على تقدير الأول، وللتبعيض على الثاني، ويجوز كما قال التفتازاني: أن يكون اللام للعهد، والمعهود «اللوح»، و«من» للابتداء و«النصيب» التوراة[2] [**يحتمل التعظيم والتحقير**] ذكر «التحقير» زائد على

---

(١) انظر: الكليات، الكفومي [ص١٢٩١].

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣١٦/٢].

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الداعي محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن، أو التوراة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ فقال: «**على دين إبراهيم**». فقالا له: إن إبراهيم كان يهودياً فقال: «**هلموا إلى التوراة فإنها بيننا وبينكم**» فأبيا، فنزلت. وقيل: نزلت في الرجم. وقرئ (لِيُحْكَمَ) على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم، وفيه دليل على أن الأدلة السمعية حجة في الأصول. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب. ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وَهُمْ قوم عادتهم الإعراض، والجملة حال من (فريق) وإنما ساغ لتخصصه بالصفة.

«الكشاف»[1] وفيه نظر؛ إذ «النصيب» المراد به «الكتاب» أو بعضه لا حقارة ما فيه، وقد يجاب بأن تحقيره بالنسبة إليهم حيث لم يعملوا به، أو بأن المراد به التقليل، وإن بعُد بمقابلة التعظيم [﴿لِيَحْكُمَ﴾]؛ أي: «كتاب الله» أو «الله» فالإسناد على الأول مجاز، وعلى الثاني حقيقة [**لما روي**] إلى آخره. رواه الطبراني[2].

[**مدارسهم**] موضع صاحب دراستهم كتبهم [**فيكون الاختلاف فيما بينهم**]؛ أي: فيما بين من أسلم منهم ومن لم يسلم، لا فيما بينهم وبين النبي ﷺ، إذ ذاك الاختلاف خاص بالقراءة المشهورة، وهذا خاص بالقراءة الشاذة[3]، هذا ما اقتضاه كلامه، وفي تفرقته بين الاختلافين نظر سلم منه قول الزمخشري بعد ذكر القراءتين، وحاصله ما عبر عنه التفتازاني بقوله: والوجه في تفسير الآية أن لا يراد ما سبق من الاختلاف بين اليهود والرسول عليه الصلاة والسلام في «ملّة إبراهيم» أو في «الرجم»؛ بل يراد اختلاف يقع فيما بينهم بدليل قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [**استبعاد لتولّيهم**] أشار به إلى أنَّ «ثُمَّ» ليست للتراخي في الزمان إذ لا تراخي فيه.

[**بأن الرجوع إليه**]؛ أي: إلى كتاب الله [**والجملة حال من فريق**]؛ أي: حال

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/٣٧٦]. (٢) انظر: جامع البيان، الطبري [٦/٢٨٨].
(٣) قراءة الحسن وأبو جعفر وعاصم الجحدري. انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [١/٤٢١].

۞ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التولي والإعراض. ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ. ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن النار لن تمسهم إلا أياماً قلائل، أو أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم.

﴿٢٥﴾ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]. روي: أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ جزاء ما كسبت. وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار؛ لأن توفية إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها، فإذن هي بعد الخلاص منها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الضمير لكل نفس على المعنى لأنه في معنى كل إنسان.

مؤكدة، ويجوز أن يكون تذييلاً[١] على رأي الأكثرين[٢]، واعتراضاً على رأي الزمخشري[٣] [إشارة إلى أن التولي والإعراض] المناسب لأفراد اسم الإشارة أن يقال إشارة إلى ما ذكر من التولّي والإعراض [الضمير لكل نفس على المعنى]؛ يعني: ذكر ضمير وهم و«يُظلمون» وجهه باعتبار معنى كل نفس لأنه في معنى كل نفس، كما اعتبر في قولهم ثلاثة أنفس بتأويل الأناسي[٤] لكن قوله: [لأنه في معنى كل إنسان] يختص بالتذكير فلو أبدل «كل إنسان» بـ«كل الناس» لشمل الجمع أيضاً

---

(١) في نسخة [ب]: (بدلاً).
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٥/١١٨].
(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري [١/٣٧٧].
(٤) الكشاف، الزمخشري [١/٣٧٨].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾.

---

(٢٦) ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ (الميم) عوض عن (يا) ولذلك لا يجتمعان، وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم. وقيل: أصله (يا الله أمنا بخير)، فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته. ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون، وهو نداء ثان عند سيبويه فإن الميم عنده تمنع الوصفية. ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد، فالملك الأول ....

[الميم عوض من ياء]؛ أي: فأصله «يا الله» فقط [وهو]؛ أي: وهذا التعويض [كدخولها]؛ أي: كما اختص بدخولها [عليه مع لام التعريف وقطع همزتة وتاء القسم]؛ أي: وكما اختص بدخول تاء القسم عليه، وأما قولهم: «ترب الكعبة» فنادر(١).

[وقيل: أصله: يا الله أُمَّنا بالخير] بضم الهمزة وتشديد الميم؛ أي: اقصدنا به [فخفف] لكثرة استعماله [بحذف حرف النداء] وبحذف [متعلِّقات الفعل] من الضمير و«بالخير» [و] وبحذف [همزته]؛ أي: الفعل وهو «أمَّ»: من أمَّ يؤُمُّ؛ أي: قصد، كما علم [فان الميم]؛ أي: ميم: «اللَّهُمَّ» [عنده تمنع الوصفية]؛ أي: لأن «اللَّهُمَّ» بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفاً وصار مثل «حيَّهل» إذ الميم بمنزلة صوت مضموم إلى اسم مع بقائهما على معنيهما بخلاف نحو سيبويه وخالويه حيث صار الصوت جزء الكلمة(٢) قاله التفتازاني، وجوزه قوم كما يوصف «با الله» وجعلوا «مالك الملك» صفة قاله التفتازاني.

[منها]؛ يعني: من الدنيا [فالملك الأول] وهو ما ذكره في قوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾

---

(١) انظر: شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل [٣/ ١٢].
(٢) انظر: شرح الكافية، الاستراباذي [١/ ٣٨٤].

عام والآخران بعضان منه. وقيل: المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان. ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ذكر الخير وحده لأنه المقتضي بالذات، والشر مقضي بالعرض، إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيراً كلياً، أو لمراعاة الأدب في الخطاب، أو لأن الكلام وقع فيه إذ روي أنه عليه السلام: لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، وأخذوا يحفرون، فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول، فوجهوا سلمان إلى رسول الله ﷺ يخبره، فجاء عليه السلام فأخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن بها مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر وكبّر معه المسلمون وقال: «**أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب**، ثم ضرب الثانية فقال: **أضاءت لي**

[آل عمران: ٢٦] **[عام]**؛ أي: شامل للآخرين المقيد أحدهما بالإتيان(١) والآخر بالنزع **[وقيل: المراد بالملك]**؛ أي: في الأخيرين **[وذكر الأخير وحده]**(٢) إلى آخره. وجه الخير بثلاثة أوجه بأنه مقصود بالذات وبمراعاة الأدب وبأن الكلام وقع فيه دون الشر، وزِيْد عليها ما اقتصر عليه «الكشاف» أن جميع أفعال الله من نافع وضار صادرة عن حكمة فكلها خير(٣)، ووجه الشر بما ذكره وهو ظاهر، وقد يؤخذ منه ما ذكره غيره من أن «الخير» في الآية لم يذكر وحده بل هو شامل للشر، وسمي «خيراً» لأنه ليس في العالم شر خالص؛ كما أن فيه خيراً خالصاً؛ لأن ما هو شر لكذا خيرٌ لكذا فالخير والشر يصدق عليهما الخير من هذه الجهة(٤) **[روي: «أنه عليه السلام لما خط الخندق...»]** إلى آخره. رواه البيهقي(٥) وغيره(٦)، وضمير «صدَّعها» و«منها»

---

(١) في نسخة [ج]: (بالإيتاء).
(٢) وفي نسخة [ز] زيادة: (وجوّز قوم كما يوصف يا الله وجعلوا مالك الملك صفة).
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٧٩].
(٤) عبارة: (الجهة) زيادة من نسخة [ز - ج - ب].
(٥) السنن الكبرى، البيهقي [٩/ ١٣٦/ برقم: ١٨١٦٣].
(٦) مسند أحمد [٤/ ٣٠٣/ برقم: ١٨٧١٦].

۞ ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾.

منها القصور الحمر من أرض الروم، ثم ضرب الثالثة فقال: أضاءت لي منها قصور صنعاء، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا».
فقال المنافقون: ألا تعجبون يمنّيكم، ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفَرَق، فنزلت. فنبه على أن الشر أيضاً بيده بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

٢٧ ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ **عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله؛ دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وإيتاء الملك ونزعه. و(الولوج): الدخول في مضيق. وإيلاج الليل والنهار: إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص. وإخراج الحي من الميت وبالعكس: إنشاء الحيوانات من موادها وإماتتها، أو إنشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه.**

للصخرة، وضمير «لابتيها» للمدينة، وهما حرّتان يكشفانها، و«الحرَّة»: كل أرض ذات حجارة سود كأنها محترقة من الحَرّ، و«اللوب»: الحوم حول الماء للعطش عند الازدحام، وقيل: العطش واللام في «لكان» جواب قسم محذوف، و«الحِيرة»: بكسر الحاء مدينة بقرب الكوفة، وبلد بقرب عانة، وقرية بفارس، ومحلة بنيسابور[1]، وتشبيه «القصور» بـ«أنياب الكلاب» في بياضها وصغرها وانضمام بعضها إلى بعض.

[من الفَرَق] بفتح الراء؛ أي: الخوف.

---

(١) انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي البشاري [ص٨].

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)﴾.

وقيل: إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر ﴿الْمَيْتَ﴾ بالتخفيف.

(٢٨) ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما، حتى لا يكون حبهم وبغضهم إلا في الله، أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية. ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة، وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ أي: اتخاذهم أولياء ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ من ولايته في شيء يصح أن يسمى ولاية؛ فإن موالاة المتعادين لا يجتمعان قال:

تَـوَدُّ عَـدُوي ثُـمَّ تَـزْعُـمُ أَنَّـنـي صَدِيْقُكَ لَيْسَ النوك عَنْكَ بِعَازِبِ

[مندوحة]؛ أي: سعة. يقال: «ندحت المكان ندحاً»: وسعته [﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]] «في شيء» خبر «ليس»، و«مِنَ الله» حال من «شيء»؛ لأنه صفة له تقدم عليه، و«من» ابتدائية، وقيل: بيانية، وفي الكلام حذف والتقدير: «ليس في شيء كائن من ولاية الله»، فـ«شيء» ليس منفياً مطلقاً بل بهذا القيد وإليه أشار بقوله: **[يصح أن يسمى ولاية]**؛ أي: شرعية **[فإن ولاية المتعاديين]**؛ أي: ولايتهما **[لا يجتمعان[1]]** لما بينهما من البعاد[2]. **[قال]**؛ أي: الشاعر:

[تَوَدّ.................................... ....]

بفتح التاء والواو؛ أي: تحبّ.

[................ **عَدوِّي ثُمَّ تَزْعُم أَنَّنِي صديقُكَ ليسَ النَّوْكُ**.................]

بضم النون؛ أي: الحمق **[عَنْكَ بِعَازِب]**[3] بعين مهملة وزاي؛ أي: بغائب، وقبله:

---

(١) في نسخة [ب]: (لا يخضعان).
(٢) في نسخة [ز - ج]: (من التضاد).
(٣) المقامات، الزمخشري [ص١٢].

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه، أو اتقاء. والفعل معدى بـ(من) لأنه في معنى: تحذروا وتخافوا. وقرأ يعقوب (تقية). منع عن موالاتهم ظاهراً وباطناً في الأوقات كلها إلا وقت المخافة، فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام: كن وسطاً وامش جانباً. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه، وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي النهي في القبح وذكر النفس، ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكَفَرة.

فليسَ أَخي مَنْ وَدَّني رَأيَ عينِهِ ... ولكنْ أَخي مَنْ وَدَّني في المَغَائِبِ[1]

[أن يخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه أو اتقاء] أشار بالأول: إلى أن «تقاة» مصدر أقيم مقام المفعول به، و«منهم» صلة «تتقوا» أو حال، وبالثاني: إلى أنه مصدر مفعول مطلق، والمفعول به المجرور بـ«مِنْ» وهو ما أشار إليه بقوله: والفعل معدى بـ«مِنْ» تضميناً كما أشار إليه بقوله: [لأنه في معنى تحذروا وتخافوا]؛ أي: بناء على ما اشتهر عرفاً مِنْ أنَّ حَذِر وخاف يتعديان بـ«مِنْ»، فلا ينافي أنهما لم يوجدا في كتب اللغة إلا متعديين بأنفسهما و«مِنْ» على القولين ابتدائية[2].

[منع عن موالاتهم] إلى آخره تفسير الحاصل قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [فان إظهار الموالاة حينئذٍ جائزة] بمعنى: أنها مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء [كن وسطاً]؛ أي: في معاشرتهم ومخالفتهم [وامش جانباً]؛ أي: من موافقتهم فيما يأتون ويذرون وعبر بعضهم عن تفسير الجملتين بقوله: «أي: ليكن جسدك مع الناس وقلبك في حظيرة القدس». [بتناهي المنهي]؛ أي: المنهي عنه [فلا يؤبه دونه]؛ أي: عنده [بما يحذر من الكفرة] متعلقا بـ«يؤبه» قال الجوهري: لا يؤبه به ولا يؤبه له؛ أي: لا يبالى به[3].

---

(١) انظر: الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي [ص١٠].
(٢) انظر: الكليات، الكفومي [ص٤٩٠].
(٣) الصحاح، الجوهري [٨/ ١٢٩].

۞ ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إنه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبدوها. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيعلم سركم وعلنكم. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه. والآية بيان لقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وكأنه قال: ويحذركم نفسه لأنها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها، وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها، فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها.

﴿٣٠﴾ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ (يوم) منصوب بـ(تود)؛ أي: يتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها، أو جزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهَوْلِهِ أمداً بعيداً، أو بمضمر نحو (اذكر) و﴿تَوَدُّ﴾ حال من الضمير في (عملت) أو خبر لـ(ما عملت من سوء) و(تجد) مقصور على ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾، ولا تكون (مَا) شرطية لارتفاع (تَوَدُّ). وقرئ (ودت) وعلى هذا يصح أن تكون شرطية؛ ....

[أو بمضمر] عطف على ﴿تَوَدُّ﴾ [آل عمران: ٣٠].

[و«تَوَدُّ» حال] إلى آخره؛ أي: على تقدير أنَّ «يوم» منصوب بمضمر [أو خبر] عطف على حال [و«تجدُ» مقصور] إلى آخره؛ أي: على تقدير: أن ﴿تَوَدُّ﴾ خبر لِـ«ما عملت من سوء» [ولا تكون «ما»]؛ أي: في «ما عملت من سوء» [شرطية لارتفاع «تودُّ»] رُدَّ بأن الشرط إذا كان ماضياً والجزاء مضارعاً كما هنا جاز فيه الرفع

۞ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرره للتأكيد والتذكير. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم، أو أنه لذو مغفرة وذو عقاب أليم فترجى رحمته ويخشى عذابه.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ (المحبة): ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله، وبالله، وإلى الله؛ لم يكن حبه إلا لله، وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته. ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر؛ أي: يرضَ عنكم، ويكشف

والجزم، وإن التزم القرّاءُ رفع «تَوَدُّ» لأن القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَة **[ولكن الحمل على الخبر]**؛ أي: على أَنَّ «ودت» خبرٌ في نفسه أو عن ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ على أنها جملة شرطية لا تقتضي الوقوع[1] **[أوقع معنى لأنّه حكاية كائن]**؛ أي: في ذلك اليوم **[كرره للتأكيد والتذكير]** قال التفتازاني: الأحسن ما قيل أن ذكره أولاً للمنع من موالاة الكافرين؛ وثانياً للحث على عمل الخير والمنع عن عمل الشرّ.

[أو أنه لذو مغفرة] إلى آخره. عطف على «إنَّ الله» إلى آخره. فقوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ على الأول: تتميم، وعلى الثاني: تكميل كمّل به ليجمع بين صفتي القهر والرحمة تحريضاً على الإنابة **[بحيث يحملها]**؛ أي: النفس **[على ما يُقَرِّبُه[2]]**؛ أي: النفس وذكر باعتبار المعنى؛ أي: العبد **[إليه]**؛ أي: إلى الشيء **[جواب للأمر]**

---

(١) انظر: مغني اللبيب، ابن هشام [ص٦٤٠].

(٢) في البيضاوي: «يُقَرِّبُها». انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٢/ ٢٧].

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم؛ فيقربكم من جناب عزه ويبوّئكم في جوار قدسه. عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تحبب إليه بطاعته واتباع نبيه. روي: أنها نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه. وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا: إنما نعبد المسيح حبّاً لله. وقيل: في أقوام زعموا على عهده ﷺ أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقاً من العمل.

﴿٣٢﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يحتمل المضي والمضارعة بمعنى: فإن تتولوا. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم، وإنما لم يقل: (لا يحبهم) لقصد العموم، والدلالة على أن التولي: كفر، وإنه من هذه الحيثية ينفي محبة الله، وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية، ولذلك قووا على ما لم يقوَ عليه غيرهم. لما أوجب طاعة الرسل وبيّن أنها الجالبة لمحبة الله عقّب ذلك ببيان مناقبهم ....

هو رأيٌ عُزِيَ للخليل ومن تبعه، وأكثر المتأخرين على أن مثل ذلك جواب شرط مقدر، عبَّر عن ذلك؛ أي: عن «رضى الله مع ما عطف عليه» **[بالمحبة على طريقة الاستعارة أو المقابلة]**؛ أي: المشاكلة، وإلا فقد عرفت أن «المحبة»: هي ميل النفس إلى الشيء، وهذا مستحيل على الله تعالى، و«الرضى»: نوع من الإرادة فمحبة الله للمؤمنين إرادة إيصال الخير والمنافع في الدين والدنيا إليهم، وهو مستلزم لقول كثير أنها ثناؤه عليهم ومحبتهم له اتباع أمره وقصد طاعته.

تحريضاً عليها، وبه استدل على فضلهم على الملائكة، ﴿وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، إسماعيل وإسحاق وأولادهما. وقد دخل فيهم الرسول ﷺ، ﴿وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازار بن أبي يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشا بن أمون بن منشكن بن حازقا بن أخاذ بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام، وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة. ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ حال أو بدل من (الآلين) أو منهما ومن نوح؛ أي: إنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض. وقيل: بعضها من بعض في الدِّين. و(الذرية) الولد؛ يقع على الواحد والجمع، (فعلية) من (الذر) أو (فعولة) من (الذرء) أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وأدغمت. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بأقوال الناس وأعمالهم

[تحريضاً عليها]؛ أي: على طاعة الرسل[1] **[وبه]**؛ أي: باصطفاء الله لهم **[أو عيسى وأمه مريم]** عطف على موسى وهارون **[حال أو بدل من «الأولين» أو «منهما» أو من «نوح»]** الجار والمجرور تنازع فيه الحال والبدل، وقضيته أن «ذرية» لا تكون حالاً ولا بدلاً من «آدم مع ما عطف عليه»، وقد صرح أبو البقاء في البدل لأنه ليس بـ«ذرية»، ورد بما قاله الراغب: أن «الذرية» تقال للأصل والنسل، وعليه جماعة منهم: الجرجاني حيث قال به وعلله بأن «ذرية»: مأخوذة من ذراء الخلق فالأب ذرى منه الولد والولد ذُرِيَ من الأب **[من الذرّ]** بتشديد الراء جمع ذرة وهي أصغر النمل قاله الجوهري[2] **[من الذَّرْء]** بالهمزة؛ أي: الخلق.

[بأقوال الناس وأعمالهم] الأول راجع لِـ«سميع»، والثاني معه لِـ«عليم»،

---

(١) انظر: البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي [١/ ٤٠١].

(٢) الصحاح، الجوهري [٤/ ٣٣].

۞ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.

فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل، أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها.

﴿٣٥﴾ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى﴾ فينتصب به (إذ) على التنازع. وقيل: نصبه بإضمار (اذكر)، وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى، وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون، فظن أن المراد وزوجته، ويرده كفالة زكريا فإنه كان معاصراً لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع، وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الأب روي: أنها كانت عاقراً عجوزاً، فبينما هي في ظل شجرة إذ رأت طائراً يطعم فرخه

و«عليم» خبر بعد خبر أو صفة لـ«سميع» **[فينصب به]**؛ أي: بـ«سميع» أو بـ«عليم» أو بكل منهما على سبيل التنازع [إذ] وما قيل في نصبه بـ«سميع» من أنه ممتنع للفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو «عليم» إن أُعرب خبراً بعد خبر، ولوصف اسم الفاعل بـ«عليم» إن أعرب صفة له على خلاف فيه، ردَّ بأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره.

[وهذه] امرأة عمران [حَنَّة] بفتح المهملة وتشديد النون اسم عبراني **[جدة عيسى]**؛ أي: لأمه مريم **[أكبر من هارون]**؛ أي: وموسى، المفهوم بالأولى إذ هارون أسنّ منه بثلاث سنين كما ذكره المصنف في «الأعراف» وقيل: بستة[1] **[فظنَّ أنه]**؛ أي: «عمران بن يصهر» **[المراد وزوجته]**؛ أي: لا «عمران بن ماثان» وزوجته، وليس كما ظُن ولذلك قال: **[ويردُّه]**؛ أي: الظن المذكور **[كفالة زكريا]**؛ أي: لمريم **[فإنه]**؛ أي: زكريا **[كان معاصراً لابن ماثان]**؛ أي: لا «لابن يصهر»، فإنه قيل: إن بينهما ألفاً وثمان مائة سنة **[وتزوج]** عطف على «كان» **[وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الأب]**؛ أي: لأنه إذا كانت أم يحيى «إيشاع بنت عمران بن

---

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي [٣/ ٦١].

۞ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾.

فحنت إلى الولد وتمنته فقالت: اللَّهُمَّ إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه، فحملت بمريم وهلك عمران. وكان هذا النذر مشروعاً في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الأمر على التقدير أو طلبت ذكراً ﴿مُحَرَّرًا﴾ معتقاً لخدمته لا أشغله بشيء، أو مخلصاً للعبادة؛ ونصبه على الحال. ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾ ما نذرته. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لقولي ونيتي.

﴿٣٦﴾ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ الضمير لما في بطنها وتأنيثه لأنه كان أنثى، وجاز انتصاب (أنثى) حالاً منه؛ لأن تأنيثها علم منه فإن

ماثان» يلزم أن تكون أم عيسى «مريم بنت عمران بن ماثان»[(١)] لأنهما ابنا أختين من الأب، لكن ما ذكره من أن «إيشاع بنت عمران» تبع فيه «الكشاف»[(٢)]، وصوابه كما قال التفتازاني وغيره: أنها بنت «فاقوذا» خالة مريم لما قالوا عن زكريا: «عندي خالتها». فهي أخت «حَنَّة بنت فاقوذا»، وفي قولهم: وكان يحيى وعيسى ابني خالة تجوزاً[(٣)] اذ يحيى ابن خالة أم عيسى لا ابن خالته، وعيسى ابن بنت خالة يحيى لابن خالته.

[**فحملت بمريم وهلك عمران**]؛ أي: وهي حامل [**فلعلها بَنَتِ الأمرَ على التقدير**]؛ أي: على تقدير كون الولد ذَكَرا [**ونصبه على الحال**]؛ أي: من «ما» وهي حال مصاحبة إن كان بمعنى: «معتقاً»، ومقدراً إن كان بمعنى: «مخلصاً للعبادة» [**الضمير**]؛ أي: ضمير المفعول في «وضعتها» [**لما في بطنها**] وأنثه لقوله: [**وتأنيثه**]

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري [١/ ٣٤٥].

(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٨٣].

(٣) في نسخة [ب]: (يجوز أن).

الحال وصاحبها بالذات واحداً. أو على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة. وإنما قالته تحسراً وتحزناً إلى ربها لأنها كانت ترجو أن تلد ذكراً ولذلك نذرت تحريره. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾؛ أي: بالشيء الذي وضعت. هو استئناف من الله تعالى تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بشأنها. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (وَضَعَتْ) على أنه من كلامها تسلية لنفسها؛ أي: ولعل لله فيه سرّاً، أو الأنثى كانت خيراً. وقرئ (وَضَعْتِ) على أنه خطاب الله تعالى لها. ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ بيان لقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾؛ أي: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت، ....

إلى آخره[١]. [أو على تأويل مؤنث] عطف على «لأن تأنيثها علم منه»، والمعنى: وعلى تأويل المذكر المؤنث [كالنفس والجِبِلّة] بمهملة وموحدة مفتوحتين وبجيم وبموحدة مكسورتين ثم لام مشددة.

[وإنما قالته تحسراً] إلى آخره. جواب ما يقال أن الله تعالى عالم بما وضعت فما فائدة قولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾[٢]، [وتجهيلاً] إنما كان تجهيلاً؛ لأنه تعالى حكى حالها لغيرها وشكى عنها تحسرها[٣] تحقيراً للمولود العظيم الشأن فاحكوا تجهلها بذلك [أي: ولعل] إلى آخره. تفسير لـ«وُضعت» بالضم كما أوضحه الزمخشري بقوله: وقرئ «وضعت»[٤] بمعنى ولعل لله فيه سراً وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها[٥] [بيان لقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾] إلى آخره؛ أي: لأن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] وأورد في تفخيم المولود وفضله على الذكر عكس ما اشتهر من فضل الذكر على الأنثى، والله سبحانه هو الذي اختص بعلمه بفضل هذه الأنثى على الذَّكَر فكان ما ذكر بياناً لما اشتمل عليه الكلام قبله من التعظيم.

(١) في نسخة [ز] زيادة: (حالاً عنه؛ أي: عن ما في بطنها لأن تأنيثها؛ أي: ما في بطنها علم منه؛ أي: من أنثى التي هي حال كما أشار إليه بقوله: فإن الحال... إلى آخره).
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٥/ ١٧٢].
(٣) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (وحزنها على الولد الذي وضعته، والمعنى: اسمعوا قولها وانظروا إلى تحسرها).
(٤) أي: بضم التاء. انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٣٥].
(٥) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٨٤].

و(اللام) فيهما للعهد، ويجوز أن يكون من قولها بمعنى: وليس الذكر والأنثى سيين فيما؛ نذرت فتكون (اللام) للجنس. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض، وإنما ذكرت ذلك لربها تقرباً إليه وطلباً لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها فإن مريم في لغتهم بمعنى: العابدة. وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة. ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ أجيرها بحفظك. ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة. وعن النبي ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فَيَسْتَهِلُّ مِنْ مَسِّهِ إلا مريم وابنها**». ومعناه: أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود

[**واللام فيها للعهد**] أما معهود لام الأنثى ففي قولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ﴾، وأما معهود لام الذكر ففي قولها: ﴿مُحَرَّرًا﴾؛ لأن المحرر لا يكون إلا ذَكَراً [**عطف على ما قبلها من مقالها**]؛ أي: وهو قولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ﴾ [**وما بينهما اعتراض**] هو قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ إلى آخره. ولا يمنع من الاعتراض قراءة «وضعتُ» بالتكلم والخطاب لكونه من كلام الله، وما فيه الاعتراض من كلام امرأة عمران حكاه الله عنها، إذ لا بعد كما قال[١] في الاعتراض بكلام غير محكي بين كلامين محكيين. ثم قال: والحق أن هذا اعتراض في أثناء كلام واحد من متكلم واحد كما تقول: «ضرب زيدٌ عمراً ـ ونعم ما فعل ـ وبكراً وخالداً»[٢].

[**وفيه**]؛ أي: في قوله تعالى حكاية عنها: ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: [**دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة**] أو معنى: «سميتها مريم» جعلت اسم المولود مريم [«**ما من مولود يولد...**»] إلى آخره. رواه الشيخان[٣] قال الطيبي: وقوله: «... **إلا والشيطان يمسّه**» كقوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] في أن الواو داخلة بين الصفة والموصوف لتأكيد اللصوق فيفيد الحصر مع التأكيد، وفي رواية بدل «يمسّه»: «ينخسه». [**ومعناه: أن الشيطان يطمع**] إلى آخره.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (التفتازاني). (٢) حاشية التفتازاني [ص٩٠].
(٣) صحيح البخاري [٤/ ١٦٥٥/ برقم: ٤٣٧٤]، صحيح مسلم [٤/ ١٨٣٨/ برقم: ٢٣٦٦].

۞ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها؛ فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة.

﴿٣٧﴾ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ فرضي بها في النذر مكان الذكر. ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ بوجه حسن يقبل به النذائر، وهو إقامتها مقام الذكر، أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة. روي: أن حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار وقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فإن بني

تبع في تأويل الحديث بهذا الزمخشري[١] وفيه إخراج له عن ظاهره كما سلكه المعتزلة حيث أنكروه وقدحوا في صحته؛ لأن الشيطان إنما يدعوا إلى الشرِّ من له تميز، ولأن في تخصيص الاستثناء بعيسى وأمه بعد، ولأنه لو وجد النخس لدام أمره، وأنت خبير بأن مثل هذه الأمور الصادرة ممن يميل إلى كلام الفلاسفة لا يدفع الحديث الصحيح، ولا يبعد ـ كما قال الطيبي ـ اختصاص عيسى وأمه بهذه الفضلة دون الأنبياء لجواز أن يمكن الله الشيطان من مسهم مع عصمتهم من الإغواء[٢] ولا يمتنع ـ كما قال التفتازاني ـ أن يمس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما ترى وتسمع وليس تلك المسّة للإغواء ليدفع بأنه لا يتصور في حق المولود حين يولد، قلت: ومع تبعية المصنف الزمخشري في التأويل قصر عنه حيث اقتصر على استثناء عيسى وأمه تبعاً للحديث، والزمخشري ألحق بها سائر المعصومين[٣].

[أو تسلُّمها] بضم اللام مشددة عطف على «إقامتها» **[للسِّدانة]**؛ أي: خدمة بيت المقدس [روي: **«أن حَنَّة لما ولدتها...»**] إلى آخره[٤]. بيَّن به تسلمها **[وصاحب قربانهم]**

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٨٥].
(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر [٨/ ٢١٢].
(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٨٥].
(٤) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٨٦].

ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم فقال زكريا: أنا أحق بها، عندي خالتها فأبوا إلا القرعة، وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا، ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا. ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير مضاف؛ أي: بذي قبول حسن، وأن يكون (تقبل) بمعنى: (استقبل) كـ(تقضي) و(تعجل)؛ أي: فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن. ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ شدد (الفاء) حمزة والكسائي وعاصم، وقصروا (زكريا) غير عاصم في رواية ابن عياش على أن الفاعل هو (الله تعالى) وزكريا مفعول؛ أي: جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها، وخفف الباقون. ومدوا (زكرياء) مرفوعاً. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾؛ أي: الغرفة التي بنيت لها، أو المسجد، أو أشرف مواضعه ومقدمها، سمي به لأنه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس. ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ جواب ﴿كُلَّمَا﴾ وناصبه. روي: أنه كان لا

«القربان»: بالضم واحد قرابين الملك وهم جلساؤه وأخصاؤه، ويقال أيضاً: لما تقرب به إلى الله تعالى، قاله الجوهري[1] [ويجوز أن يكون]؛ أي: القبول [مصدراً] الجملة عطف على بِوَجْه، والحاصل: أنه ذكر للقبول وجهين، أحدهما: أنه اسم لما يقبل به الشيء كـ«السقوط» و«اللدود» اسم لما «يسقط» و«يُلَدُّ» به، والثاني: أنه مصدر.

[على تقدير مضاف؛ أي: «بذي قبول حسن»]؛ أي: بأمر ذي قبول حسن، وهو اختصاص مريم بإقامتها مقام الذكر في النذر والباء على الوجهين للملابسة إذ المعنى: فتقبلها ملتبسة بهذا الاختصاص [مجاز عن تربيتها[2]] إلى آخره؛ أي: بطريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم، أو بطريق الاستعارة؛ إذ الزّارع لم يزل يتعهد زرعه بسقيه وإزالة الآفات عنه.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/٧].

(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: وفي نسخة [الأصل]: (توبتها).

يدخل عليها غيره وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس. ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه والأبواب مغلقة عليك؟! وهو دليل جواز الكرامة للأولياء. جعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه. ﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ فلا تستبعد. قيل: تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثدياً قط، وكان رزقها ينزل عليها من الجنة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير لكثرته، أو بغير استحقاق تفضلاً به. وهو يحتمل أن يكون من كلامهما وأن يكون من كلام الله تعالى. روي أن فاطمة رضي الله

[وهو دليل جواز الكرامة للأولياء] كما يدل له غير ذلك كقصة أصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين بلا طعام وشراب، وقصة «آصف» من إتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، ورؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر جيشه بنهاوند حين قال: يا سارية الجبل، وسماع سارية منه وكان بينهما مسافة شهر[١]، وشرب خالد رضي الله عنه السم من غير أن يضره، وبالجملة فكرامات الأولياء حق ثابت وليس بعجيب إنكارها من أهل البدع والأهواء إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء فوقعوا في أولياء الله أصحاب الكرامات يمزقونهم ويسمونهم بالجهلة المتصوفة، ولم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة، وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السُّنَّة حيث قال: فما روي عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بمكة أن من اعتقد جواز ذلك يكفر؟ والإنصاف ما ذكره الإمام النسفي حيث سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور بعض الأولياء هل يجوز القول به فقال: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السُّنَّة.

[وجعل ذلك معجزة زكريا]؛ أي: كما زعمه جماعة [يدفعه اشتباه الأمر عليه] حتى قال لها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ ولو كان ذلك معجزة له لادعاها وقطع بها لأن النبي شأنه ذلك [روي: «أن فاطمة...»] إلى آخره. رواه أبو يعلى[٢] من حديث جابر وهو

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر [٣/ ٦].

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٢/ ٣٦].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾.

تعالى عنها أهدت لرسول الله ﷺ رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها فقال: **هلمي يا بنية**، فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها: **أنّى لك هذا!** فقالت: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾، فقال: **الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل**، ثم جمع علياً والحسن والحسين وجمع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعته على جيرانها.

(٣٨) ـ (٣٩) ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ﴾ في ذلك المكان، أو الوقت؛ إذ يستعار هنا و(ثم) و(حيث) للزمان، لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى. ﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ﴾ كما وهبتها لحَنّة العجوز العاقر. وقيل: لما رأى الفاكهة في غير أَوَانِهَا انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ، فسأل وقال: هب لي من لدنك ذرية؛ لأنه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالأسباب المعهودة. ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ مجيبه. ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: من جنسهم

من رواية ابن لهيعة عن[1] ابن المنكدر عنه والمتن ظاهر النكارة قاله شيخنا [فرجع بها]؛ أي: بالثلاثة المذكورة أو بالهدية والمعنى واحد [إذ يستعار هنا] إلى آخره. تعليل لإطلاق هنا هذا الموضوع للمكان كـ«ثم» و«حيث» على الزمان المعبر عنه بالوقت.

[لما رأى]؛ أي: زكريا [انتبه]؛ أي: نبهه الله؛ أي: وفقه [أي: من جنسهم] إلى آخره. هو على طريقة نسبة حكم المفرد من الجنس إلى الجنس، أو على أنه أريد بالعام الخاص كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢]،

---

(١) لفظ: (عن) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقط من [الأصل] والصواب إثباته.

كقولهم: زيد يركب الخيل. فإن المنادي كان جبرائيل وحده. وقرأ حمزة والكسائي (فناداه) بالإمالة والتذكير. ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾؛ أي: قائماً في الصلاة، و(يصلي) صفة (قائم) أو خبر، أو حال آخر، أو حال عن الضمير في (قائم). ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾؛ أي: بأن الله. وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على إرادة القول، أو لأن النداء نوع منه. وقرأ حمزة والكسائي (يبشرك)، و(يحيى) اسم أعجمي وإن جعل عربيّاً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل. ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بعيسى، سمي بذلك لأنه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التي هي عالم الأمر، أو بكتاب الله، سمي كلمة كما قيل: كلمة الحويدرة لقصيدته. ﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم وكان فائقاً للناس كلهم في أنه مَا هَمَّ بمعصية قط.

[﴿وَهُوَ قَآئِمٌ﴾] حال من ضمير «نادته» [أو خبر]؛ أي: بعد خبر فهو **[على إرادة القول]**؛ أي: إضماره عند البصريين **[أو لأن النداء نوع منه]**؛ أي: من القول عند الكوفيين.

[وقرأ حمزة والكسائي(يَبْشُرك)]؛ أي: بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين(١) **[سمي]**؛ أي: عيسى **[لأنه وجد بأمر الله تعالى]**؛ أي: بكلمته وهو قوله: ﴿كُنْ﴾ **[فشابه البدعيات]**؛ أي: المخترعات لا على مثال **[التي هي عالم الأمر]** أي(٢) بكلمته وهي بقوله: ﴿كُنْ﴾ **[أو بكتاب الله]** عطف على قوله بعيسى **[سمي]**؛ أي: كتاب الله **[كما قيل: كلمة الحويدرة لقصيدته]** الحويدرة(٣) ويقال: «الحادرة»: لقب لشاعر جاهلي اسمه قطبة بن أوس بن محصن، و«الحويدرة» تصغير «الحادرة»، و«الحادر»: الضخم، وكان الحادرةُ ضخم المنكبين(٤).

[في أنه ما همَّ بمعصية]؛ أي: بخلاف غيره من الناس، وكان مراده بالناس

---

(١) الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٣٦٥].

(٢) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (الكلمة إذ العالم الذي وجد).

(٣) كما في نسخة [الأصل] وفي بقية النسخ: (الجويدرة) والصواب ما أثبتناه. انظر: تاج العروس [١٠/ ٥٦٢/ مادة: حدر].

(٤) انظر: تاج العروس، الزبيدي [١٠/ ٥٦٣/ مادة: حدر].

۞ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَحَصُورًا﴾ مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات والملاهي. روي: أنه مرَّ في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت! ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ناشئاً منهم، أو كائناً من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة.

﴿٤٠﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ استبعاداً من حيث العادة، أو استعظاماً، أو تعجباً، أو استفهاماً عن كيفية حدوثه. ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أدركني كبر السن وأثَّرَ فيَّ. وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون. ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لا تلد، من (العقر): وهو القطع لأنها ذات عقر من الأولاد. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: يَفْعَلُ مَا يَشَاء من العجائب مثل ذلك الفعل، وهو إنشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر، أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من خلق الولد،

كلهم غير الأنبياء، ويحتمل أنه أراد بهم ما يشملهم بمعنى: أنهم هموا بها سهوا لكن عصمهم الله من فعلها، وعبارته أسهل من تعبير «الكشاف» بقوله: في أنه لم يرتكب سيئة قط[(١)] واختصاص عيسى[(٢)] عليه السلام بهذه الفضيلة لا يقتضي أنه أفضل الأنبياء. **[ناشئاً منهم أو كائناً من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة]** «من» كما قال الطيبي: على الأول للابتداء، وعلى الثاني للتبعيض.

[أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل] إلى آخره. ذكر لكاف كذلك[(٣)] أوجه، الأول: أنه صفة لمصدر محذوف، الثاني: أنه حال من ضمير يفعل وذلك أشار إلى حالي زكريا وامرأته كأنه قال: على أي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا؟! فقال له: كما أنتما يكون لكما الغلام، الثالث: أنه خبر لما بعده، الرابع: أنه خبر لمحذوف. وعليه فالكلام تام بـ«كذلك» فـ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٨٨].
(٢) في نسخة [ز ـ ج]: (يحيى).
(٣) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (أربعة).

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾.

أو (كذلك الله) مبتدأ وخبر؛ أي: الله على مثل هذه الصفة، و(يفعل ما يشاء) بيان له، أو (كذلك) خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر كذلك، و(الله يفعل ما يشاء) بيان له.

﴿٤١﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ علامة أعرف بها الحَبَل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار. ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أن لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً، وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره، قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق عن السؤال. ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة بنحو يد أو رأس، وأصله التحرك؛ ومنه الراموز للبحر؛ والاستثناء منقطع وقيل: متصل، والمراد بالكلام ما دل على الضمير. وقرئ (رَمَزاً) بفتحتين كـ(خدم) جمع (رامز) و(رمزاً) كـ(رسل) جمع (رموز) على أنه حال منه ومن الناس بمعنى: مترامزين؛ كقوله:

جملة على الأولين وجملتان على الآخرين[١] **[وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره]**؛ أي: وليكون ذلك معجزة **[وأحسن الجواب ما اشتق]**؛ أي: انتزع **[عن السؤال]** يريد أن الجواب بعد انطباق معناه على معنى السؤال ينبغي أن يراعي فيه حسن المناسبة بين لفظيهما كأنه لما سأل آية ليتلقى عندها هذه النعمة بالشكر أجيب أن ﴿ءَايَتُكَ﴾؛ أي: لا تقدر على شيء من الكلام إلا الشكر.

[ومنه الراموز للبحر]؛ أي: لتحركه واضطرابه[٢] **[والمراد بالكلام]**؛ أي: على القول الثاني **[ما دل على الضمير]**؛ أي: على ما فيه **[على أنه حال منه ومن «الناس»]**؛ أي: من فاعل «تكلم» وهو ضمير «زكريا» من مفعول و«هو الناس» **[كقوله]**؛ أي:

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٥/ ٢٤٣].
(٢) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٦٩].

مَتَى مَا تَلْقَني فَرْدَيْنِ تَرْجُف رَوَانِفُ أَلِيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ في أيام الحبسة، وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه، وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار. ﴿وَسَبِّحۡ

كقول عنترة في حق عمارة بن زياد العبسي لما بلغه عنه أنه يحسده على شجاعته ويحقره بقوله لقومه: لوددت أن ألقاه خالياً حتى أريحكم منه وأعلمكم أنه عبد:

[متى ما تلقني فردين ....]

وفي رواية: «خلوين»؛ أي: خاليين وفي أُخرَى: «برزين»؛ أي: بارزين [ترجف]؛ أي: تضطرب [رَوَانِفُ إليتك وتستطارا][1] قبله:

أَحَوْلِي تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوَيْها لِتَقْتُلَنِي فَهَا أَنَا ذَا عُمَارا[2]

«الاست»: قال الجوهري: العجز، وقد يرى به حلقة الدبر، و«المذروان»: جانبا الإليتين المقترنان[3]، و«الروانف»: جمع رانفة وهي طرف الإلية التي تلي الأرض إذا كان الإنسان قائماً، وأراد بالروانف التثنية لأنه ليس للإليتين إلا رانفتان، ولذلك ثنى ضمير تستطارا، ومعنى «تستطار»: يستخف، وهو إما مجزوم بحذف النون عطفاً على جواب الشرط، وأصله: «تستطاران» فتاؤه للتأنيث، وألفه ضمير الرَّوَانِف؛ لأن المراد بها التثنية كما مرّ، أو منصوب بإضمار «أن» فتاؤه للخطاب أو للتأنيث، وعليهما فألفه للإطلاق وأصله: «تستطارن» فقلبت النون ألفا ومحل الشاهد في «فردين» حيث جعل حالاً من الفاعل والمفعول، وإنما نصب ما بعد «إلا» في القراءتين الشاذتين على الحال لا على الاستثناء كما في المشهور؛ لأنه فيهما مشتق ومتعلق المستثنى لا نفسه، إذ التقدير «أن لا يكلم الناس في حال إلا في حال كونكم مترامزين» بخلافه في المشهور[4].

[وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه]؛ أي: الأمر [لا يفيد التكرار]؛ أي: لا

(١) البيت:

متى ما تَلْقَني فَرْدَيْن ترجف رَوَانِفُ إليتيك وتُسْتَطارا

(٢) الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري [ص٧].

(٣) الصحاح، الجوهري [٨/ ٢٥١].

(٤) انظر بسط المسألة في: شرح الشافية، الاستراباذي [٤/ ٥٠٥].

۞ ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

بِٱلْعَشِىِّ﴾ من الزوال إلى الغروب. وقيل: من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل. ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى. وقرئ بفتح الهمزة جمع (بكر) كـ(سحر وأسحار).

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كلموها شفاهاً كرامة لها، ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة لزكريا أو إرهاصاً لنبوة عيسى عليه السلام، فإن الإجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقيل: ألهموها، والاصطفاء الأول: تقبلها من أمها ولم تقبل قبلها أنثى، وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء. والثاني: هدايتها وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السَّنِيّة كالولد من غير أب، وتبرئتها مما قذفته اليهود بإنطاق

يقتضيه، كما لا يقتضي الفور كما هو مقرر في الأصول [**زعم أن ذلك**]؛ أي: «تكليم الملائكة لها»، والمراد بتكليم جبريل عليه السلام كما مرَّ [**أو إرهاصاً**] هو بكسر الهمزة تأسيس النبوة بطريق الخوارق قبل البعثة كإظلال الغمام لنبيِّنا محمد ﷺ بطريق الشام[1].

[**فإن الإجماع على أنه تعالى لم يستثنِ امرأة**] دعوى الإجماع منتقدة لأن الخلاف في نبوة نسوة ثابت خصوصاً مريم إذ القول بنبوتها مشهوراً[2] [**وتبرئتها مما قذفته**] بذال معجمة؛ أي: مما رمت به [**اليهودُ**] مريمَ من الزِّنا وهذا جعله بعض المفسرين داخلاً في الاصطفاء الأول وهو الأنسب بقوله عقبه: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ [**بإنطاق**

---

(١) انظر: المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء [١/ ٧٣].

(٢) قال إمام الحرمين: ولم يصر أحد من أهل التواريخ ونقلة الأقاصيص إلى أنها كانت نبيّة صاحبة معجزة. طبقات الشافعية، السبكي [٢/ ٢٥٢].

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾.

الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين. ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها، وقدم السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب، أو ليقترن اركعي بالراكعين للإيذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين. وقيل: المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾ [الزمر: ٩] وبالسجود الصلاة كقوله تعالى: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠]. وبالركوع الخشوع والإخبات.

٤٤ ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾؛ أي: ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ أقداحهم للاقتراع. وقيل: اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركاً، والمراد تقرير كونه وحياً على سبيل التهكم بمنكريه، فإن

[الطفل] متعلق بتبرئتها **[أو ليقترن اركعي مع الراكعين]** بمعنى: اركعي مع المصلين الراكعين دون المصلين التاركين للركوع كما كان عليه بعضهم ولهذا علله بقوله: **[للإيذان]**؛ أي: للإعلام **[بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين]** ولولا تقديرنا المذكور لم يحسن التعليل بذلك لأنه عند عدم التقدير معارض بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين.

[والإخبات] بتاء مثناة السكون والطمأنينة **[أقداحهم]**؛ أي: سهامهم التي طرحوها في الماء وعليها علامات القرعة[١] **[والمراد: تقدير كونه وحياً]** إلى آخره.

---

(١) ما كانت الأمم تفعلُه من المساهمة عند الاختلاف فيطرحون سهاماً يكتبون عليها أسماءهم فمن خرج له السهمُ سُلِّم له الأمرُ. والأزلام والأقلام: القِداح. المُغرب في ترتيب المعرب، المطرزي [٢٤٨/٢].

۞ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

طريق معرفة الوقائع المشاهدة أو السماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل. ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه: ﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾؛ أي: يلقونها ليعلموا، أو يقولون: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ تنافساً في كفالتها.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بدل من (إِذْ قالَتِ) الأولى وما بينهما اعتراض، أو من (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) على أن وقوع الاختصام والبشارة في

جواب ما يقال: مقتضى الظاهر أن يقال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ وما سمعته من أحد ولا قرأته في كتاب لأن ذلك هو المتوهَّم منه فلِمَ عدل عنه إلى نفي المشاهدة بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٤٤] مع أنها منفية بلا شك؟ وحاصل الجواب: أن المراد بنفيها إثبات الحجة على منكري الوحي بطريق التقسيم الحاصر بأن يقال: طريق العلم فيما أنبأكم به، أما العقل أو الوحي أو السماع أو المشاهدة التي عبر عنها بالعِيان بكسر العين والأول: لا سبيل إليه، والثاني والثالث: منتفيان عندكم، بقي الرابع: فنفي تهكماً بهم، وخص بالنفي دون الثالث لأنه لم يكن من التهكم في شيء لمجال الوهم فيه(١).

[متعلق بمحذوف]؛ أي: لأنه لا معنى لتعليق «الإلقاء» بالاستفهام ولا هو مما يحكى بعده الجمل [أو من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾] على وقوع البشارة والاختصام في زمان متسع كقولك: «لقيته سنة كذا» إنما احتيج إلى هذا التقدير ليصح جواز الإبدال لاقتضائه اتحاد البدل والمبدل منه، وهنا وقت الاختصام متقدم على وقت قول

---

(١) عبارة: (منتفيان عندكم بقي الرابع فنفي تهكماً بهم وخص بالنفي دون الثالث لأنه لم يكن من التهكم في شيء لمجال الوهم فيه) من نسخة [ز ـ ج] ساقطة من نسخة [الأصل ـ ب].

زمان متسع كما تقول: لقيته سنة كذا. ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرفة كـ(الصدّيق) وأصله بالعبرية: مشيحا، ومعناه: المبارك، و(عيسى) معرب: (إيشوع). واشتقاقهما من المسح؛ لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع، أو مسحه جبريل، ومن (العيس) وهو بياض يعلوه حمرة، تكلف لا طائل تحته، و(ابن مريم) لما كان صفة تميز تمييز الأسماء نظمت في سلكها، ولا ينافي تعدد الخبر إفراد المبتدأ؛ فإنه اسم جنس مضاف ويحتمل أن يراد أن الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة؛ فإن الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه. ويجوز أن يكون (عيسى) خبر مبتدأ محذوف و(ابن مريم) صفة له، وإنما قيل: (ابن مريم) والخطاب لها تنبيهاً على أنه يولد من غير أب؛ إذ الأولاد تنسب إلى الآباء ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب. ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ حال مقدرة من (كلمة) وهي وإن كانت نكرة لكنها موصوفة ....

الملائكة بمدة؛ فاحتيج في جواز الإبدال إلى أن يعتبر زمان ممتد يقع الاختصام في بعض أجزائه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك الزمان أنهما في زمان واحد؛ كقولك: «لقيته سنة كذا» مع أنك لم تلقه إلا في جزء من أجزائها[١].

[**وأصله بالعبرية «مشيحا»**]؛ أي: بالشين المعجمة[٢] [**معرب «إيشوع»**] هو بالشين المعجمة «السيد» [**واشتقاقهما**]؛ أي: المسيح وعيسى مبتدأ خبره قوله بعد «تكلف» [**ومن العيس**] عطف على من المسيح فيهما مع ما قبلهما لف ونشر مرتب [**ولا ينافي تعدد الخبر**]؛ أي: وهو المسيح وعيسى ابن مريم[٣] [**إفراد المبتدأ**]؛ أي: هو اسمه [**والمميز**] له عطف على علامة المسمى إذ المعنى: أن الاسم علامة للمسمى ومميز له، فكأنه قيل الذي يعرف به ذات عيسى ويتميز به عمن سواه

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، القمي النيسابوري [٢/ ١٦١].
(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [١/ ٣٣٧].
(٣) تاج العروس، الزبيدي [١٦/ ٢٩٧/ مادة: عيس].

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾.

وتذكيرها للمعنى، والوجاهة في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ من الله. وقيل: إشارة إلى علو درجته في الجنة، أو رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة. ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾؛ أي: يكلمهم ـ حال كونه طفلاً وكهلاً ـ كلام الأنبياء من غير تفاوت. و(المهد): مصدر سمي به ما يمهد للصبي في مضجعه. وقيل: إنه رفع شاباً؛ والمراد: وكهلاً بعد نزوله، وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاداً إلى أنه بمعزل عن الألوهية ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ حال ثالث من (كلمة) أو ضميرها الذي في يكلم.

﴿٤٧﴾ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ تعجب، أو استبعاد عادي، أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره. ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ القائل جبريل، أو الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى. ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجاً بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك.

مجموع هذه الثلاثة لجواز أن يوجد مسيح ولا يكون عيسى، وأن يوجد عيسى ولا يكون ابن مريم، وبما ذكر علم أنه ليس المراد بالاسم هنا معناه الاصطلاحي بل المفهوم اللغوي وهو العلامة المميزة له.

[**وتذكيره**]؛ أي: وجيهاً [**وتذكيره الضمير**]؛ أي: في اسمه [**للمعنى**]؛ أي: نظيراً له [**من غير تفاوت**]؛ أي: بين حالتي الطفولة والكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء [**وقيل أنه رفع شاباً والمراد وكهلاً بعد نزوله**][1] فعلى الأول: وجد منه الكلام كهلاً قبل رفعه، وعلى الثاني: يوجد منه بعده نزوله، فإن قلت: ما فائدة البشارة بكلامه كهلاً والناس في ذلك سواء؟ قلت: البشارة بحياته

---

(١) انظر: صحيح البخاري [٢/ ٧٧٤/ برقم: ٢١٠٩]، صحيح مسلم [١/ ١٣٥/ برقم: ١٥٥].

۞ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ كلام مبتدأ؛ ذكر تطييباً لقلبها وإزاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زواج، أو عطف على (يبشرك)، أو (وجيهاً) و(الْكِتابَ) الكتبة أو جنس الكتب المنزلة. وخص الكتابان لفضلهما. وقرأ نافع وعاصم (وَيُعَلِّمُهُ) بالياء. ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ منصوب بمضمر على إرادة القول

إلى سن الكهولة وعدم التفاوت بين كلامه طفلاً وكلامه كهلاً كما ذكره المصنف، فإن قلت: لم ختم الصفات المذكورة بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مع أن الوجاهة في الدنيا فسرت بالنبوة؛ ولا شك أن منصب النبوة أرفع من منصب الصلاح؛ بل كل واحد من الصفات المذكورة أشرف من كونه صالحاً، فما الفائدة بعد وصفه بعد ذلك بالصَّلاح؟

قلت: لا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً لأنه لا يكون كذلك إلا ويكون في جميع الأفعال والتروك مواظباً على المنهج الأصلح، وذلك يتناول جميع المقامات في الدين والدنيا في أفعال القلوب وفي أفعال الجوارح ولهذا قال سليمان عليه السلام بعد النبوة: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] فلما عدد صفات عيسى عليه السلام أردفه بهذا الوصف الدال على أرفع الدرجات[١] **[أو عطفاً على «يبشرك» أو «وجيهاً»]** قال التفتازاني: إنما يحسنان بعض الحسن على قراءة الياء، وأما على قراءة النون فلا يحسن إلا بتقدير القول؛ أي: أن الله يبشرك بعيسى ويقول: نعلمه أو وجيهاً ومقولاً فيه نعلمه.

[وخص الكتابان]؛ أي: التوراة والإنجيل **[منصوب بمضمر على إرادة القول]**

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٨/ ٤٧].

تقديره: ويقول: أرسلت رسولاً بأني قد جئتكم، أو بالعطف على الأحوال المتقدمة مضمناً معنى النطق فكأنه قال: وناطقاً بأني قد جئتكم، وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم. ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ نصب بدل من (أني قد جئتكم)، أو جر بدل من (آية)، أو رفع على: (هي أني أخلق لكم) والمعنى: أقدر لكم وأصور شيئاً مثل صورة الطير، وقرأ نافع (إنّي) بالكسر ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف؛ أي: في ذلك الشيء المماثل. ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ فيصير حيّاً طائراً بأمر الله، نبَّه به على أن إحياءه من الله تعالى لا منه. وقرأ نافع هنا وفي المائدة (طائراً) بالألف والهمزة. ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ الأكمه الذي ولد أعمى أو الممسوح العين. روي: أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام وما يداوي إلا بالدعاء. ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ كرر (بإذن الله) دفعاً لتوهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس أفعال البشرية. ﴿وَأُنَبِّئُكُم

إلى آخره. تبع فيه الزمخشري[1] قال التفتازاني: لا يأتي هذا على عطف «نعلمه» على «يبشرك» إذ يكون التقدير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ ويقول: عيسى كذا عطفاً على الخبر، ولا رابط إلا بتكلف عظيم، وحكى فيه ابن عادل أوجهاً منها: أنه منصوب بمضمر لائق بالمعنى تقديره: ونجعله رسولاً وهو أولى إذ لا تكلف فيه، وإنما احتاج المصنف كالزمخشري إلى ما قاله من التقديرين في نصب «رسولاً» تصحيحاً للمعنى واللفظ، إذ[2] يصح عطفه على ما قبله من المنصوبات في الظاهر؛ لأن الضمائر التي في حيزها للغائب والضمير الذي في حيزه للمتكلم فاحتيج إلى ما قاله لتناسب الضمائر[3].

[الذي ولد أعمى، والممسوح العين] هو تفسير للأكمه، وأما «الأبرص»: فهو الذي به برص، ويقال: له وضح وهو بياض شديد يبقع[4]، وإنما خص هذين

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٩١].
(٢) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (لا).
(٣) اللباب، ابن عادل [٥/ ٢٣٨].
(٤) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (الجلد ويذهب دمويته).

۞ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾.

بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ موفقين للإيمان فإن غيرهم لا ينتفع بالمعجزات، أو مصدقين للحق غير معاندين.

۝٥٠ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ عطف على رَسُولاً على الوجهين، أو منصوب بإضمار فعل دل عليه ﴿وَجِئْتُكُم﴾؛ أي: وجئتكم مصدقاً. ﴿وَلِأُحِلَّ﴾ لَكُمْ مقدر بإضماره، أو مردود على قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ [٤٩]، أو معطوف على معنى مُصَدِّقاً كقولهم: جئتك معتذراً ولأطيب قلبك. ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: في شريعة موسى ﷺ كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الإبل والعمل في السبت، وهو يدل على

المرضين بالذكر لأنهما أعيَا الأطباء[1] [مقدرة بإضماره]؛ أي: بإضمار فعل دل عليه ﴿قَدْ جِئْتُكُم﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ أي: وجئتكم لأجل [أو مردود على قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾] عبارة الزمخشري ردٌّ على قوله: ﴿جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2] مرادهما بالرد العطف فهو على الأول معطوف على ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾، وعلى الثاني على «بآية»، وعلى كل منهما فظاهره أنه من عطف المفردات واستدرك التفتازاني فقال: لكنه في التحقيق من عطف الجمل؛ أي: ﴿جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ وجئتكم لأحلَّ[3] إذ لا وجه لعطف المفعول له على المفعول به[4]. انتهى[5].

[والثروب] جمع ثرب بالمثلة وهو: شحم رقيق يغشى الكرش.

---

(١) انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي [ص٦٠].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٩٢].
(٣) كما في نسخة [ز] وغير مفهومة في نسخة [الأصل].
(٤) حاشية التفتازاني على الكشاف، التفتازاني [ص٩٢].
(٥) زيادة في نسخة: (والظاهر أن مراد المصنف بالرد بقرينة عدوله إليه عن العطف الرد المعنوي وهو صحيح يجعل الواو زائدة والمعنى جئتكم لكذا (لِأُحِلَّ لَكُم) وهذا التأويل لا يأتي في عبارة الكشاف لقوله بعدها: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾.

أن شرعه كان ناسخاً لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقاً للتوراة، كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب، فإن النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الأزمان ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾؛ أي: جئتكم بآية أُخْرَى ألهمنيها ربكم وهو قول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ فإنه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر، أو جئتكم بآية على إن الله ربي وربكم وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ اعتراض والظاهر أنه تكرير لقوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ أي: جئتكم بآية بعد أُخْرَى مما ذكرت لكم، والأول: لتمهيد الحجة والثاني: لتقريبها إلى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ إشارة إلى استكمال القوة النظرية

[**أو جئتكم بآية على** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾] عطف على «جئتكم بآية أُخْرَى» [**والظاهر أنه**]؛ أي: وقوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تكرير لقوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لكنه ليس تكريراً لمجرد التأكيد بل لمعنى آخر ذكره بقوله [**والأول**]؛ أي: وهو ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتمهيد الحجة عليهم(١) [**لتقريبها إلى الحكم**]؛ أي: وهو إيجاب تقوى الله وطاعته.

[**بالمعجزات الظاهرة**] في نسخة بالمعجزات الفاهرة بالفاء؛ أي: المتسعة، قال الجوهري: تفهر الرجل في المال اتسع فيه(٢).

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (والثاني؛ أي: وهو: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾).

(٢) الصحاح، الجوهري [٢/٥٣].

۞ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد، وقال: ﴿فَٱعْبُدُوهُۗ﴾ إشارة إلى استكمال القوة العلمية فإنه بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي، ثم قرر ذلك بأن بيّن أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة، ونظيره قوله ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

﴿٥٢﴾ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس. ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ ملتجئاً إلى الله تعالى، أو ذاهباً، أو ضامّاً إليه، ويجوز أن يتعلق الجار بـ(أَنْصارِي) مضمناً معنى الإضافة؛ أي: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله تعالى في نصري. وقيل: (إلى) هنا بمعنى (مع) أو (في) أو (اللام). ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ حواري الرجل: خاصته، من (الحور) وهو: البياض الخالص، ومنه الحواريات

[**قوله عليه الصلاة والسلام: «قل آمنت بالله ثم استقم»**] رواه الإمام أحمد(١) ومسلم(٢) وغيرهما بلفظ: «أن رجلاً قال: يا رسول الله امرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك! قال: **قل آمنت بالله ثم استقم**»(٣). [**تحقق ما يدرك**] بالحواس بالنصب بنزع الخافض؛ أي: «كتحقيق ما يدرك بها» [**أي: من الذين يضيفون**] إلى آخره؛ أي: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني؛ فالظرف على هذا لغو(٤) وعلى ما قبله مستقر.

[**من الحوار**] أشار إلى أن الحواري منسوب إلى الحور ومأخوذ منه، فزيادة ألفه من تعبير النسب(٥).

---

(١) مسند أحمد [٣/ ٤١٣/ برقم: ١٥٤٥٤]. (٢) صحيح مسلم [١/ ٦٥/ برقم: ٣٨].
(٣) صحيح ابن حبان [٣/ ٢٢١/ برقم: ٩٤٢].
(٤) أورده صاحب الكشاف. انظر: الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٩٣].
(٥) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٢/ ٢٧].

۞ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

للحضريات لخلوص ألوانهن. سمي به أصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم. وقيل: كانوا ملوكاً يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود. وقيل: قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها. ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أنصار دين الله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ أي: مع الشاهدين بوحدانيتك، أو مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم، أو أمة محمد ﷺ فإنهم شهداء على الناس. ﴿وَمَكَرُوا۟﴾؛ أي: الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة. ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل. و(المكر): من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة؛ لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والازدواج. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أقواهم مكراً وأقدرهم على إيصال الضرر ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

[استنصر]؛ أي: استعصم **[بهم عيسى من اليهود]** فـ«من» بهذا التفسير على بابها وبدونه بمعنى «على» **[أو أمة محمد]** بالجر عطف على «الأنبياء» **[غيلة]** هي بالكسر أن يخدع غيره فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله **[والمكر]** مبتدأ خبره **[لا يسند إلى الله تعالى]** إلى آخره. وذهب بعضهم إلى أنه يسند إليه معللاً بأن المكر هو التدبير المحكم، ثم اختص بالتدبير في إيصال الشر خفية؛ أي: والممتنع إسناده إلى الله تعالى إنما هو المختص، وبذلك ظهر أن الخلاف لفظي[1] **[من حيث لا يحتسب]**؛ أي: لا يشعر به المضرور.

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني [ص٢٥٧].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ ظرف لـ(مكر الله) أو ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، أو لمضمر مثل وقع ذلك. ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: مستوفي أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى، عاصماً إياك من قتلهم، أو قابضك من الأرض من توفيت مالي، أو متوفيك نائماً؛ إذ روي أنه رفع نائماً، أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت. وقيل: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهبت النصارى. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي. ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من سوء جوارهم أو قصدهم ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يغلبونهم بالحجة أو السيف في غالب الأمر، ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى، وإلى الآن لم تسمع غلبة لليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك

[أني مستوفي أجلك] إلى آخره. تفسير ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] بأني مستوفي أجلك إلى آخره. كناية عن العصمة لأن توفيه لازم لتأخيره إلى أجله، وتأخيره لازم **[أو قابضك من الأرض]** عطف على «مستوفي الى آخر أجلك» وكذا قوله: **[من توفيت مالي]**؛ أي: قبضته **[أو متوفيك نائماً]** عطف على «مستوفي أجلك» وكذا قوله: **[أو مميتك عن الشهوات]** إلى آخره **[وإلى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم]** هذا من زيادته على «الكشاف»، وهو مناف لظاهر قوله قبل: «ومميتك عن الشهوات في غالب الأمر» إلا أن يحمل قوله: «في غالب الأمر» على ما يعلم بعد الآن[1].

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٤/ ٨٢].

۞ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾.

ودولة. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به، وغلب المخاطبين على الغائبين. ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تفسير للحكم وتفصيل له. وقرأ حفص (فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تقرير لذلك.

﴿٥٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره، وهو مبتدأ خبره. ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾ حال من (الهاء) ويجوز أن يكون الخبر، و(نتلوه) حالاً على أن العامل معنى الإشارة، وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره (نتلوه). ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ المشتمل على الحكم، أو المحكم الممنوع عن تطرق الخلل إليه يريد به القرآن. وقيل: اللوح.

[تفسير للحكم]؛ أي: للحكم السابق في قوله: ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ واعترض بأن الحكم مرتب على الرجوع إلى الله تعالى، وذلك في القيامة فكيف يصح في تفسيره العذاب في الدنيا؟ وأجيب بأن المقصود التأبيد من غير نظر إلى الدنيا والآخرة كما في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] **[ويجوز أن يكون]**؛ أي: من الآيات **[الخبر]**؛ أي: خبر ذلك **[وأن ينتصب]**؛ أي: من

۞ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿٥٩﴾ ـ ﴿٦٠﴾ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ إن شأنه الغريب كشأن آدم. ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه، وهو أنه خلقه بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم، شبه حاله بما هو أغرب إفحاماً للخصم وقطعاً لمواد الشبهة والمعنى: خلق قالبه من التراب. ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾؛ أي: أنشأه بشراً كقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ [المؤمنون: ١٤] وقدر تكوينه من التراب ثم كونه، ويجوز أن يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر. ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية. ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الحق، وقيل: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مبتدأ و﴿مِن رَّبِّكَ﴾ خبره؛ أي: الحق المذكور من الله تعالى. ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ خطاب للنبي ﷺ على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع.

﴿٦١﴾ ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ﴾ من النصارى ﴿فِيهِ﴾ في عيسى ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا

الآيات [**مبينة لما له الشبه**]؛ أي: ما لأجله الشبه وهو وجه الشبه [**شبه حاله بما هو أغرب**]؛ أي: لأن الموجود من غير أب وأم أغرب، وأخرق للعادة من الموجود من غير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته(١).

[**خلَق قالبه**] بفتح اللام؛ أي: صور جسده من التراب [**أي: أنشأه بشراً**]؛ أي: نفخ فيه الروح [**أو قدر تكوينه من التراب**] فارق القول الأول بأن معنى «خلق» فيه «صوّر»، وفي هذا بمعنى «قدّر»، وكل منها ذُكِرَ لصحة ترتيب التكوين على الخلق [**لا لتراخي المخبر**]؛ أي: المخبر عنه [**على طريق التهييج**]؛ أي: الإثارة

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٨/ ٤٢].

جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي: من البينات الموجبة للعلم. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ هلموا بالرأي والعزم ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحمل عليها، وإنما قدمهم على الأنفس لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم. ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾؛ أي: نتباهل بأن نلعن الكاذب منا. و(البهلة) بالضم والفتح: اللعنة، وأصله (الترك) من قولهم: (بهلت الناقة) إذا تركتها بلا صرار. ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ عطف فيه بيان. روي: أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا: حتى ننظر! فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين

والتحريك، وحاصله: أن في خطاب النبي ﷺ بما ذكر تحريك لزيادة ثباته على اليقين، ولكل سامع ليتنبه على أمر عظيم فنزع عما يورث الامتراء، وإلى هذين المعنيين أشار بقوله لزيادة الثبات أو لكل سامع: [الموجبة للعلم] بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله [أي: يتباهل] إلى آخره. والمباهلة الملاعنة[١] [من قولهم: بهلت الناقة إذا تركتها بلا صِرار] قال الجوهري: يقال: صررت الناقة شددت عليها الصرار، وهو خيط يشد فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها[٢].

[روي: «أنهم لما دعوا إلى المباهلة»] إلى آخره. رواه أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ وابن مروان متروك متهم بالكذب ـ، ثم روى أبو نعيم وغيره نحوه مرسلاً[٣] [أي: فلما تخالوا]؛ أي: خلا بعضهم ببعض [بالفصل]؛ أي: بالحجة والبينة في [أمر صاحبكم] هو: عيسى عليه السلام [فوادعوا الرجل وانصرفوا] بكسر الدال، والراء جواب

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (والابتهال: التضرع؛ فقوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾؛ أي: نخلص في الدعاء. قاله الجوهري).

(٢) الصحاح، الجوهري [١/ ٣٨٥].

(٣) دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني [١/ ٢٨٤/ برقم: ٢٣٨].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول: **إذا أنا دعوت فأمّنوا**، فقال أسقفهم: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا، فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد، فقال عليه السلام: «**والذي نفسي بيده لو تباهلوا لَمُسِخُوا قردة وخنازير، وَلَاضْطَرَمَ عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر**». وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: ما قص من نبأ عيسى ومريم. ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ﴾ بجملتها خبر (إن)، أو هو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه، وما بعده خبر و(اللام) دخلت فيه لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا

أن في قوله: فإن أبيتم والموادعة قال الجوهري: المصالحة[1]، وابن الأثير: المتاركة وإعطاء كل واحد للآخر عهداً أن لا يقاتله[2] **[فقال أسقفهم]** هو اسم سرياني لرؤساء النصارى وعلمائهم.

[وبذلوا له الجزية] إلى آخره. مراده ما رواه غيره كأبي داود من حديث ابن عباس: «صالح النبي ﷺ أهل نجران على ألفي حلَّة؛ النصف في صفر والبقية في رجب، يؤدونها إلى المسلمين، وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم»[3] **[بجملتها]**؛ أي: اللام وجملتها.

---

(١) **الصحاح، الجوهري [٢/ ٢٧٢].**
(٢) **النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٩/ ٢٥٦].**
(٣) **سنن أبي داود [١/ ١٨٣/ برقم: ٣٠٤١].**

﴿٦٤﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ٱللَّهُ﴾ صرح فيه بـ(مِنْ) المزيدة للاستغراق تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعيدهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي عن الحجج والإعراض عن التوحيد، إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس بل إلى فساد العالم.

﴿٦٤﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعم أهل الكتابين. وقيل: يريد به وفد نجران، أو يهود المدينة. ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها. ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: نوحده بالعبادة ونخلص فيها. ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ولا نقول: عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلّاً منهم بعضنا بشر مثلنا. روي: أنه لما نزلت: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال: «**أليس يُحِلُّون لَكم ويُحَرِّمُون فتأخذون بقولهم؟** قال: نعم، قال: **هو ذاك**». ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن

[والاعتقاد] بالجر عطف على الذين [روي: «أنها لما نزلت: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾...»] إلى آخره. رواه الترمذي[1] وحسنه.

---

(١) سنن الترمذي [٥/٢٧٨/ برقم: ٣٠٩٥].

۞ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾.

التوحيد. ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾؛ أي: لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم، أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل.

(تنبيه) أنظر إلى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج بيَّن أولاً، أحوال عيسى وما تعاور عليه من الأطوار المنافية للألوهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم، فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالإرشاد وسلك طريقاً أسهل، وألزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل وسائر الأنبياء والكتب، ثم لما لم يجد ذلك أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال: ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

٦٥ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام، وزعم كل فريق أنه منهم وترافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت. والمعنى: أن اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين ....

[لم يُجْدِ] بضم الياء وسكون الجيم «عليهم» صلة «يجد» و«على» بمعنى «عن»

[تنازعت اليهود والنصارى]؛ أي: يهود المدينة ونصارى نجران[1]: كان إبراهيم قبل موسى بألف سنة، وعيسى بألفين وظاهره أن إبراهيم قبل عيسى بألفين، وليس كذلك

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (وروي أنه لما نزلت ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾] إلى آخره. رواه الترمذي وحسنه).

۞ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

فكيف يكون عليهما. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتدعون المحال.

﴿٦٦﴾ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ﴿هَا﴾ حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها، و(أنتم) مبتدأ و(هؤُلاءِ) خبره و(حاجَجْتُمْ) جملة أُخرَى مبينة للأولى؛ أي: أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عناداً، أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم. وقيل: (هؤُلاءِ) بمعنى: الذين و(حاجَجْتُمْ) صلته. وقيل: ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء. وقرأ نافع وأبو عمرو (هَا أَنْتُمْ) حيث وقع بالمد من غير همز، وورش؛ أقل مدّاً، وقنبل؛ بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز، والبزي؛ يقتصر المد على أصله. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما حاججتم فيه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأنتم جاهلون به.

بل كان قبله بثلاث آلاف، ولو قال كغيره كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألفا سنة لسلم من ذلك، ووافق غيره وعبارة «الكشاف»(١) وإن احتملت الأمرين لكنها إلى عبارة الغير أقرب.

[فكيف يكون عليهما]؛ أي: فكيف يكون إبراهيم عليه السلام على دين اليهودية والنصرانية مع تطاول المدة بينه وبين حدوثهما.

[أي: أنتم هؤلاء الحمقى] قصد باسم الإشارة تحقير حالهم وتركيك عقولهم

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٩٨].

۞ ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿٦٧﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان. ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن العقائد الزائغة ﴿مُّسْلِمًا﴾ منقاداً لله وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأنهم مشركون لإشراكهم به عزيراً والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم. ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ إن أخصهم به وأقربهم منه، من الولي وهو القرب، ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ من أمته. ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة. وقرئ (وهذا النبي) بالنصب عطفاً على الهاء في (اتبعوه)، وبالجر عطفاً على (إبراهيم). ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لإيمانهم.

﴿٦٩﴾ ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية و(لَوْ) بمعنى: (أن). ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا عليهم إذ يضاعف به عذابهم، أو ما يضلون إلا أمثالهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وزره واختصاص ضرره بهم.

[وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام]؛ أي: لأنهم يقولون ملة الإسلام حدثت بنزول القرآن على محمد ﷺ وكان إبراهيم قبل محمد ﷺ بمدة طويلة فكيف يكون على ملة الإسلام الحادثة بنزول القرآن، فعُلِم أن المراد يكون إبراهيم مسلماً على ملة التوحيد لا على هذه الملة **[ولو بمعنى أن]**؛ أي: بفتح الهمزة

۞ ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝٧٠ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٧٢﴾.

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بما نطقت به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين، أو تعلمون بالمعجزات أنه حق. ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ﴾ بالتحريف وإبراز الباطل في صورته، أو بالتقصير في التمييز بينهما. وقرئ (تلبّسون) بالتشديد، و(تَلبسون) بفتح الباء؛ أي: تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام: «**كلابس ثوبي زور**» ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ نبوة محمد عليه السلام ونعته. ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ عالمين بما تكتمونه.

﴿٧٢﴾ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: أظهروا الإيمان بالقرآن أول النهار. ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ

[**أو تعلمون**] عطف على ﴿تَشۡهَدُونَ﴾ نعته. [«**كلابس ثوبي زور**»] هو بعض حديث وهو: «**المُتَشبِّع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور**»(١) رواه مسلم(٢). وأضاف «الثوب» إلى «الزور» على معنى اختصاصهما به من جهة كونهما ملبوسين لأجله، وأراد المتشبع بما ذكر كمن لبس ثوبين من الزور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر، وصار قوله كلابس ثوبي زور مثلاً يضرب لمن يظهر في نفسه شيئاً وليس هو فيه.

[**أول النهار**] فسّر به وجه النهار؛ وإنما سمّي أوله وجهاً لأنه أحسنه، ولأنه

---

(١) صحيح مسلم [٣/١٦٨١/ برقم: ٢١٢٩].

(٢) في نسخة [ز - ج] زيادة: (والمتشبع من يرى أنه شبعان وليس به، ولابس ثوبي زور؛ أي: ذي زور من استعار ثوباً يتجمل به وينتسك لتقبل شهادته وأضاف).

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

يَرْجِعُونَ﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكّون في دينهم ظنّاً بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم، والمراد بالطائفة: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة: آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم وصلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون: هم أعلم منا وقد رجعوا، فيرجعون. وقيل: اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار ويقولوا آخره: نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً بالنعت الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه.

﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ولا تقروا عن تصديق قلب إلا لأهل دينكم، أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار لمن كان على دينكم فإن رجوعهم أرجى وأهم. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ هو يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه. ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: دَبَّرْتُمْ ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد، والمعنى: أن الحسد حملكم على ذلك أو بلا تؤمنوا؛ أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم، ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي بطائل، أو خبر (إن) ....

أول ما يرى بعد الليل[١] [لعلهم يشكون]؛ أي: لعل المؤمنين يشكون [بأنكم رجعتم] الخطاب للمقول لهم ﴿ءَامِنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢] [أو خبر «أن»] عطف على متعلق بمحذوف.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٢/٣٤٩].

۞ ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

على أن (هدى الله) بدل من (الهدى). وقراءة ابن كثير: (أَأَنْ يُؤْتى) على الاستفهام للتقريع، تؤيد الوجه الأول؛ أي: إلا أن يؤتى أحد دبرتم. وقرئ (إن) على أنها النافية فيكون من كلام الطائفة؛ أي: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ﴾ عطف على أَنْ يُؤْتى على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم، والواو ضمير (أحد)؛ لأنه في معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ردٌّ وإبطال لما زعموه بالحجة الواضحة.

﴿٧٥﴾ ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأدّاه إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً فجحده. وقيل: المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب فيهم الخيانة. وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمرو (يُؤَدِّهْ إِلَيْكَ) بإسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء، وكذا روي عن حفص والباقون بإشباع الكسرة. ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ﴾ إلا مدة دوامك قائماً على رأسه مبالغاً في مطالبته بالتقاضي والترافع وإقامة البينة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله: (لَّا يُؤَدِّهِ). ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بسبب قولهم. ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾؛ أي: ليس علينا في شأن

[على ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] بدل من الهدى]؛ أي: أو على أنه

۞ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذمّ. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادعائهم ذلك ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون، وذلك لأنهم استحلّوا ظلم من خالفهم، وقالوا: لم يجعل لهم في التوراة حرمة. وقيل: عامل اليهود رجالاً من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا: سقط حقكم حيث تركتم دينكم، وزعموا أنه كذلك في كتابهم. وعن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها: «**كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة؛ فإنها مؤداة إلى البر والفاجر**».

﴿٧٦﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه؛ أي: بلى عليهم فيهم سبيل. ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ استئناف مقرر للجملة التي سدت (بَلى) مسدها، والضمير المجرور لـ(من) أو (لله) وعموم المتقين ناب منا الراجع من الجزاء إلى (مَنْ)، وأشعر بأن التقوى ملاك الأمر وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي.

﴿٧٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون. ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ بما عاهدوا الله عَلَيْهِ

خبر أول لـ«أن». [**وعن النبي ﷺ**] إلى آخره. رواه الطبري(١) وغيره من حديث سعيد بن جبير مرسلاً(٢).

[**إلا وهو تحت قدمي**]؛ أي: منسوخ متروك [**أي: تلا عليهم**]؛ أي: على القائلين بأنه «ليس علينا في الأميين سبيل» [**فيهم**]؛ أي: في الأميين وهم العرب [**باب الراجع**] كذا في نسخة وهو منصوب بنزع الخافض؛ أي: «عن الراجع» كما

---

(١) جامع البيان، الطبري [٦/ ٥٢٢].

(٢) تفسير ابن أبي حاتم [٣/ ٣٣٢/ برقم: ٣٧١٢].

۞ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات. ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾ وبما حلفوا به من قولهم: والله لنؤمنن به ولننصرنه، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ متاع الدنيا. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بما يسرهم أو بشيء أصلاً، وأن الملائكة يسألونهم يوم القيامة، أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته، والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فإن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه، كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يثني عليهم بالجميل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على ما فعلوه. قيل: إنها نزلت في أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد ﷺ، وحكم الأمانات، وغيرهما، وأخذوا على ذلك رشوة. وقيل: نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به. وقيل: في ترافع كان بين الأشعث بن قيس ويهودي في بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودي.

﴿٧٨﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾؛ يعني: المحرفين ....

في نسخة[1] [وقيل: في ترافع] إلى آخره. رواه الشيخان من حديث الأشعث بن قيس بلفظ: «كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ...»[2]. الحديث [يَفْتِلُونها[3]]؛ أي: الألسنة؛ أي: يصرفونها.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: ((وإن الملائكة يسألونهم يوم القيامة] أشار به إلى أنه لا يكلمهم أصلاً حتى في السؤال عما فعلوا وإنما تسألهم عنه الملائكة).

(٢) صحيح البخاري [٢/ ٨٨٩/ برقم: ٢٣٨٠]، صحيح مسلم [١/ ١٢٢/ برقم: ١٣٨].

(٣) في نسخة [ز ـ ب]: (يقتلونها).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

ككعب ومالك وحيي بن أخطب. ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرف، أو يعطفونها بشبه الكتاب. وقرئ (يَلُوْن) على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها. ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله: ﴿يَلْوُۥنَ﴾. وقرئ (ليحسبوه) بالياء والضمير أيضاً للمسلمين. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تأكيد لقوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وتشنيع عليهم وبيان لأنهم يزعمون ذلك تصريحاً لا تعريضاً؛ أي: ليس هو نازلاً من عنده. وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه.

﴿٧٩﴾ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تكذيب ورد على عبده عيسى وقيل: (إن

[بقراءة]؛ أي: بقراءة الكتاب وأشار إلى أن قوله تعالى: ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ على حذف مضاف والباء فيه للاستعانة والظرفية [أو يعطفونها]؛ أي: يميلونها ليوهموا المسلمين أن ذلك من نفس الكتاب وليس منه ولذلك قال: [بشبه الكتاب] فهو متعلق بـ«يعطفونها» المعطوف على «يفتلونها». والفرق بين الفتل والعطف؛ أنهم على الأول: يتركون النص ويُقرُّون ما بدلوا به، وعلى الثاني: لا يتركونه بل يصحبونه بما يوهم خلاف المراد [ككعب ومالك وحُيَيّ]؛ أي: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحُيَي بن الأخطب، والضمير؛ أي: ضمير الجمع في يحسبوه.

[أيضاً للمسلمين]؛ أي: كما هو لهم على قراءة التاء، ولهذا قال أيضاً [وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله] جواب ما يقال: نفى الله تعالى كون

۞ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربّاً؟! فقال: «**معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني**» فنزلت. وقيل: (قال رجل: يا رسول الله! نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض! أفلا نسجد لك! قال: «**لا ينبغي أن يسجد لأحد مِن دُونِ الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله**» ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ولكن يقول: كونوا ربانيين، و(الرباني): منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كـ(اللحياني) و(الرقباني) وهو الكامل في العلم والعمل. ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له، فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب: تعلمون، بمعنى: عالمين. وقرئ (تَدْرُسُونَ) من (التدريس) و(تدرسون) من (أدرس) بمعنى (درس) كأكرم وكرم، ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس.

﴿٨٠﴾ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفاً على (ثم يقول)، وتكون (لا) مزيدة لتأكيد

التحريف من عنده، وهو فعل العبد فلا يكون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى، وإلا لما صح نفيه عنه تعالى؟ وحاصل الجواب: أن المنفي هو الإنزال لا كون التحريف غير مخلوق لله تعالى بكسب العبد[1].

[**كاللحياني**]؛ أي: عظيم اللحية [**والرقباني**]؛ أي: عظيم الرقبة، [**وهو**]؛ أي: الرباني [**وهو**]؛ أي: اتخاذ أكفاءه أرباباً.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [٨/ ٩٥].

۞ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

معنى النفي في قوله: (مَا كانَ)؛ أي: ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً، أو غير مزيدة على معنى: أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أرباباً؛ بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة. ورفعه الباقون على الاستئناف، ويحتمل الحال، وقرأ أبو بكر على أصله برواية الدوري باختلاس الضم. ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾ إنكار، والضمير فيه للبشر وقيل: لله. ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له.

﴿٨١﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ قيل: إنه على ظاهره، وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى. وقيل معناه: أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم. وقيل: إضافة الميثاق من النبيين إضافته إلى الفاعل، والمعنى: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم. وقيل: (المراد أولاد النبيين) على حذف

[والضمير فيه]؛ أي: وضمير الفاعل في إياكم[1] **[للبشر]**؛ أي: السابق في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ **[وقيل: لله]** وقيل: لمحمد، وقيل: لعيسى، وقيل: لكل نبي وهذا الخلاف يأتي في ضميره «ولا آمركم أن تتخذوا الملائكة» على قراءة الرفع[2] كما أفاده الزمخشري[3] وغيره **[وقيل: إنه على ظاهره]**؛ أي: من أخذ الله

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (أيأمركم).
(٢) إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة [٢/ ٢٧].
(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٠٦].

المضاف، وهم: بنو إسرائيل، أو سماهم نبيين تهكماً لأنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منّا، و(اللام) في (لَما) موطئه للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف، وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية. وقرأ حمزة (لما) بالكسر على أن (ما) مصدرية؛ أي: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب، ثم مجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه، أو موصولة والمعنى: أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له. وقرئ (لما) بمعنى: حين آتيتكم، أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله (لمن ما) بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالاً. ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾؛ أي: عهدي، سمي به لأنه يؤصر؛ أي: يشد. وقرئ بالضم

الميثاق كان من النبيين فقط [أو سمّاهم] عطف على قوله: «على حذف المضاف»؛ أي: أو سمّى أولاد النبيين الذين هم بنوهم[1] [موطئة للقسم]؛ أي: ممهد له بمعنى: أنها مسهِّلَة فهم جوابه على السامع [و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ [آل عمران: ٨١] سادّ مَسَدَّ جواب القسم والشرط] تحريره أنه جواب القسم ومُغْنٍ عن جواب الشرط لتصريحهم بأن الشرط إذا تأخر عن القسم حذف جوابه استغناء عنه بجواب القسم.

[ويحتمل الخبرية]؛ أي: كونها موصولة فهي مبتدأ، والعائد محذوف؛ أي: «آتيتكموه» و﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ ساد مسد جواب القسم وخبر المبتدأ، وعلى التحقيق الخبر محذوف؛ أي: «لتؤمنون به» قاله التفتازاني[2] [أو موصولة] عطف على مصدرية [وقرئ ﴿لَمَّآ﴾ بمعنى: «حين»] سكت عن تقدير جواب «لما» وقدره الزمخشري بقوله: «وجب عليكم الإيمان به ونصرته»[3] [أو لَمِنْ أجل ما آتيكم] عطف على «حين آتيتكم» واللام موطئة على ما قاله بعضهم، و«من» قيل مزيدة، و«من» قيل سببية.

[على أن أصله «لمن ما» بالإدغام فحذفت إحدى الميمات] قيل: الأولى،

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (إسرائيل [نبيين تهكماً] بهم).
(٢) حاشية التفتازاني، التفتازاني [ص٩٥].
(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري [٤٠٦/١].

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

وهو إما لغة فيه كـ(عبر) و(عبّر) أو جمع (إصار) وهو ما يشد به. ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾؛ أي: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار. وقيل: الخطاب فيه للملائكة. ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وأنا أيضاً على إقراركم وتشاهدكم شاهد، وهو توكيد وتحذير عظيم.

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ المتمردون من الكفرة. ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للإنكار، أو محذوف تقديره: أتتولون فغير دين الله تبغون، وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار، والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب، وبالتاء عند الباقين على تقدير: وقل لهم. ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾؛ أي: طائعين بالنظر واتباع الحجة، وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام ....

وقيل: الثانية وهو الأولى لحصول الثقل بها لضعفها لكونها بدلاً من النون **[وأخذتم]**؛ أي: قبلتم **[كعُبر وعِبر]** يقال: «ناقه عِبر وعُبر»؛ أي: أسفار وهي المُعَدّة للأسفار؛ أي: لا يزال يسافر عليها يستوي فيهما الواحد والجمع والمؤنث والمذكر كالفلك، فيقال: «جمل عبر وعُبر» أسفار، وجمال عبر وعُبر أسفار[1] **[وهو ما يشد به]**؛ أي: ما يشد به أسفل الحادي[2] ذي الوتد **[عطف على الجملة المتقدمة]** هي: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢] **[أو محذوف]**؛ أي: أو عطف على محذوف.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٢/٥٩]. (٢) في نسخة [ز ـ ج]: (الخباء).

۞ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

كنتق الجبل وإدراك الغرق، والإشراف على الموت. أو مختارين كالملائكة والمؤمنين، أو مسخرين كالكفرة فإنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وقرئ بالياء على أن الضمير لـ(من).

﴿٨٤﴾ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أمر للرسول ﷺ بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان، والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه إليهم وأيضاً المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب إليهم، أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالاً له، والنزول كما يعدى بـ(إلى) لأنه ينتهي إلى الرسل يعدى بـ(على) لأنه من

[**كنتق الجبل**]؛ أي: على بني إسرائيل [**وإدراك الغرق**]؛ أي: إدراكه فرعون وقومه [**والإشراف على الموت**]؛ أي: بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤] [**أو مختارين**] هو مع ما بعده معطوف على «طائعين» مع ما بعده، فهو تفسير ثان لـ«طوعاً وكرهاً»، وعليه كان الأنسب أن يقول: «ومسخرين» بالواو كما فعله في «وكارهين» [**أو بأن يتكلم عن نفسه**] عطف على «بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه»، وبقي احتمال آخر وهو: أن يخبر متابعيه، والتقدير: «قل لهم قولوا: آمنا»، «فآمنا» منصوب بـ«قل» على الأوْلَيْن، ويقولوا المقدر على هذا [**والنزول كما يُعَدَّى بـ«إلى»**] إلى آخره. جواب ما يقال: لَمَ عَدّى هنا بـ«على» وفي سورة «البقرة»[1] بـ«إلى»، وحاصله: جواز الأمرين وقيل: إنما خص «ما» هنا بـ«على»

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

۞ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

فوق، وإنما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لأنه المعرف له والعيار عليه ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب. ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون أو مخلصون في عبادته.

﴿٨٥﴾ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾؛ أي: غير التوحيد والانقياد لحكم الله. ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الواقعين في الخسران، والمعنى: أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فَطَرَ الناس عَلَيْهَا، واستدل به على أن الإيمان هُو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل. والجواب: إنه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره، ولعل الدين أيضاً للأعمال.

و«ما» هناك بـ«إلى»؛ لأن «ما» هنا خطاب للأمة[(١)] وقد وصل إليهم بواسطة النبي الذي هو من البشر فناسب الإتيان بـ«إلى» المختصة بالاتصال[(٢)].

[**والعيار**] بكسر العين المهملة؛ يعني: المعيار والمراد: أنه المعتمد عليه [**أو المخلصون في عبادته**] اقتصر عليه في «الكشاف»[(٣)] قال التفتازاني: هو تفسير للإسلام المعدّى باللام مع التقديم [**والجواب أنه ينفي**] إلى آخره. حاصلهُ: أنه يجوز أن يكون «الإيمان» غير «الإسلام» لكن لا يكون[(٤)] لاشتمال الدين على الطاعات، وأجيب أيضاً بما أشار إليه قبل من أن المراد بالإسلام التوحيد وهو

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (للنبي).

(٢) في نسخة [ز ـ ج]: (خطاب للنبي محمد ﷺ وكان واصلاً إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشرية فناسب الإتيان بعلى المختصة بالعلو وما هناك خطاب للأمة وقد وصل إليهم بواسطة النبي محمد ﷺ الذي هو من البشر فناسب الإتيان بإلى المختصة بالاتصال ورد بأن فيه تعسفاً لقوله ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾).

(٣) الكشاف، الزمخشري [١/٤٠٨].

(٤) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (لا يكون ديناً على غيره).

۞ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ استبعاد لأن يهديهم الله فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد. وقيل: نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا يقبل توبة المرتد، وَ(شَهِدُوا) عطف على ما في إِيمانِهِمْ من معنى الفعل ونظيره: فأصدق وأكن، أو حال بإضمار (قد) من (كفروا) وهو على الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال النظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه.

﴿٨٧﴾ - ﴿٨٨﴾ ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يدل بمنطوقه على جواز لعنهم، وبمفهومه على نفي جواز لعن غيرهم.

مشتمل على الإيمان، وبأن ديناً تمييز مبيِّن للإسلام، والدين مشتمل على التصديق والأعمال الصالحة؛ فالإسلام كذلك لأن المبيَّن لا يخالف المبيِّن وعلى هذا حمل الإسلام على الدين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقد يرجع الجواب الأخير إلى الأول.

[**ونظيره** ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠]]؛ أي: في كون «أكن» معطوفاً على محل «فأصدق» كما ذكره المصنف في محله ولو نظره بنحو قوله: ﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ**﴾ [الحديد: ١٨] كان أولى لأنه في قوة: إن الذين صدقوا وأقرضوا [**أو حال بإضمار «قد» من «كفروا»**]؛ أي: من ضميره(١) [**وهو على الوجهين دليل**] إلى آخره؛ أي: لتغاير المتعاطفين [**يتقي جواز لعن غيرهم**]؛ أي: من الكفار الذين لم يكفروا

---

(١) انظر: مدارك الترتيل وحقائق التأويل، النسفي [١٦٨/١].

۞ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾.

ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأساً بخلاف غيرهم، والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فإن الكافر أيضاً يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة، أو العقوبة، أو النار وإن لم يجز ذكرهما لدلالة الكلام عليهما. ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿٨٩﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعد الارتداد. ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ ما أفسدوا، ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يقبل توبته. ﴿رَّحِيمٌ﴾ يتفضل عليه. قيل: إنها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فأرسل إلى قومه أن اسألوا أهل لي من توبة! فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فرجع إلى المدينة فتاب.

﴿٩٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن، أو كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بالإصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض الميثاق، أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة

بعد إيمانهم فلا يلعن الكافر الأصلي؛ أي: المعين حَيّاً أو مَيْتاً ما لم يعلم موته على الكفر وكالأصلي المرتد [﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [آل عمران: ٨٩] **ما أفسدوا**] إلى آخره؛ أي: جوز في «أصلح» أن يكون متعدياً محذوف المفعول وأن يكون لازماً من قبيل «اصبحوا» ادخلوا في الصباح(١)، وهو كما قال الطيبي أبلغ لأنه من باب قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] [**الجلاس**] بالتخفيف وقيل بالتشديد [**أو القوم ارتدوا**] عطف على المقدر قبل قوله: «كاليهود»، وكأنه قيل الوعيد لقوم كاليهود إلى آخره. أو لقوم ارتدوا إلى آخره.

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي [٢/ ٣٩٢].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾.

ثم ازدادوا كفراً بقولهم: نتربص بمحمد ريب المنون، أو نرجع إليه وننافقه بإظهاره. ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لأنهم لا يتوبون، أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك؛ فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم وإبرازاً لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة، أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لارتدادهم وزيادة كفرهم، ولذلك لم تدخل الفاء فيه. ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ الثابتون على الضلال.

﴿٩١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ لما كان الموت على الكفر سبباً لامتناع قبول الفدية أدخل

[﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]]؛ أي: حوادث الدهر [**أو يرجع**] عطف على «نتَرَبَّصُ» [**بإظهاره**]؛ أي: الإيمان [**فكنى عن عدم توبتهم بعدم قَبُولها**] تفريع على الشقين قبله، والمعنى: أنه ليس المراد من ذلك أنهم يتوبون ولا تقبل توبتهم؛ بل هم من قبيل من لا يحصل له قبول التوبة بناءً على عدم التوفيق للتوبة، فهو من قبيل الكناية دون المجاز حيث أريد بالكلام معناه لينتقل منه إلى الملزوم(١) [**أو لأن توبتهم**] عطف على لأنهم وكذا قوله: [**لا لارتدادهم وزيادة كفرهم**] وإنما نفى ذلك لأنه علم مما قبله ولأنه لا يلزم من الردة والازدياد عدم قبول التوبة، ولهذا قال: [**ولذلك لم تدخل الفاء فيه**]؛ أي: في «لن تقبل توبتهم».

[**لما كان الموت على الكفر سبباً**] إلى آخره. جواب ما يقال: ما الفرق بين ما هنا، وما مرّ آنفاً حيث أدخل الفاء هنا دون ما مرّ، وحاصله: أن الموت على الكفر سبب لعدم قبول الفدية(٢)، فناسب إدخال الفا عليه بخلاف الردة والازدياد ليسا سببين لعدم قبول التوبة لجواز تخلصه عنها كما مرّت الإشارة إليه.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٤/ ١٧٤].
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٢/ ٧٢].

۞ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾.

الفاء ههنا للإشعار به، وملء الشيء: ما يملأه. و(ذَهَباً) نصب على التمييز. وقرئ بالرفع على البدل من (مِلْءُ) أو الخبر لمحذوف. ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ﴾ محمول على المعنى كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، أو معطوف على مضمر تقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة، أو المراد: ولو افتدى بمثله كقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ [الزمر: ٤٧] والمثل يحذف ويراد كثيراً لأن المثلين في حكم شيء واحد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مبالغة في التحذير وإقناط لأن من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرماً ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ في دفع العذاب و(من) مزيدة للاستغراق.

﴿٩٢﴾ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾؛ أي: لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال

[**محمول على المعنى**] إلى آخره. جواب ما يقال: «لو» الوصلية تدخل على أبعد الأمرين ليفيد حكم المسكوت عنه بالأولى، ولا يخفى أن الفدية بملء الأرض ذهباً أبعد عن الحكم وهو عدم القبول من مطلق الفدية، فمقتضى الظاهر أن يقال: لا تقبل منه فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، أو بحذف «لو» وأجاب بثلاثة أوجه ظاهرة من كلامه، وأولها: يخرج «لو» عن أن تكون وصلية، وقوله في الثالث: «ولو» افتدى بمثله؛ أي: أيضاً إذ المعنى «بملء الأرض ذهباً» ومثله بقرينة قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الزمر: ٧٤] إلى آخره[١]. على أنه قيل: لا حاجة إلى تقدير «مثل» لأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير [**أي: لن تبلغوا حقيقة البر**] يريد أن «لام» «البر» للجنس والحقيقة ومعنى نيله الوصول إليه والاتصاف به.

---

(١) انظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد [ص٧٣].

الخير، أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة. ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: من المال، أو ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيله. روي: أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن أحب أموالي إلي (بيرحى) فضعها حيث أراك الله! فقال: «**بخ بخ ذاك مال رابح ـ أو رائح ـ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**». وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال: هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فقال زيد إنما أردت أن أتصدق بها! فقال عليه السلام: «**إن الله قد قبلها منك**». وذلك يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل، وأن الآية تعم الإنفاق الواجب والمستحب. وقرئ: (بعض ما تحبون) وهو يدل على أن (من) للتبعيض ويحتمل التبيين. ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ﴾؛ أي: من أي شيء محبوب، أو غيره و(من) لبيان (ما). ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم بحسبه.

[روي: «**أنها لما نزلت جاء أبو طلحة...**»] إلى آخره. رواه الشيخان[(١)] وغيرهما[(٢)]. وقوله فيه: «[بيرحاء] وهو بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها مع المد والقصر اسم ضيعة بالمدينة، وقوله: [بخ بخ] كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإن وُصِلَت كُسِرَت ونُوِّنَت وربما شُدِّدَت وقوله: [رايح أو رابح] يقال لصنعة الإنسان: مال رايح بالياء؛ أي: يروح نفعه إليه، ورابح بالباء الموحدة؛ أي: ذو ربح كقولك: «لابِن وتَامر».

[«**وجاء زيد بن حارثة بفرس...**»] إلى آخره. رواه الطبري[(٣)] وغيره[(٤)] مرسلاً، وقوله فيه: «فحَمَل عليها رسول الله ﷺ أسامة هو ابن زيد بن حارثة»

---

(١) صحيح البخاري [٢/ ٥٣٠/ برقم: ١٣٩٢]، صحيح مسلم [٢/ ٦٩٣/ برقم: ٩٩٨].
(٢) مسند أحمد [٣/ ١٤١/ برقم: ١٢٤٦١]. (٣) جامع البيان، الطبري [٦/ ٥٩٢].
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٢/ ٨٩].

۞ ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾.

---

٩٣ ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾؛ أي: المطعومات والمراد أكلها. ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ حلالاً لهم، وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ﴾ [الممتحنة: ١٠]. ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾ يعقوب. ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ كلحوم الإبل وألبانها. وقيل: كان به عرق النساء فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه؛ وكان ذلك أحبه إليه. وقيل: فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء. واحتج به من جوز للنبي أن يجتهد، وللمانع أن يقول ذلك بإذن من الله فيه؛ فهو كتحريمه ابتداء. ﴿مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾؛ أي: من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً، وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ

[أي: **المطعومات**] أشار به إلى أنَّ «لام» الطعام للاستغراق؛ وعليه فلا حاجة إلى تقدير، وإن جعلت للجنس احتيج إلى تقدير مضاف هو جمع عام؛ أي: كل أنواع الطعام، وكل لتأكيد العموم المستفاد من اللام أو الإضافة [**والمراد أكلها**] الأولى تناولها ليعم الشراب. [**وهو مصدر نعت به**]؛ أي: فإطلاقه على المطعوم بمعنى المفعول[١] أو على حذف مضاف؛ أي: داخل.

[**وقيل: «كان به عرق النَّسَا»**] إلى آخره. رواه أحمد[٢] والحاكم[٣] وغيرهما[٤]. و«عرق النَّسا»: بفتح النون وبالقصر عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ [**وقيل: فعل ذلك**]؛ أي: التحريم [**وذلك**]؛ أي: إنزال

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (أي: محللاً). (٢) مسند أحمد [١/ ٢٧٤/ برقم: ٢٤٨٣].
(٣) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٢٠/ برقم: ٣١٥٢] لكن وقفه على ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) سنن الترمذي [٥/ ٢٩٤/ برقم: ٣١١٧] ووقفه على ابن عباس رضي الله عنهما.

۞ ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

طَيِّبَٰتٍ﴾ [النساء: ١٦٠] وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآيتين، بأن قالوا: لسنا أول من حرمت عليه؛ وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا، وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة إبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرماً. روي: أنه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة. وفيه دليل على نبوته.

﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ ابتدعه على الله بزعمه أنه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني إسرائيل ومَن قبلهم. ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد ما لزمتهم الحجة. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الذين لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم. ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ تعريض بكذبهم؛ أي: ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون. ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾؛ أي: ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم، أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة لتسوية الأغراض الدنيوية، وألزمتكم تحريم طيبات أحلها لإبراهيم ومن تبعه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الإفراط والتفريط، وتعريض بِشِرْكِ اليهود.

التوراة[1] **[والتجنب عن الإفراط والتفريط]** الإفراط بالتحريف للتوراة والتفريط بترك العمل بها، وفي نسخة: والتخفيف بالخاء والفاء؛ أي: الميل.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (مشتملة على ما ذكر [نعي عليهم؛ أي: اظهر عليهم] وشهر من قولهم =

۞ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: وضع للعبادة وجعل متعبداً لهم، والواضع هو الله تعالى. ويدل عليه أنه قرئ على البناء للفاعل. ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ للبيت الذي بِبَكَّةَ، وهي لغة في (مكة) كـ(النبيط والنميط)، وأمر راتب وراتم ولازب ولازم، وقيل: هي موضع المسجد، ومكة البلد من (بكّه) إذا زحمه، أو من (بكّه) إذا دقه؛ فإنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة. روي: أنه ﷺ سئل عن أول بيت وضع للناس؟ فقال: «**المسجد الحرام، ثم بيت المقدس**». وسئل: كم بينهما؟ فقال: «أربعون سنة». وقيل: أول من بناه إبراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم، ثم العمالقة، ثم قريش. وقيل: هو أول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان، ثم بناه إبراهيم. وقيل: كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له: (الضراح) يطوف به الملائكة، فلما أهبط آدم أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان إلى السماء الرابعة

[**كالنبيط**] قال الجوهري: النبط والنبيط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين[1]. انتهى. وقيل: اسم موضع نافد [**وقيل: هي**]؛ أي: بكة [**موضع المسجد**]؛ أي: فليست لغة في مكة [**من بكة**] إلى آخره. بيان لمأخذ بكة [**جرهم**] هي من اليمن وهم أصهار إسماعيل [**ثم العمالقة**] هم ملوك مِهر[2] وفي «الفائق» هم ملوك الشام [**روي: «أنه ﷺ سئل عن أول بيت...»**] إلى آخره. رواه الشيخان[3].

[**وقيل: كان في موضعه قبل آدم بيت**]؛ أي: بنته الملائكة [**يقال له: الضُّراح**]

= نعى على فلان ذنوبه؛ أي: يظهرها ويشهرها. قاله الجوهري [بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه] بيان لدعواهم البراءة [وفي منع النسخ] عطف على في دعوى البراءة [والطعن] عطف على منع [موافقة إبراهيم ﷺ] مفعول دعوى الرسول [بهتوا] بالبناء للمفعول؛ أي: تحيروا [وفيه]؛ أي: في إخباره ﷺ عما في التوراة).

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٣١٧].

(٢) وفي نسخة [ج]: (حمير)، وفي نسخة [ب]: (مبرد)، وفي نسخة: (مصر).

(٣) صحيح البخاري [٣/ ١٣٢١/ برقم: ٣١٦٨] صحيح مسلم [١/ ٣٧٠/ برقم: ٥٢٠].

۞ ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

تطوف به ملائكة السمٰوات وهو لا يلائم ظاهر الآية. وقيل: المراد إنه أول بيت بالشرف لا بالزمان. ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله، حال من المستكن في الظرف ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنه قبلتهم ومتعبدهم، ولأن فيه آيات عجيبة كما قال:

﴿٩٧﴾ ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار، وأن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها، وإن كل جبّار قصده بسوء قهره كأصحاب الفيل. والجملة مفسرة للهدى، أو حال أُخْرَى. ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ مبتدأ محذوف خبره؛ أي: منها مقام إبراهيم، أو بدل من آيات بدل البعض من الكل. وقيل: عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين،

بضاد معجمة وحاء مهملة سمي بذلك لأنه ضرح من الأرض؛ أي: بعد [وهو]؛ أي: القول بأنه كان قبله بموضعه بيت[1] فرفع إلى السماء [**لا يلائم ظاهر الآية**] كما لا يخفى مع أن موضع التشريف هو تلك الجهة المعينة والجهة لا يمكن رفعها [**كانحراف الطيور**] إلى آخره؛ أي: ولظهور الخصب في البلاد التي تكون ناحية الركن الذي ظهر فيه الغيث حتى إذا عمَّ الغيث البيت عمَّ الخصب البلاد [**والجملة**]؛ أي: وهي ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧] [**أو حال أُخْرَى**]؛ أي: غير «مبارك» و«هدى».

[**مبتدأ محذوف خبره**]؛ أي: أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أحدها [**وقيل: عطف بيان**] تبع فيه الزمخشري[2] ورد بأن «آيات» نكرة، و«مقام إبراهيم» معرفة ولا يجوز التخالف في عطف البيان بإجماع البصريين والكوفيين، وأجيب بأنه يحتمل أنه أطلق عطف البيان على البدل تسمحاً لتآخيهما على أن المراد [**بالآيات أَثَر القدم إلى آخره**].

---

(١) في نسخة [ج] زيادة: (المقدس).
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤١٥].

وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار، وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء، وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة. ويؤيده أنه قرئ (آية) بينة على التوحيد. وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه. ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ جملة ابتدائية، أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى: أمن من دخله؛ أي: ومنها أمن من دخله، أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله. اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام: **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وَقُرَّةُ عيني في الصلاة»**؛ لأن فيها غُنيَة عن غيرها في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة، ....

جواب ما يقال: كيف صح بيان الجمع وهو «آيات» بالواحد وهو «مقام»؟ وحاصله: أن «المقام» مشتمل على «آيات» كما ذكرها المصنف فهو عطف بيان بهذا الاعتبار.

[ويؤيده]؛ أي: هذا القول [أن قرئ] «أن» مصدرية أو مخففة من الثقيلة [لأنه في معنى: **أمن من دخله**] بسكون الميم [أو فيه] صوابه «أي: فيه» [﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾] إلى آخره. ونسخ المتن هنا مختلفة ففي نسخة: ما ذكره، وفي أُخْرَى: قبل قوله: أو فيه؛ أي: ومنها آمن من دخله [**«حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينيي في الصلاة»**] رواه الإمام أحمد[١] والنسائي[٢] وغيرهما[٣] بلفظ: **«حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[٤] وحبه للنساء لا لميله للذة البشرية بل لكثرة النسل ولِنَقْل بواطن الشريعة وظواهرها؛ مما يستحي منه ومما لا يستحي منه، لكونه كان أشد الناس حياء؛ فجعل له الله نسوة يتعلمن[٥] من الشرع ما يَرَيْنَه من أفعاله ويسمعن من أقواله التي قد يستحي من الإفصاح بها بحضرة الرجال؛

---

(١) مسند أحمد [٣/١٢٨/ برقم: ١٢٣١٥]. (٢) سنن النسائي [٧/٦١/ برقم: ٣٩٣٩].
(٣) مستدرك الحاكم [٢/١٧٤/ برقم: ٢٦٧٦].
(٤) لم يروه أحد بهذا اللفظ: «من دنياكم ثلاث» ولكن بلفظ: **«حُبِّبَ إِلَيَّ من الدنيا النساء...»** أو بلفظ: **«حُبِّبَ إِلَيَّ النساء...»** أو بلفظ: **«حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم النساء»**.
(٥) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (ينقلن).

قال عليه السلام: «**من مات في أحد الحرمين، بُعِثَ يوم القيامة آمناً**». وعند أبي حنيفة: من لزمه القتل بِرِدّة أو قصاص أو غيرهما لم يتعرض له، ولكن ألجئ إلى الخروج. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قصده للزيارة على الوجه المخصوص. وقرأ (حمزة والكسائي وعاصم) في رواية حفص (حِجُّ) بالكسر؛ وهو لغة نجد. ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بدل من (الناس) بدل البعض من الكل مخصص له، وقد فَسَّرَ رسول الله ﷺ الاستطاعة: «**بالزاد والراحلة**»

ليكتمل نقل الشريعة ولهذا جُوِّزَ له نكاح أكثر من أربع، وأما حبه للطيب فلأنه يذكي الفوائد ويقوي القلب والجوارح، و«من» في الحديث بمعنى «في» لأن هذه الأمور من الدين لا من الدنيا بالنسبة إليه، ولهذا أضافها إلى الأمة لا إليه؛ للإيذان بأنه لا علاقة له بها، وقدم الطيب على النساء لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف وأخّر عنهما جعل قرة العين في الصلاة مع أنها أشرف منهما ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، وأشار في الحديث إلى أنه وَفَّى بأصلي الدين وهما: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، وهما كمال قوته النظرية المشار إليها في الأوْلَيْن، والعملية المشار إليها بالأخير، والمراد بالقوة النظرية قوة النفس الناطقة من قبل الفيض من الملأ الأعلى، وبالقوة العملية قوة للنفس بها تدبر بدنها لتكمله.

[**قال** عليه السلام: «**من مات في أحد الحرمين بُعِثَ يوم القيامة آمناً**»] رواه أبو داود[(١)] والدارقطني[(٢)] وغيرهما[(٣)] [**ولكن يلجأ إلى الخروج**][(٤)]؛ أي: بأن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر إلى الخروج فيقتل، وعند الشافعي رضي الله عنه: لا يُلجأ إلى الخروج بل يقتل للأمر في خبر الشيخين بقتل ابن خطل، وكان قد ارتد وتعلق بأستار الكعبة. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ وخبر من دخل المسجد فهو آمن فمعناهما جمعاً بين الأدلة أن من دخله بغير استحقاق قتل [**فَسَّرَ رسول الله** ﷺ: «**الاستطاعة بالزاد والراحلة**»] رواه الترمذي وحسنه[(٥)].

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي [١/ ١٢/ برقم: ٦٥]. (٢) سنن الدارقطني [٢/ ٢٧٨/ برقم: ١٩٣].
(٣) المعجم الكبير، الطبراني [٦/ ٢٤٠/ برقم: ٦١٠٤].
(٤) زيادة في نسخة [ز]: (في نسخة: ألجئ إلى الخروج).
(٥) سنن الترمذي [٣/ ١٧٧/ برقم: ٨١٣].

وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله تعالى عنه: إنها بالمال، ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن إذا وجد أجرة من ينوب عنه. وقال مالك رحمه الله تعالى: إنها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إنها بمجموع الأمرين. والضمير في إليه للبيت، أو الحج وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيله. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وضع كفر موضع من لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاً على تاركه، ولذلك قال ﷺ: «**من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً**» وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوه بصيغة الخبر، وإبرازه في الصورة الإسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس، وتعميم الحكم أولاً وتخصيصه ثانياً فإنه كإيضاح بعد إبهام وتثنية وتكرير للمراد، وتسمية ترك الحج كفراً من حيث إنه فعل الكفرة، وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله: ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه

[**وكل ما أتي**] بوزن معنى؛ أي: كل ما يأتي به إلى الشيء من الأسباب فهو سبيل إليه [**قال** ﷺ: «**من مات ولم يحج**»] إلى آخره. رواه الترمذي وضعفه بلفظ: «**من ملك زاداً وراحلة تُبَلِّغُهُ إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً**»(١).

[**وتثنيته تكرير للمراد**] هما مع ما قبلهما وبعده عطف على الدلالة لكن عطف ثانيهما على أولهما عطف على تفسير [**وقوله:** ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] **يدل عليه**]؛ أي: على ما ذكر من المقت والخذلان حيث وضع المظهر العام موضع المضمر الخاص كما أشار إليه بقوله: «لما فيه..» إلى آخره. وفي نسخة بدل (يَدُلُّ عليه): (يَدُلُّ عنه) بمعنى أن ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وضع موضع عنه الراجع إلى من كفر [**والدلالة عن الاستغناء عنه**]؛ أي: استغناء الله تعالى عن من ترك الحج

---

(١) سنن الترمذي [٣/١٧٦/ برقم: ٨١٢].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾.

بالبرهان والإشعار بعظم السخط؛ لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله. روي: أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله أرباب الملل فخطبهم وقال: «**إن الله تعالى: كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل** ﴿وَمَن كَفَرَ﴾».

(٩٨) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره، وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح؛ لأن معرفتهم بالآيات أقوى وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهما. ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار.

(٩٩) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفى العذر لهم، وإشعاراً بأن كل

[بالبرهان]؛ أي: وهو أنه تعالى إذا استغنى عن العالمين استغنى عمن ترك الحج لا محالة(١).

[وكفرت به خمس ملل] هم: المشركون واليهود والنصارى والصابئون والمجوس والمراد بالمشركين: الوثنيون(٢).

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: ([والإشعار بعظم السخط]؛ أي: سخط الله تعالى على من تركه لأنه إذا كلف به مع عظم المشقة فيه استحق عظم السخط بتركه).

(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٥/ ٤١٩].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب، وسبيل الله في دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الإسلام. قيل: كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه. ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ حال من (الواو)؛ أي: باغين طالبين لها اعوجاجاً بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجاً عن الحق، بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ﷺ ونحوهما، أو بأن تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم. ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ﴾ إنها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال، أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم، ولما كان المنكر في الآية الأولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾. ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الإسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٠٠﴾ - ﴿١٠١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون، فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم وَيُذَكِّرَهُم يومَ بُعَاث وينشدهم بعض ما قيل

[طالبين لها اعوجاجاً] أشار بتقدير الجار إلى أن ﴿عِوَجًا﴾ في الآية هو مفعول «تبغون» لأنه مطلوبهم لا سبيل الله [يوم بُعَاث] يوم مشهور وقع فيه حرب بين الأوس والخزرج، و«بُعاث» بضم الموحدة وعين مهملة وبمثلثة آخره موضع بالمدينة وقيل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾.

فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس، ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا: السلاح! السلاح! واجتمع من القبيلتين خلق عظيم، فتوجه إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه وقال: «**أتدعون الجاهلية وأنا بين أَظْهُرِكُم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وأَلَّفَ بين قلوبكم**» فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله ﷺ. وإنما خاطبهم الله بنفسه بعد ما أمر الرسول بأن يخاطب أهل الكتاب إظهاراً لجلالة قدرهم، وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم. ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ إنكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر. ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ إليه في جامع أموره. ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فقد اهتدى لا محالة.

١٠٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ حق تقواه وما يجب منها، وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى

اسم جيش للأوس [أتدعون الجاهلية] تبع فيه «الكشاف» وهو تحريف ولفظ الحديث: «**أبدعوى الجاهلية**»؛ أي: أتأخذون بها وهي قولهم: يا لفلان كانوا يدعون بعضهم بعضاً عن الأمر الحادث الشديد والحديث رواه الطبري(١) وغيره(٢).

[ومن يتمسك بدين الله أو يلتجئ إليه في مجامع أموره] الفرق بين التفسيرين: أن في الأول تقدير مضاف دون الثاني، والباء في الأول للتعدية، وفي الثاني بمعنى «إلى» [فقد اهتدى لا محالة]؛ أي: لمجيء الماضي مع قد.

---

(١) جامع البيان، الطبري [٦/٥٦].
(٢) معالم التنزيل، البغوي [٢/٧٥].

۞ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾.

عنه: هو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. وقيل: هو أن تنزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازات عليها. وفي هذا الأمر تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب، وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤده وتخمه والياء ألفاً. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي: ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، فإن النهي عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أُخْرَى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي.

١٠٣ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ بدين الإسلام، أو بكتابه لقوله ﷺ: «**القرآن حبل الله المتين**». استعار له الحَبْل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة من الردي، كما أن التمسك بالحَبْل سبب للسلامة من التردي ....

[قد يتوجه]؛ أي: النهي [بالذات نحو الفعل]؛ أي: المقيد [تارة و] نحو [القيد أُخْرَى وقد يتوجه نحو المجموع دونها]؛ أي: دونهما منفردين، وهو هنا متوجه إلى القيد وحده، كما نقول لمن يستعين به على لقاء العدو: «ولا تأتني به إلا وأنت على حِصان» بكسر الحاء فلم تنهه عن الإتيان، ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه، ومآل النهي عن المقيد والمجموع واحد وإن اختلفا في القصد.

[«القرآن حبل الله المتين»] رواه الترمذي[1] والحاكم وصححه[2] [استعار له الحبل] إلى آخره. الاستعارة في الآية يجوز أن تكون استعارة واحدة تمثيلية، بأن شبهت الحالة بالحالة بجامع ثبات الوصلة بين الجانبين، واستعمل لحالة المستعار له

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ١٧٢/ برقم: ٢٩٠٦]. (٢) مستدرك الحاكم [١/ ٧٤١/ برقم: ٢٠٤٠].

وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحاً للمجاز. ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب، أو لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً، أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة. ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ التي من جملتها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الغل. ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ في الجاهلية متقابلين. ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ متحابين مجتمعين على الأخوة في الله. وقيل: كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالإسلام وألف بينهم برسوله ﷺ. ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم، إذ لو أدرككم الموت على تلك الحال لوقعتم في النار ﴿فَأَنقَذَكُم﴾ مِنْها بالإسلام، والضمير للحفرة، أو للنار، أو للشفا. وتأنيثه لتأنيث ما أضيف إليه أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة، وأصله (شفو) فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائله. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه.

ما يستعمل في المستعار منه من الألفاظ، وإن تكون استعارتين وهو ظاهر كلام المصنف، استعارة الحبل للدين أو الكتاب، فيكون استعارة مصرحة أصلية تحقيقية أو تخييلية، والقرينة الإضافة إلى الله، واستعارة الاعتصام للوثوق به والتمسك به؛ فتكون استعارة مصرحة تبعية تحقيقية، والقرينة اقترانها بتلك الاستعارة(١).

[وللوثوق] عطف على له [الاعتصام] بالنصب مفعول استعارة المقدر [تفرقكم] منصوب بنزع الخافض؛ أي: كتفرقكم بمعنى: «كما كنتم متفرقين في الجاهلية» [مشفقين]؛ أي: «مشرفين» كما في نسخة.

---

(١) اللباب، ابن عادل [٥/ ٤٣٠].

۞ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (من) للتبعيض؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، ولأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها. خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأساً أثموا جميعاً ولكن يسقط بفعل بعضهم، وهكذا كل ما هو فرض كفاية. أو للتبيين بمعنى: وكونوا أمة يأمرون بالمعروف كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي، وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للإيذان ....

[«من» للتبعيض] إلى آخره. ذكر لـ«من» أنها للتبعيض أو التبيين، وأن فرض الكفاية على كل منهما واجب على الجميع لا على البعض كما قيل به، ووجهه على الأول ما قاله: من أنه خاطب الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل إلى آخره. فقوله: إن «من» للتبعيض؛ أي: تبعيض من يسقط بفعله فرض الكفاية عن الجميع، وتعليله بما ذكره منزل عليه(١) وقوله: **[وهذا كلما هو فرض كفاية]**؛ أي: وكونه واجباً على الكل ويسقط بفعل بعضهم.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (وقوله: [ومراتب الاحتساب]؛ أي: وكالعلم بمراتب ما يحتسب شرعاً إذ الجاهل بها ربما وضع الشيء في غير محله).

۞ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

بفضله. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح وروي: أنه ﷺ سئل: من خير الناس؟ فقال: «**آمَرُهُم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم**». والأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً على حسب ما يؤمر به. والنهي عن المنكر واجب كله لأن جميع ما أنكره الشرع حرام. والأظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه. والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الأصول دون الفروع لقوله ﷺ: «**اختلاف أمتي رحمة**». ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد**». ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم.

[بفضله]؛ أي: بفضل الخاص وإلا فالأنسب «بفضلهما». [روي أنه ﷺ: «سئل من خير الناس...»] إلى آخره. رواه الإمام أحمد[1] وغيره[2] [والنهي عن المنكر واجب كله] إلى آخره. ليس كذلك إذ المكروه منكر يندب تركه ولا يجب [فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر]؛ أي: ولا يظنه أنه لا يفيد لأن الذي عليه هو الأمر والنهي لا القبول ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩] [على ما عرفت]؛ أي: في الآيات السابقة [لقوله ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة»] هذا كما قال السبكي وغيره، ليس بمعروف عند المحدثين[3] [«من اجتهد فأصاب له أجران...»] إلى آخره.

---

(١) مسند أحمد [٦/ ٤٣٢/ برقم: ٢٧٤٧٤].

(٢) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (وقوله: وأمرهم بفتح الميم افعل تفضيل).

(٣) انظر: كنز العمال، الهندي [١٠/ ٢٣٨/ برقم: ٢٨٦٨٦].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾.

---

(١٠٦) ـ (١٠٧) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ نصب بما في لهم من معنى الفعل، أو بإضمار اذكر. وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه. وقيل: يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ على إرادة القول؛ أي: فيقال لهم: أكفرتم. والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم، وهم المرتدون أو أهل الكتاب؛ كفروا برسول الله ﷺ بعد إيمانهم به قبل مبعثه، أو جميع الكفار كفروا بعد ما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الإيمان بالنظر في الدلائل والآيات. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أمر إهانة. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم أو جزاء لكفركم. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؛ يعني: الجنة والثواب المخلد، عبر عن ذلك

رواه الشيخان(١) وغيرهما(٢).

[﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أمر إهانة] في «ذوقوا» استعارة تبعية تخييلية، وفي «العذاب» استعارة مكنية، حيث شبه «العذاب» بشيء يدرك بحاسة الأكل والذوق، تصويراً له بصورة ما يذاق وأثبت له الذوق تخييلاً بسبب [كفركم أو جزاءً لكفركم] أشار بالأول إلى أن الباء متعلقة بمحذوف [يعني: الجنة] إنما فسر بها الرحمة لأنها مقابلة لقوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ومقارنة لقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

---

(١) صحيح البخاري [٦/ ٢٦٧٦/ برقم: ٦٩١٩]، صحيح مسلم [٣/ ١٣٤٢/ برقم: ١٧١٦].
(٢) سنن أبي داود [٢/ ٣٢٣/ برقم: ٣٥٧٤].

۞ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ
ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله، وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم. ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقال: هم فيها خالدون.

﴿١٠٨﴾ ـ ﴿١٠٩﴾ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ الواردة في وعده ووعيده ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ملتبسة بالحق لا شبهة فيها. ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه، ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله؛ لأنه المالك على الإطلاق كما قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ فيجازي كلاً بما وعد له وأوعد.

﴿١١٠﴾ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ

[دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ] أشار به إلى أنه لا دلالة لكان الناقصة لا على انقطاع ولا دوام؛ فلهذا يستعمل كل فيما هو حادث نحو: «كان زيد راكباً» وفيما هو دائم نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] فقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] لا يدل على أنهم كانوا[١] خيراً فصاروا خيراً أو انقطع ذلك عنهم، فهذا شأن «كان» الناقصة وهي عبارة عن وجود شيء بصفة بخلاف التامة فإنها عبارة عن وجود الشيء بمعنى صار موجوداً وهي بمعنى وقع وحدث.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (لم يكونوا خيراً).

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣] وقيل: كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ، أو فيما بين الأمم المتقدمين. ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أظهرت لهم ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ استئناف بيَّن به كونهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، أو خبر ثان لـ(كنتم). ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ يتضمن الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به، وإنما أخره وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف وَنَهَوْا عَنِ المنكر إيماناً بالله وتصديقاً به وإظهاراً لدينه، واستدل بهذه الآية على إن الاجماع حجة لأنها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر، إذ اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك. ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إيماناً كما ينبغي ﴿لَكَانَ خَيْرًا﴾ لكان الإيمان خيراً ﴿لَّهُم﴾ مما هم عليه ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر، وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد.

١١١ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ﴾ ضرراً يسيراً كطعن وتهديد. ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ ينهزموا ولا يضروكم بِقَتْلٍ وأَسْرٍ. ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾

[وقيل: كنتم في علم الله] إلى آخره. مراده بالأقوال الثلاثة كما قال التفتازاني(١) تحقيق معنى المضي [وهذه الجملة]؛ يعني: جملة ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٢) وما عطف عليها [واردتان على سبيل الاستطراد]؛ أي: بدليل أنهما لم يعطفا على الجملة الشرطية قبلهما المعنى ﴿وَلَوْ ءَامَنَ﴾ لأنها معطوفة على ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ مرتبطة بها بمعنى ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كما آمنوا وأمروا

---

(١) حاشية التفتازاني، التفتازاني [ص٩٨].

(٢) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: (وما عطف عليها [والتي بعدها]؛ يعني: جملة ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ﴾).

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم، نفي إضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاموا إلى القتال كانت الدائرة عليهم، ثم أخبر بأنه تكون عاقبتهم العجز والخذلان. وقرئ (لا ينصروا) عطفاً على يولوا على أن ثم للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيداً بقتالهم، وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع إذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر.

(١١٢) ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ هدر النفس والمال والأهل، أو ذل التمسك بالباطل والجزية. ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ استثناء من أعم عام الأحوال؛ أي: ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين، أو ملتبسين بذمة الله أو كتابة الذي آتاهم وذمة المسلمين، أو بدينه الإسلام واتباع سبيل المؤمنين. ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ رجعوا به مستوجبين له ....

بالمعروف كما أمروا ونهوا عن المنكر كما نهوا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [نفي إضرارهم سوى ما يكون بقوله؛ أي: نفي ذلك بقوله]: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١] [وقرر ذلك] إلى آخره؛ أي: بقوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [ثم أخبر] إلى آخره؛ أي: بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ففي كلامه لف ونشر مرتب.

[استثناء من أعم عام الأحوال](١) المراد بأعم عام الأحوال كما قال الطيبي: ما لا أعم منه وهو أكثر نحو: «ما رأيت إلا زيداً»(٢)، وهذا الاستثناء يقع في جميع

---

(١) انظر: الكليات، الكفومي [ص١٢٦].

(٢) في نسخة [ز]: (أي: ما رأيت شيئاً إلا زيداً).

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله، واليهود في غالب الأمر فقراء ومساكين. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب. ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقٍّۚ﴾ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء. والتقييد (بغير حق) مع أنه كذلك في نفس الأمر للدلالة على أنه لم يكن حقاً بحسب اعتقادهم أيضاً. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الكفر والقتل. ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله، فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر. وقيل معناه: أن ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث إنهم مخاطبون بالفروع أيضاً.

مقتضيات الفعل كفاعله ومفعوله، وحاله فـ«إلا زيداً» في المثال استثناء من أعم عام المفعول به، وإلا راكباً في ما لقيته إلا راكباً استثناء من أعم عام أحواله(١)؛ كإضافة حب زمانه إلى من لا زمان له، وإنما له المضاف الذي هو الحب لا غير كما يقول: «ابن قيس الرقيات» بإضافة «قيس» إلى «الرقيات» في أن الغرض إضافة «الابن» إلى «الرقيات» لأن قيساً ما شبب بالرقيات، وإنما المشبب بهن ابنه ولا طريق إلى ذلك إلا بذكر المضاف والمضاف إليه(٢) جميعاً وذكر نحوه التفتازاني ثم قال: وتحقيقه أن مطلق الحب مضاف إلى الزمان، والحب المقيد بالإضافة إلى الزمان مضاف إلى ما بعده(٣) [﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾ [آل عمران: ١١٢]] إلى آخره. فيه تشبيه المسكنة بالقبة استعارة بالكناية ثم إثبات الضرب لهم عليها تخييلاً وتشبيهه أحاطها بهم واشتمالها عليهم بضرب القبة على ذي القبة استعارة تبعية.

[واليهود في غالب الأمر فقراء مساكين]؛ أي: يظهروا الفقر والمسكنة وفسر

---

(١) زيادة في نسخة [ز ـ ج]: (وإلا تأديباً في ما ضربته إلا تأديباً استثناء من أعم عام أغراضه. قال: والإضافة في أعم عام الأحوال).

(٢) زيادة (إليه) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٣) حاشية التفتازاني على الكشاف، التفتازاني [ص٩٨].

۞ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾.

---

(١١٣) ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ في المساوي والضمير لأهل الكتاب. ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ استئناف لبيان نفي الاستواء، والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم. ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يتلون القرآن في تهجدهم. عَبَّر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح. وقيل: المراد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أخَّرها ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: «**أما أنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم**».

(١١٤) - (١١٥) ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ صفات أُخر لأمة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود، فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون

أكثر المفسرين «المسكنة» بـ«الجزية» وعبارة المصنف توهم خلاف ذلك، وليس مراداً وإن أفهم كلامه في سورة البقرة صحة إرادته[١] **[والضمير لأهل الكتاب]**؛ أي: ليس أهل الكتاب مستوين.

[عبر عنه]؛ أي: عن تهجدهم **[بالتلاوة]**؛ أي: بتلاوة القرآن **[وروي: «أنه عليه الصلاة والسلام أخَّرها...»]** إلى آخره. رواه الإمام أحمد[٢] والنسائي[٣] وغيرهما[٤]. وقوله: «غيركم» بالنصب خبر ليس فـ«من أهل الأديان» حال من «أحد» قاله

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [١/ ٣٣٢]. (٢) مسند أحمد [٦/ ١٩٩/ برقم: ٢٥٦٧].
(٣) سنن النسائي [١/ ٢٦٧/ برقم: ٥٣٧].
(٤) صحيح ابن حبان [٤/ ٣٩٧/ برقم: ١٥٣٠].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

بالله ملحدون بصفاته، واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته، مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثنائه. ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة، سمي ذلك كفراناً كما سمي توفية الثواب شكراً، وتعديته إلى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان، قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ﴾ بالياء والباقون بالتاء. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة لهم وإشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل، وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى.

﴿١١٦﴾ - ﴿١١٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ﴾ من العذاب، أو من الغناء؛ فيكون مصدراً. ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ملازموها. ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ ما ينفق الكفرة قربة، أو مفاخرة وسمعة، أو المنافقون رياء أو خوفاً. ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد والشائع إطلاقة للريح الباردة كالصرصر، فهو في الأصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك: بَرْدٌ بارِد.

التفتازاني [في الاحتساب]؛ أي: فيما يحتسب شرعاً [أي: **الموصوفون بتلك الصفات**] أشار به إلى أن «ال» في «الصالحين» للجنس؛ أي: الكاملين في الصلاح.

[﴿فَلَن يُكْفَرُوهُۗ﴾ [آل عمران: ١١٥]] فيه تعريض بكفرانهم نعمته، وأنه تعالى يفعل مثل فعلهم، وجيء به على لفظ المبني للمفعول لتنزيهه عن إسناد الكفران إليه [**فهو في الأصل مصدر**] إلى آخره. جواب ما يقال إذا كان «الصِّرُّ» بمعنى «الريح

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ عقوبة لهم لأن الإِهلاك عن سخط أشد، والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث، ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ أي: ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها، أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة. وقرئ (ولكن)؛ أي: ولكن أنفسهم يظلمونها، ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن

الباردة» فمعنى ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧] ريح فيها ريح باردة، فما معناه وحاصله أن «الصر» في الأصل مصدر بمعنى: «البرد» فجيء به على أصله للمبالغة، أو نعت بمعنى: «الباردة»، وصف به للمبالغة؛ كقولك: «برد بارد»، وأجيب عنه أيضاً بأن ذلك من باب التجريد انتزع من الريح ريحاً باردة مبالغة في بردها وإلا فهي نفسها صر[١].

[**وهو من التشبيه المركب**]؛ أي: الذي هو تشبيه حالة أمور بحالة أمور، ويجوز أيضاً كما قال الطيبي: أن يكون من التشبيه المفرق بأن يشبه «إهلاك الله» بـ«إهلاك الريح» و﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ بـ«الحرث»، وما في غضب الله من جعل أعمال المرائين هباء منثوراً بما في الريح الباردة من جعل الزرع حطاماً [**دون الحرث**]؛ أي: وإن كان هو المشبه به إذ لا يلزم في التشبيه المركب أن يكون ما يلي الأداة هو المشبه به كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ [يونس: ٢٤] إذ المشبه به فيه النبات لا الماء [**ويجوز أن يقدر**] إلى آخره؛ أي: فيكون المشبه به هو «الحرث» وَلِيَ كلمة التشبيه.

[**وقرئ** ﴿وَلَٰكِنَّ﴾] إلى آخره. قال التفتازاني: فإن قيل في كل من القراءتين إشكال وهو أن «ما ظلمناهم» كلام في الفعل ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية [١/ ٥٢٠].

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

لأنه لا يحذف إلا في ضرورة الشعر كقوله: (وَلَكِنَّ مَنْ يبصر جفونك يعشق).

﴿١١٨﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ وليجة، وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به، شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام: «**الأنصار شِعَارٌ والناسُ دِثَارٌ**». ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ من دون المسلمين،

في المفعول أما على الأولى فلتقدم المفعول صريحاً، وأما على الثانية فلأنه بنى الكلام على «أنفسهم»، حيث جعل في موقع المبتدأ مع أنه مفعول في المعنى[1]، والذي يقتضيه ظاهر النظم أن يكون الكلام في الفاعل؛ أي: «ما نحن ظلمناهم ولكن هم ظلموا أنفسهم» كما يقول: «ما أنا قلت هذا ولكن غيري قاله»، قلنا تقديم المفعول في الأولى لرعاية الفاصلة لا للاختصاص، والقصد إلى الفعل من حيث تعلقه بالفاعل؛ أي: «ما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم»، وأما على الثانية فبناء الكلام على «أنفسهم» من حيث فاعليتها لا مفعوليتها بمنزلة أن تقول: «ولكن هم لا غيرهم ظلموهم» [**كقوله**]؛ أي: قول المتنبي في مدحه سيف الدولة:

[.......................... **ولكن مَنْ يُبْصِرْ جُفونَكِ يَعْشَقِ**]

صدره:

وَمَا كنتُ ممن يَدْخُلُ العشقُ قلبَه[2] ....

[**وليجة**] إلى آخره. قال الجوهري: وليجة الرجل خاصته وبطانته[3] [«**الأنصار شِعَارٌ والناسُ دِثَارٌ**»] رواه الشيخان[4]. و«الشعار»: ما يلي الجسد والدثار فوقه

---

(١) حاشية التفتازاني على الكشاف، التفتازاني [ص٩٨].
(٢) شرح ديوان المتنبي، الواحدي [ص٢٥٠]. (٣) الصحاح، الجوهري [٢/ ٢٩٣].
(٤) صحيح البخاري [٤/ ١٥٧٤/ برقم: ٤٠٧٥]، صحيح مسلم [٢/ ٧٣٨/ برقم: ١٠٦١].

۞ ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾.

وهو متعلق بـ(لا تتخذوا)، أو بمحذوف هو صفة (بطانة)؛ أي: بطانة كائنة من دونكم. ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد، و(الألو) التقصير، وأصله أن يعدى بالحرف وعدي إلى مفعولين كقولهم: لا آلوك نصحاً؛ على تضمين معنى المنع أو النقص. ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾ تمنّوا عنتكم، وهو شدة الضرر والمشقة، و(ما) مصدرية. ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾؛ أي: في كلامهم لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم. ﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار. ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ﴾ الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعادات الكافرين. ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ما بيَّن لكم، والجمل الأربع جاءت مستأنفات على التعليل، ويجوز أن تكون الثلاث الأول صفات لـ(بطانة).

١١٩ ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾؛ أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم، ....

[لا يتمالكون أنفسهم]؛ أي: لا يتماسكون انفلات ما يعلم به بعضهم [والجمل الأربع]؛ أي: وهي ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١٨] و﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ﴾ و﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ﴾ دون ﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ لظهور أنه حال [جاءت مستأنفات على التعليل] قال التفتازاني: ليس معناه أن الكل علة واحدة بالإجماع؛ بل بمعنى أن كلاً علة للنهي بالاستقلال، ترك تعاطفها تنبيهاً على الاستقلال(١) كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ﴾ [آل عمران: ١١٢] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ أو بمعنى: أنها مستأنفات للتعليل على طريق الترتيب بأن يكون اللاحق علة للسابق إلى أن يكون

---

(١) حاشية التفتازاني على الكشاف، التفتازاني [ص٩٩].

بيان لخطأهم في موالاتهم، وهو خبر ثان أو خبر لـ(أولاء) والجملة خبر لأنتم كقولك: أنت زيد تحبه، أو صلته، أو حال والعامل فيها معنى الإشارة، ويجوز أن ينصب (أولاء) بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبراً. ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾ بجنس الكتاب كله، وهو حال من (لا يحبونكم) والمعنى: إنهم لا يحبونكم؛ والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضاً فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم، وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم. ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ نفاقاً وتغريراً ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ من أجله تأسفاً وتحسراً حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلاً. ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق، وهو يحتمل أن يكون من المقول؛ أي:

الأولى علة للنهي، ويتم التعليل بالمجموع؛ أي: لا يتخذوهم بطانة لأنهم لا يألونكم خبالاً لأنهم يودون شدة ضرركم بدليل أنه قد يبدون البغضاء من أفواههم وإن كانوا يخفون الكثير لكن يحسن ذلك في ﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾؛ إذ لا يصلح تعليلاً لبدُوا البغضاء ويصلح تعليلاً للنهي بأنا قد بينا الآيات الدالة على وجوب معاداة أعداء الله وإن كان الأحسن أن يكون ابتداء كلام [**بيان لخطئهم في موالاتهم**]؛ يعني: لما شوهد منهم ما يجب تخطئتهم به بيِّن ما به استحقوا هذه التخطئة فقال: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] [**وهو حال من لا يحبونكم**]؛ أي: بتقدير: «وأنتم تؤمنون»، ولم يجعل عطفاً على «تحبونهم» لأن ذلك في معرض التخطئة، ولا تخطئة في الإيمان بالكتاب كله لأنه محض صواب، وقيل: يصح عطفه على «تحبون» بتقدير: «أنكم تؤمنون بالكتاب كله وهم لا يؤمنون بشيء منه»، ورد بأن هذا مما يؤيد الحالية وكذا[1] العطف[2] يصح عطفه على «تحبون».

[**فيها عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعيف قوة الإسلام وأهله**] أشار به إلى أن

---

(١) في نسخة [ز - ج]: (دون).
(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٣١].

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾.

وقل لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً، وأن يكون خارجاً عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم.

﴿١٢٠﴾ ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة، وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة، والمس مستعار للإصابة ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على عداوتهم، أو على مشاق التكاليف. ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موالاتهم، أو ما حرم الله جل جلاله عليكم. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجدّ في الأمر، المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئاً على الخصم، ....

﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ من كناية الكناية[1] حيث عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم إلى حد الهلاك، وبه عن ملزومه الذي هو قوة الإسلام وعز أهله، وذلك لأن مجرد الموت بالغيظ وازدياده ليس مما يحسن أن يطلب ويدعى فالمراد بزيادة الغيظ كما في «الكشاف» زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل[2] **[قل لهم ذلك]**؛ أي: ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ **[إلى حد]** إلى آخره؛ أي: إلى حد حسدوا به المؤمنين على ما نالهم من الخير.

[«وَالمِسُّ» مستعار «للإصابة»] جواب ما يقال: من حق التقابل بين القرينين التوافق بين الكلمتين كما في آيات لـ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩] ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠] فلم خولف بينهما هنا وحاصله: أن التوافق حاصل بالمعنى، وأجيب عنه أيضاً بأن ذلك تفنن، والأحسن كما قال الطيبي: أن يجاب بأن المقام يقضي المخالفة هنا وهي التنبيه

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٤/ ٤٠]. (٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٣٥].

۞ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾.

وضمه الراء للاتباع كضمة (مد). وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ من (ضاره يضيره). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما. ﴿مُحِيطٌ﴾؛ أي: محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله. وقرئ بالياء؛ أي: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه.

﴿١٢١﴾ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾؛ أي: واذكر إذ غدوت. ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾؛ أي: من حجرة عائشة ﵂. ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم. أو تسوي وتهيئ لهم، ويؤيده القراءة باللام. ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواقف وأماكن له، وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم. ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم. روي: أن المشركين نزلوا بأُحد يوم الأربعاء.

على عظم خطأ المخاطبين فإنه يقتضي عتقاً شديداً وتعبيراً بليغاً فاستعير لجانب الحسنة «المِسّ» لأنه أقل تمكناً من الإصابة وللإفراط الشديد، وذكر في السيئة الإصابة لأنها ألصق من «المِسّ»، وللتفريط البليغ وليس كذلك سائر الآيات.

[**وضمة الراء للاتباع كضمة مد**]؛ يعني: كضمة الأمر المضاعف وكل مجزوم من المضاف المضموم العين فإنه يجوز ضمه للاتباع كما يجوز فتحه للخفة وكسره لأصل تحريك الساكن [**وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع**(1)]؛ أي: من غير ملاحظة القعود والقيام(2) [**كقوله تعالى**: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥] **وقوله تعالى**: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]]؛ أي: من مجلسك وموضع حكمك وزاد في «الكشاف»(3) وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار [**روي**: «**أن المشركين نزلوا بأُحد**...»] إلى آخره. رواه البيهقي في الدلائل(4)،

---

(١) في نسخة [ب]: (الاتباع).

(٢) انظر: المحيط في اللغة، ابن عباد [١/ ١٤]. (٣) انظر: الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٣٧].

(٤) انظر: الفتح السماوي، المناوي [١/ ٤٠١/ برقم: ٢٨٨].

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة. فاستشار الرسول ﷺ أصحابه، وقد دعا عبد الله بن أُبي ابن سلول ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار: أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا؟ فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة، وإن رجعوا رجعوا خائبين، وأشار بعضهم إلى الخروج فقال ﷺ: «**رأيت في منامي بقرة مذبوحة حولي فَأَوَّلْتُها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثَلَماً فَأَوَّلْتُهُ هزيمة، ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فَأَوَّلْتُها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم**»، فقال رجال ـ فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أُحد ـ: اخرج بنا إلى أعدائنا، وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته، فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا: اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال: «**لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل**». فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أُحُد يوم السبت، ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد وسوى صفهم، وَأَمَّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال: «**انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا**».

﴿١٢٢﴾ ﴿إِذْ هَمَّت﴾ متعلق بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أو بدل من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾

وقوله: فيه بشر محبِس ـ بكسر الباء ـ؛ أي: بمكان لا ماء فيه ولا طعام، و«ذباب السيف»: طرفه الذي يضرب به ويذب، وقوله: «فإن رأيتم» جوابه محذوف؛ أي: «فافعلوا» و«اللَّأمة»: بالهمز الدرع، و«الشعب»: بالكسر الطريق في الجبل، و«عدوة»: الوادي بالعين المهملة جانبه، و«انضحوا عنا»: فرقوا النبل فهم كالماء المنضوح ذَابِّيْنَ عنا.

[﴿إِذْ هَمَّت﴾ [آل عمران: ١٢٢] **متعلق بقوله:** ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾]؛ أي: على سبيل

[آل عمران: ١٢١]. ﴿طَآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس وكانا جناحي العسكر. ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ أن تجبنا وتضعفا. روي: أنه عليه السلام خرج في زهاء ألف رجل ووعد لهم النصر إن صبروا، فلما بلغوا الشوط انخذل ابن أُبي في ثلاثمائة رجل وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟! فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال: أنشدكم الله والإسلام في نبيكم وأنفسكم. فقال ابن أُبيّ: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم! فهمَّ الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ. والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾؛ أي: عاصمهما من اتباع تلك الخطرة، ويجوز أن يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر.

التنازع قال التفتازاني: أي: يجمع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر إذ لا معنى لتقيد كونه سَمِيعاً عَلِيماً بذلك الوقت(١). انتهى. ومعنى ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: خطر لهما ذلك وحدّثت به أنفسهما لا عزمنا عليه لما يأتي في كلام المصنف [روي: «أنه عليه السلام خرج في زهاء ألف رجل...»] إلى آخره. رواه البيهقي في «الدلائل»(٢) أيضاً، و«زهاء»: بضم الزاي والمد؛ أي: قَدْرَ، وفي رواية بدل «في زهاء ألف رجل»: «في تسع مائة وخمسين».

[فلما بلغوا الشوط] بفتح المعجمة وسكون الواو حائط عند جبل أُحد بالمدينة [فَهَمَّ الحَيَّان]؛ أي: الطائفتان [والظاهر أنه]؛ أي: هَمَّهما، وفي نسخة: أنها؛ أي: همتهما؛ وهي أنسب بقوله: ما كانت عزيمة؛ أي: بل خطور وحديث نفس منهم؛ لأنه أليق بحال أصحاب النبي ﷺ ووافق بمضمون الآية التي ذكرها في قوله:

---

(١) حاشية التفتازاني [ص٩٩].
(٢) دلائل النبوة، البيهقي [٣/ ٢٣٩/ برقم: ١٠٧٥].

۞ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤)﴾.

---

(١٢٣) - (١٢٤) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل. و(بدر): ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى: بدراً؛ فسمي به. ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حال من الضمير، وإنما قال: أذلة، ولم يقل: ذلائل تنبيهاً على قلّتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الثبات. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أنعم به عليكم من نصره، أو لعلكم بنعم الله عليكم فتشكرون، فوضع الشكر موضع الأنعام لأنه سببه. ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لـ﴿نَصَرَكُمُ﴾. وقيل: بدل ثان من: (إذ غدوت) على أن قوله لهم يوم أُحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة، فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول ﷺ لم تنزل الملائكة: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ إنكار أن لا يكفيهم ذلك، وإنما جيء بـ(لن) إشعاراً بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم

[لقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾] إلى آخره. [**ليدل على قلّتهم**] لأنهم كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر ومركوبهم فرساً واحداً يتعاقبونها، وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل ومركوبهم مائة فرس.

[**على أن قوله لهم يوم أُحد وكان**]؛ أي: قوله لهم [**مع اشتراط الصبر والتقوى**] خبر «كان» والجملة حال، ثم تمم الغرض بقوله: [**فلما لم يصبروا**] إلى آخره. ويوضح ذلك كله قول الزمخشري: فإن قلت: كيف يصح أن يقوله لهم يوم أُحد ولم تنزل فيه الملائكة؟ قلت: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يبقوا؛ حيث خالفوا أمر رسول الله ﷺ فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت[1] [**وإنما جيء بـ«لن»**]؛ أي: التي هي لتأكيد النفي [**إشعاراً بأنهم كانوا كالآيسين من النصر**] إلى آخره. حيث أكدوا نفي

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٣٩].

۞ ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾.

وقلّتهم وقوة العدو وكثرتهم. قيل: أمدهم الله يوم بدر أولاً بألف من الملائكة، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة. وقرأ ابن عامر: ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ بالتشديد للتكثير أو للتدريج.

١٢٥ ﴿بَلَىٰٓۚ﴾ إيجاب لما بعد (لن)؛ أي: بلى يكفيكم. ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثّاً عليهما وتقوية لقلوبهم فقال: ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم﴾؛ أي: المشركون. ﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ من ساعتهم هذه، وهو في الأصل مصدر (فارت القدر) إذ غلت، فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي، والمعنى: إن يأتوكم في الحال. ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ في حال إتيانهم بلا تراخ ولا تأخير. ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلمين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**تَسَوَّمُوا فإنَّ الملائكة قد تَسَوَّمَتْ**». أو مرسلين من (التسويم) بمعنى: (الأسامة). وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو.

كفاية الإمداد كما تقول لصاحبك: «لا أقيم غداً» فإذا بالغت قلت: «لن أقيم غداً»، فكأنهم قالوا: «لن يكفينا» فأنكر ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٢٤] إلى آخره.

[لا ريث] بثاء مثلثة؛ أي: لا بطء [سِيْمَا الشيء]؛ أي: علامة [**لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه...**] إلى آخره. رواه ابن أبي شيبه[١] والطبراني[٢] وغيرهما مرسلاً [**بكسر الواو**]؛ أي: واو «مسومين» بالمعنيين اللذين ذكرهما في فتحها،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة [٦/ ٤٣٧/ برقم: ٣٢٧٢٢].
(٢) المعجم الكبير، الطبراني [١١/ ١٩٣/ برقم: ١١٤٦٩].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿١٢٦﴾ - ﴿١٢٧﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ وما جعل إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ إلا بشارة لكم بالنصر. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ ولتسكن إليه من الخوف. ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لا من العدة والعدد، وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطاً على قلوبهم، من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر، وحث على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب في أقضيته. ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة. ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ متعلق بـ(نصركم)، أو (وَمَا النَّصْرُ) إن كان اللام فيه للعهد، والمعنى: لينقص منهم بقتل بعض وأسر

والمعنى: «معلمين أو مرسلين أنفسهم»، قال الكلبي: معلمين بعمائم صفر، وعن الضحاك: معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها، وعن مجاهد: مجزوزة أذناب خيلهم، وعن قتادة: كانوا على خَيلٍ بُلْقٍ، وعن عروة بن الزبير: كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك(١).

[وحث] عطف على تنبيه [بمن تأخر عنهم]؛ أي: من المنافقين متعلق بنصركم [أو ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾ [آل عمران: ١٢٦]] حرر ذلك التفتازاني فقال: اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٢٣] على تقدير أن يجعل «إذ تقول» ظرفاً «لنصركم» لا بدلاً ثانياً من «إذ غدوت»؛ لأن ذلك يوم أُحد فيكون أجنبياً فيلزم الفصل به، وأما تعلقها بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيصح على التقديرين لكن العامل النفي المنقوض بـ«إلا» أو النصر الواقع مبتدأ فيه تردد والظاهر الأول [إن كان اللام فيه]؛ أي: في «النصر» [للعهد]؛ أي: بأن يراد «نصر يوم بدر» لأن المراد بالقطع هو الواقع يوم بدر بالاتفاق وإليه أشار بقوله: [والمعنى لينقص] إلى آخره.

---

(١) مستدرك الحاكم [٣/٤٠٧/ برقم: ٥٥٥٤].

۞ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

آخرين، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم. ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أو يخزيهم، و(الكبت): شدة الغيظ، أو وهن يقع في القلب، و(أو) للتنويع دون الترديد ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ فينهزموا منقطعي الآمال.

﴿١٢٨﴾ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ اعتراض. ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ عطف على قوله: (أو يكبتهم)، والمعنى: أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا؛ وليس لك من أمرهم شيء، وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم. ويحتمل أن يكون معطوفاً على (الأمر) أو (شيء) بإضمار (أن)؛ أي: ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء. أو ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة عليهم أو تعذيبهم. وأن يكون أو بمعنى: (إلا أن)؛ أي: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتتشفى منهم. روي: أن عتبة بن أبي وقاص شجهُ يوم أُحد وكسر رباعيته، فجعل

[اعتراض]؛ أي: بين المتعاطفين **[ويحتمل أن يكون معطوفاً على الأمر أو شيء]** الفرق بين الوجهين كما قال الطيبي: أن المطلوب على الأول سلب ما يتبع التوبة والتعذيب منه صلوات الله عليه بالكلية من القبول والرد والخلاص من العذاب وعدم الخلاص منه، وعلى الثاني سلب نفس التوبة والتعذيب منه يعني: لا يقدر أن يجبرهم على التوبة ولا أن تمنعهم عنها ولا تقدر أن تعذبهم ولا أن تعفوا عنهم **[روي: «أن عتبة...»]** إلى آخره. رواه الطبري[1] وغيره، ورواه الشيخان بمعناه[2]، وظاهر كلامه أن الشاجَّ والكاسرَ عتبة، لكن قال الواقدي: المثبت عندنا أن الشاجَّ عبد الله بن قميئة والكاسر عتبة.

---

(١) جامع البيان، الطبري [٧/١٩٨].
(٢) صحيح البخاري [٣/١٠٦٣/برقم: ٢٧٤٧]، صحيح مسلم [٣/١٤١٦/برقم: ١٧٩٠]

۞ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾.

يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم**»، فنزلت. وقيل: همَّ أن يدعوا عليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن. ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ قد استحقوا التعذيب بظلمهم.

(١٢٩) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً فله الأمر كله لا لك. ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ صريح في نفي وجوب التعذيب، والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم.

(١٣٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ لا تزيدوا زيادات مكررة، ولعل التخصيص بحسب الواقع. إذ كان الرجل منهم يربى إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة أُخْرَى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (مُضَعَّفَة). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهيتم عنه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ راجين الفلاح.

(١٣١) ـ (١٣٢) ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم، وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أتبع الوعيد بالوعد ترهيباً

[كالمنافي له]؛ أي: لنفي وجوب التعذيب لأن المغفرة لو قيدت بالتوبة لانتفت عند عدمها فيلزم التعذيب والغرض عدم لزومه، وإنما قال كالمنافي لجواز أن يكون ثبوت التعذيب باختياره بلا وجوب كتعذيب الكافر.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾.

عن المخالفة وترغيباً في الطاعة، ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خيراً له.

١٣٣ - ١٣٤ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ بادروا وأقبلوا. ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ إلى ما يستحق به المغفرة، كالإسلام والتوبة والإخلاص. وقرأ نافع وابن عامر (سارِعُوا) بلا واو. ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾؛ أي: عرضها كعرضهما، وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل؛ لأنه دون الطول. وعن ابن عباس: كسبع سمٰوات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ هيئت لهم، وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وإنها خارجة عن هذا العالم. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ صفة مادحة للمتقين، أو مدح منصوب أو مرفوع. ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في حالتي الرخاء والشدة، أو الأحوال كلها إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة؛ أي: لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير، ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة، من (كظمت القربة) إذا ملأتها وشددت رأسها. وعن النبي ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو يقدر على**

[خيراً له]؛ أي: لما ذكر من لعل وعسى وإلا فالمناسب لهما [وذكر العرض للمبالغة] إلى آخره. يعني: ليس القصد إلى تحديد عرض الجنة بذلك لتمتنع كونها في السماء بل هو كناية عن غاية السعة والبسط بما هو غاية في ذلك في علم السامعين [«من كظم غيظاً»] إلى آخره. رواه الإمام أحمد[1] وأبو داود[2] وغيرهما[3] [وهو يقدر]

---

(١) مسند أحمد [٣/ ٤٤٠/ برقم: ١٥٦٧٥].
(٢) سنن أبي داود [٢/ ٦٦٢/ برقم: ٤٧٧٧].
(٣) سنن الترمذي [٤/ ٣٧٢/ برقم: ٢٠٢١].

۞ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً». ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته، وعن النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن هؤلاء في أمتي قليل إلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ**» وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء، أو العهد فتكون الإشارة إليهم.

﴿١٣٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ فعلة بالغة في القبح كالزنى. ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأن أذنبوا أيَّ ذنب كان وقيل: الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة، ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك. ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه العظيم. ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالندم والتوبة. ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين، والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله ﷺ: «**ما أَصَرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة**». ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من (يصروا)؛ أي: ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به.

وفي نسخة: قادر [أن هؤلاء] إلى آخره. ذكره الثعلبي عن مقاتل بن حيان قد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**أن هؤلاء...**» إلى آخره[(١)]. وقوله: «**إلا من عصم**» الله استثناء منقطع وهو ظاهر أو متصل لما في القلة من معنى العدم؛ كأنه قيل أن هؤلاء في أمتي لا يوجدون إلا من عصم الله فإنه يوجد في أمتي.

[**قوله** عليه السلام: «**ما أصرّ من استغفر**»] رواه أبو داود[(٢)] والترمذي[(٣)] وغيرهما[(٤)] [**حال من يصروا**]؛ أي: من ضميره وأشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قيد

---

(١) تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان البلخي [١/ ١٩١].
(٢) سنن أبي داود [١/ ٤٧٥/ برقم: ١٥١٤]. (٣) سنن الترمذي [٥/ ٥٥٨/ برقم: ٣٥٥٩].
(٤) مسند أبي يعلى [١/ ١٢٤/ برقم: ١٣٧].

﴿أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾.

---

١٣٦ ﴿أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ خبر (للذين) إن ابتدأت به، وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها إن عطفت على (المتقين)، أو على (الذين ينفقون). ولا يلزم من إعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم إن لا يدخلها المصرّون، كما لا يلزم من إعداد النار للكافرين جزاء لهم أن لا يدخلها غيرهم، وتنكير جنات على الأول يدل على أن ما لهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة، وكفاك فارقاً بين القبيلين أنه فصل آيتهم بأن بيَّن أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله، وذلك لأنهم حافظوا على حدود الشرع

للمنفي لا للنفي لعدم الفائدة؛ لأن عدم الإصرار موجب للأجر والجزاء، سواء كان مع العلم بالقبح أم مع الجهل به؛ بل مع الجهل أولى. قال التفتازاني بعد هذا: وإذا كان قيد للمنفي فله معنيين: أحدهما وهو الأكثر: أن يكون النفي راجعاً إلى القيد فقط ويثبت أصل الفعل مثل: «ما جئت راكباً»، بمعنى: جئت غير راكب[1]. وهذا ليس مراداً أيضاً، وثانيهما: أن يقصد نفي القيد والفعل معاً بمعنى: انتفاء كل منهما وهذا أيضاً ليس بمناسب؛ إذ ليس المعنى على نفي العلم أو بمعنى انتفاء العلم من غير اعتبار نفي القيد وإثباته وهذا هو المناسب في الآية؛ أي: لم تصروا عالمين بمعنى أن عدم الإصرار متحقق البتة، والحاصل: أن القيد في الكلام المنفي قد يكون لتقييد النفي، وقد يكون لنفي المقيد، بمعنى: انتفاء كل من الفعل والقيد أو القيد فقط أو الفعل فقط.

[ولا يلزم من إعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون] إلى آخره. قصد بذلك الرد على الزمخشري في قوله: إن هذه الآيات قاطعة بأن المصر لا يدخل الجنة، وأطال في ذلك حتى قال: ومن خالف في ذلك فقد كابر

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٠].

۞ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾.

وتخطوا إلى التخصص بمكارمه، وفصل آية هؤلاء بقوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾؛ لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير، ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونِعم أجر العاملين ذلك؛ يعني: المغفرة والجنات.

﴿١٣٧﴾ - ﴿١٣٨﴾ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقائع سنَّها الله في الأمم المكذبة كقوله تعالى: ﴿وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٦٢] وقيل: أمم، قال:

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِكُمُ ... وَلَا رَأَوْا مِثْلَهُ في سَالِفِ السُّنَنِ

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم. ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إشارة إلى قولِهِ: (قَدْ خَلَتْ)، أو مفهوم قوله: (فَانْظُروا)؛ أي: أنه مع كونه بياناً للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين، أو إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين، وقوله: (قد خلت) جملة معترضة للبعث على الإيمان والتوبة وقيل: إلى القرآن.

عقله وعاند ربه[١]. [وقيل: أمم] مقابل لقوله: «وقائع» [في سالف السنين]؛ أي: الأمم [أو مفهوم قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾ [آل عمران: ١٣٧]]؛ أي: مدلوله [وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ اعتراض] إلى آخره. راجع إلى قوله أو إلى ما لخص.

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٤٥].

۞ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

---

(١٣٩) ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ تسلية لهم عما أصابهم يوم أُحد، والمعنى: لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم. ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم شأناً، فإنكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة، وإنهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار، أو لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم، أو وأنتم الأعلون في العاقبة؛ فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ متعلق بالنهي؛ أي: لا تهنوا إن صح إيمانكم، فإنه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله أو بالأعلون.

(١٤٠) ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف، والباقون بالفتح وهما لغتان كـ(الضَّعف والضُّعف). وقيل: هو بالفتح (الجراح) وبالضم (ألمها)، والمعنى: إن أصابوا منكم يوم أُحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله، ثم إنهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فأنتم أولى بأن لا تضعفوا، فإنكم ترجون مِنَ الله مَا

[تسلية لهم عما أصابهم يوم أُحد] أشار به إلى أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩] متعلق بما مَرَّ من قصة «أُحُد» من جهة المعنى، وأما بحسب اللفظ فالظاهر أنه عطف على ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قاله التفتازاني(١): [متعلق بالنهي]؛ أي: على جهة التعليل لأن الخطاب مع النبي ﷺ والمؤمنين من الصحابة فلا جائز أن يجرى الشرط على حقيقته قاله الطيبي، وكأن المصنف أجراه على حقيقته بتقدير «صح» حيث قال: [إن صح إيمانكم] لكن فيه قلة أدب [أو بالأعلون] عطف على بالنهي.

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠١].

لَا يرجون. وقيل: كِلَا المِسينَّ كان يوم أُحد فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول ﷺ ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أُخْرَى كقوله:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَومٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

و(المداولة): كالمعاودة يقال: داولت الشيء بينهم فتداولوه. و(الأيام) تحتمل الوصف والخبر و(نُداوِلُها) يحتمل الخبر والحال، والمراد بها: أوقات النصر والغلبة. ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على علة محذوفة؛ أي: نداولها ليكون كيت وكيت، وليعلم الله إيذاناً بأن العلة فيه غير واحدة، وإن ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم، أو الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف

[كقوله]؛ أي: قول النمر بن تولب:

[فيوم علينا ....]

أي: يكون الأمر علينا بالإضرار [ويوم لنا]؛ أي: بالنفع [ويوم نُسَاء] من سيء فلان إذا أصيب بحزن، من ساءه أحزنه [ويوم نُسَر] من سره جعله مسروراً[(١)] [والمداولة المعاورة]؛ أي: المعاونة يقال: تعاور القوم فلاناً إذا تعاونوا عليه بالضرب واحداً بعد واحد قاله ابن الأثير[(٢)] [ليكون كيت وكيت]؛ أي: لنرفع درجاتهم [مثلاً فيه]؛ أي: في تداول الأيام [ما لا يعلم؛ أي: لنا أو الفعل] عطف على عطف.

[وليتميز التائبون] إلى آخره. فيه إشارة إلى أنه يجوز أن يكون العلم مجازاً عن التمييز من باب إطلاق اسم السبب على المسبب، وأن يكون من باب التمثيل المبني على تشبيه الحال بالحال وعليه اقتصر الزمخشري حيث قال: وهو من باب التمثيل بمعنى: «فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت»، وإلا فالله ﷻ لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها[(٣)].

---

(١) الكتاب، سيبويه [ص١٨].
(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/ ٤٤١].
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٤٧].

۞ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

فعلنا ذلك. والقصد في أمثاله ونقائضه ليس إلى إثبات علمه تعالى ونفيه بل إلى إثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان. وقيل معناه: ليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجوداً. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾ ويكرم ناساً منكم بالشهادة ـ يريد شهداء أُحد ـ أو يتخذ منكم شهوداً معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يضمرون خلاف ما يظهرون، أو الكافرين، وهو اعتراض وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وإنما يغلبهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاء للمؤمنين.

﴿١٤١﴾ ـ ﴿١٤٢﴾ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليطهرهم ويصفيهم من

قال التفتازاني: لكن يرد عليه أن هذا زيادة تجوز لا حاجة إليه إذ يكتفى أن يقال: فعل من يريد أن يحصل له حقيقة العلم، وإنما لم يحمل الكلام على حقيقته لدلالته على أن العلم يحصل بعد الفعل، وعلم الله تعالى أزلي لا يتصف بالحدوث، ولو سلم فالعلم بالمؤمن والكافر حاصل قبل ذلك الفعل؛ فأجاب بعضهم: بأن المراد علم لا يحصل إلا بالفعل وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات ولا يلزم منه التغير في علمه تعالى وكون ذاته محلاً للحوادث؛ لأن الحدوث إنما هو في تعلق العلم(١). انتهى.

ويغني عن ذلك أن يقال: ليعلم ذلك علم ظهور وهو قريب من قوله: [**وقيل: معناه: وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجوداً**]؛ أي: لأن المجازاة إنما تقع على ما علم الله وقوعه منا لا على ما لم يقع [**ويكرم ناساً منكم بالشهادة**]؛ أي: كنى بالاتخاذ عن الإكرام؛ لأن من يتخذ شيئاً يتخذه لينتفع أو ليتزين به(٢) [**وإنما يغلبهم أحياناً**]؛ أي: يجعلهم غالبين لنا.

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠١].

(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٥/ ٥٥٩].

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾.

الذنوب إن كانت عليهم. ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ ويهلكهم إن كانت عليهم، والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ بل أحسبتم؛ ومعناه: الإنكار. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ ولما تجاهدوا، وفيه دليل على أن الجهاد فرض كفاية، والفرق بين (لَمَّا) و(لم) أن فيه توقع الفعل فيما يستقبل. وقرئ (يَعْلَمَ) بفتح الميم على أن أصله (يَعْلَمَنْ) فحذفت النون ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ نصب بإضمار (أن) على أن (الواو) للجمع. وقرئ بالرفع على أن (الواو) للحال كأنه قال: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون.

١٤٣ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾؛ أي: الحرب فإنها من أسباب الموت، أو الموت بالشهادة. والخطاب للذين لم يشهدوا بدراً وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله ﷺ مشهداً لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحُّوا يوم أُحد على الخروج. ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته. ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾؛ أي: فقد رأيتموه معاينين له

[بل أحسبتم ومعناه الإنكار] بمعنى: ما كان ينبغي ولا ينبغي أن يكون ذلك وحقيقة النهي عن الحسبان [ولما يجاهدوا] فسر به ما قبله لأنه لما كان علمه تعالى بالشيء من لوازم تحقيقه جعل عدم العلم به كناية عن عدم ذلك الشيء فصار معنى لم يعلم الله جهادهم لم تجاهدوا(١).

[نصب بإضمار «أن» على أن الواو للجمع]؛ أي: بين «الجهاد» و«الصبر» والمعنى: أظننتم أن تدخلوا الجنة ولم يكن منه علم بالجهاد وعلم بالصبر [وقرئ بالرفع على أن «الواو» للحال](٢) إلى آخره. يعني: أن هذا حال من مفعول يعلم

---

(١) عبارة: ([ولما يجاهدوا] فسر به ما قبله لأنه لما كان علمه تعالى بالشيء من لوازم تحقيقه جعل عدم العلم به كناية عن عدم ذلك الشيء فصار معنى لم يعلم الله جهادهم لم تجاهدوا) من نسخة [ز - ج - ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري [٤٤٨/١].

۞ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم، وهو توبيخ لهم على أنهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها، أو على تمني الشهادة فإن في تمنيها تمني غلبة الكفار.

﴿١٤٤﴾ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فسيَخْلُو كما خلوا بالموت أو القتل. ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ إنكاراً لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بِخُلُوِّ الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به. وقيل: (الفاء) للسببية و(الهمزة) لإنكار أن يجعلوا خلوَّ الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته. ....

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾[1] [آل عمران: ١٤٢] حال من فاعل «تدخلوا» فهما حالان متداخلان [وقيل: الفاء للسببية] إلى آخره؛ أي: لجعل قوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] مسبب عن قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فدخلت همزة الإنكار بينهما لإعطاء مزيد من الإنكار الذي تضمنه قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾ إلى آخره. وذلك أن التركيب من باب قَصْر القلب لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه رسول لا كسائر الرسل في أنه يخلو كما يخلون، ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم، فرد عليهم بأنه ليس إلا رسول كسائر الرسل، سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما وجب التمسك بدينهم[2]، ثم عقَّب الإنكار بقوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ وأدخل الهمزة لمزيد ذلك الإنكار؛ أي: إذا علم أن أمره أمر الأنبياء السابقين فلم عكستم الأمر فإن لم يجعل ذلك العلم سبباً للثبات فلا أقل من أن لا يجعل سبباً للانفلات[3]، قال الزمخشري: فإن قلت: لم ذكر القتل وقد علم

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (وما لم يعلم الله).

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/٥٣].   (٣) في نسخة [ز ـ ج]: (للانقلاب).

روي: أنه لما رمى عبدُ الله بن قميئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه، فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: قد قتلت محمداً وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو: **إليَّ عباد الله!** فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون، وقال بعضهم: ليت ابن أُبيّ يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين: لو كان نبيّاً لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما: يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه، ثم قال: اللَّهُمَّ إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ إليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل، فنزلت. ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بارتداده بل يضر نفسه.

أنه لا يقتل؟ قلت: لكونه مجوزاً عند المخاطبين، فإن قلت: أما علموه من ناحية قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؟ قلت: هذا إنما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة؛ ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإضلالهم[١].

[**روي: «أنه لما رمى عبد الله بن قميئة»**] إلى آخره. هذا منتزع من عدة أخبار رواها البيهقي[٢] والطبري[٣] وغيرهما بألفاظ مختلفة. وما ذكره من أن فاعل «الكسر والشج» ابن قميئة مخالف لما مرّ له عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] أنه عتبة بن أبي وقاص وتقدم، ثم إن الثابت أن الكاسر عتبة، والشاج ابن قميئة.

[**بل يضر نفسه**] بهذا كما قال التفتازاني: مستفاد من تقييد الفعل بالمفعول

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٥٠].
(٢) جامع البيان، الطبري [٧/ ٢٥٥].
(٣) المعجم الكبير، الطبراني [٨/ ١٣٠/ برقم: ٧٥٦٩].

۞ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على نعمة الإسلام بالثبات عليه كأنس وأضرابه.

﴿١٤٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلا بمشيئة الله تعالى أو بإذنه لملك الموت عليه السلام في قبض روحه، والمعنى: أن لكل نفس أجلاً مسمى في علمه تعالى وقضائه ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] بالإحجام عن القتال والإقدام عليه. وفيه تحريض وتشجيع على القتال، ووعد للرسول ﷺ بالحفظ وتأخير الأجل. ﴿كِتَٰبًا﴾ مصدر مؤكد إذ المعنى: كتب الموت كتاباً. ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ صفة له؛ أي: مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر. ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أُحد، فإن المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون، فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم. ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾؛ أي: من ثوابها. ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

﴿١٤٦﴾ ﴿وَكَأَيِّن﴾ أصله؛ أي: دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى: (كم) والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس. وقرأ ابن كثير (وكائن)

ورجوع القيد إلى المنفي، فيكون المعنى: أنه صدر عنه ضرر لكن لا بالنسبة إلى الله تعالى ومعلوم أنه ليس غير نفسه(١) [﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾] [آل عمران: ١٤٤] ترك ما يجزي به ليدل على التعميم والتفخيم [إلا بمشيئة الله تعالى]؛ يعني: ليس لأحد تأخير أجله ولا تقديمه بل ذلك بمشيئة الله تعالى وفيه رد على المعتزلة [بمعنى: «كم»]؛ أي: الخبرية [على غير قياس]؛ أي: ومقتضاه عدم ثبوته لأن التنوين

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٢].

كـ(كاعن) ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم: (رعملي) في (لعمري)، فصار كـ(يأن) ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأُخْرَى ألفاً كما أبدلت من طائي. ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ بيان له. ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ربانيون علماء أتقياء، أو عابدون لربهم. وقيل: جماعات، و(الرِّبي) منسوب إلى (الربّة) وهي: الجماعة للمبالغة. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (قُتِلَ)، وإسناده إلى (رِبِّيُّونَ) أو ضمير (النبي) و(معه ربيون) حال منه، ويؤيد الأول أنه قرئ بالتشديد وقرئ (رَبِّيُّونَ) بالفتح على الأصل، وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر. ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فما فتروا ولم تنكسر حدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم. ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ عن العدو أو في الدين. ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ وما خضعوا للعدو، وأصله (استكن) من السكون؛ لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده، والألف من إشباع الفتحة أو (استكون) من (الكون)؛ لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له، وهذا تعريض بما أصابهم عند الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ فينصرهم ويعظم قدرهم.

لا يكتب [من طاي] إذ أصله «طَيِّئٌ» حذفت الياء الثانية تخفيفاً ثم قلبت الأولى ألفاً ثم جيء بياء النسب [والرِّبّي منسوب إلى الربة] مبني على أن كسر الراء فيه أصلي إما على أنه من تغيير النسب كما يأتي في كلامه وهو المشهور، فهو المنسوب إلى الرب بفتحها[1].

[أو ضمير النبي] عطف على «ربّيون» [حال عنه]؛ أي: عن النبي وهذا خاص بالإسناد إلى ضمير «النبي» [ويؤيده الأول أنه قرئ بالتشديد]؛ أي: بتشديد الياء فيمتنع أن يكون فيه ضمير «النبي»، وقال أبو البقاء: لا يمتنع ذلك لأنه في معنى الجماعة.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [١/ ١١٣].

۞ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

﴿١٤٧﴾ - ﴿١٤٨﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين إلا هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم هضماً لها وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالها والاستغفار عنها، ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب لله والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة، فيكون أقرب إلى الإجابة، وإنما جعل قولهم خبراً؛ لأن (أن قالوا) أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث. ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فأتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ إلى الله النصر، والغنيمة، والعز، وحسن الذكر في الدنيا، والجنة والنعيم في الآخرة، وخص ثوابها بالحسن إشعاراً بفضله وأنه المعتد به عنده.

﴿١٤٩﴾ - ﴿١٥٠﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ﴾؛ أي: إلى الكفر ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ﴾ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبيّاً لما قتل! وقيل: أن تستكينوا لأبي سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم. وقيل: عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فإنه يستجر إلى موافقتهم. ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ ناصركم. وقرئ بالنصب على تقدير: بل أطيعوا الله مولاكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره.

[على جهة النسبة] هي إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم في دعائهم المذكور [أن تستكينوا]؛ أي: تخضعوا [كقوله]؛ أي: كقول الشاعر في وصفه مفازة بأنه لا وحش بها:

۞ ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)﴾.

---

(١٥١) ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب، ونادى أبو سفيان: يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت. فقال عليه الصلاة والسلام: «إن شاء الله». وقيل: لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم. وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الأصل في كل القرآن ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ بسبب إشراكهم به. ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾؛ أي: آلهة ليس على إشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطاناً وهو كقوله: (وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِر) وأصل (السلطنة) القوة ومنه: (السليط) لقوة اشتعاله، و(السلاطة): حدة اللسان. ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: مثواهم، فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل.

(١٥٢) ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ أي: وعده إياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر، وكان كذلك حتى خالف الرماة فإن المشركين لما أقبلوا

[.................................. ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ]

صدره:

لا تُفْزِعُ الأرنبَ أهوالُها(١) ....

(١) البيت لابن أحمر. انظر: أساس البلاغة، الزمخشري [١/ ٣٦٤].

جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم. ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ تقتلونهم، من (حسّه) إذا أبطل حِسّه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم وضعف رأيكم، أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف العقل. ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾؛ يعني: اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم: فما موقفنا ههنا، وقال آخرون: لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم في نفر دون العشرة، ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ من الظفر والغنيمة وانهزام العدو، وجواب (إذا) محذوف وهو (امتحنكم)، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ وهم التاركون المركز للغنيمة. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول ﷺ. ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال (فغلبوكم). ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ على المصائب ويمتحن ثباتكم على الإيمان عندها. ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ تفضلاً ولما علم من ندمكم على المخالفة. ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضل عليهم بالعفو، أو في الأحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة.

والمراد بـ«ينجحر» نفي الضب وانجحاره لا نفي انجحاره فقط؛ كان المراد من الآية نفي النزول والسلطان لا نفي السلطان فقط **[وجواب «إذا» محذوف وهو «امتحنكم»]** قدره في «الكشاف»[1] وغيره «بمنعكم نصره» وهو المناسب **[حالت الحال]**؛ أي: تغيرت **[أديل]**؛ أي: جعلت الدولة **[أو بمقدار]**؛ أي: كان كما ذكر في نسخة.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٤٧].

۞ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

﴿١٥٣﴾ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ متعلق بـ﴿صَرَفَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أو بـ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] أو بمقدر كـ(اذكروا). والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض يقال: أصعدنا من مكة إلى المدينة. ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ ولا يقف أحد لأحد ولا ينتظره. ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان يقول: «**إليَّ عباد الله إليَّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة**». ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ في ساقتكم أو جماعتكم الأُخْرَى ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ عطف على صرفكم، والمعنى: فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غمّاً متصلاً بغم، من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول ﷺ، أو فجازاكم غمّاً بسبب غم أذقتموه

[والإصعاد: الذهاب] إلى آخره. أشار به إلى أن «تصعدون» مضارعه «اصعد» لا «صعد» يقال: «اصعد أتى مكة» و«في الأرض» مضى، و«في الوادي» انحدر كـ«صعد تصعيداً» وصعِد في السلم بكسر العين صعوداً، أو صعد في الجبل وعليه تصعيداً، أولم يسمع فيه صعِد قاله صاحب «القاموس»[١] وغيره[٢] لكن قول «الكشاف»: صعد في الجبل[٣] يخالف قولهم: لم يسمع فيه صعد، وقوله: أقعد؛ لأن المثبت مقدم على النافي [غماً متصلاً بغم] أشار بِهِ إلى أن التكرير بالآية للاستيعاب نحو قوله: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤] [والإرجاف]؛ أي: الإخبار من قولهم: أرجفوا بالمدينة بكذا؛ أي: أخبروا بِهِ على أن يوقعوا بالناس الإضراب من غير أنْ يصح عندهم، وأصله الاضطراب، يقال: رجف البحر؛ أي: اضطرب [أو فجازاكم غمّاً بسبب غمٍّ] الباء في بـ«غَمّ» على هذا متعلقة بـ«أثابكم»، وعلى الأول

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [١/ ٣٧٤]. (٢) تهذيب اللغة، الأزهري [١/ ١٥٨].
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٥٤].

۞ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾.

رسول الله ﷺ بعصيانكم له. لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق. وقيل: (لا) مزيدة، والمعنى: لتأسفوا على مَا فَاتَكُمْ من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم. وقيل: الضمير في فأثابكم للرسول ﷺ؛ أي: فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم، كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثر بكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مَا فَاتَكُمْ من النصر ولا على ما أصابكم من الهزيمة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عليم بأعمالكم وبما قصدتم بها.

﴿١٥٤﴾ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ أنزل الله عليكم الأمن حتى أخذكم النعاس، وعن أبي طلحة: غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه، ثم يسقط فيأخذه. و(الأَمَنَة): الأمن، نصب على المفعول و(نعاساً) بدل منها أو هو المفعول، و(أَمَنَةً)

بمحذوف لأنه ظرف مستقر [**وآساكم في الاغتمام**] بالمد؛ أي: جعلكم أسوتهُ فيهِ، يقال: آسيتهُ بمالي مواساة؛ أي: جعلتهُ أسوتي فيه [**ولم يثربكم**]؛ أي: لم يعيركم [**وعن أبي طلحة**: «**غشينا النعاس...**»] إلى آخره. رواهُ البخاري(١).

[**ونعاساً بدل**]؛ أي: بدل كلٍّ مِنْ كُلّ بالنظر لما صدقها، وقيل: بدل اشتمال [**أو مفعول له**] زاد الزمخشري(٢) بمعنى: نعستم ليصح كونهُ مفعولاً لهُ لوجود شرطه،

---

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٦٦٢/برقم: ٤٢٨٦]. (٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٥٥].

حال منه متقدمة، أو مفعول له، أو حال من المخاطبين بمعنى: ذوي أمنة، أو على أنه جمع (آمن) كبار وبررة. وقرئ: (أَمْنَةً) بسكون الميم كأنها المرة من الأمن ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾؛ أي: (النعاس) وقرأ حمزة والكسائي بالتاء رداً على الأمنة والطائفة المؤمنون حقاً. ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ هم المنافقون. ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أوقعتهم أنفسهم في الهموم، أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وطلب خلاصها. ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ صفة أُخْرَى لطائفة، أو حال، أو استئناف على وجه البيان لما قبله، وغير الحق نصب على المصدر؛ أي: يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به، و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها.

وهو اتخاذ الفاعل فيها، وإنما قدر ذلك ولم يجعله مفعولاً لهُ لنعاساً لئلا يلزم تقديم معمول المصدر عليه، ورداً على من زعم أنه مفعوله له لِـ«أنزل» لعدم ايجاد[1] الفاعل فيهما، إذ فاعل «الإنزال» الله وفاعل «الأمنة» المنزل عليهم [﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]] إلى آخره. يقال: أهمهُ الأمر أقلقه وأحزنهُ، وأهمهُ الأمر كان مهماً لهُ معتني بشأنهِ[2]؛ فالأول من الأول، والثاني من الثاني، والحصر مستفاد من المقام.

[صفة أُخْرَى لطائفة]؛ أي: أن جعل ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ صفة لها أولى لا خبر، أو جعل خبرها محذوفاً؛ أي: «ومنهم طائفة»، وإلا فلا تكون صفة أُخْرَى بل صفة أولى[3] [و﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ نصب على المصدر] توكيداً لِـ«يظنون» [و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدلهُ]؛ أي: بدل من «غير الحق» **[وهو الظن المختص بالجاهلية]** في إضافة «ظن» إلى «الجاهلية» كما قال التفتازاني: وجهان: أحدهما: يكون من إضافة الموصوف؛ أي: مصدر الصفة، ومعناها: الاختصاص بالجاهلية؛ كما في «حاتم الجود» و«رجل صدق» على معنى: حاتم المختص بوصف الجود، ورجل مختص بوصف الصدق،

---

(١) كما في نسخة [ز - ج - ب]، وفي نسخة [الأصل]: (اتحاد).

(٢) المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي [٢/ ٣٨٩].

(٣) انظر: الكتاب، سيبويه [ص١٩].

﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: لرسول الله ﷺ وهو بدل من (يظنون). ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ﴾ هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب. وقيل: أخبر ابن أُبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك، والمعنى: إنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا، فلم يبق لنا من الأمر شيء أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الأمر شيء ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾؛ أي: الغلبة الحقيقية لله تعالى ولأوليائه ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض. وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء. ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ﴾ حال من الضمير يقولون؛ أي: يقولون مظهرين إنهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الإنكار والتكذيب. ﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: في أنفسهم وإذا خلا بعضهم إلى بعض، وهو بدل من (يخفون) أو استئناف على وجه البيان له. ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كما وعد محمد أو زعم إن الأمر كله لله ولأوليائه، أو لو

والثاني: أن يكون من إضافة المصدر إلى الفاعل على حذف المضاف؛ أي: «ظن أهل الجاهلية»؛ أي: الشرك والجهل بالله[1] [وهو بدل من ﴿يَظُنُّونَ﴾]؛ أي: أو حال من فاعله أو صفة أُخرَى [﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ﴾] شيء إما مبتدأ خبرهُ «لنا»، أو فاعل لِـ«لنا» لاعتماده على الاستفهام، و«من» عليهما مزيدة و﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ حال من المبتدأ أو الفاعل، وهو شيء لكونهُ مرفوعاً حقيقة لا مجروراً.

[وقيل: «أخبر ابن أبي...»] إلى آخره[2]. مقابل لقولهِ: هل لنا مما أمر الله إلى آخره. والاستفهام فيهِ للإنكار وإليه أشار بقولهِ: فلم يبقَ لنا من الأمر شيء، وفي الأول للاسترشاد لكن على النفاق، وقولهُ: فقال ذلك إنكاراً وتأسفاً [لله ولأوليائهِ] أشار بهِ إلى كون الأمر بمعنى: الغلبة للهِ كناية عن كونهِ لخواصهِ أيضاً لكونهم من الله بمكان، وكونهم منصورين غالبين على الأعداء [أو القضاء] له عطف على الغلبة [وهو]؛ أي: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [اعتراض]؛ أي: فلا محل لهُ من الإعراب.

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٣].

(٢) جامع البيان، الطبري [٧/ ٣٢٢].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾﴾.

كان لنا اختيار وتدبير ولم يبرح كما كان رأى ابن أُبيّ وغيره. ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ﴾ ما غلبنا، أو لما قتل من قتل منا في هذه المعركة. ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ﴾؛ أي: لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم ولم ينفعهم الإقامة بالمدينة ولم ينج منه أحد، فإنه قدر الأمر ودبره في سابق قضائه لا معقب لحكمه. ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ وليمتحن الله ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق، وهو علة فعل محذوف؛ أي: وفعل ذلك ليبتلي أو عطف على محذوف؛ أي: لبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جمة وللابتلاء، أو على قوله: (لكيلا تحزنوا). ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ﴾ وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بخفياتها قبل إظهارها، وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء، وإنما فعل ذلك لتمييز المؤمنين وإظهار حال المنافقين.

﴿١٥٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾؛ يعني: إن الذين انهزموا يوم أُحد إنما كان السبب في انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه واقترفوا ذنوباً بترك المركز، والحرص على الغنيمة أو الحياة ومخالفة النبي ﷺ فمنعوا التأييد وقوة القلب. وقيل: استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها بعضاً كالطاعة. وقيل: استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة. ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾ لتوبتهم واعتذارهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٞ﴾ لا يعاجل بعقوبة الذنب كي يتوب.

[أو لمصالح] عطف على لنفاذ القضاء.

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

﴿١٥٦﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ يعني: المنافقين. ﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ لأجلهم وفيهم، ومعنى إخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها، وكان حقه (إذ) لقوله (قالوا)؛ لكنه جاء على حكاية الحال الماضية ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع (غاز) كـ(عاف وعفّى). ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ مفعول (قالوا) وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به. ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ(قالُوا) على أن (اللام) لام العاقبة مثلها في: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، أو لا تكونوا؛ أي: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة، فذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد. ....

[لكنهُ جاء على حكاية الحالة الماضية] معناه كما قال التفتازاني: أن تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان الماضي أو يقدر ذلك الزمان كأنُه موجود الآن، وهذا قولك: «قالوا ذلك حين يضربون»، والمعنى: «حين ضربوا» إلا أنك جئت بلفظ المضارع استحضاراً لِصورة ضربتم في الأرض(١). [متعلق بـ«قالوا»] فيدخل في صلة المشبه بهِ، ويكون اللام للتشبيه بالغرض لا بحقيقة العلّية(٢) والغرضِ حيث ترتب ذلك على قولهم: [أولا تكونوا]؛ أي: أو متعلق بـ«لا تكونوا» فلا يدخل في الصلة، وتكون اللام لحقيقة العلّية والغَرض وعلى هذا القول [فذلك] في قوله: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

[إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد] كما في القول الأول فيكون إسناد

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٣].
(٢) في نسخة [ز ـ ج]: (الغلبة).

۞ ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

وقيل: إلى ما دل عليه النهي؛ أي: لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم. ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ردّاً لقولهم؛ أي: هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على أنه وعيد للذين كفروا.

﴿١٥٧﴾ - ﴿١٥٨﴾ ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾؛ أي: متم في سبيله، وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات. ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى: إن السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل وإن وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا. وقرأ حفص بالياء. ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾؛ أي: على أي وجه اتفق هلاككم. ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ لإلى معبودكم الذي

جعله حسرةً إلى الله تعالى بمعنى: أنه ترتب عليه الحسرة في قلوبهم **[وقيل]**: إشارة **[إلى ما دل عليه النهي؛ أي: لا تكونوا مثلهم]** إلى آخره. **[رد لقولهم]**؛ أي: لقولهم: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾، الموافق لقولهم: «الشجاع مُلَقّى والجبان موقّى»[١] **[جواب القسم]** أشار إلى أن «لام» ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٧] هي الموطئة للقسم وكذا «لام» ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ [آل عمران: ١٥٨] **[وهو ساد مسد الجزاء]**؛ أي: مسد جواب الشرط كما عبر بهِ «الكشاف»[٢] [﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾] كل من

(١) وقال الهمداني: ما ذاق همًّا كالشجاع ولا خَلا بمسرّة كالعاجز المتواني. انظر: نهاية الأرب، النويري [١/ ٣٧٠].

(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٥٨].

(١٥٩) ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾.

توجهتم إليه. وبذلتم مهجكم لوجهه لا إلى غيره لا محالة تحشرون، فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم.

(١٥٩) ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾؛ أي: فبرحمة، و(ما) مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه، وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيّئ الخلق جافياً. ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه. ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾؛ أي: في أمر الحرب إذ الكلام فيه، أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم وتطييباً لنفوسهم وتمهيداً لسُنَّة المشاورة للأمة. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ ....

«اللام» و«إلى» حرف والحرف وإن دخل على الحرف صورة فهو على التحقيق دخل على الجملة.

[و«ما» **مزيدة للتأكيد**] زاد في نسخة: «والتنبيه» [**والدلالة على أنَّ لِيْنَهُ لهم**] إلى آخره. الحصر فيه مستفاد من تقديم الجار والمجرور على العامل [**وهو**]؛ أي: معنى الرحمة كما عبر به «الكشاف»[١] [**ربطهُ**]؛ أي: الله [**على جأشهُ**] بالهمز؛ أي: جأش النبي؛ أي: روعه؛ قال الجوهري: يقال: «فلان رابط الجأش»: أي: شديد القلب كأنه يربط نفسهُ عن الفرَار لشجاعتهِ، وجأش القلب روعهُ إذا اضطرب عند الفزَع[٢].

[**وتوفيقه**] عطفاً على ربطهُ وأشار بها إلى أن قوله الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] إلى آخره. أفاد مع الحصر فائدتين ما يدل على شجاعتهِ وما

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/٤٥٨]. (٢) الصحاح، الجوهري [٥/١٤٢].

۞ ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾.

فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى. ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنه لا يعلمه سواه. وقرئ (فَإِذَا عَزَمْتُ) على التكلم؛ أي: فإذا عزمت لك على شيء وعينته لك ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ولا تشاور فيه أحداً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح.

﴿١٦٠﴾ ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ كما نصركم يوم بدر. ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ كما خذلكم يوم أُحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ من بعد خذلانه، أو من بعد الله بمعنى: إذا جاوزتموه فلا ناصر لكم، وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر لهم سواه وآمنوا به.

﴿١٦١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ وما صح لنبي أن يخون في الغنائم فإن النبوة تنافي الخيانة، يقال: غل شيئاً من المغنم يغل غلولاً، وأغل إغلالاً إذا أخذه في خفية، والمراد منه: إما براءة الرسول ﷺ عما اتهم به ......

يدل على رفقهِ حيث لم يخاطب المنهزمين يوم أُحد بعد عودهم بالتغليظ بل باللِّين. [**فإذا أوطنت نفسك على شيء بعد الشورى** ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾] إلى آخره. أشار بهِ إلى أن التوكل ليس هو إهمال التدبير بالكلية بل بمراعاة الأسباب مع تفويض الأمر إلى الله تعالى [**وقرئ** ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ﴾] بضم التاء[1] المشار إليه بقولهِ: [**على التكلم**] فالجار متعلق بـ«قرئ».

---

(١) أي: «إذا عزمتُ لك على شيء». انظر: الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٥٩].

إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها، أو ظن به الرماة يوم أُحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم الغنائم. وإما المبالغة في النهي للرسول ﷺ على ما روي أنه بعث طلائع، فغنم رسول الله ﷺ فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع، فنزلت. فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولاً تغليظاً، ومبالغة ثانية. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ﴿أَن يَغُلَّ﴾ على البناء للمفعول، والمعنى: وما صح له أَن يوجد غالاً أو أن ينسب إلى الغلول. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث، أو

[**إذ روي**: «**أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر**...»] إلى آخره. رواهُ جماعة منهم: الترمذي وحسنهُ(١) [**أو ظن به الرماة**] عطف على «اتهم به»، وهكذا ذكرهُ الثعلبي(٢) والواقدي عن الكلبي ومقاتل [**وأما المبالغة بالنهي للرسول**]؛ يعني: أجرى الخبريَّ مجرى الطلبيّ مبالغة [**روي**: «**أنه بعث طلائع**»](٣) هي جمع «طليعة»: وهي طائفة تبعث لتطلع طلع العدو؛ أي: حقيقة أمرهم كالجاسوس [**فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين «غلولاً» تغليظاً ومبالغةَ ثانية**] أُخرَى، وبعضهم أصلح «ثانية» بـ«تامة» وتعبيرهُ بقوله: «تغليظاً ومبالغةَ» تبع فيه «الكشاف»(٤) وقد استقبحت منه هذه العبارة فإن العادة قد جرت باللطف مع النبي ﷺ نحو: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] حيث بدأه بالعفو؛ فالأُولى أن تعظيم لجناية ﷺ حيث عُدَّ مثلُ ذلك مع قلّتهِ غلولاً منهُ. قال التفتازاني: فِعلهُ ذلك إن صَحَّ فهو صادر عن اجتهاد لا ينقض، والأولى أن يكون على حد ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ [الزمر: ٦٥] خوطب وأريد غيرهُ ممن يفعل مثل هذا بعد النهي عنهُ(٥). يأتِ بالذي غَلَّهُ يحملهُ [«**يأت بالذي غَلَّه على عنقهِ**..» **كما جاء في الحديث**] رواهُ الشيخان بلفظ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لا يغل أحدكم شيئاً إلا جاء بهِ يوم القيامة يحمله على عنقه**»(٦).

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٢٣٠/ برقم: ٣٠٠٩]. (٢) الجواهر الحسان، الثعالبي [١/ ٣٢٨].
(٣) مصنف ابن أبي شيبة [٦/ ٤٩٤/ برقم: ٣٣٢٣١].
(٤) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٦١]. (٥) حاشية التفتازاني [ص١٠٤].
(٦) صحيح البخاري [٣/ ١١١٨/ برقم: ٢٩٠٨]، صحيح البخاري [٣/ ١٤٦١/ برقم: ١٨٣١].

۞ ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾.

بما احتمل من وباله وإثمه. ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾؛ يعني: تعطي جزاء ما كسبت وافياً، وكان اللائق بما قبله أن يقال: ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه؛ فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم.

﴿١٦٢﴾ - ﴿١٦٣﴾ ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بالطاعة ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بسبب المعاصي ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ الفرق بينه وبين المرجع: أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى، ولا كذلك المرجع. ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب، أو هم ذوو درجات. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتهم صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها.

﴿١٦٤﴾ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنعم على من آمن مع الرسول ﷺ من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها. وقرئ (لمن منَّ الله) على أنه خبر مبتدأ محذوف مثل منه أو بعثه. ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

[شبهوا بالدرجات] إلى آخره. جعلهم نفس الدرجات مبالغةَ في التفاوت بينهم فهو تشبيه بليغ بحذف الأداة [أو هم ذوا درجات] عطف على «شبهوا» فهو من مجاز الحذف [ودرجاتها صادرة عنهم] بِجَرِّ «درجاتها» عطفاً على «أعمالهم» ونصب صادرة على الحال ويرفعهما على الابتداء والخبر [وقرئ «لَمِنْ مَنّ الله»] بـ«من» الجارة و«مَنّ» بالتشديد بالجرِّ بها[١] وبيَّن إعرابهِ بقولهِ: [على أنه خبرَ محذوف] إلى آخره.

---

(١) الدرّ المصون، السمين الحلبي [٥/ ١٤٥].

۞ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾.

رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ من نسبهم، أو من جنسهم عربيّاً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به. وقرئ (من أَنفُسِهِمْ)؛ أي: من أشرفهم لأنه ﷺ كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم. ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: القرآن بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي. ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والأعمال. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾؛ أي: القرآن والسُّنَّة. ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ أن هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة، والمعنى: وإن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول ﷺ في ضلال ظاهر.

١٦٥ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ الهمزة للتقرير والتقريع، و(الواو) عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أُحد أو على محذوف مثل: أفعلتم كذا وقلتم، ولما ظرفه المضاف إلى أصابتكم؛ أي: أقلتم حين أصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أُحد، والحال إنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر. ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾؛ أي: مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فإن الوعد كان مشروطاً بالثبات والمطاوعة،

[الهمزةَ للتقرير والتقريع]؛ أي: همزة «أَوَلَمَّا» للتقرير بمعنى: التثبيت أو للحمل على الإقرار والتقريع قالهُ التفتازاني[1] [والواو عاطفة للجملة]؛ أي: للجملة الشرطية [على ما سبق في قصة أُحد]؛ أي: وهو قوله: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ [آل عمران: ١٥٢] إلى قوله: ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقولهُ تعالى: ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] صفة لمصيبة و﴿أَنَّىٰ﴾ جواب «لَمَّا» و﴿أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٥].

۞ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾.

أو اختيار الخروج من المدينة. وعن علي رضي الله تعالى عنه: (باختياركم الفداء يوم بدر). ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم.

﴿١٦٦﴾ - ﴿١٦٧﴾ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أُحد. ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فهو كائن بقضائه أو تخليته الكفار سماها إذناً لأنها من لوازمه. ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء. ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ عطف على (نافقوا) داخل في الصلة أو كلام مبتدأ. ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ

مقول «قلتم» **[واختيار الخروج]** عطف على «مخالفة الأمر» **[وعن علي...]** إلى آخره. رواه الترمذي وحسنه[١] **[﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾** [آل عمران: ١٦٦]**]** دخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط نحو: «الذي يأتني فله درهم» واستشكل هذا بما قرره الجمهور من أنه لا يجوز دخول الفاء في الخبر إلا أن تكون الصلة مستقبلة في المعنى لأن الياء إنما دخلت للشبه بالشرط، والشرط إنما يكون في الاستقبال لا في الماضي لو قلت: «الذي أتاني أمس فلهُ درهم» لم يصح. و﴿أَصَٰبَكُمۡ﴾ هنا ماضٍ في المعنى وأجيب بأنهُ مؤول بالتبين؛ أي: وما تبين إصابتهُ إياكم كما أوّلوا به ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾ [يوسف: ٢٦]؛ أي: إن تبين وهذا شرط صريح فليكن ما هنا كذلك، وتكون الفاء داخلة وجوباً لوقوعها في جواب الشرط[٢].

[وتخليتهُ الكفار]؛ أي: لغلبتهم المسلمين. **[سماها إذناً لأنها من لوازمهُ]**؛

---

(١) سنن الترمذي [٤/ ١٣٥/ برقم: ١٥٦٧] ولكن بلفظ مختلف تماماً

(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٦/ ٣٨].

ٱدۡفَعُوا۟ۖ﴾ تقسيم للأمر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال. وقيل معناه: قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين، فإن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر همته. ﴿قَالُوا۟ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالࣰا لَّٱتَّبَعۡنَـٰكُمۡۗ﴾ لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، أو لو نحسن قتالاً لاتبعناكم فيه، وإنما قالوه دغلاً واستهزاء. ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ یَوۡمَىِٕذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِیمَـٰنِۚ﴾ لانخزالهم وكلامهم هذا فإنهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم. وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، إذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلاً للمؤمنين. ﴿یَقُولُونَ بِأَفۡوَ ٰهِهِم مَّا لَیۡسَ فِی قُلُوبِهِمۡۚ﴾ يظهرون خلاف ما يضمرون، لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالإيمان. وإضافة القول إلى الأفواه تأكيد وتصوير. ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا یَكۡتُمُونَ﴾ من النفاق. وما يخلوا به بعضهم إلى بعض فإنه يعلمه مفصلاً بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملاً بأمارات.

أي: لوازم الإذن المراد بِهِ هنا الإرادة [﴿وَلِیَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِینَ﴾] عطف على معنى ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ عطف سبب على سبب [**أو لو نحسن قتالاً**] عطف على «لو نعلم» ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ ما يصح أن يسمى قتالاً والفرق بينهما أن المنفي في الأول القتال، وفي الثاني معرفته والقدرة عليه [**دغلاً**] بالتحريك؛ أي: فساداً [﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ یَوۡمَىِٕذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِیمَـٰنِۚ﴾ [آل عمران: ١٦٧]] الظروف المذكورة متعلقة بأقرب لما فيها من الاتساع لكن تعلق للكفر باعتبار الزيادة، وتعلق للإيمان باعتبار المفضولية كأنهُ قيل قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الإيمان[١].

[**لانخزالهم**]؛ أي: لانقطاعهم وارتدادهم وإضافة [**القول إلى الأفواه تأكيد وتصغير**]؛ أي: تحقير ووجه كونها تصغيراً ما فيها من الإشارة إلى أن القول ناشئ

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٤/ ١١٩].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾.

﴿١٦٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟﴾ رفع بدلاً من (واو) ﴿يَكْتُمُونَ﴾، أو نصب على الذم أو الوصف للذين نافقوا، أو جر بدلاً من الضمير في ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾ أو ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ كقوله:

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي القَوْمِ حَاتِما عَلَى جُودِهِ لَضَنَّ بِالمَاءِ حَاتِمُ

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾؛ أي: لأجلهم، يريد من قتل يوم أُحد من أقاربهم أو من جنسهم. ﴿وَقَعَدُوا۟﴾ حال مقدر بـ(قد)؛ أي: قالوا قاعدين عن القتل: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود. ﴿مَا قُتِلُوا۟﴾ كما لم نقتل. قرأ هشام (مَا قُتِّلُوا) بتشديد التاء. ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: إن كنتم صادقين إنكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه، فإنه أحرى بكم، والمعنى: أن القعود غير مغن عن الموت، فإن أسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة قد يكون الأمر بالعكس.

من غير أصل [**أو الوصف للذين نافقوا**]؛ أي: أو بدل منهُ [**كقوله**:

.... **على جودهِ لضن بالماء حاتم**]

بحرهُ كبقية القوافي وهو بدل من ضمير جودهِ وصدر البيت:

على حالةٍ لو أن في القوم حاتماً ....

و«على جودهِ» حال من ضمير مستقر «وضَنّ» مبني للمفعول، وهو «بالماء»؛ أي: لو أن حاتماً مستقرّاً في القوم كائناً على جودهِ، وهم بتلك الحالة لبخل بالماء [﴿مَا قُتِلُوا۟﴾ كما لم نقتل] في نسخة عقب هذا وقرأ هشام «قتّلوا» بتشديد التاء

۞ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

﴿١٦٩﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ نزلت في شهداء أُحد. وقيل: في شهداء بدر والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد. وقرئ بالياء على إسناده إلى ضمير الرسول، أو من يحسب، أو إلى الذين قتلوا. والمفعول الأول محذوف؛ لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة. وقرأ ابن عامر ﴿قُتِّلُوا۟﴾ بالتشديد لكثرة المقتولين. ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾؛ أي: بل هم أحياء. وقرئ بالنصب على معنى: بل أحسبهم أحياء ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ....

[«نزلت في شهداء أُحد...»] رواهُ الحاكم[١] [وقيل: في شهداء بدر] وهو غلط إنما نزلت فيهم آية البقرة[٢] [على إسناده] متعلق بـ«قرأ هشام» بالياء[٣] [أو مَنْ يحسب] عطف على «الرسول» والتقدير على إسناده إلى ضمير «الرسول» أو إلى ضمير «من يحسب» والمعنى: ولا «يحسبنَّ حاسب» [أو إلى ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾] عطف على إلى ضمير «الرسول» فـ«الذين قتلوا» فاعل يحسبنَّ [والمفعول الأول] له [محذوف] تقديرهُ «أنفسهم»؛ أي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٩] «أنفسهم أمواتاً». قال التفتازاني: فإن قيل: كيف جاز نهي المقتولين؟ قلنا: لأنهم أحياء ونفوسهم باقية مُدْرِكة[٤]. [بل احسبهم أحياء] لا يقال المطلوب «يقين» فلا يؤمر فيه بـ«الحسبان» لأنا نقول: لا مانع منهُ لأنه ظنٌّ لا شَكٌّ! والتكليف بالظنِّ واقعٌ كقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢] فإنَّ فيه أمرٌ بالقياس وتحصيل الظنِّ أو لأنَّ حَسِبَ قد تأتي لليقين كقوله:

حَسِبْتُ التُّقَى والجـودَ خيرَ تجـارةٍ ....

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/ ٩٧/ برقم: ٢٤٤٤].

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

(٣) لأنه قرأ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِّلُوا۟﴾ بتشديد التاء. انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني [ص٧٠].

(٤) حاشية التفتازاني [ص١٠٥].

۞ ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

ذوو زلفى منه. ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنة، وهو تأكيد لكونهم أحياء.

﴿١٧٠﴾ ـ ﴿١٧١﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة. ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يسرون بالبشارة. ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾؛ أي: بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم. ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾؛ أي: الذين من خلفهم زماناً أو رتبة. ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدل من الذين والمعنى: إنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم من المؤمنين، وهو أنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور، وحزن فوات

[ذو زلفى منه] أشار بهِ إلى أنَّ «عندَ» هنا ليس للقرب المكاني لاستحالتهِ، ولا بمعنى «في علمه وحكمه» كقولهم: «هو كذا عند سيبويه» لعدم مناسبة المقام بل بمعنى: «القرب شرفاً ورتبة»[1]. [و﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]] عطف للفعل على الاسم وهو ﴿فَرِحِينَ﴾ أو للجملة الفعلية على الجملة الاسمية؛ أي: وهي «هم أحياء».

[﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾] حال من فاعل ﴿يَلْحَقُوا۟﴾ [بدل من الذين]؛ أي: بدل اشتمال لأن ضمير عليهم عائد إلى الذين ﴿لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾ وضم إليه السلامة من الخوف والحزن والمعنى ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ بعدم الخوف والحزن على الذين من خلفهم من المؤمنين، والخوف غم يلحق الإنسان مما يتوقعهُ من السوء، والحزن غم يلحقهُ من فوات نافع أو حصول ضار، فمن كانت أعماله مشكورة فلا يخاف العاقبة، ومن كان متقلباً في نعمة من الله وفضل فلا يحزن أبداً.

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٦/ ٤٥].

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾.

محبوب. والآية تدل على أن الإنسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن، ولا يتوقف عليه إدراكه وتألمه والتذاذه، ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ الآية [غافر: ٤٦] وما روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش**». ومن أنكر ذلك ولم ير الروح إلا ريحاً وعرضاً قال: هم أحياء يوم القيامة، وإنما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه، أو أحياء بالذكر، أو بالإيمان. وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة، وبعث على ازدياد الطاعة، وإحماد لمن يتمنى لإخوانه مثل ما أنعم عليه، وبشرى للمؤمنين بالفلاح. ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ كرره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله: ﴿أَلَّا خَوۡفٌ﴾ ويجوز أن يكون الأول بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم. ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ثواباً لأعمالهم. ﴿وَفَضۡلٖ﴾ زيادة عليه كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦] وتنكيرهما للتعظيم. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من جملة المستبشر به عطف على (فضل). وقرأ الكسائي بالكسر على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة وأجوره مضيعة.

١٧٢ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ صفة للمؤمنين،

[وما روى ابن عباس] إلى آخره. رواهُ أبو داود[1] والحاكم وصححهُ على شرط مسلم[2] وأصلهُ فيه [و إحماد]؛ أي: وفي الآية أنهم حُمِدوا ومُدِحوا بأنهم يستبشرون بحصول النعمة والفضل وعدم الخوف والحزن لمن خلفهم [لحال إخوانهم]؛ أي: لأجلها [عطف على فضل] الأولى على نعمة.

---

(١) سنن أبي داود [٢/١٨/ برقم: ٢٥٢٠].
(٢) مستدرك الحاكم [٢/٩٧/ برقم: ٢٤٤٤].

١٧٣ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

أو نصب على المدح، أو مبتدأ خبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بجملته ومن للبيان، والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد؛ لأن المستجيبين كلهم محسنون متقون. روي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال: «**لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس**»، فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد ـ وهي على ثمانية أميال من المدينة ـ وكان بأصحابه القرح، فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت.

١٧٣ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾؛ يعني: الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي، وأطلق عليه الناس لأنه من جنسهم كما يقال: فلان يركب الخيل ـ وما له إلا فرس واحد ـ، ولأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه. ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾؛ يعني: أبا سفيان وأصحابه روي: أنه نادى عند انصرافه من أُحد: يا محمد موعدنا

[**والمقصود من ذكر الوصفين**]؛ أي: الإحسان والتقوى [**روي: «أن أبا سفيان»**] إلى آخره. رواهُ البيهقي في الدلائل[١] [**فبلغوا الرَّوحاء**] هي موضع بين مكة والمدينة قريب منها [**من حضر يومنا**]؛ أي: وقعتنا [**حتى بلغوا حمراء الأسد**] قال التفتازاني: ليست هي «بدر الصغرى» على ما قيل لأن ذلك كان عقيب وقعة أُحد وبدر الصغرى بعد سنة[٢].

[**روي أنه نادى**] إلى آخره. ذكره الثعلبي عن مجاهد وعكرمة «ومرّ الظهران»

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي [٣/ ٢٦٣].
(٢) حاشية التفتازاني [ص١٠٦].

موسم بدر القابل إن شئت! فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن شاء الله تعالى**»، فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل بمر الظهران؛ فأنزل الله الرعب في قلبه وبدا له أن يرجع، فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب أن ثبطوا المسلمين. وقيل: لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له عشراً من الإبل، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد! أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا، فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد**» فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون: حسبنا الله. ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ الضمير المستكن للمقول، أو لمصدر (قال)، أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده، والبارز للمقول لهم، والمعنى: إنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا؛ بل ثبت به يقينهم بالله وازداد إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده، وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا: يا رسول الله! الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «**نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار**». وهذا ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان، وكذا إن لم تجعل؛ فإن اليقين يزداد بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج. ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ محسبنا وكافينا، من (أحسبه) إذا كفاه، ويدل على أنه بمعنى المحسب إنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك: هذا رجل حسبك. ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ونعم الموكول إليه هو.

يعرف الآن بـ«بطن مرو» [**أو لفاعله**]؛ أي: فاعل قال [**إن أريد نُعَيْم**[1] **وحدهُ**]؛ أي: أو الركب [**«قلنا: يا رسول الله...»**] إلى آخره. رواهُ الثعلبي[2].

---

(١) أي: نُعَيْم بن مسعود الأشجعي. انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٢/ ١١٦].

(٢) انظر: الفتح السماوي، المناوي [١/ ٤٢٣/ برقم: ٣٠٦].

۞ ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿١٧٤﴾ ﴿فَانقَلَبُوا﴾ فرجعوا من بدر. ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ عافية وثبات على الإيمان وزيادة فيه. ﴿وَفَضْلٍ﴾ ربح في التجارة فإنهم لما أتوا بدراً وأوفوا بها سوقاً فاتجروا وربحوا. ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من جراحة وكيد عدو. ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان، والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد، والتصلب في الدين وإظهار الجراءة على العدو، وبالحفظ عن كل ما يسوءهم، وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل. وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به.

﴿١٧٥﴾ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يريد به المثبط نعيماً أو أبا سفيان، و(الشيطان) خبر ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ وما بعده بيان لشيطنته أو صفته وما بعده خبره، ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف؛ أي: إنما ذلكم قول الشيطان؛ يعني: إبليس. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ القاعدين عن الخروج مع الرسول، أو يخوفكم أولياؤه الذين هم أبو سفيان وأصحابه. ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ الضمير للناس الثاني على الأول وإلى الأولياء على الثاني. ﴿وَخَافُونِ﴾ في مخالفة أمري فجاهدوا مع رسولي. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس.

[يريد بهِ]؛ أي: بالشيطان [المثبط] فالإشارة بذلك إلى المثبط نعيماً[(١)] [أو أبا سفيان]؛ أي: أو الركب [أو صفتهِ] عطف على «خبر ذلكم» [ويجوز أن تكون الإشارة إلى قولهِ]؛ أي: قول المثبط [الضمير]؛ أي: الثاني [للناس الثاني على الأول]؛ أي: القول الأول من القولين المذكورين في أوليائهِ.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب] زيادة: (نعيماً) ساقطة من [الأصل].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)﴾.

---

(١٧٦) - (١٧٧) ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً حرصاً عليه، وهم المنافقون من المتخلفين، أو قوم ارتدوا عن الإسلام. والمعنى: لا يحزنك خوف أن يضروك ويعينوا عليك لقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لن يضروا أولياء الله شيئاً بمسارعتهم في الكفر، وإنما يضرون بها أنفسهم. وشيئاً يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع (يُحْزِنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله في الأنبياء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فإنه فتح الياء وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ نصيباً من الثواب في الآخرة، وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر، وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته، وإن مسارعتهم في الكفر لأنه تعالى لم يرد أن يكون لهم حظ في الآخرة. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مع الحرمان عن الثواب. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تكرير للتأكيد، أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين، أو ارتد من الأعراب.

[يقعون فيهِ] أشار إلى أن المسارعة ضمنت معنى الوقوع فعُديت بـ«في» [وشيئاً يحتمل المفعول والمصدر]؛ أي: لأن المعنى: بعض الضرر أو شيئاً منه [حتى أراد أرحم الراحمين] إلى آخره؛ أي: أراد لهم ذلك بسبب ما اكتسبوا مما كفروا بهِ، وليس فيما قالهُ أنهم أوجدوا ذلك حتى يقال: إن ذلك إنما يأتي على مذهب المعتزلة.

[تكرير للتأكيد]؛ أي: لأن هذهِ الآيةَ مساوية لما قبلها لفظاً في: ﴿لَن يَضُرُّوا۟

۞ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾.

---

١٧٨ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ﴾ خطاب للرسول عليه السلام، أو لكل من يحسب. و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ بدل منه، وإنما اقتصر على مفعول واحد لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان: ٤٤]. أَوْ المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل: ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أنَّ الإملاء خير لأنفسهم، أو: ولا تحسبن حال الذين كفروا أنَّ الإملاء خير لأنفسهم، و(ما) مصدرية، وكان حقها أن تفصل في الخط، ولكنها وقعت متصلة في الإمام فاتبع. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أنَّ (الذين) فاعل، و(أن) مع ما في حيزه مفعول، وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم. والإملاء الإمهال وإطالة العمر. وقيل: تخليتهم وشأنهم، من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء. ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ استئناف بما هو العلة للحكم قبلها، و(ما) كافة و(اللام) ....

ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٧٦] ومعنى في الباقي إذ معنى ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِۚ﴾ مساوٍ لمعنى ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٧٧] **[لأن التعويل على البدل]**؛ أي: لأنه المقصود والمبدل منهُ في حكم الطرح[1] **[وهو البدل]** لا من حيث أنه بدل؛ بل من حيث أنه مركب من «أن» المصدرية ومدخولها بقرينة تمثيلية لهُ بما ذكرهُ **[أو المفعول الثاني]** عطف على بدل منهُ **[على تقدير مضاف]** في المحمول أو المحمول عليه ليصح الحمل كما يعلم من كلامهِ.

[الطِولَ] بكسر الطاء وفتح الواو حبلَ يُطَوَّل للدابَّة ترعى فيه **[واللام]**؛ أي:

---

(١) انظر: شرح الكافية، الاستراباذي [١/ ٣٧٨].

﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾.

لام الإرادة. وعند المعتزلة (لام) العاقبة. وقرئ (أنَّما) بالفتح هنا وبكسر الأولى ولا يحسبن بالياء على معنى: وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم بل للتوبة والدخول في الإيمان، و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ اعتراض معناه: أن إملاءنا لهم خير إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ على هذا؛ يجوز أن يكون حالاً من (الواو)؛ أي: ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين.

﴿١٧٩﴾ ﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره، والمعنى: لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم؛ حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيِّه بأحوالكم، أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم؛ كبذل الأموال والأنفس في سبيل الله، ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم. وقرأ حمزة والكسائي (حَتَّى يُمَيِّزَ)، هنا، وفي (الأنفال) بضم الياء وفتح الميم وكسر

لام ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟﴾ [آل عمران: ١٧٨] **[لام الإرادة]**؛ أي: إرادة زيادة الإثم وهي جائزة عند الأشاعرة ولا يخلوا عن حكمة[1]. **[وعند المعتزلة]** القائلين بأن تعالى لا يريد القبيح[2] **[لام العاقبة]** كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] **[و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ اعتراض]**؛ أي: بين العامل ومعموله **[﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٩]]** اللام فيه لتأكيد النفي.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود [٢/١١٨].
(٢) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي [١/١٣٨].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾.

الياء وتشديدها، والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان، ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات، أو ينصب له ما يدل عليها ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بصفة الإخلاص، أو بأن تعلموا الله وحده مطلعاً على الغيب وتعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يقولون إلا ما أوحي إليهم. روي: أن الكفرة قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر، فنزلت. عن السدي أنه عليه السلام قال: «**عرضت عليَّ أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر**». فقال المنافقون: إنه يزعم أنه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا، فنزلت. ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ حق الإيمان ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لا يقادر قدره.

﴿١٨٠﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ القراءات فيه على ما سبق. ومن قرأ بالتاء قدر مضافاً ليتطابق مفعولاه؛ أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضمير الرسول ﷺ، أو من يحسب وإن جعله الموصول كان المفعول الأول محذوفاً لدلالة يبخلون عليه؛ أي: ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم. ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: البخل. ﴿شَرٌّ لَّهُمْ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم. ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بيان لذلك، والمعنى: سيلزمون وبال ما

[ولكنه يجتبي]؛ أي: يختار [والمعنى سيلزمون] إلى آخره. إشارة إلى أن قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٨٠] تمثيل ولا طوق حقيقةً، وقيل: هو على حقيقته وأنهم يطوقون حيّات أو أطواقاً من نار.

۞ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾.

بخلوا به إلزام الطوق، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعله الله له شجاعاً في عنقه يوم القيامة**». ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وله ما فيهما مما يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله، أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المنع والإعطاء. ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيهم. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد.

﴿١٨١﴾ - ﴿١٨٢﴾ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ قاله اليهود لما سمعوا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وروي أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فنحاص بن عازوراء: إن الله فقير حتى سأل القرض، فلطمه أبو بكر رضي الله عنه على وجهه وقال: لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك، فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله، فنزلت. ....

[إلزام الطوق]؛ أي: للعنق.

[«ما من رجل لا يؤدي زكاة مالهِ...»] إلى آخره. رواهُ الشيخان[1] [«روي: أنه عليه السلام كتب...»] إلى آخره. رواهُ ابن أبي حاتم[2] وقوله: «كتب مع أبي بكر»؛

---

(١) صحيح البخاري [٢/٥٠٨/ برقم: ١٣٢٨]، صحيح مسلم [٢/ ٦٨٤/ برقم: ٩٨٨].
(٢) تفسير ابن أبي حاتم [٣/ ٨٢٩/ برقم: ٤٥٨٩].

والمعنى: أنه لم يخف عليه وأنه أعد لهم العقاب عليه. ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: سنكتبه في صحائف الكتبة، أو سنحفظه في علمنا لا نهمله لأنه كلمة عظيمة إذ هو كفر بالله أو استهزاء بالقرآن والرسول، ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء، وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول. وقرأ حمزة (سَيُكْتَبُ) بالياء وضمها وفتح التاء (وقَتْلُهم) بالرفع (ويقول) بالياء. ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾؛ أي: وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق، وفيه مبالغات في الوعيد. والذّوْق: إدراك الطعوم، وعلى الاتساع يستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات، وذكره ههنا لأن العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال، وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله به للخوف من فقدانه؛ ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من قتل الأنبياء، وقولهم هذا، وسائر معاصيهم. عبر بالأيدي عن الأنفس لأن أكثر أعمالها بهن. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ عطف على (ما قدمت) وسببيته للعذاب من حيث أن نفي الظلم يستلزم العدل المقتضى إثابة المحسن ومعاقبة المسيئ.

أي: كتب كتاباً مصحوباً بأبي بكر مبعوثاً على يدهِ [والمعنى]؛ أي: معنى سماع الله تعالى. [أنه لم يخف عليه وأنهُ أَعَد لَهم العقاب عليهِ] العطف فيه للتفسير وفي ذلك إشارة إلى أن قوله: ﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾ إلى آخره. كناية تلويحية عن الوعيد لأن السماع لازم للعلم بالمسموع وهو لازم للوعيد [أو سيحفظه في علمنا] قال التفتازاني: يعني: أن الكتبة ههنا حقيقة والتجوز في الإسناد أو استعارة والإسناد على حقيقته[١].

[﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]] استشكل التعبير بظلّام لأنه

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٧].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾.

---

(١٨٣) ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ هم: كعب بن الأشرف، ومالك، وحُيَيّ، وفنحاص، ووهب بن يهوذا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا. ﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله؛ أي: تحيله إلى طبعها بالإحراق. وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك. ﴿قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ تكذيب وإلزام بأن رسلاً جاءوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم، فلو كان الموجب للتصديق هو

للمبالغة المقتضية للتكثير هو أخص من ظالم، ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم، وأجيب بأنهُ هنا لما قوبل بالعبيد وهم كثيرون ناسب أن يقال الكثير بالكثير، وبأنهُ إذا نفى الظلم الكثير انتفى القليل لأن الذي يظلم، إنما يظلم لانتفاعهِ بالظلم فإذا ترك كثيرهُ مع زيادة نفعهِ في حق من يجوز عليهِ النفع والضرّ كان لقليله مع قلة نفعهِ أتْرَك، فإن ظلَّام للنسب[١] كما في بزَّاز وعطَّار؛ أي: لا ينسب إليه ظلم البتةَ.

[التي كانت لأنبياء بني إسرائيل] روي أن الله أمر بني إسرائيل في التوراة: من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوهُ حتى يأتيكم بقربان تأكلهُ النار إلا المسيح ومحمد عليهما السلام فإنهما يأتيان بغير قربان[٢] [وهو أن يقرب بقربان]؛ أي: يذبح ذبيحة والقربان مصدر سمي به ما يتقرب بهِ إلى الله كما هنا [شرع في ذلك]؛ أي: سواء

---

(١) مغني اللبيب، ابن هشام [ص١٥٠]. (٢) معالم التنزيل، البغوي [٢/ ١٤٥].

۞ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾.

الإتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترأوا على قتله.

﴿١٨٤﴾ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ تسلية للرسول ﷺ من تكذيب قومه واليهود، و(الزبر) جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء إذا حبسته، والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن. وقيل: الزبر المواعظ والزواجر، من (زبرته) إذا زجرته. وقرأ ابن عامر (وَبِالزُّبُرِ) بإعادة الجار للدلالة على أنها مغايرة للبينات بالذات.

﴿١٨٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذب. وقرئ (ذَائِقَةُ الموت) بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله: «وَلَا ذَاكِرُ الله إِلَّا قَلِيلاً» ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ تعطون جزاء أعمالكم خيراً كان أو شراً تاماً

فيه [وقرئ ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] بالنصب مع التنوين وعدمه]؛ أي: بنصب «الموت» مع تنوين ذائقة وعدم تنوينه لفظاً لا نيّةً [كقوله]؛ أي: قول أبي الأسود:

[.................................. ولا ذاكـرِ الـلَّـه إلا قـلـيـلاً]

صدره:

فـألـفـيـتُـهُ غـيـرَ مُـسْـتَـعْـتِـبٍ[1] ....

وقبله:

فَـذَكَّـرتُـهُ ثُـمَّ عـاتَـبْـتُـهُ عـتـابـاً رقـيـقـاً وقـولاً جـمـيـلاً[2]

---

(١) المقتضب، المبرد [١/ ٢١٢].

(٢) العين، الفراهيدي [٣/ ١٣٣].

۞ ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾.

وافياً. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ يوم قيامكم من القبور، ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**». ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ بعد عنها، والزحزحة في الأصل تكرير الزحّ وهو الجذب بعجلة. ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾ بالنجاة ونيل المراد، والفوز الظفر بالبغية. وعن النبي ﷺ: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر، ويؤتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**». ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾؛ أي: لذاتها وزخارفها. ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه، وهذا لمن آثرها على الآخرة. فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ، و(الغرور) مصدر أو جمع (غارّ).

﴿١٨٦﴾ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾؛ أي: والله لتختبرن. ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات. ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالجهاد والقتل والأسر

والأصل ذاكرٍ بالتنوين بالجر عطف على «مستعتبٍ» ولا إضافة لأن «الله» منصوب والمعنى: ذكرته وما كان بيننا من العهود والموادات وعاتبتهُ أدنى عتاب فما وجدته طالب رضاي، يقال: استعتبته فأعتبني؛ أي: استرضيته فأرضاني.

[«**القبر روضة..**»] إلى آخره. رواه الطبراني[(١)] وغيره[(٢)] [«**مَنْ أحب أن يزحزح عن النار..**»] إلى آخره. رواهُ مسلم[(٣)] وقوله: «**ويأتي إلى الناس..**»[(٤)] إلى آخره؛ أي: يفعل بهم ما يُحِب أن يفعل به [**على المُسْتَامِ**]؛ أي: المشتري [**متاع بلاغ**]؛

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٨/ ٢٧٢/ برقم: ٨٦١٣].

(٢) سنن الترمذي [٤/ ٦٣٩/ برقم: ٢٤٦٠]. (٣) صحيح مسلم [٣/ ١٤٧٢/ برقم: ١٨٤٤].

(٤) مسند أحمد [٢/ ١٩١/ برقم: ٦٧٩٣].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

والجراح، وما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب. ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ من هجاء الرسول ﷺ، والطعن في الدين، وإغراء الكفرة على المسلمين. أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال، ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ مخالفة أمر الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: الصبر والتقوى ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها، أو مما عزم الله عليه؛ أي: أمر به وبالغ فيه. والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه.

﴿١٨٧﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: اذكر وقت أخذه ﴿مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد به العلماء ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ حكاية لمخاطبتهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لأنهم غيب، واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله: ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ﴾ والضمير للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾؛ أي: الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه.

أي: يبلغ به الآخرة [حتى لا يرهقهم نزولها]؛ أي: لا يغشاهم من رهقه بالكسر يرهقهُ رهقاً؛ أي: غشية. قاله الجوهري(١)؛ أي: لا يغشاهم ويلحقهم نزولها وهم غير عالمين بها، إذ العالم بنزول البلاء عليه لا يعظم وقعه عنده كوقعه عند غيره.

[من معزومات الأمور] جعل المصدر بمعنى: «المعزوم عليه» وجمعه لإضافته إلى الأمور، قال التفتازاني: والفاعل هو «العبد» بمعنى: أنه يجب عليه أن يعزم على ذلك، أو الله بمعنى: عزم الله تعالى؛ أي: أراد وفرض(٢) [أي: اذكر وقت أخذه] قال التفتازاني: يشعر بأن إذ مفعول به لا ظرف إلا أن يكون المراد الحادث وقت

---

(١) الصحاح، الجوهري [٦/ ١٧٦].

(٢) حاشية التفتازاني [ص١٠٧].

۞ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات، ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ وأخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا وأعراضها ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ يختارون لأنفسهم، وعن النبي ﷺ: «**من كتم علماً عن أهله ألجم بلجام من نار**». وعن علي رضي الله تعالى عنه: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.

﴿١٨٨﴾ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين، والمفعول الأول: ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ والثاني: ﴿بِمَفَازَةٍ﴾، وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيد والمعنى: لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس، وكتمان الحق، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق، بمفازة منجاة من العذاب؛ أي: فائزين بالنجاة منه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على

الأخذ[1] [«**من كتم علماً**»] إلى آخره[2]. رواه جمع منهم: الترمذي وحسنه بلفظ: «**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار**»[3].

ومن [**ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين**] ضم الباء إنما يأتي في الثاني إذ الأول لا ضمّ فيه، والخطاب في الثاني لا يأتي في الضم لأنه خاص بالغيبة [**وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «لا يحسبن» بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني**] نسخة هنا مختلفة بزيادة في القراء ونقص وكلها مخالف للمنقول في

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٧].
(٢) رواه بهذا اللفظ ابن ماجه [١/٩٧/ برقم: ٢٦٥].
(٣) سنن الترمذي [٥/٢٩/ برقم: ٢٦٤٩].

۞ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾.

أن (الذين) فاعل ومفعولاً (لا يحسبن) محذوفان يدل عليهما مفعولاً مؤكده، وكأنه قيل: ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة، أو المفعول الأول محذوف وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم وتدليسهم. روي: أنه عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها، وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا، فنزلت. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به. وقيل: نزلت في المنافقين فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة.

﴿١٨٩﴾ - ﴿١٩٠﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ فهو يملك أمرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم. وقيل: هو رد لقولهم: إن الله فقير ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي

اللفظين إذ الأول منهما يقرأه بالياء المذكورون، وأبو جعفر بفتح الباء كل القراء، والثاني منهما يقرأه بالياء وبضم الياء ابن كثير وأبو عمرو فقط[(١)] **[يدل عليه مفعولاً مؤكداً]**؛ أي: هما: «هم» و«بمفازة» [﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ [آل عمران: ١٨٨] **تأكيداً]**؛ أي: والفاء فيه للإشعار بأن أفعالهم المذكورة علة لمنع الحسبان والنهي عنه.

[روي: «أنه ﷺ سأل اليهود عن شيء...»] رواه الشيخان[(٢)] بمعناه **[وقيل: «نزلت في قوم...»]** إلى آخره. رواه الشيخان[(٣)] أيضاً وقوله: **«وستَحمَدوا به»**؛ أي:

---

(١) اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، الدمياطي [ص٣٢٩].
(٢) صحيح البخاري [٤/ ١٦٦٥/ برقم: ٤٢٩٢]، صحيح مسلم [٤/ ٢١٤٣/ برقم: ٢٧٧٨].
(٣) صحيح البخاري [٤/ ١٦٦٤/ برقم: ٤٢٩١]، صحيح مسلم [٤/ ٢١٣٤/ برقم: ٢٧٧٨].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾.

العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة، ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير، وهذه معترضة لجملة أنواعه فإنه إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار، أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها. وعن النبي ﷺ: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**».

١٩١ ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾؛ أي: يذكرون الله دائماً على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحَبَّ أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله**». وقيل معناه: يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين: «**صَلِّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبك تُومِئ إيماء**». فهو حجة للشافعي ﵁ في أن المريض يصلي مضطجعاً على جنبه الأيمن مستقبلاً بمقاديم بدنه. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

طلبوا أن يحمدوا به [**ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة**]؛ يعني: السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار [**وهذه**]؛ أي: الثلاثة [**لجملة أنواعه**]؛ أي: التَّغيُّر [«**ويل لمن قرأها...**»]؛ أي: الآية [**ولم يتفكر**]؛ أي: في معناها والحديث رواه ابن حبان في (صحيحه)[(١)] [«**من أحب أن يرتع...**»] إلى آخره. رواه الطبراني[(٢)] وغيره[(٣)].

[«**صل قائماً**»] إلى آخره. رواه البخاري[(٤)] وغيره[(٥)] بدون يؤمي إيماء.

---

(١) صحيح ابن حبان [٢/ ٣٨٦/ برقم: ٦٢٠].
(٢) المعجم الكبير، الطبراني [٢٠/ ١٥٧/ برقم: ٣٢٦].
(٣) مصنف ابن أبي شيبة [٦/ ٥٨/ برقم: ٢٩٤٥٧].
(٤) صحيح البخاري [١/ ٣٧٦/ برقم: ١٠٦٦].
(٥) سنن أبي داود [١/ ٣١٤/ برقم: ٩٥٢].

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ استدلالاً واعتباراً، وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا عبادة كالتفكر**»؛ لأنه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال: أشهد أن لك ربّاً وخالقاً، اللَّهُمَّ اغفر لي! فنظر الله إليه فغفر له**». وهذا دليل واضح على شرف علم الأصول وفضل أهله. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾ على إرادة القول؛ أي: يتفكرون قائلين ذلك، وهذا إشارة إلى المتفكر فيه، أو الخلق على أنه أريد به المخلوق من السمٰوات والأرض، أو إليهما لأنهما في معنى المخلوق، والمعنى: ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الإنسان، وسبباً لمعاشه ودليلاً يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية في جوارك. ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل، وهو اعتراض. ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ للإخلال بالنظر فيه، والقيام بما يقتضيه. وفائدة الفاء هي الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السمٰوات والأرض حملهم على الاستعاذة.

[«**لا عبادة كالتفكر**»]، رواهُ البيهقي(١) وغيرهُ(٢) وضعفوهُ. [«**بينما رجل...**»] إلى آخره. رواهُ الثعلبي بسند فيه من لا يعرف(٣) [**أو المتفكر فيه**]؛ أي: وهو السمٰوات والأرض وخلقهما [**أو الخلق**]؛ أي: أو إلى الخلق [**إن أريد بهِ المخلوق من السمٰوات والأرض**] «من» بيانية [**أو إليهما**]؛ أي: إلى السمٰوات والأرض [**لأنهما في معنى المخلوق**] بيَّن بهِ صحة الإشارة بالمفرد إلى غيرهِ [**للإخلال بالنظر فيه**]؛ أي: فيما ذكر من السمٰواتِ والأرضِ وخلقهما بمعناهُ السابق.

[**بما لأجلهِ خلقت السمٰواتِ**]؛ أي: وهو النظر في خلقهما.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٤/١٥٧/برقم: ٤٦٤٧].
(٢) المعجم الكبير، الطبراني [٣/٦٨/برقم: ٢٦٨٨].
(٣) انظر: الفتح السماوي [١/٤٤٤/برقم: ٣٢٢].

۞ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ
إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾.

---

١٩٢ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾؛ أي: فقد أخزيته غاية الإخزاء، وهو نظير قولهم: من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك. والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيهاً على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه، وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أفظع. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ أراد بهم المدخلين، ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة أن ظلمهم تسبب لإدخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها، ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لأن النصر دفع بقهر.

١٩٣ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه، وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع، وفي تنكير المنادى وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه، والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل: القرآن، والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بإلى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص. ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾؛

[**غاية الإخزاء**] غايتهُ مستفادة من حذف التخزي بهِ [**ونظيرهُ قولهم: من أدرك مرعى الضمان**] وهو جبل [**فقد أدرك**]؛ أي: أدرك غاية المرعى[1] [**وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أقطع**]؛ أي: لأن الإخزاء هو الذل ولا يكون إلا من مؤثرات الروح لا البدن [**لدلالة وصفة**]؛ أي: وصف المسمع وهو ينادي [**عليه**]؛ أي: على المسموع وهو النداء [**يُعدّى**]؛ أي: كل منهما [**لتضمنها معنى الانتهاء**]؛ أي: انتهاء الغاية [**والاختصاص**]؛ أي: لأن من انتهى إلى الشيء اختص به، فكل منها راجع لـ«إلى» و«اللام»، أو الأول راجع لـ«إلى» والثاني لـ«اللام» ففيه على الثاني لف ونشر

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٨٤].

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤﴾.

أي: بأن آمنوا فامتثلنا. ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كبائرنا فإنها ذات تبعة. ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ صغائرنا فإنها مستقبحة، ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر. ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم، وفيه تنبيه على أنهم يحبون لقاء الله، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. و(الأبرار) جمع (برّ) أو (بار) كأرباب وأصحاب.

١٩٤ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾؛ أي: ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب. لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ما وعد عليه لا خوفاً من إخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة، أو قصور في الامتثال أو تعبداً أو استكانة. ويجوز أن يتعلق على بمحذوف

مرتب وفي نسخة لتضمنهما معنى الاختصاص والانتهاء ففيه على الثاني لف ونشر مشوش.

[﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾] إلى آخره. جمع بين الذنوب والسيئات لِما قالهُ المصنف، وليكون من باب التتميم والاستيعاب كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ولأن الإلحاح والمبالغة في الدعاء أمر مطلوب [**«ومن أحب لقاء الله أحب الله لقائه»**] رواهُ الشيخان(١). [**والأبرار جمع «برّ» أو «بارّ»**] إلى آخره. تبع فيه الزمخشري(٢) وتعقبه التفتازاني في الثاني فقال: الجمهور على أنه لم يثبت جمع فاعل على أفعال، وأن «أصحاب» جمع «صحْب» بالسكون أو «صِحب» بالكسر مخفف صاحب بحذف الألف(٣) [**لسوء عاقبته**] علة لـ«مخافة» ما ذكر أو لمدخولها [**أو تعبداً**] عطف على «مخافة» [**أو استكانة**]؛ أي: خضوعاً وخشوعاً وعلم مما تقرر أن على رسلك متعلق بـ«وعدتنا» [**ويجوز أن يتعلق على**]؛ أي: في قوله: على رُسْلِك.

---

(١) صحيح البخاري [٥/ ٢٣٨٦/ برقم: ٦١٤٢]، صحيح مسلم [٤/ ٢٠٦٥/ برقم: ٢٦٨٣].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٨٤]. (٣) حاشية التفتازاني [ص١٠٨].

۞ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾.

تقديره: ما وعدتنا منزّلاً على رسلك، أو محمولاً عليهم. وقيل معناه: على ألسنة رسلك. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن تعصمنا مما يقتضيه ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الداعي وعن ابن عباس ﵄: الميعاد البعث بعد الموت. وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها. وفي الآثار: (مَنْ حَزَبَهُ أمر فقال خمس مرات: ربنا أنجاه الله مما يخاف).

﴿١٩٥﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى طلبتهم، وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام. ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾؛ أي: بأني لا أضيع. وقرئ بالكسر على إرادة القول. ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ بيان عامل. ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾؛ لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر، أو لأنهما من أصل واحد،

[**عما يقتضيه**]؛ أي: الخزي.

[**مَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ**] بالموحدة؛ أي: أصابهُ [**وهو أخصّ من أجاب**]؛ أي: لأنه يفيد حصول جميع المطلوب لكثرة مبانيه؛ لأن كثرة المباني تدل على كَثرة المعاني [**على إرادة القول**]؛ أي: لأن الإجابة متضمنة للقول [**أو لأنها من أصل واحد**] إلى آخره. أشار إلى أن «من» في قوله: ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] اتصالية والاتصال أما بحسب أن أباكم آدم وهو المراد بقوله: «من أصل واحد»، أو بسبب محبتكم وهو المراد بقولهِ: «أو لفرط الاتصال والاتحاد»، أو باعتبار أخوة الإسلام(١)؛ وهو المراد بقولهِ: «أو للاجتماع والاتفاق في الدين».

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٢١٣].

۞ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

أو لفرط الاتصال والاتحاد، أو للاجتماع والاتفاق في الدين. وهي جملة معترضة بيَّن بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال. روي: أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فنزلت. ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى آخرها، تفصيل لأعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم، والمعنى: فالذين هاجروا الشرك، أو الأوطان والعشائر للدين. ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ بسبب إيمانهم بالله ومن أجله ﴿وَقَـٰتَلُوا۟﴾ الكفار. ﴿وَقُتِلُوا۟﴾ في الجهاد. وقرأ حمزة والكسائي بالعكس؛ لأن الواو لا توجب ترتيباً، والثاني أفضل. أو لأن المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا. وشدد ابن كثير وابن عامر (قُتِّلُوا) للتكثير. ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ لأمحونها. ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أثيبهم بذلك إثابة من عند الله تفضلاً منه، فهو مصدر مؤكد. ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ على الطاعات قادر عليه.

﴿١٩٦﴾ - ﴿١٩٧﴾ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، ....

[وهي]؛ أي: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [جملة معترضة]؛ أي: بين ﴿عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ وما فصل به عمل العامل من قولهِ تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى آخره.

[روي: «أن أم سلمة...»] إلى آخره. رواهُ الترمذي(١) والحاكم وصحَّحَهُ(٢) [تفصيل لأعمال العمال]؛ أي: للعمال أيضاً [والثاني]؛ أي: من القراءتين [أفضل] لما فيه من تقديم الأفضل وهو الشهيد على غيرهِ [أو لأن المراد] إلى آخره. عطف

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٢٣٧/ برقم: ٣٠٢٣]. (٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٢٨/ برقم: ٣١٧٤].

۞ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾.

أو تثبيته على ما كان عليه كقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨] أو لكل أحد، والنهي في المعنى للمخاطب، وإنما جعل للتقلب تنزيلاً للسبب منزلة المسبب للمبالغة، والمعنى: لا تنظر إلى ما كان الكفرة عليه من السعة والحظ، ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم. روي: أن بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون: إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت. ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعد الله للمؤمنين. قال عليه الصلاة والسلام: **«ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»**. ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾؛ أي: ما مهدوا لأنفسهم.

١٩٨ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ النزل والنزل: ما يعد للنازل من شراب طعام وصلة، قال أبو الشعر الضبي:

على «لأن» الواو لا توجب ترتيباً **[أو تثبيتهُ]** عطف على «أُمته» **[أو لكل أحد]** عطف على «النبي» **[تنزيلاً للسبب منزلة المسبب]** فالسبب هو التقلب؛ أي: غَرّه والمسبب الاغترار بهِ، والنهي في الظاهر عن الأول، والمراد النهي عن الثاني مجازاً أو كناية كما قالهُ التفتازاني(١).

[«ما الدنيا في الآخرة...»] إلى آخره. رواهُ مسلم(٢).

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٠٩].

(٢) صحيح مسلم [٤/ ٢١٩٣/ برقم: ٢٨٥٨]

۞ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾.

وكنّا إذا الجبارُ بالجيشِ ضافنا جعلنا القَنا والمرهفاتِ له نُزْلا

وانتصابه على الحال من (جنات) والعامل فيها الظرف، وقيل: إنه مصدر مؤكد، والتقدير: أنزلوها نزلاً ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لكثرته ودوامه ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله.

﴿١٩٩﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: في أربعين من نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا. وقيل: في أصحمة النجاشي لما نعاه جبريل إلى رسول الله ﷺ فخرج فصلى عليه فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط. وإنما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين (إن) بالظرف. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن. ﴿وَمَآ أُنزِلَ

[**وكنا إذا الجبار**] وهو الملك المتسلط [**بالجيش ضافنا**]؛ أي: نزل بنا ضيفاً [**جعلنا القنا**]؛ أي: الرماح [**والمرهفات**]؛ أي: السيوف الباترات [**لهُ نُزلاً**] جعل القنا والمرهفات نزْلاً على آلهتكم(١) [**وقيل في أصحمة النجاشي**] «أصحمة»: بالحاء المهملة والحبشة يقولونه بالحاء المعجمة، وقيل: اسمهُ مكحول بن صعصعة، والنَّجَاشي: بفتح النون وتخفيف الجيم وسكون الياء وقيل: بتشديدها وحكي كسر النون [**يصلي على علج**] العلج في الأصل القوي الغليظ من الكفار.

[**على الاسم**]؛ أي: اسم أن.

---

(١) البيت لأبي الشعراء الضبي:

وكنّا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفاتِ له نُزْلا

انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٥/٢١٨].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابين ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل (يؤمن) وجمعه باعتبار المعنى ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يفعله المحرفون من أحبارهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ما خص بهم من الأجر ووعدوه في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لعلمه بالأعمال وما يستوجبه من الجزاء، واستغنائه عن التأمل والاحتياط، والمراد: أن الأجر الموعود سريع الوصول فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء.

﴿٢٠٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد. ﴿وَصَابِرُواْ﴾ وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى، وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقاً لشدته. ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو، وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**مِنَ الرِّبَاطِ انتظار الصلاة بعد الصلاة**». وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من رابط يوماً وليلة في**

[**وغالبوا**] إلى آخره؛ أي: اغلبوهم في الصبر بأن يكون صبركم أقوى من صبرهم [**وأعدى عدوكم**] هو النفس [**وتخصيصه**]؛ أي: الصبر يكون غالباً [**لشدتهِ**]؛ أي: على مطلق الصبر فهو نوع خاص من مطلق الصبر، فيكون ذلك من عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

[﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]] إلزموا واثبتوا.

[**من الرباط «انتظار الصلاة بعد الصلاة»**] رواهُ مسلم(١) وغيرهُ(٢) [**«من رابط يوماً...»**]

---

(١) صحيح مسلم [١/ ٢١٩/ برقم: ٢٥١]. (٢) سنن الترمذي [١/ ٧٢/ برقم: ٥١].

سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه، لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة». ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فاتقوا بالتبري مما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح، أو: واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة، المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات، ومصابرة النفس في رفض العادات، ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات؛ المعبر عنها: بالشريعة، والطريقة، والحقيقة. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم**». وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تَجِبَ الشمس**». والله أعلم.

إلى آخره. رواهُ الإمام أحمد[١] وغيرهُ[٢]، وقولهُ: «**كعَدل**» بفتح العين المثل بغير الجنس، وبكسرها المثل من الجنس [**على مضض الطاعات**]؛ أي: مشاقها المعبر عنها؛ أي: عن المقامات الثلاثة [**بالشريعة والطريقة والحقيقة**] بمعنى: أنه عبر بالشريعة عن الصبر على مضض الطاعات، وبالطريقة على مصابرة النفس في رفض العادات، وبالحقيقة عن مرابطة السر على جناب الحق، ففي ذلك لف ونشر مرتب [«**من قرأ سورة آل عمران...**»] إلى آخره. هو من الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورةً[٣].

[**وعنه ﷺ**: «**من قرأ السورة التي فيها آل عمران...**»] إلى آخره. رواهُ الطبراني بإسناد ضعيف[٤] وقولهُ [**حتى تجب الشمس**]؛ أي: تغيب.



---

(١) مسند أحمد [٥/ ٤٤٠/ برقم: ٢٣٧٧٨].
(٢) سنن النسائي [٦/ ٣٩/برقم: ٣١٦٧].
(٣) انظر: الفتح السماوي، المناوي [١/ ٤٥٣].
(٤) المعجم الكبير، الطبراني [١١/ ٤٨/برقم: ١١٠٠٢].

سُورَةُ النِّسَاءِ

(٤) مدنية، وآيها مائة وخمس وسبعون آية

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب يعم بني آدم. ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي آدم. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف على (خلقكم)؛ أي: خلقكم من شخص واحد، وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه، أو محذوف تقديره: من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها، وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة. ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما، والمعنى: ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات

قوله: [خطاب يعم بني آدم]؛ يعني: يعم المكلفين الموجودين منهم في زمنه ﷺ من العرب وغيرهم ذكوراً كانوا أو إناثاً [وقيل]: يختص بالعرب منهم لقولهِ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] إذ المناشدة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم فيقولون: انشدك بالله وبالرحم [وأجيب] بأن خصوص آخر الآية لا يمنع عموم أولها [عطف على ﴿خَلَقَكُم﴾]؛ أي: سواء جعل الخطاب في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ عامّاً أو خاصّاً بالعرب [أو محذوف]؛ أي: أو عطف على محذوف كذلك، ولا تكرار في الآية لأن خلقهم من نفس واحدة مغاير لخلق حوّاء منها؛ لأنها خلقت من ضلعه وهُم من مائهما، ولِبَثِّ الرجال والنساء؛ لأنه بَيَّنَ بهِ أنّ خلقهم من نفس واحدة معناهُ: من نفس آدم وحواء مع زيادة التصريح بالرجال والنساء[1].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٩١].

كثيرة، واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها، إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر، وذكر (كَثِيراً) حملاً على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تُخْشَى، والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها، أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها. وقرئ (وخالق) (وباث) على حذف مبتدأ تقديره وهو: خالق وباث. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: يسأل بعضكم بعضاً تقول: أسألك بالله، وأصله (تتساءلون) فأدغمت التاء الثانية في السين. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها. ﴿وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك: مررت بزيد وعمراً، أو على (الله)؛ أي: اتقوا الله واتقوا الأرحام فَصِلُوها ولا تقطعوها. وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف؛ لأنه كبعض الكلمة.

[**إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر**] إذ للرجل أن يزيد في عصمتهِ على واحدة بخلاف المرأة [**وترتيب الأمر بالتقوى**]؛ أي: في قولهِ تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [**على هذهِ القصة**] وهي الخلق والبثّ حيث جعلت علة لهُ [**لما فيها**]؛ أي: القصة [**أو لأن المراد بهِ**]؛ أي: بترتيب الأمر بالتقوى على القصة [**تمهيد الأمر بالتقوى**] والفرق بين هذا وما قبلهُ كما علم من كلامه أن المراد بالتقوى في ذاك تقوى عامة وفي هذا تقوى خاصة، وهي التقوى[١] [**فيما يتصل**] إلى آخره. [**بطرحها**]؛ أي: بطرح التاء الثانية لحصول الثقل بها [**وهو ضعيف**]؛ أي: في اصطلاح النحاة على مذهب البصريين، والحق أنه ليس بضعيف فقد جوزه الكوفيين، وكيف يكون ضعيفاً والقراءة به متواترة مع أن حذف الشيء مع القرينة جائز[٢]، ومنه: «رسمُ دارٍ وقفت في طلله»؛ أي: «ربَّ رسم»، وكان رؤبة إذا قيل لهُ: كيف أصبحت؟ يقول: «خير

---

(١) اللباب، ابن عادل [٦/ ١٣٩].

(٢) إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة [٢/ ٤٦].

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾.

وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره: والأرحام كذلك؛ أي: مما يتقى أو يتساءل به. وقد نبَّه ﷺ إذ قرن الأرحام باسمه الكريم على أن صلتها بمكان منه. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**الرَّحِمُ معلقة بالعرش تقول: أَلَا مَنْ وَصَلَني وصله الله ومن قطعني قطعه الله!**». ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظاً مطلعاً.

﴿٢﴾ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾؛ أي: إذا بلغوا، واليتامى جمع (يتيم) وهو الذي مات أبوه، من (اليتم) وهو الانفراد. ومنه: (الدرة اليتيمة)، إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كـ(فارس) و(صاحب) جمع على يتائم، ثم قلب فقيل: يتامى أو على أنه جمع على (يتمى) كـ(أسرى) لأنه من باب الآفات. ثم جمع (يتمى) على (يتامى) كـ(أسرى وأسارى)، والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار، لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ.

عافاك الله»؛ أي: «بخير» فيحذف الباء لدلالة الحال عليها وتعليلهم عدم الجواز بكونه كبعض كلمة لا يقتضي إلحاقه بِهِ في عدم جواز العطف مع أنه قياس في اللغة وهو ممنوع على المشهور.

[**وعنه** ﷺ: «**الرحم متعلقة بالعرش...**»] إلى آخره. رواهُ الشيخان[1] [**أما على**] إلى آخره. متعلق بجمع يتيم، والمعنى: أنه ليس في اللغة جمع «فعيل» صفة على «فعالى» بل على «فعال» و«فعلاء» و«فَعَل» و«فُعْلا» ككرام وكرماء ونذر ومرضى، فيتيم لكونه جرى مجرى الاسم جُمع على «يتائم»، ثم قلب قلباً مكانياً فقيل: «يتامى»، أو جمع على «يتمى» ثم على «يتامى» كما جمع أسير على أسرى ثم على أسارى فيمن فتح الهمزة [**لكن العرف خصصهُ بمن لم يبلغ**]؛ أي: عرف الشرع لخبر

---

(١) صحيح البخاري [٥/ ٢٢٣٢/ برقم: ٥٦٤١]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٨١/ برقم: ٢٥٥٥].

وروده في الآية إما للبالغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر، حثّاً على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد، ولذلك أمر بابتلائهم صغاراً أو لغير البلغ، والحكم مقيد فكأنه قال: وآتوهم إذا بلغوا. ويؤيد الأول ما روى: أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه، فنزلت. فلما سمعها العم قال: أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، أو الأمر الخبيث: وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها. وقيل: ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها، وهذا تبديل وليس بتبدل. ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ ولا تأكلوها مضمومة

«**لا يُتْمَ بعد احتلام**»[(١)] [**أو الاتساع**]؛ أي: التجوز وهو هنا كما قال الطيبي: لمعنى لطيف وهو أن لا يتأخر الإيتاء عن البلوغ، ويسمى هذا الفن في الأصول بإشارة النص: وهو أن يساق الكلام لمعنى ويضمن معنى آخر[(٢)].

[**إلى أن يدفع إليهم أموالهم**] متعلق بقرب عَهدهم؛ أي: لأن «قرب» يتعدى بـ«إلى» وبـ«من» [**ما روي**: «**أن رجلاً...**»] إلى آخره. ذكرهُ الثعلبي عن مقاتل والكلبي[(٣)] [**من الحُوب الكبير**]؛ أي: من الذنب العظيم [**اختزال أموالهم**]؛ أي: اقتطاعها [**وهذا تبدُّل وليس بتبديل**] قال التفتازاني: لأن معنى «تبدلت هذا بذاك»: أنك أخذت هذا وتركت ذاك[(٤)]. وكذا «استبدلت»، وإنما هو تبديل لأن معنى «بدّلت هذا بذاك»: أخذت ذاك وأعطيت هذا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [البقرة: ١٠٨] فإذا أعطى الرديء وأخذ الجيد؛ كأن هذا أعطى الخبيث وأخذ الطيب، لا أخذ الخبيث وترك الطيب ليكون تبدل الخبيث بالطيب؛ فالحاصل: أن في التبدل ما دخلته الباء متروك، وما تعدى إليه الفعل بنفسهِ مأخوذ، وفي التبديل بالعكس نعم

---

(١) مسند الطيالسي [١/ ٢٤٣/ برقم: ١٧٦٧]. (٢) انظر: التعريفات، الجرجاني [ص٤٣].
(٣) تفسير ابن أبي حاتم [٣/ ٨٥٤/ برقم: ٤٧٢٨].
(٤) حاشية التفتازاني [ص١١٢].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝٣﴾.

إلى أموالكم؛ أي: لا تنفقوهما معاً ولا تسووا بينهما، وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]. ﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للأكل. ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ذنباً عظيماً. وقرئ (حوباً) وهو مصدر (حاب حُوباً وحابا) كقال قولاً وقالا.

۝٣ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾؛ أي: إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن، فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن. إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها

للتبديل استعمال آخر يتعدى إلى المفعولين بنفسهِ مثل: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا﴾ [الكهف: ٨١] بمعنى: يجعل الحسنات بدل السيئات ويعطيهما بدل ما كان لهما خيراً منه، وأخرى يتعدى إلى مفعول واحد مثل: «بدّلت الشيء» غيّرتهُ ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا﴾ [البقرة: ١٨١] آخر يتعدى إلى المفعولين بنفسه وإلى المبدل منه بالباء أو بمن مثل بدلهُ بخوفهِ أو من خوفهِ أمناً، ومنه ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾[١] [سبأ: ١٦]. انتهى. وهذا ـ أي: أكلكم أموالكم ـ **[حلال]** لكم **[وذاك]**؛ أي: أكلكم أموالهم **[حرامٌ]** عليكم **[وهو]**؛ أي: تحريمهُ عليكم محلهُ **[فيما زاد على قدر أجرهِ]**؛ أي: أجر الولي، والأصح عند الشافعية ما زاد على قدر الأقل من أجرهِ ونفقته، وفائدة تقييد النهي بالمعية الدلالة على غاية قبح فعلهم حيث أكلوا أموالهم مع الغنى عنها[٢]، ولم يميزوا بين المالين كحال البهائم، وتشهير ما كانوا عليهِ من ارتكاب هذا الأمر القبيح، وإذا كان التقييد بهذين الغرضين لم يلزم القائل بمفهوم المخالفة جواز أكل أموالهم وحدها.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٣/٧٨].
(٢) انظر: فقه اللغة، الثعالبي [ص٢٥٦].

ضنّاً بها، فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن. أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقه؛ لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي: أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن، فنزلت. وقيل: كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنى؛ فانكحوا ما حلَّ لكم. وإنما عبر عنهن بما ذهاباً إلى الصفة أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن، ونظيره: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣] وقرئ (تَقْسِطُواْ) بفتح التاء على أن (لا) مزيدة؛ أي: إن خفتم إن تجوروا. ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ معدولة عن أعداد مكررة وهي: ثنتين ثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. وهي غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات؛ وإن كانت أصولها لم تبن لها. وقيل: لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب

[**ضِنًّا بها**] بكسر الضاد؛ أي: بخلا بها على غيره [**وقيل: لتكرير العدل**] مقابل لقولهِ للعدل والصفة وتبع فيه الزمخشري(١) وهو غريب زائد مع موانع الصرف المعروفة، وحاصلهُ: أنها منعت الصرف لتكرير العدل فيها لأنها كما قال التفتازاني: خرجت من أوزانها الأصلية إلى أوزان أُخَر وعن تكررها إلى التوحد(٢). قال وما ذكرهُ المصنف عائد إلى ما ذهب إليه ابن السراج أن فيها عدلين لفظياً ومعنوياً؛ لأن مثنى معدول عن لفظ اثنين وعن معناهُ؛ أعني: الاثنين مرةَ واحدة إلى معنى اثنين اثنين. [**منصوبة على الحال**] هو آت على القولين.

[**من فاعل «طاب»**]؛ أي: لا من «النساء» إذ لا معنى له، وإنما المعنى: تقييد نكاح ما طاب بكونها معدودات هذا العدد، نعم لو جعلت «من» بيانية لا تبعيضية لم يبعد جعلها حالاً من «النساء» لكن الظاهر هو التبعيضية نبه على

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٣٧٢].
(٢) حاشية التفتازاني [ص١١٤].

ومعناها: الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك: اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، ولو أفردت كان المعنى: تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بـ(أو) لذهب تجويز الاختلاف في العدد. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بين هذه الأعداد أيضاً. ﴿فَوَاحِدَةً﴾ فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع. وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف، أو خبره تقديره: فيكفيكم واحدة، أو فالمقنع واحدة. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسرّي. ﴿أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا، يقال: عال الميزان إذا مال، وعال

ذلك التفتازاني[(١)].

[ومعناها]؛ أي: معنى ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] [البَدْرة] هي بفتح الموحدة وسكون الدال المهملة عشر آلاف درهم قالهُ الجوهري[(٢)] [ولو أفردت]؛ أي: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾؛ أي: أفردت عن العدول الدال على التكرير بأن قيل: اثنين وثلاثاً وأربعاً [كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد] لكل واحد حتى يجوز لهُ أن ينكح تسعاً وليس مراداً قطعاً [دون التوزيع] الذي هو المراد [ولو ذكرت بـ«أو» لذهب]؛ أي: امتنع [تجويز الاختلاف] بينهم [في العدد] وتعين اتفاقهم فيه لأن أو لأحد الأمرين أو الأمور لا غير، وأما الإباحة وجواز الجمع في مثل: «جالس الحسن أو ابن سيرين» فهو لدليل خارجي مثل أن مجالستهما خير وزيادة في الفضل وتعلم العلم[(٣)].

[فالمَقنَع] بفتح الميم والنون ما يقنع بهِ أقرب فسر بهِ أدنى وبعضهم بإحدى وكلٌ صحيح، وفسر بـ«دون» في قولهِ تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]؛ يعني: الدنيء بالجيد.

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١١٤]. (٢) الصحاح، الجوهري [٣/ ٣٥٠].

(٣) انظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة، العلائي الشافعي [ص٧٢].

۞ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةًۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾.

الحاكم إذا جار، وعول الفريضة: الميل عن حد السهام المسماة. وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من: (عال الرجل عياله يعولهم) إذا مانهم، فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية. ويؤيده قراءة (أن لا تعيلوا) من أعال الرجل إذا كثر عياله، ولعل المراد بالعيال: الأزواج، وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد؛ بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع.

﴿٤﴾ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ مهورهن. وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف، وبضم الصاد وسكون الدال، جمع صُدْقة كـ(غرفة)، وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل: صُدُقة كـ(ظُلُمة في ظُلْمة). ﴿نِحْلَةًۚ﴾؛ أي: عطية؛ يقال: (نحله كذا نحلة ونحلاً) إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض، ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ، ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء، أو الحال من (الواو)، أو الصدقات؛ أي: آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة. وقيل المعنى: نحلة من الله، وتفضلاً منه عليهن؛ فتكون حالاً من الصدقات. وقيل: ديانة من قولهم: (انتحل فلان كذا) إذا دان به؛ على أنه مفعول له، أو حال من (الصدقات)؛ أي: دِيْناً من الله تعالى شرعه، والخطاب

[لجواز العزل فيه]؛ أي: في التسرّي لا في التزوج. وفي نسخة: «فيهن»؛ أي: في السراري، وهذا خلاف المشهور إذ المشهور عند الشافعية جواز العزل مطلقاً في الزوجة والأَمَة بإذن وبغير أذن[1] **[وبضمهما على التوحيد]**؛ أي: على ضمهما في واحدة **[الضمير]**؛ أي: في «منه» **[للصداق حملاً على المعنى]** إذ لو نظر

(١) انظر: الاستذكار، ابن عبد البر [٧/ ١٦٩].

للأزواج، وقيل: للأولياء؛ لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم. ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الضمير للصداق حملاً على المعنى أو يجري مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة: (كَأَنَّه في الجلْد تَوْلِيْعُ البُهَق) إذ سئل فقال: أردت كأن ذاك. وقيل: للإيتاء، و(نفساً) تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد، والمعنى: فإن وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس؛ لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بـ(عن) لتضمن معنى التجافي والتجاوز، وقال: منه بعثاً لهن على تقليل الموهوب ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ فخذوه وأنفقوه حلالاً بلا تبعة. و(الهنيء والمريء) صفتان من (هنأ الطعام ومرأ) إذا ساغ من غير غصّ، أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالاً من الضمير. وقيل: الهنيء ما يلذه الإنسان، والمريء ما تحمد عاقبته. روي: أن ناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساق إليها. فنزلت.

إلى لفظ الصدقات لقيل منها [أو جرى مجرى اسم الإشارة]؛ أي: في أن الضمير المفرد المذكور قد يشار بهِ إلى أشياء تقدمتهُ، ومنهُ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥] بعد ذكر أشياء قبلهُ [كقول رؤبةَ في قوله:

.... كـأنـه فـي الـجـلـدِ تِـولِـيـعُ الـبَـهَـق]

بعد قولهِ:

فـيـهـا خـطـوطٌ مِـنْ سَـوادٍ وبَـلَـق[1] ....

[أردت كأن ذلك] مقول قول رؤبة فضمير كأنُه بمنزلة كان ذلك إشارة إلى الخطوط [بعثنا لهن على تقليل الموهوب]؛ أي: زيادة على ما أفادهُ شيء لكونهُ منكراً تنكير تقليل، فـ«مِن» للتبعيض، وقيل: لبيان الجنس الصادق بالبعض والبعث على التقليل للندب لا للوجوب فلهن أن يهبن الجميع خلافاً لبعضهم[2] [أو وصف بهما المصدر]؛ أي: تجوزاً إذ الهنيء والمريء حقيقة هو المطموم دون الأكل الموصوف بهما.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٢/ ١٣٥].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ١٣٣].

۞ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾.

۝٥ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها، وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم، وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة. وقيل: نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته وأولاده، ثم ينظر إلى أيديهم. وإنما سماهم سفهاء استخفافاً بعقلهم واستهجاناً لجعلهم قواماً على أنفسهم وهو أوفق لقوله: ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾؛ أي: تقومون بها وتنتعشون، وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياماً سمي ما به القيام قياماً للمبالغة. وقرئ (قِيَماً) بمعناه كـ(عوذ) بمعنى (عياذ). و(قواماً) وهو ما يقام به. ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم

[يتأثَّمون]؛ أي: يتحرّجون قال الجوهري: «تأثَّم»: أي: تحرَّج عن الإثم وكفّ. انتهى، وحقيقة تأثَّم وتحرَّج تجنَّب الإثم والحرج(١) [وإنما أضاف المال] الأنسب بالآية وبقولهِ: لأنها الأموال كما في نسخةَ. وقد علل إضافة أموال السفهاء إلى الأولياء بأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم، وعلله التفتازاني بقولهِ: لأنهم لم يقصدوا بها الخصوصية الشخصية(٢)؛ بل الجنسية التي هي معنى ما يقام بهِ المعايش وتميل إليه القلوب ويُدَّخر لأوقات الاحتياج، وهي بهذا المعنى لا تختص بالسفهاء كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] قصداً إلى جنس النفوس دون خصوصيات أنفس المخاطبين(٣) [واجعلوها مكاناً لرزقهم] إلى آخره. بيَّن بقولهِ: «فيها» أن الأموال ظروف للرزق فيلزم كما قال الطيبي: أن يكون الإنفاق من الربح لا من الأموال التي هي الظرف، ولو قيل: «منها» كان الإنفاق من نفس الأموال.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٦٠].
(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (الخصومة الشخصية).
(٣) حاشية التفتازاني [ص١١٦].

۞ ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾.

وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه. ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عدة جميلة تطيب بها نفوسهم، والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن، والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه.

۝٦ ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين، والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف، بأن يكل إليه مقدمات العقد. وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم، أو يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا استكمل الولد خمس عشرة سنة، كُتِبَ مَا لَهُ وما عليه وأقيمت عليه الحدود**». وثماني عشرة عند أبي حنيفة. وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ؛ لأنه يصلح للنكاح عنده. ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ فإن أبصرتم منهم رشداً. وقرئ: (أَحَسْتُم) بمعنى أحسستم. ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ من غير تأخير عن حد البلوغ، ونظم الآية أن (إن) الشرطية جواب إذاً المتضمنة معنى الشرط، والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم، وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد. وقال أبو حنيفة: إذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال، إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة، دفع إليه المال وإن لم يؤنس

[«إذا استكمل المولود خمسة عشر سنة»] إلى آخره. رواهُ البيهقي وقال: إسناد ضعيف[1] [سبع سنين] فاعل «زادت» [دفع المال إليه] جواب «إذا»

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي [٥٦/٦/برقم: ١١٠٨٩].

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨)﴾.

منه الرشد. ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم. ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ من أكلها. ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر حاجته وأجرة سعيه، ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي، وعنه عليه الصلاة والسلام «أن رجلاً قال له: إن في حجري يتيماً أفآكل من ماله؟ قال: «**كل بالمعروف غير مُتَأَثِّلٍ مالاً ولا واق مالك بماله**» وإيراد هذا التقسيم بعد قوله: (ولا تأكلوها) يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى. ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد للخصومة، ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافاً لأبي حنيفة. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسباً فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تتجاوزوا ما حد لكم.

(٧) - (٨) ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا

[بقدر حاجتهِ وأُجرَت سعيهِ]؛ أي: بقدر الأقل منهما كما مرَّ [وعنهُ ﷺ: «أن رجلاً...»] إلى آخره. رواهُ أبو داود[١] والنسائي[٢] وغيرهما. و«التأثل»: اتخاذ المال أثله؛ أي: أصلاً [وإيراد هذا التقسيم بعد قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ [النساء: ٦] يدل على أنه نهيٌ للأولياء[٣] أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى]؛ يعني: يدل على أنه نهيٌ للأغنياء منهم أن يأخذوا لأنفسهم من أموال اليتامى شيئاً وللفقراء منهم أن يأخذوا منها شيئاً بغير المعروف كما أن قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾ يدل على أنه نهيٌ للفريقين عن أكلها إسرافاً ومبادرة لكبرهم.

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ٣١١/ برقم: ٣٥٢٨]. (٢) سنن النسائي [٦/ ٢٥٦/ برقم: ٢٦٦٨].
(٣) في نسخة [ب]: (الأغنياء).

﴿تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ يريد بهم المتوارثين بالقرابة. ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل مما ترك بإعادة العامل. ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١] أو حال إذ المعنى: ثبت لهم مفروضاً نصيب، أو على الاختصاص بمعنى: أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم، وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه. روي أن أوس بن الصامت الأنصاري خلف زوجته ـ أم كحة ـ وثلاث بنات، فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة. أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سُنَّة الجاهلية، فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون: إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة، فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال: **«ارجعي حتى أنظر ما يُحْدِثُ الله»**، فنزلت، فبعث إليهما: **«لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله**

[﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]] لا ريب أن «مفروضاً» صفة نحوية لـ«نصيب» وإن شاركهُ في المعاني الآتية، والكلام إنما هو في «نصيباً»[(١)] فهو **[نصب على أنه مصدر مؤكد]** لمضمون جملة ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ **[كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾** [النساء: ١١]]؛ أي: في أنه مصدر مؤكد لمضمون جملة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ **[أو حال]**؛ أي: من فاعل (قَلَّ) أو (كَثُر) أو من «نصيب» وعلل كونهُ حالاً من «نصيب» بقولهِ: **[إذا المعنى ثبت لهم مفروضاً]**؛ أي: نصيباً مفروضاً **[نصيب]** فاعل «ثبت» **[أو على الاختصاص]**؛ أي: اللغوي إذ شرط الاصطلاحي التعريف.

[روي: **«أن أوس بن الصامت...»**]؛ أي: على خلاف[(٢)] فيه إذ قيل: أوس بن ثابت، وقيل: أوس بن مالك، وقيل: ثابت بن قيس **[أم كُحَّة]**؛ أي: بضم الكاف وتشديد الحاء المهملة وقيل: أنها بنت كُحَّة وقيل: أم كحلة[(٣)] **[فزَوى ابنا عمهِ]** بفتح الزاي؛ أي: جمعاً وقبضاً **[في مسجد الفضيخ]** هو بالضاد والخاء المعجمتين؛

---

(١) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمٰن، العكبري [١/ ١٦٨].

(٢) قال البغوي: إنه أوس بن الصامت. انظر: معالم التنزيل، البغوي [٢/ ١٦٩].

(٣) كما في جميع النسخ، ولعل الصواب ما أثبته ابن حجر بعد عرض الآراء أنها: «أم كجة» بالجيم المشددة. انظر: الإصابة، ابن حجر [٨/ ٢٨٥/ برقم: ١٢٢١٧].

۞ ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾.

قد جعل لهن نصيباً ولَمْ يُبَيِّن حتّى يُبَيِّنَ». فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١] فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم. وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقف الخطاب. ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ فاعطوهم شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم. وتصدقاً عليهم، وهو أمر ندب للبالغ من الورثة. وقيل: أمر وجوب، ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم.

﴿٩﴾ ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم، أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم، أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضرَّ بهم بصرف المال عنهم، أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون حرمانهم، أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في

موضع بالمدينة قيل: لعلهُ المسجد الذي كان يسكنه أصحاب الصفة لأنهم كانوا يرضخون فيه النوى، والرضخ والفضخ من وادٍ واحد[1] [ولم يُبَيِّن]؛ أي: النبي ﷺ [حتى يُبَيِّن] أي الله تعالى [فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾] في بعض الطرق ولم يبين حتى نزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) انظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي [١/ ٢٣].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾.

حيزه، جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع، وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه، وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده. ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى، إذ لا ينفع الأول دون الثاني، ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب، أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة، ويذكره التوبة وكلمة الشهادة، أو لحاضري القسمة عذراً جميلاً ووعداً حسناً، أو أن يقولوا في الوصية ما لا يؤدي إلى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ ظالمين، أو على وجه الظلم. ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ ملء بطونهم. ﴿نَارًا﴾ ما يجر إلى النار، ويؤول إليها. وعن أبي بردة ﷺ أنه ﷺ قال: «**يبعث الله قوماً من قبورهم تَتَأَجَّجُ أفواههم ناراً**». فقيل: من هم؟ فقال: «**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يقول:** ﴿إِنَّ

[**على معنى: وليخش الذين حالهم**] إلى آخره؛ يعني: في جعل «لو» مع جوابه صلة الموصول مزيد تقرير للحث على الخشية [**ظالمين أو على وجه الظلم**] أشار به إلى أن «ظلماً» في الآية حال أو تمييز، وجوز غيره أن يكون مفعولاً له [﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ ملء بطونهم] قال الطيبي: وضع هذا مكان ذاك، وفائدته المبالغة كأنه جعل بطونهم مكان النار ومستقرها [**وعن أبي بردة: «أنه ﷺ قال: يبعث الله قوماً...»**] إلى آخره. رواه ابن حبان(١) وغيره(٢).

---

(١) صحيح ابن حبان [١٢/ ٣٧٧/ ٥٥٦٦]. (٢) مسند أبي يعلى [١٢/ ٣٧٧/ برقم: ٥٥٦٦].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾». ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ سيدخلون ناراً وأي نار. وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففاً. وقرئ به مشدداً يقال: (صلى النار) قاسى حرها، و(صليته) شويته، و(أصليته وصليته) ألقيته فيها، و(السعير) فعيل بمعنى: مفعول؛ من (سعرت النار) إذا ألهبتها.

﴿١١﴾ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يأمركم ويعهد إليكم. ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراثهم وهو إجمال تفصيله. ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾؛ أي: يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه، وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله، والتنبيه على أن التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة، والمعنى: (للذكر منهم) فحذف للعلم به. ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾؛ أي: إن كان الأولاد نساء خلصاً ليس معهن ذكر، فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات. ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ خبر ثان، أو صفة للنساء؛ أي: نساء زائدات على اثنتين. ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المتوفى منكم، ويدلَ عليه المعنى. ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾؛ أي: وإن كانت المولودة واحدة. وقرأ نافع بالرفع على كان التامة، واختلف في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما: حكمهما حكم الواحدة؛ لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما. وقال الباقون: حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بيَّن أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان، اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان. ثم لما أوهم ذلك أن يزاد

النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحري أن تستحقه مع أخت مثلها. وأن البنتين أمس رحماً من الأختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله: ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]. ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ ولأبوي الميت. ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس، والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً. ﴿ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ﴾؛ أي: للميت. ﴿وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة، وما بقي من ذوي الفروض أيضاً بالعصوبة. ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فحسب. ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ مما ترك وإنما لم يذكر حصة الأب؛ لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب، وكأنه قال: فلهما ما ترك أثلاثاً، وعلى هذا ينبغي أن يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور، لا ثلث المال كما قاله ابن عباس، فإنه يفضي إلى تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع. ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ بإطلاقه يدل على أن الإخوة يردونها من الثلث إلى السدس، وإن كانوا لا يرثون مع الأب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم، والجمهور على أن المراد بالإخوة عدد ممن له إخوة من غير اعتبار الثلث سواء كان من الإخوة أو الأخوات،

[بدل منه]؛ أي: بدل بعض مِنْ كُلّ، فـ«السُّدُس» مبتدأ، و«لأبويه» خبره، وفائدة البدل دفع توهُّم أن يكون للأب ضِعْف ما لِلأُم أخذاً من قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وبهذا اندفع كما قال التفتازاني: إنَّ البدل ينبغي أن يكون بحيث لو أسقط استقام الكلام معنى، وهنا لو قيل لأبويه السُّدُس لم يستقم(١)
[فحسب] قيّد به بقرينة المقام لا بدلالة اللفظ.

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٢٠].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا يحجب الأم من الثلث ما دون الثلاثة ولا الأخوات الخلص أخذاً بالظاهر. وقرأ حمزة والكسائي ﴿فَلِإِمِّهِ﴾ بكسر الهمزة اتباعاً للكسرة التي قبلها. ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها؛ أي: هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من وصية. أو دين، وإنما قال: بـ(أو) التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين، وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على الندور. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد. ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾؛ أي: لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم، فتحروا فيهم ما أوصاكم الله به، ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض وحرمانه. روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل أن يرفع إليه فيرفع بشفاعته. أو من مورثيكم منهم أو من أوصى منهم فعرضكم للثواب بإمضاء وصيته، أو من لم يوص

[وإنما قال بـ«أو» التي للإباحة] قال التفتازاني: المراد بالإباحة هنا التسوية وعدم اختلاف الحكم، سواء كان ذلك في الأمر أم في غيره[١]. فلا حاجة إلى ما يقال أن الخبر ههنا بمعنى الأمر **[مندوب إليها الجميع]**؛ أي: جميع الناس الذين يطلب منهم الوصية **[والدّين إنما يكون على النُّدور]**؛ يعني: على القليل منهم **[روي أن أحد المتوالدين]** إلى آخره. رواه الطبراني[٢] **[أو من مُوَرِّثيكم]** عطف على «ممن يرثكم» **[أَمَن أوصى]** بفتح الميم مخففة وفي نسخة أو من أوصى فهو على الأول بدل من أنفع وعلى الثاني عطف عليه **[أو من لم يُوصَ]** عطف على «من أوصى» والمعنى: أن من أوصى منهم ومن لم يوص أقرب لكم نفعاً آخروياً بإجازتكم في

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٢١].

(٢) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٤٦٤/ برقم: ٣٤٣].

۞ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لأمر القسمة أو تنفيذ الوصية. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مصدر مؤكد، أو مصدر (يوصيكم) لأنه في معنى: يأمركم ويفرض عليكم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ بالمصالح والرتب. حَكِيماً فيما قضى وقَدَّرَ.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾؛ أي: ولد وارث من بطنها، أو

الأول ودنيوياً بتوفر المال في الثاني(١).

[فهو؛ أي: ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾] إلى آخره. [اعتراض]؛ أي: بين جملة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ وما يتعلق بها من قولهِ تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [لأمر القسمة] في نسخة: «لأمر القَسْم» بفتح القاف وسكون السين، بمعنى: القسمة [مصدر مؤكد]؛ أي: لمضمون جملة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ كما مرَّ [أو مصدر ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ لأنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم] أشار بالتعليل إلى الفرق بين القولين؛ وحاصله: أن الثاني مصدر لـ«يوصي» لما قاله. والأول مصدر لمقدر؛ أي: يفرض فريضة، وتجوَّزَ كبعضهم في جعل

---

(١) عبارة: (وفي نسخة أو من أوصى فهو على الأول بدل من أنفع وعلى الثاني عطف عليه [أو من لم يُوصَ] عطف على من أوصى، والمعنى: أن من أوصى منهم ومن لم يوص أقرب لكم نفعاً آخروياً بإجازتكم في الأول ودنيوياً بتوفر المال في الثاني)، في نسخة [ز - ج - ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

من صلب بنيها، أو بني بنيها وإن سفل ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم. ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب، وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب، ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة، وتستوي الواحدة والعدد منهم في الربع والثمن. ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ﴾؛ أي: الميت. ﴿يُورَثُ﴾؛ أي: يورث منه من ورث صفة رجل. ﴿كَلَٰلَةً﴾ خبر (كان) أو (يورَث) خبره، و(كلالة) حال من الضمير فيه، وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً. أو مفعول له والمراد بها: قرابة ليست من جهة الوالد والولد. ويجوز أن يكون الرجل الوارث ويورث من أورث، وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد. وقرئ: (يُورِّثُ) على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة، وعلى الأول: خبر أو حال، وعلى الثاني: مفعول له،

«فريضة» مصدر أسلم منهُ قول: «الكشاف» هنا[1] نُصِبت نصب المصدر المؤكد، وقال غيره: إنها حال مؤكدة لأنها ليست مصدراً.

[منهن]؛ أي: من الزوجات [من ورث]؛ أي: مأخوذ من ورث المجرد المبني للمفعول [وهو]؛ أي: الكلالة على القولين من [والمراد بها]؛ أي: الكلالة على القول أنها مفعول لهُ [من أورث]؛ أي: مأخوذ من أورث المزيد المبني للمفعول. **[وكلالة من ليس بوالد ولا ولد]**؛ أي: على القول بأن الرجل هو الوارث، وبما تقرر عُلِم أنَّ «الكلالة»: تطلق على من لم يَخلف ولداً ولا والداً، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد، وعلى من ليس بولد ولا والد، فهي على قولين لذات، وعلى قول لمعنى[2] **[فالرجل]**؛ أي: على هذه القراءة **[الميِّتُ]** بالرفع خبر الرجل **[وكلالة]**؛ أي: عليها أيضاً **[يحتمل المعاني الثلاثة]**؛ أي: التي قررتها أنفاً [و] هي **[على الأول]**؛ أي: من

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥١٦]..

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٣/ ٣٠٥].

وعلى الثالث: مفعول به، وهي في الأصل مصدر بمعنى: (الكلال) قال الأعشى:

فَآلَيْتُ لَا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالة وَلَا مِنْ حَفًا حَتى أُلَاقِي مُحَمَّداً

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية؛ لأنها (كالة) بالإضافة إليها، ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى: ذي كلالة كقولك: فلان من قرابتي. ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٌ﴾ عطف على رجل. ﴿وَلَهُۥٓ﴾؛ أي: وللرجل، واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه. ﴿أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾؛ أي: من الأم، ويدل عليه قراءة أُبي وسعد بن مالك (وله أخ أو أخت من الأم)، وأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين وللأخوة الكل، وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قدر هاهنا فرض الأم فناسب أن يكون لأولادها. ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ سوّى بين الذكر والأنثى في القسمة لأن الإدلاء بمحض الأنوثة، ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه

المعاني وكذا القول في قولهِ وعلى الثاني وعلى الثالث [قال الأعشى] في مدحهِ للنبي ﷺ لما أراد الوفودَ عليه فَصَدَّهُ(١) قريش على ذلك:

[فــآلــيــتُ لا أَرثــي لــهــا ....]

أي: لراحلتي [من كَلالَة]؛ أي: إعياء وتمامهُ:

.... ولا مِنْ حَفاً حتى تُلاقي محمداً(٢)

[بالإضافة إليها]؛ أي: إلى البعضية [على تشاركهما(٣) فيه] متعلق بدلالة لا بالعطف [قراءة أُبَيّ]؛ أي: أُبَيّ بن كعب(٤) [وسعد بن مالك] هو ابن أبي وقاص [ومفهوم الآية]؛ أي: آية الكلالة [فَخَصَّ فيه]؛ أي: في إرثهم ذلك مع الأُم والجَدّة

---

(١) قال ابن عساكر: فبلغ خبره قريشاً فرصدوه. تاريخ دمشق، ابن عساكر [٨٨/ ٤٧٤].

(٢) العين، الفراهيدي [٣/ ٣٠٦].

(٣) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (تشككهما).

(٤) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥١٧].

بالإجماع. ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾؛ أي: غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث، أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين لا يلزمه، وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله: ﴿يُوصَىٰ﴾ على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم. ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به، ويؤيده أنه قرئ (غَيْرَ مُضَارّ وَصِيَّةً) بالإضافة؛ أي: لا يضار ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾، وهو الثلث فما دونه بالزيادة، أو وصية منه بالأولاد بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمضار وغيره. ﴿حَلِيمٞ﴾ لا يعاجل بعقوبته.

[**أو قصد المضارَّة بالوصية**] عطف على «الزيادة على الثلث» وأشار بقولهِ: [**دون القربة**] إلى أن من المضارّة أن يُوصى بالثلث أو بدونه قاصداً الضرر بالورثة لا القربة [**والإقرار بِدَيْن لا يلزمهُ**] عطف على الوصية ولو عطفه بـ«أو» أو قال كالإقرار كان أوضح [**وهو حال من فاعل يوصى**] ولا يمنع من ذلك الفصل بينهما بقوله: ﴿أَوۡ دَيۡنٍ﴾ وإن كان أجنبياً لأنه ليس بأجنبي محض بل هو شبيه بالوصية أو تابع، ويغتفر في التابع ما لا يغْتَفَر في المتبوع[1] [**أو منصوب بغير «مضارٍّ»**]؛ يعني: بمضار [**ويؤيدهُ**]؛ أي: كون وصية منصوبة بـ«مضارّ» [**أنه قرئ**] إلى آخره؛ أي: لأن الإضافة في هذه القراءة من إضافة العامل إلى المعمول؛ ولهذا قيل: إن هذه القراءة على تقدير حذف المضاف؛ أي: «غير مضار أهل وصية» أو «ذوي وصية» [**أي: لا تضار**]؛ أي: الوصية المطلوبة.

[﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾] منصوبة بـ«تضارّ» [**وهو الثلث فما دونهُ**] تفسير لمضمون الوصية من الله [**بالزيادة**] متعلق بـ«تضار» [**أو وصية منه**]؛ أي: «**من الله**» **عطف على** «وصية من الله» [**بالأولاد**] متعلق بـ«وصية» [**بالإسراف**] **متعلق بـ«تضار»**[2]

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٢٧٨].

(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٦/ ٢٣١].

۞ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَاللَّٰتِي يَأْتِينَ الْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث. ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ توحيد الضمير في (يدخله)، وجمع (خالِدِينَ) للفظ والمعنى. وقرأ ابن عامر ونافع (ندخله) بالنون و(خالِدِينَ) حال مقدرة كقولك: مررت برجل معه صقر صائداً به غدا، وكذلك (خالداً) وليستا صفتين لـ(جنات) و(ناراً) وإلا لوجب إبراز الضمير لأنهما جريا على غير من هما له.

﴿١٥﴾ ﴿وَاللَّٰتِي يَأْتِينَ الْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾؛ أي: يفعلنها، يقال: أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها إذا فعلها، والفاحشة: الزنى لزيادة قبحها وشناعتها. ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن. ﴿فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾

[**وليسا صفتين لجنات وناراً وإلا لوجب إبراز الضمير**]؛ أي: على مذهب البصريين، أما مذهب الكوفيين فذلك جائز عندهم عند أَمْنِ اللَّبْس كما هنا.

[**لزيادة قبحها وشناعتها**] الأَوْلَى: لزيادة قبحهِ وشناعتهِ؛ أي: «الزنا» على كثير

۞ ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾.

فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجناً عليهن. ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ يستوفى أزواحهن الموت، أو يتوفاهن ملائكة الموت. قيل: كان ذلك عقوبتهن في أوائل الإسلام فنسخ بالحد، ويحتمل أن يكون المراد به التوصية بإمساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال، لم يذكر الحد استغناء بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النور: ٢] ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ كتعيين الحد المخلص عن الحبس، أو النكاح المغني عن السفاح.

١٦ ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ﴾؛ يعني: الزانية والزاني. وقرأ ابن كثير بتشديد النون وتمكين مد الألف، والباقون بالتخفيف من غير تمكين. ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ بالتوبيخ والتقريع، وقيل: بالتغريب والجلد. ﴿فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ فاقطعوا عنهما الإيذاء، أو أعرضوا عنهما بالإغماض والستر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ علة الأمر بالإعراض وترك

من القبائح [ليستوفي أزواجهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت] أشار بالأول إلى أن في «يتوفَّاهُنَّ الموت» استعارة مكنية بتشبيه الموت بشخص مستوفٍ أزواجهن، وتخييلية بإثبات التوفي للموت بمعناهُ الحقيقي وهو «الأخذ» لا بمعناهُ المجازي وهو «الموت»، وبالثاني إلى أن في ذلك إسناداً مجازياً، والحامل له كالزمخشري[(١)] على ذلك الجواب عما يقال التوفّي والموت بمعنىً. كأنه قيل: «يُمِيْتَهُنَّ الموت».

[كتَعَيُّنِ الحدِّ]؛ أي: مشروعيتهُ لأنه لم يكن مشروعاً ذلك الوقت كما صرح بِهِ «الكشاف»[(٢)] [أو النكاح المغني عن السِّفَاح] لعل ذلك كان أوائل الإسلام فنُسِخَ

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥١٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥١٨].

۞ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

المذمة. قيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد. وقيل: الأولى في السحاقات، وهذه في اللواطين، والزانية والزاني في الزناة.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته. ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ متلبسين بها سفهاً فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل، ولذلك قيل: من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب؛ أي: قبل حضور الموت لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٨] وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر**» وسماه قريباً لأن أمد الحياة قريب لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]. أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر

بالحدّ. [وكان عقوبة الزنا] في نسخة «الزناة» [**الأذى**]؛ أي: الإيذاء [**وقيل: الأولى**]؛ أي: وهي آيةُ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] [**وهذه**]؛ أي: آية: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾ [النساء: ١٦] [**كالمحتوم على الله بمقتضى وعده**]؛ أي: لأنه تعالى وعد بقبول التوبة فإذا وعد شيئاً لا بد أن ينجز وعدهُ؛ لأن الخُلف في وعدِهِ سبحانهُ محال [**مَنْ تابَ عليهِ إذا قَبِلَ توبَتَهُ**]؛ أي: لا مِنْ تاب العبدُ إلى الله بمعنى رجع إليه [«**يقبل الله**[١] **توبة العبد ما لم يغرغر**»] رواهُ الترمذي[٢] وغيرهُ[٣] وحسنهُ الترمذي، والغرغرة: تَرَدُّدُ الروح في الحلق [**أو قبل أن يشرب**] عطف على «قبل حضور الموت» [**حبّه**]؛ أي: حبّ السوء [**فيطبع**]؛ أي: السوء [**عليها**]؛ أي:

---

(١) لفظ الجلالة (الله) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].
(٢) سنن الترمذي [٥/٥٤٧/ برقم: ٣٥٢٧]. (٣) مسند أحمد [٢/ ١٣٢/ برقم: ٦١٦٠].

۞ ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

عليهم الرجوع، و(مِنْ) للتبعيض؛ أي: يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت، أو قرين السوء.
﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة ﴿حَكِيمًا﴾ والحكيم لا يعاقب التائب.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ سوّى بين من سوّف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة؛ للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة، وكأنه قال: وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء. وقيل: المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين، وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم، وبالذين يموتون الكفار. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ تأكيد لعدم قبول توبتهم، وبيان أن العذاب أعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء، والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة، وقيل: أصله (أعددنا) فأبدلت الدال الأولى تاء.

﴿١٩﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ كان

على القلوب [و «مِنْ» للتبعيض] زاد غيرهُ أو لابتداء الغاية.

[الذي هو ما] قبل لا حاجة إلى ذكرها [سلطان الموت]؛ أي: غلبته وظهور آثاره [أو قرين] السوء، وفي نسخة: أو «تزين السوء» [و الاعتاد] في نسخة الاعتداد

الرجل إذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها، فنهوا عن ذلك. وقيل: لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث فتتزوجوهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه. وقرأ حمزة والكسائي (كُرْهاً) بالضم في مواضعه وهما لغتان. وقيل: بالضم (المشقة) وبالفتح ما يكره عليه. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ عطف على (أَنْ تَرِثُوا)، و(لا) لتأكيد النفي؛ أي: ولا تمنعوهن من التزويج، وأصل (العضل) التضييق، يقال: عضلت الدجاجة ببيضها. وقيل: الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن. وقيل: تم الكلام بقوله: ﴿كَرْهًا﴾ ثم خاطب الأزواج ونهاهم عن العضل. ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف، والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره: ولا تعضلوهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة، أو: ولا تعضلوهن لعلة ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ [الطلاق: ١]. وقرأ ابن كثير وأبو بكر (مُبَيَّنَةٍ) هنا وفي الأحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول. ﴿فَإِن

[على امرأته]؛ أي: امرأة ميتة **[يقال: عَضَلَت الدجاجةُ بيضها]**؛ أي: تعسر خروجهُ[١] **[والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له]** المراد بأعم العام: ما لا أعمَّ منهُ؛ وهو الشيء فإذا قلت: «ما رأيتُ إلا زيداً»؛ كأنك قلت: «ما رأيتُ شيئاً إلا زيداً». وهذا يقع في جميع مقتضيات الفعل من نَحْو فاعلهُ ومفاعليهُ، فالاستثناء في «ما رأيت إلا زيداً» من أعم عام المفعول به وفي «ما لقيتهُ إلا راكباً» من أعم عام أحوالهِ، وفي «ما ضربتهُ إلا تأديباً» من أعم عام أغراضه[٢].

[وفي الأحزاب] عطف على مُقَدَّرٍ؛ أي: «وهنا وفي الأحزاب»

---

(١) الاشتقاق، ابن دريد [ص٥٩].

(٢) انظر: الكليات، الكفومي [ص١٢٦].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾.

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾؛ أي: فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً، وقد تحب ما هو بخلافه. وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير، و(عسى) في الأصل علة الجزاء فأقيم مقامه. والمعنى: فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ تطليق امرأةٍ وَتَزَوُّجَ أُخْرَى. ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾؛ أي: إحدى الزوجات، جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس. ﴿قِنطَارًا﴾ مالاً كثيراً. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: من قنطار. ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ استفهام إنكار وتوبيخ؛ أي: تأخذونه باهتين وآثمين، ويحتمل النصب على العلة كما في قولك: قعدت عن الحرب جبناً؛ لأن الأخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم. قيل: كان الرجل منهم إذا أراد امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة، فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه، وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم. و ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ إنكار لاسترداد المهر؛ والحال أنه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر. ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً، وهو حق الصحبة والممازجة، أو ما أوثق الله عليهم في شأنهن بقوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

[باهتين وآثمين] بيّن بهما أن «بهتانا وإثماً» حالان، ومعنى باهتين: رامِيْنَهُنَّ بالبهتان الآتي بيانهُ في كلامهِ [الذي يبهت المكذوب عليه]؛ أي: يجبرهُ. [أو ما أوثق الله عليهم]

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾.

تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**».

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم، وإنما ذكر (ما) دون (من) لأنه أريد به الصفة، وقيل: (ما) مصدرية على إرادة المفعول من المصدر. ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بيان ما نكح على الوجهين. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل: تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم بِهِنَّ فُلُولٌ من قراع الكَتَائِب

والمعنى: ولا تنكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوهن. وقيل: الاستثناء منقطع ومعناه: لكن ما قد سلف، فإنه لا

في نسخة: «أو ما وثَّق الله عليهم»(١) الآتي بيانه في كلامه [«**أخذتموهن بأمانة الله...**»] إلى آخره(٢). رواهُ مسلم بلفظ: «**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن...**»(٣) إلى آخره.

[**أو من اللفظ للمبالغة**]؛ يعني: أنه من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه [**كقوله**]؛ أي: قول النابغة الذبياني:

[**ولا عيبَ فيهِم غيرَ أنَّ سيوفَهُم بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِراعِ الكتائبِ**](٤)

«فلول»: جمع فَلّ وهو كسر في حد السيف، والمعنى: إذا لم يكن فيهم عيب إلا الشجاعة وهي من أخصّ أوصاف المدح فلا عيب فيهم [**والمعنى: لا تنكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوه**]؛ أي: ولا يمكن ذلك

---

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (عليكم).
(٢) مسند أحمد [٥/ ٧٢/ برقم: ٢٠٧١٤].
(٣) صحيح مسلم [٢/ ٨٨٦/ برقم: ١٢١٨].
(٤) الكتاب، سيبويه [ص١٥٧].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

مؤاخذة عليه لأنه مقرر. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ علة للنهي؛ أي: إن نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمةٍ من الأمم، ممقوتاً عند ذوي المروءات، ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه: (المقتي) ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ سبيل من يراه ويفعله.

﴿٢٣﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن؛ لأنه معظم ما يقصد منهن، ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] ولأن ما قبله وما بعده في النكاح، وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك؛ وإن علت، وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها؛ وإن سفلت، وأخواتكم الأخوات من الأوجه الثلاثة. وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكراً ولدك

والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما تعلق بالمحال في التأبيد في نحو قوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] **[إلا أنه مقرر]**؛ أي: في الشرع **[ولذلك سُمَي ولد الرجل من زوجة أبيهِ المقتيّ]** يسمى به الرجل المذكور أيضاً قال في «القاموس»(١): نكاحُ المِقْت أن يتزوج امرأة أبيه بعدهُ؛ فالمَقْتي ذلك

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [١/ ٢٠٥].

والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريباً أو بعيداً، وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبُعدى. ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ نَزَّلَ الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أماً والمُرضَّعة أختاً، وأَمَرَّها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**». واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الأصل ليس بصحيح؛ فإن حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون النسب. ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ ذكر أولاً محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة؛ لأن لها لحمة كلحمة النسب، ثم محرمات المصاهرة فإن تحريمهن عارض لمصلحة الزواج، و(الربائب) جمع (ربيبة). و(الربيب): ولد المرأة من آخر؛ سمي به لأنه يربه كما يرب ولده في غالب الأمر، (فعيل) بمعنى (مفعول) وإنما لحقه التاء لأنه صار اسماً، و(من نسائكم) متعلق بـ(ربائبكم)، واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية للنظم، ولا يجوز تعليقها بـ(الأمهات) أيضاً؛ لأن (من) إذا علقتها بـ(الربائب) كانت ابتدائية، فإن علقتها بـ(الأمهات) لم يجز ذلك بل وجب أن يكون بياناً لـ(نسائكم) والكلمة الواحدة لا تحمل على

المتزوج أو ولدهُ [**وأَمَرَّها**] بفتح الميم والراء المشددة؛ أي: أجرها.

[«**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»] رواهُ الشيخان(١) [**واللاتي بصلة صفة لها**]؛ أي: لربائبكم [**مقيدة للفظ**]؛ أي: للفظ ربائبكم [**والحكم**]؛ أي: وللحكم وهو تحريمهن [**بالإجماع قضية للنظم**] علة للتقييد؛ أي: لاقتضاء نظم الآية ذلك فقوله: ﴿وَٱلَّٰتِي﴾ إلى آخره. جواب ما يقال: كيف جعل قيداً للحكم مع أنه لا يتقيد به على الراجح؟ فأجاب: بأنهُ مقيد له من حيث أنه مجمع عليه، وأجيب أيضاً: بأنه قيد خرج مخرج الغالب، وسيأتي في كلامهِ مع زيادة [**لأَنَّ (مِنْ) إذا علّقها بـ(الرَّبَائِبِ) كانت ابتدائية فإن عَلَّقها بـ (الأُمَّهَاتِ) لم يجز ذلك؛ بل وجب أن تكون**]

---

(١) صحيح البخاري [٣/ ٩٣٥/ برقم: ٢٥٠٢]، صحيح مسلم [٢/ ١٠٦٩/ برقم: ١٤٤٥].

معنيين عند جمهور الأدباء اللَّهُمَّ إذا جعلتها للاتصال كقوله: (فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِني) على معنى: أن أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن، لكن الرسول ﷺ فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها: «**إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها**». وإليه ذهب عامة العلماء، غير أنه روي عن علي رضي الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما. ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنساءين لأن عاملهما مختلف، وفائدة قوله: ﴿فِي حُجُورِكُم﴾ تقوية العلة وتكميلها، والمعنى: أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن وهن في احتضانكم أو بصدده تقوى الشبه بينها وبين أولادكم وصارت أحقاء بأن تُجْرُوها مجراهم لا تقييد الحرمة، وإليه ذهب جمهور العلماء. وقد روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه جعله شرطاً، والأمهات والربائب تتناولان القريبة والبعيدة، وقوله: ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾؛ أي: دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع،

بياناً لـ (نسائكم)]؛ أي: لأن من البيانية تقتضي اتحاد الثاني بالأول، والابتدائية تقتضي إنشاء الأول من الثاني فبينهما تنافٍ.

[............................ فإني لستُ مِنْكَ ولسَتَ مِنّي]

صدرهُ:

إذا حاولتَ في أسدٍ فُجوراً[(١)] ....

[**على معنى: أنَّ أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن**]؛ أي: فإن «من» بهذا المعنى تكون ابتدائية وبيانية على جهة المبالغة. [**فرق بينهما**]؛ أي: بين أمهات النساء وبناتهن [**لأن عاملها**]؛ أي: عامل النسائين [**مختلف**] إذ عامل الأول «أمهات» وعامل الثاني «من» [**وهُنَّ في احتضانكم أو بصددهِ**] أشار به إلى أن «في حجوركم» يستعمل في حقيقتهِ ومجازهِ لتدخل التي ليست في حجرهِ بل بصدد أن تكونُ فيه [**لا تقييد الحرمة**]؛ أي: تكون الربيبة في الحجر حقيقة.

[**أي: دخلتم معهن**] أشار إلى أن الباء في «بهن» بمعنى «مع»، كما في قوله:

---

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: الكتاب، سيبويه [ص٣٨٠].

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

ويؤثر في حرمة المصاهرة ما ليس بزنا كالوطء بشبهة، أو ملك يمين. وعند أبي حنيفة: لمس المنكوحة ونحوه كالدخول. ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ تصريح بعد إشعار دفعاً للقياس. ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ زوجاتهم، سميت الزوجة حليلة؛ لحلها أو لحلولها مع الزوج. ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ في موضع الرفع عطفاً على (المحرمات)، والظاهر: أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين، ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما: حرمتهما آية وأحلتهما آية، يعنيان هذه الآية. وقوله: ﴿فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ﴾ [النساء: ٣] فرجح عليّ كرم الله وجهه التحريم، وعثمان رضي الله عنه التحليل. وقول عليّ أظهر؛ لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام**». ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ﴾ استثناء من لازم المعنى، أو منقطع معناه: لكن ما قد سلف مغفور لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ذوات الأزواج، أحصنهن التزويج أو

﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٧٠] وجعلها في «الكشاف»(١) للتعدية كما في قولهِ تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] [**ويؤثر**]؛ أي: في التحريم [**ما**]؛ أي: جماع [**ليس بِزِنًا**] بخلاف الزِّنَا إذ لا حرمة لهُ [**مخصوصة في غير ذلك**]؛ أي: في

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ١١٠].

الأزواج. وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن غير هذا الحرف لأنهن أحصن فروجهن. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد مَّا مَلَكَتْ أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفّارٌ فهنَّ حلال للسابين، والنكاح مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد: أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج، فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي ﷺ، فنزلت الآية فاستحللناهن. وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وَذَاتِ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا حَلَالٌ لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ

وقال أبو حنيفة: لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي. وإطلاق الآية والحديث حجة عليه. ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر مؤكد؛ أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً. وقرئ (كُتُبُ) الله بالجمع والرفع؛ أي: هذه فرائض الله عليكم (وكتب الله) بلفظ الفعل. ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ عطف على الفعل المضمر الذي نصب (كتاب) وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفاً على (حُرِّمَتْ). ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ما سوى المحرمات الثمان المذكورة. وخص عنه بالسُّنَّة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع، والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها. ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ مفعول له، والمعنى: أحل لكم ما وراء ذلك

غير الأختين، وفي بمعنى الباء فلو عبر بها كان أوضح [«أصبنا سباياً يوم أوطاس...»] إلى آخره. رواهُ مسلم[1] **[وإياه]**؛ أي: جواز أنكحة المسبيَّات ذوات الأزواج **[عنى الفرزدق بقولهِ:**

وذاتُ حَلِيلٍ[2] أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا حَلالٌ لِمَنْ يَبْنِي بها لم تُطَلَّقِ][3]

أي: ولم تطلق **[الثمان المذكورة]** صوابهُ: «الأربع عشرة» المذكورة **[وخص عنهُ]**؛ أي: عن ما أحل لكم ما وراء ذلكم **[كسائر محرمات الرضاع]**؛ أي: باقيها

---

(١) صحيح مسلم [٢/١٠٦١/ برقم: ١٤٣٨]. (٢) في نسخة [ب]: (خليل).
(٣) البيت للفرزدق، انظر قصته في: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي [ص٤٥].

إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن، أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين، ويجوز أن لا يقدر مفعول (تبتغوا) فكأنه قيل: إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين، أو بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال. واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد وأن يكون مالاً؛ ولا حجة فيه. و(الإحصان): العفة؛ فإنها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب. و(السفاح): الزنى؛ من السفح، وهو صب المني؛ فإنه الغرض منه. ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فمن تمتعتم به من المنكوحات، أو فما استمعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن. ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن؛ فإن المهر في مقابلة

[إرادة أن تبتغوا] قدر إرادة ليصح جعل «أن تبتغوا» مفعولاً لهُ اذ شرطه اتحاد العامل في الفاعل وهو هنا مختلف؛ إذ فاعل «أَحَلّ» «الله» وفاعل «تبتغ» «المخاطبون» وبتقدير الإرادة حصل الاتحاد إذ فاعلهما هو «الله» [بالصرف في مهورهن]؛ أي: إن قصد نكاحهن [أو أثمانهن]؛ أي: إن قصد تملكهن بأن كنَّ إماء.

[ويجوز أن لا يقدر مفعول ﴿تَبْتَغُوا۟﴾] برفع مفعول يجعلهُ نائباً عن الثاني(١) وأفهم كلامهُ أنه قدر في القول الأول ولم يُصرح بهِ فيه، وقد صرح به الزمخشري فقال: يجوز أن يكون مقدراً وهو «النساء»، والأجود أن لا يقدر، وكأنُه قيل: «أن تخرجوا أموالكم»(٢). انتهى.

[أو بدل من ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾] عطف على مفعول له [واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد أن يكون مالاً]؛ أي: فلا يجوز أن يكون بمنفعة كتعليم قرآن وخدمة عبدٍ. وعبارة غيره لا بد أن يكون أموالاً لقوله تعالى: ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾؛ أي: فلا يجوز أن يكون بدرهم أو درهمين(٣) [ولا حجة فيه]؛ أي: لأن الآية دلت على أن الابتغاء بالأموال جائز، ولا دلالة فيها على الابتغاء بغير الأموال جائز إلا في المفهوم، وهم لا يقولون بهِ، والقائل بهِ أجاب بأن قوله: ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ﴾ من مقابلة الجمع بالجمع؛ فيقتضي التوزيع وبأنه مُعارض بالأخبار الدالة على أن الجواز بغير الأموال كتعليم قرآن والمنطوق مقدم على المفهوم.

---

(١) ففي نسخة [ز ـ ب]: (عن الفاعل). (٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٢٩].

(٣) حاشية الدسوقي، محمد عرفة الدسوقي [٢٠/ ١٨١].

۝ ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

الاستمتاع. ﴿فَرِيضَةً﴾ حال من الأجور بمعنى: مفروضة، أو صفة مصدر محذوف؛ أي: إيتاء مفروضاً، أو مصدر مؤكد. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي، أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق. وقيل: نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أباحها ثم أصبح يقول: «**يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء؛ ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة**». وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها؛ إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة، وتمتعها بما تعطي. وجوزها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجع عنه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح. ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرع من الأحكام.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ غنىً واعتلاء؛ وأصله الفضل والزيادة. ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ في موضع النصب بـ(طولاً). أو بفعل مقدر صفة له؛ أي: ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح

[أو مصدر مؤكد] فارق ما قبلهُ بأنهُ مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه وما قبله وصف منصوب بفعل مذكور من غير لفظه [روي: «**أنه عليه الصلاة والسلام أباحها...**»] إلى آخره. رواهُ مسلم بلفظ: «**أَذِنْتُ لكم في الاستمتاع**»(١) بدل أمرتكم بالاستمتاع **[وجوزها ابن عباس**(٢)**]**؛ أي: للمضطر **[أي: ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح**

---

(١) صحيح مسلم [٢/ ١٠٢٣/ برقم: ١٤٠٦]. (٢) سنن الترمذي [٣/ ٤٢٩/ برقم: ١١٢١].

المحصنات، أو من لم يستطع غنىً يبلغ به نكاح المحصنات؛ يعني: الحرائر لقوله: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ يعني: الإماء المؤمنات، وظاهر الآية حجة للشافعي رضي الله تعالى عنه في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة، ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقاً. وأوَّل أبو حنيفة رحمه الله تعالى: طول المحصنات؛ بأن يملك فراشهن، على أن النكاح هو الوطء، وحمل قوله: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على الأفضل. كما حمل عليه في قوله: ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ومن أصحابنا من حمله أيضاً على التقييد؛ وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة؛ حذراً عن مخالطة الكفار وموالاتهم، والمحذور في نكاح الأمة رق الولد، وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان فإنه العالم بالسرائر ويتفاضل ما بينكم في الإيمان، فربَّ أَمَةٍ تفضل الحرة فيه، ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسب، والمراد تأنيسهم بنكاح الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده. ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الإسلام. ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ يريد أربابهن واعتبار إذنهم مطلقاً لا إشعار له، على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية. ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: أدوا إليهن مهورهن بإذن أهلهن! فحذف ذلك لتقدم ذكره، أو إلى مواليهن؛ فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لأنه عوض حقه، فيجب أن يؤدى إليه، وقال مالك ﷺ: المهر للأمة ذهاباً إلى الظاهر

المحصنات، أو ومن لم يستطع غنىً يبلغ به نكاح المحصنات] الأول من هذين راجع إلى قولهِ في موضع النصب بـ«طَوْلاً»، والثاني إلى قولهِ: «أو بفعل مقدر» ففي ذلك لف ونشر مرتب، ويجوز نصب «أن ينكح» بدلاً من «طولاً»؛ بدل كُلٍّ مِنْ كُلّ لأن الطول هو القدرة أو الفضل والنكاح قوة وفضل.

[أنتم وأرقاؤكم متناسبون] أشار بهِ إلى أن من في ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بغير مطل وإضرار ونقصان. ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائف ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ غير مجاهرات بالسفاح ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أخِلَّاء في السرّ (فَإذا أُحْصِنَّ بالتزويج). قرأ أبو بكر وحمزة بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد. ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنىً ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾؛ يعني: الحرائر ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ من الحد كقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] وهو يدل على أن حد العبد نصف حد الحر، وأنه لا يرجم لأن الرجم لا ينتصف. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ لمن خاف الوقوع في الزنى، وهو في الأصل: (انكسار العظم بعد الجبر) مستعار لكل مشقة وضرر؛ ولا ضرر

للاتصال(١) [محصنات عفائف] هو حال من ضمير ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ٢٥] وهو محمول على الندب بناءً على المشهور من جواز نكاح الزَّواني [أَخِلَّاء في السرِّ] بيان للأخدان، وقيد متخذاتهم بالسر ليميزهم من المسافحات؛ فالمسافحات هُنَّ الزناة في الجهر، وذوات الأخدان الزناة في السر، وهذا ما سلكه المصنف، وقيل: المسافحات اللاتي يزنين مع أي رجل أرادهن، وذوات الأخدان هن اللاتي يزنين مع مُعَيَّنٍ، وذلك بحسب ما كان في الجاهلية(٢).

[﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾] استشكل وجوب تنصيف الحد عليهن بتقيده بتزوجهن؛ إذ تنصيف العذاب لازم للأَمَة الزانية تزوجت أم لا، وأجيب بأن ذكر الإحصان(٣) المفسر بالتزوج لم يذكر قيداً للتنصيف؛ بل لبيان أن المراد تغليظ حد الزنا عند التزوج وإذا كان حد الأمة مع التزوج خمسين فلأن يكون في غيرهما أولى، وبأنهُ إنما ذكر لبيان جواب سؤال إذ الصحابة عرفوا مقدار حد الأَمَة قبل التزوج دون مقداره بعدهُ فسألوا عنهُ النبي ﷺ فنزلت الآية(٤).

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٣١٩].
(٢) انظر: الجواهر الحسان، الثعالبي [١/ ٣٦٤].
(٣) كما في نسخة [ز ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (الإحسان).
(٤) انظر: المعجم الكبير، الطبراني [١/ ١٥٣/ برقم: ٤٧٨].

۞ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

أعظم من مواقعة الإثم بأفحش القبائح. وقيل: المراد به الحد، وهذا شرط آخر لنكاح الإماء. ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم. قال عليه الصلاة والسلام: «**الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه**». ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصبر ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأن رخص له.

﴿٢٦﴾ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما تعبّدكم به من الحلال والحرام، أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم، و(ليبين) مفعول (يريد) واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة كما في قول قيس بن سعد:

أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّه   سَرَاويلُ قَيْسٍ وَالوُفُودُ شُهُودُ

وقيل: المفعول محذوف، وليبين مفعول له؛ أي: يريد الحق لأجله.

[﴿لِيُبَيِّنَ﴾ مفعول يريد]؛ يعني به: أن مفعول يريد يبين بقرينة قوله [واللام زيدت] إلى آخره. قال التفتازاني: التصريح بأن اللام زائدة تصريح بأن المذكور بعدها مفعول بهِ فلا يَرُدّ ما يقال: إن أراد أنه؛ أي: يريد متعد فلا بد من مفعول بهِ، وأما جملة على حذف المفعول وجعل اللام للتعليل؛ أي: يريد إيراد هذه الأحكام ليبين فليس بسديد من جهة المعنى(١). وهذا الذي نفاهُ ذكرهُ المصنف بعد [كقول قيس بن سعد] حين أحضرهُ معاوية ليباهي به في الطول أَطْول الوفود الذين بعثهم إليه عظيم الروم بهدية:

[أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ   سَرَاويلُ قَيْسٍ وَالوُفُودُ شُهُودُ]

أي: أردت بخلع السراويل بحضرة الوفود وإلباسها أطولهم حتى وصلت إلى ثندوته، الدال ذلك على أني أطول منهُ، أن لا يظن أنها سراويل غيري كما أشار إليه عقب هذا البيت بقولهِ:

وأَنْ لا تَقُولُوا غَابَ قَيْسٌ   وَهذِهِ سَراوِيلُ عَادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمُودُ(٢)

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٢٧]..

(٢) انظر القصة: الكامل في اللغة والأدب، المبرد [٢/ ٨٦].

۞ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طريقهم. ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويغفر لكم ذنوبكم، أو يرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة، أو إلى ما يكون كفّارة لسيئاتكم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها ﴿حَكِيمٌ﴾ في وضعها.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرره للتأكيد والمبالغة. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾؛ يعني: الفجرة؛ فإن اتباع الشهوات الائتمار لها، وأما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها. وقيل: المجوس. وقيل: اليهود؛ فإنهم يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت ﴿أَن تَمِيلُوا۟﴾ عن الحق ميلاً بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بالإضافة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة، ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأَمَة ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت؛ هذه الثلاث:

[أو يرشدكم] فيه إشارة إلى أن قولهُ: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] من وضع المسبب موضع السبب [كررهُ للتأكيد وللمقابلة]؛ أي: لمقابلتهِ قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [النساء: ٢٧] [وعن ابن عباس...] إلى آخره. رواه البيهقي(١) والطبري موقوفاً بسند منقطع(٢) [هذه الثلاث]؛ أي: وهي: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾،

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٥/٤٢٧/ برقم: ٧١٤٥].
(٢) جامع البيان، الطبري [٨/٢٥٧].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾.

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ [النساء: ٣١] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ [النساء: ١٤٧].

٢٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ استثناء منقطع؛ أي: ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه، أو اقصدوا كون تجارة. و(عن تراض) صفة لـ(تجارة)؛ أي: تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين، وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير؛ لأنها أغلب وأرفق لذوي المروءات، ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقاً. وقيل: المراد بالنهي: المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله. وبالتجارة صرفه فيما يرضاه. وقرأ الكوفيون (تِجارَةً) بالنصب على (كان) الناقصة، وإضمار الاسم؛ أي: إلا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة. ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ بالبخع كما تفعله جهلة الهند، أو بإلقاء النفس إلى التهلكة. ويؤيده ما روي: أن عمرو بن العاص تأوله التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي ﷺ، أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها. أو باقتراف ما يذللها

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ﴾، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٨].

[**إلا أن تكون تجارة استثناء منقطع**] إذ لم يسبق مفرد يصح وقوع استثناء التجارة منهُ لأن ما سبقها باطل وهي ليست بباطل [**وبالتجارة صرفهُ فيما يرضاهُ تعالى**] هو قريب في المعنى من قولهِ قبل: ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقاً [**روي: «أن عمرو بن العاص تَأَوَّلَهُ في التيمم لخوف البرد فلم ينكره عليه النبي ﷺ»**]، رواهُ أبو داود[1] وغيرهُ[2]

---

(١) سنن أبي داود [١/ ١٤٥/ برقم: ٣٣٤]. (٢) مسند أحمد [٤/ ٢٠٣/ برقم: ١٧٨٤٥].

(٣٠) ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)﴾.

ويرديها؛ فإنه القتل الحقيقي للنفس. وقيل: المراد بالأنفس: من كان من أهل دينهم، فإن المؤمنين كنفس واحدة. جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث إنه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس، وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾؛ أي: أمر ما أمر، ونهى عما نهى؛ لفرط رحمته عليكم. معناه: إنه كان بكم يا أمة محمد رحيماً لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه.

(٣٠) ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القتل، أو ما سبق من المحرمات. ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ إفراطاً في التجاوز عن الحق وإتياناً بما لا يستحقه. وقيل: أراد بالعدوان: التعدي على الغير، وبالظلم: ظلم النفس بتعريضها للعقاب. ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ ندخله إياها. وقرئ بالتشديد من (صلّى)، وبفتح النون من (صَلاه يصليه). ومنه شاة مَصلية، و(يُصليه) بالياء والضمير لله تعالى، أو لذلك من حيث إنه سبب الصلي. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا عسر فيه ولا صارف عنه.

[ريثما] إلى آخره. يقال: ريثما للبطؤ وللمقدار وهو المراد هنا لتعلقهِ باستبقاء؛ أي: استبقاء لهم مقدار استكمال النفوس واستبقاء فضائلها **[لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس]**؛ أي: لتحصيل التوبة حيث قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[﴿عُدْوَٰنًا﴾] بضم العين وقرئ شاذاً بكسرها كما في «الكشاف»(١) **[والضمير]**؛ أي: في «يُصْلي» على قراءتهِ بالياء **[وكان ذلك]**؛ أي: الإصلاء

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٣٤].

۞ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

﴿٣١﴾ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها، وقرئ (كبير) على إرادة الجنس. ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم. واختلف في الكبائر، والأقرب أن الكبيرة: كل ذنب رتب الشارع عليه حدّاً أو صرح بالوعيد فيه. وقيل: ما علم حرمته بقاطع. وعن النبي ﷺ: «**أنها سبع: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين**». وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع). وقيل: أراد هاهنا أنواع الشرك لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقيل: صغر الذنوب وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها، فأكبر الكبائر الشرك، وأصغر الصغائر حديث النفس، وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران، فمن عن له أمران منها ودَعَت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفَّر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر. ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال، ألا ترى أنه تعالى عاتب نبيَّه في كثير من خطراته التي لم يعدها على غيره خطيئة فضلاً عن أن يؤاخذه عليها. ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ الجنة وما وعد من الثواب، أو إدخالاً

[**والأقرب أن الكبيرة كل ذنب**] إلى آخره. فيه كل وهي لا تدخل الحد والجمع بين قولين في تعريف الكبيرة أحدهما ما فيه حد وثانيهما ما توعد عليهِ بخصوصهُ، وقد بسطت الكلام على ذلك مع زيادة في شرح «اللب» [«**وعن النبي ﷺ: أنها سبع**»] إلى آخره. رواهُ مع قولهِ بعد وعن ابن عباس إلى آخره. الطبري[1]

---

(١) جامع البيان، الطبري [٨/ ٢٤٠].

۞ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

مع كرامة. وقرأ نافع بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر.

﴿٣٢﴾ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ من الأمور الدنيوية كالجاه والمال، فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي، معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له، وأنه تَشَّهٍ لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم؛ لأن تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر، وتمنّي ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ، وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ﴾ بيان لذلك؛ أي: لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله، فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل لا بالحسد، والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس الإيمان بالتمني**». وقيل: المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه، وجعل ما قسم الله لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له. ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾؛ أي: لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفذ. وهو يدل على أن المنهي عنه هو الحسد، أو لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه إليكم. وقرأ ابن كثير والكسائي (وَسَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ) وسَلْهُم، فَسَلِ الذين، وشبهه إذا كان أمراً مواجهاً به، وقبل السين واو أو فاء بغير همز، وحمزة في الوقف على أصله والباقون بالهمز. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان فيفضل عن علم وتبيان. روي أن أم سلمة قالت: يا رسول الله يغزو

[**روي أن أم سلمة**] إلى آخره. رواهُ الترمذي(١) والحاكم وصححهُ(٢). فإن قلت:

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٢٣٧/ برقم: ٣٠٢٢]. (٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٣٥/ برقم: ٣١٩٥].

۞ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾.

الرجال ولا نغزو وإنما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالاً، فنزلت.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾؛ أي: ولكل تركة جعلنا وراثاً يلونها ويحرزونها، ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل. أو لكل ميت جعلنا وراثاً مما ترك على أن من صلة موالي. لأنه في معنى الوارث، وفي ترك ضمير (كل) و(الوالدان والأقربون) استئناف مفسر للموالي، وفيه خروج الأولاد فإن (الأقربون) لا يتناولهم كما لا يتناول (الوالدين)، أو لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والأقربون، على أن (جعلنا موالي) صفة كل والراجع إليه محذوف على هذا فالجملة من مبتدأ

هذا تمنٍّ محمود فكيف نهى عنهُ؟ قلت: المتمنَّى هنا أن يكتب عليهن الجهاد كما كتب على الرجال وهذا تمنٍّ مذموم فنهي عنهُ.

[مع **الفصل بالعامل**]؛ أي: بين الموصوف وصفتهِ لا يقال الفصل بهِ ممتنع كما يمتنع «لكلِّ رجلٍ جعلتُ درهماً فقير»؛ لأنا نقول: ليس بممتنع هنا إذ يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره [**أو لكل ميِّتٍ**] إلى آخره. مما ترك على هذا صلة جعلنا ومفعولاهُ على القولين لكل ومَوَالي [و﴿ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ استئناف مفسر للموالي] كأنه قيل: «من هم؟» قيل: «الوالدان والأقربون» [**وفيه خروج «الأولاد» فإنَّ «الأقربون» لا يتناولهم كما لا يتناول «الوالدين»**] قال التفتازاني: بل يتناول الجميع، وإنما ترك التصريح بالأولاد لظهورهم، وصرح بالوالدين مع تناول الأقربين لهما لشرفهما وزيادة الاهتمام بهما[1] [**على أن** ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ **صفة لكل والراجع إليه محذوف**]؛ أي: وعلى أنَّ «لكل» خبر لمبتدأ مقدر وهو «حظٌّ»، و«مما ترك» متعلق بهِ، والمعنى: لكل من جعلناه وارثاً حظٌّ من التركة [**وعلى هذا فالجملة من مبتدأ**

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٢٩].

۞ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

وخبر. ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ موالي الموالات، كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقد على أن يتعاقلا ويتوارثا صحَّ وورث. أو الأزواج على أن العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره. ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ﴾ أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك: (زيداً فاضربه)، أو معطوف على (الوالدين)، وقوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾ جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها، والضمير للموالي. وقرأ الكوفيون ﴿عَقَدَتْ﴾ بمعنى: عقدت عهودهم إيمانكم؛ فحذف (العهود) وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه، ثم حذف كما حذف في القراءة الأُخْرَى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ تهديد على منع نصيبهم.

﴿٣٤﴾ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على

وخبر]؛ أي: هي جملة اسمية وعلى القولين الأولين فعلية [موالي الموالاة] تفسير «للذين عاقدت أيمانكم» [أو الأزواج] عطف على موالي الموالاة [أو منصوب] عطف على مبتدأ لتضمنهِ أنه مرفوع [والضمير]؛ أي: ضمير المفعول في أتوهم على القول الأخير [للموالي]؛ أي: في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ [النساء: ٣٣] فالضمير على هذا القول يشمل غير الذين عاقدت وعلى الأولين يختص بهم.

[وقرأ الكوفيون: عقدت]؛ أي: بالتخفيف وحذف الألف(١) وقرئ شاذاً بالتشديد(٢) [بمعنى: عقدت عهودهم أيمانكم] بنصب عهودهم ورفع أيمانكم

---

(١) الحجة في القراءات، ابن خالويه [٣٩٩/١]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٥٣٦/١].

الرعية، وعلل ذلك بأمرين: وَهْبِيّ وَكَسْبِيّ فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر، والشهادة في مجامع القضايا، ووجوب الجهاد والجمعة، ونحوها، والتعصيب، وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق. ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ في نكاحهن كالمهر والنفقة. روي: أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ فشكى فقال رسول الله ﷺ: «**لتقتص منه**»، فنزلت فقال: «**أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير**». ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ لمواجب الغيب؛ أي: يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**خير النساء امرأة إن نَظَرْتَ إليها سَرَّتْك، وإن أمرتها أطاعتك، وإن غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها**». وتلا الآية. وقيل: لأسرارهم. ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أو بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن.

[**لمواجب الغيب**] جمع موجبة بفتح الجيم، والمراد ما يوجبه الغيب بالمعنى الذي ذكرهُ المصنف [«**خير النساء**...»] إلى آخره. رواهُ النسائي(١) وغيرهُ(٢) بمعناهُ وبلفظ: «**مالهُ**» وهو المراد، ورواية «مَالِها» كما عبر بهِ المصنف تبعاً لرواية الحاكم حملت الإضافة فيها على إضافة الملابسة بتصرف المرأة في مال الزوج.

[**وقيل: لأسرارهم**] مقابل لقولهِ لمواجب الغيب [**بحفظ الله**] أشار به وبما عطفهُ عليه إلى أنَّ «ما» في «بما حفظ الله» يجوز أن تكون مصدرية وموصولة

---

(١) السنن الكبرى، النسائي [٥/ ٣١٠/ برقم: ٨٩٦١].
(٢) مستدرك الحاكم [٢/ ١٧٥/ برقم: ٢٦٨٢].

۞ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

وقرئ (بِما حَفِظَ اللهَ) بالنصب على أن (ما) موصولة؛ فإنها لو كانت مصدرية لم يكن لـ(حفظ) فاعل، والمعنى بالأمر الذي حفظ حق الله أو طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال. ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الأزواج من النشز. ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف، أو لا تباشروهن؛ فيكون كناية عن الجماع. وقيل: المضاجع المبايت؛ أي: لا تباينوهن ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾؛ يعني: ضرباً غير مبرح ولا شائن، والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ بالتوبيخ والإيذاء، والمعنى: فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم، أو أنه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم، أو أنه يتعالى ويكبر أن يظلم أحداً أو ينقص حقه.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ خلافاً بين المرأة وزوجها،

[إلى النشز] قال الجوهري: النشز والنشر المكان المرتفع[1] [ولا شائن]؛ أي: شديد من شأز[2] مكاناً شأزاً غَلُظَ واشتد قالهُ الجوهري[3] [والأمور الثلاثة] وهي: الوعظ والهجر والضرب [مرتبة]؛ أي: لأنها لدفع الضرر كدفع الصائل؛ فاعتبر فيها الأخفُّ فالأخفّ كما أشار إليه بقولهِ: [ينبغي أن يتدرج فيها]؛ أي: من السفل إلى العلو هذا قول، والأصح جواز جمعها لظاهر الآية.

[«التائب من الذنب كمن لا ذنب لهُ...»] رواهُ ابن ماجه[4] والطبراني

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٤٠].

(٢) في الصحاح: «شئز». انظر. الصحاح، الجوهري [٥/ ١٢].

(٣) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢١].

(٤) سنن ابن ماجه [١/ ٥٩٤/ برقم: ١٨٥١].

أضمرهما وإن لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما وإضافة الشقاق إلى الظرف إما لإجرائه مجرى المفعول به كقوله: (يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ). أو الفاعل كقولهم: نهارك صائم. ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الأمر أو إصلاح ذات البين، رجلاً وسطاً يصلح للحكومة والإصلاح من أهله وآخر من أهلها، فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح، وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الأجانب جاز. وقيل: الخطاب للأزواج والزوجات، واستدل به على جواز التحكيم، والأظهر أن النصب لإصلاح ذات البين، أو لتبيين الأمر؛ ولا يليان الجمع والتفريق إلا بإذن الزوجين، وقال مالك: لهما أن يتخالعا إن وجدا الصلاح فيه. ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ الضمير الأول للحكمين والثاني للزوجين؛ أي: إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين. وقيل: كلاهما للحكمين؛ أي: إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما. وقيل: للزوجين؛ أي: إن أرادا الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق، وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ بالظواهر والبواطن، فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق.

وغيرهما[1] [أضمرهما]؛ أي: ذكر المرأة وزوجها بضميرهما **[وإن لم يجز ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما]**؛ أي: وهو الرجال والنساء **[والأظهر أنَّ النصب]**؛ أي: نصب الحَكَمين **[لإصلاح ذاتِ البَين أو ليتبين الأمر]**؛ أي: لا للجمع والتفريق كما ذكرهُ بقولهِ: **[ولا يَلِيَان]** إلى آخره. ولو قال: «فلا»، بالفاء كان أولى **[أن يتخالعا]**؛ يعني: أن يخالعا بين الزوجين **[الضمير الأول للحكمين]** إلى آخره. بقي قسم رابع

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١٠/ ١٥٠/ برقم: ١٠٢٨١]، شعب الإيمان، البيهقي [٥/ ٣٨٨/ برقم: ٧٠٤٠].

۞ ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ صنماً أو غيره، أو شيئاً من الإشراك جليّاً أو خفياً ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأحسنوا بهما إحساناً. ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وبصاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الذي قرب جواره. وقيل: الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين. وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيماً لحقه. ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد، أو الذي لا قرابة له. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**الجيران ثلاثة، فجار له ثلاث حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام. وجار له حقان: حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق واحد: حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب**». ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر، فإنه صحبك وحصل بجنبك. وقيل: المرأة. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر والضعيف. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ العبيد والإماء. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم. ﴿فَخُورًا﴾ يتفاخر عليهم.

ذكرهُ الإمام الرازي وهو: أن الأول للزوجين والثاني للحكمين؛ أي: إن يُرِدِ الزوجان إصلاحاً يوفّقِ اللهُ بين الحكمين اختلافهما حتى يعملا بالصلاح [**وقرئ بالنصب**]؛ أي: بنصب الجزءين.

[**«الجيران ثلاثة...»**] إلى آخره. رواهُ البزار[1] وغيرهُ[2]

---

(١) انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي [٨/ ٣٠٠/ برقم: ١٣٥٣٦] وقال: «رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثي وهو وضّاع».

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٧/ ٨٣/ برقم: ٩٥٦٠].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾.

---

٣٧ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾، ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ بدل من قوله: (من كان)، أو نصب على الذم، أو رفع عليه؛ أي: هم الذين، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره: الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به. وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي (الحديد) بـ(الْبَخَلِ) بفتح الحرفين وهي لغة. ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة. ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعاراً بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله؛ ومن كان كافراً لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء. والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار تنصيحاً: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر. وقيل: في الذين كتموا صفة محمد ﷺ.

٣٨ ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ عطف على (الذين يبخلون)، أو (الكافرين). وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل والسَّرَفَ الذي هو الإنفاق لا على من ينبغي من حيث إنهما طرفا تفريط

[تقدير ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ [النساء: ٣٧]] إلى آخره. لا يخفى ما فيه من القلاقة حيث وسط بين أجزاء صلة المبتدأ وبين خبره وهو «أَحِقَّاء» قولهُ و«قرأ حمزة» إلى آخره. وكان حقهُ أن يقول تقديرهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بما منحوا به ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ بهِ ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ أَحِقّاء بكل ملامة.

[وإنما شاركهم]؛ أي: «الذين يبخلون» ليوافقه التعليل بقولهِ: «لأن البُخل والسّرف» إلى آخره. وإنما لم يتعرض لمشاركتهِ للكافرين بتقدير عطفه عليهم

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

وإفراط؛ سواء في القبح واستجلاب الذم، أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾. ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة. وقيل: هم المنافقون. ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ تنبيه على أن الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]. والمراد: إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة، ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار.

﴿٣٩﴾ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: وما الذي عليهم، أو: أي تبعة تحيق بهم بسبب الإيمان والإنفاق في سبيل الله، وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه، وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة، والعوائد الجميلة. وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطاً، فكيف إذا تضمن المنافع. وإنما قدّم الإيمان ههنا وأخّره في الآية الأُخْرَى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا والتعليل ثَمّة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وعيد لهم.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ لا ينقص من الأجر ولا يزيد في

لظهورها [مدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [النساء: ٣٨]] إلى آخره. فتقديره: «قرينهم الشيطان» أو «مسيؤون» [الداخلة]؛ أي: في باطن الإنسان [والخارجة]؛ أي: عنهُ [وإنما قدم الأيمان]؛ أي: على الإنفاق [ههنا وأَخَرَهُ]؛ أي: عنه [في الآية الأُخْرَى]؛ أي: وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ إلى آخره.

[إلى التحضيض] بحاء مهملة وضادين معجمتين

۞ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾.

العقاب أصغر شيء كالذرة، وهي النملة الصغيرة. ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء، والمثقال مفعال من الثقل، وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه. ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ وإن يكن مثقال الذرة حسنة وأنّث الضمير لتأنيث الخبر، أو لإضافة المثقال إلى مؤنث. وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف العلة. وقرأ ابن كثير ونافع (حَسَنَةٌ) بالرفع على كان التامة. ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ يضاعف ثوابها؛ وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (يُضَعِّفْها) وكلاهما بمعنى. ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ عطاء جزيلاً، وإنما سماه أجراً لأنه تابع للأجر مزيد عليه.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿فَكَيْفَ﴾ حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم؟ ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾؛ يعني: نبيهم يشهد على فساد

[**يضاعف ثوابها**] حمل مضاعفتها على مضاعفة ثوابها لأن مضاعفة الحسنة بأن يجعل الصلاة الواحدة صلاتين مما لا يعقل، وعلى هذا حمل خبر: «**إنَّ التَّمْرَةَ يربيها الرحمٰن حتى تصير مثل الجبل**»[1]، للقطع بأن الثمرة أكلت ولم تربَّ على أن الحسنة هي التصدق بها لا نفسها نبه عليه التفتازاني[2] [**وإنما سماهُ أجراً لأنه تابع للأجر مزيد عليهِ**] أشار بهِ إلى أن هذا مجاز عن التفضل وزائد عن الأجر تابع لهُ؛ لأن مضاعفة الحسنة المذكورة بقولهِ: يضاعفها أجرها لأنَها جزاء الحسنات فقوله: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] محمول على معنى زائد على الأجر وليس ذلك إلا التفضل من عندهِ تعالى.

---

(١) صحيح البخاري [٢/٥١١/برقم: ١٣٤٤]. (٢) حاشية التفتازاني [ص١٣١].

عقائدهم وقبح أعمالهم، والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن. ﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾ يا محمد. ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم، واستجماع شرعك مجامع قواعدهم. وقيل: هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم. وقيل: إلى المؤمنين لقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ بيان لحالهم حينئذ؛ أي: يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر، أو الكفرة والعصاة في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى، أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء. ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقيل: الواو للحال؛ أي: يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من الله حديثاً ولا يكذبونه بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] إذ روي: أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم

[**والعامل في الظرف مضمون المبتدأ**]؛ أي: المصدر(١) وهو حال هؤلاء الكفرة [**والخبر**]؛ أي: وهو «كيف» [**وقيل**: «**هؤلاء**» **إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم**] مقابل لكونه إشارة إلى «الشهداء» الشاملين للكفرة والمؤمنين [﴿لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾] لو على بابها مفعول يود محذوف؛ أي: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تسوية الأرض بهم، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لـ«سووا»، وقيل: إنها مصدرية فهي وما بعدها في محل مفعول «يود» ولا جواب لها حينئذٍ(٢) [**أن يُدْفَنوا فتسوَّى بهم الأرض**] الباء على هذا بمعنى «على» أو «للسببية»؛ أي: بسبب دفنهم وعلى ما بعده بمعنى «مع» [**ولا يكذبونه**] عطف تفسير لما قبله لأنه معنى كِتْمَانِهم الحديث جَحْدُهُم الشِّرْكَ.

[**روي**: «**أنهم إذا قالوا ذلك...**»] إلى آخره. رواه الحاكم(٣) وصححه

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (أي: المقدر).
(٢) اللباب، ابن عادل [٦/ ٣٨٧].
(٣) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٢٦/ برقم: ٣١٩٨].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾.

جوارحهم، فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض. وقرأ نافع وابن عامر (تُسْوَى) على أن أصله (تتسوى) فأدغمت التاء في السين. وحمزة والكسائي (تَسْوَى) على حذف التاء الثانية يقال: سويته فتسوى.

﴿٤٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾؛ أي: لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم أو خمر حتى تتنبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم. روي عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه صنع مأدبة ودعا نفراً من الصحابة؛ حين كانت الخمر مباحة، فأكلوا وشربوا حتى ثملوا، وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ: (أعبد ما تعبدون). فنزلت. وقيل: أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد، وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة، وإنما المراد النهي عن الإفراط في الشرب، والسكر من السكر وهو السد. وقرئ (سَكَارى)

[وروي: «أن عبد الرحمٰن بن عوف صنع مأدبة...»] إلى آخره. رواه أبو دواد[1] والترمذي وحسنه[2] و«المأدبة»: بضم الدال وفتحها: طعام يتخذ لغير سبب [ثَمِلوا] بمثلثة؛ أي: سكروا [**وليس المراد منهُ نهي السَّكْران**]؛ أي: لأنه غير مكلف [**وإنما المراد النهي**]؛ أي: نهيُ غيره لا هو.

[**عن الإفراط في الشّرب**]؛ أي: شرب المُسْكر، ولا يخفى أن كلاً من الإفراط والنهي عنه ليس مراداً بل المراد نهيُ غير السكران عن الصلاة حال السُّكْرِ؛ فالنهي في الآية راجع إلى القيد والمقيد معاً [**وهو السد**]؛ أي: للشيء ومنهُ ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتۡ

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ٣٥٠/ برقم: ٣٦٧١]. (٢) سنن الترمذي [٥/ ٣٢٨/ برقم: ٣٠٢٦].

بالفتح، و(سَكْرى) على أنه جمع كـ(هَلْكَى). أو مفرد بمعنى: وأنتم قوم سكرى، و(سُكْرَى) كـ(حُبْلَى) على أنها صفة للجماعة. ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ إذ الجملة في موضع النصب على الحال، والجنب الذي أصابه الجنابة، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع؛ لأنه يجرى مجرى المصدر. ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾، استثناء من أعم الأحوال؛ أي: لا تقربوا الصلاة جنباً في عامة الأحوال إلا في السفر وذلك إذا لم يجد الماء وتيمم، ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم، أو صفة لقوله: ﴿جُنُبًا﴾؛ أي: جنباً غير عابري سبيل. وفيه دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث. ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها، وجوز الجنب عبور المسجد. وبه قال الشافعي رضي الله عنه. وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: لا يجوز له المرور في المسجد إلا إذا كان فيه الماء أو الطريق. ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ غاية النهي عن القربان حال الجنابة، وفي الآية تنبيه على أن المصلي ينبغي أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه، ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضاً يخاف معه من استعمال الماء، فإن الواجد له كالفاقد. أو مرضاً يمنعه عن الوصول إليه. ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ لا تجدونه فيه ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم

أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥]؛ أي: سدَّت [**استثناء من أعم الأحوال؛ أي**: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤٣]] إلى آخره(١)؛ أي: لا تقربوها وأنتم جُنب على تقدير من التقادير في حال من الأحوال إلا في حال السفر [**أو صفة**] عطف على استثناء بيَّن أن «إلا» بمعنى «غير» صفة لِـ«جنباً» لكونهُ جمعاً منكراً، كما في قولِهِ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] لكن هذا كما قال التفتازاني: إنما يصح عند تعذر الاستثناء ولا تعذر هنا لعموم النكرة بالنفي، كما تقول: «ما لقيتُ رجالاً إلا مسافرين» [**وفيه دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث**]؛ أي: من حيث أنه عناهُ

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٢٠٧].

﴿مِنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين، وأصل الغائط الموضع المطمئن من الأرض. ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أو ماسستم بشرتهن ببشرتكم، وبه استدل الشافعي على أن اللمس ينقض الوضوء. وقيل: أو جامعتموهن. وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة (لمستم)، واستعماله كناية عن الجماع أقل من الملامسة. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ فلم تتمكنوا من استعماله، إذ الممنوع عنه كالمفقود. ووجه هذا التقسيم: أن المترخص بالتيمم إما محدث أو جنب، والحالة المقتضية له في غالب الأمر مرض أو سفر. والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من أسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض، واستغنى عن تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملاً وكأنه قيل: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: فتعمدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً. ولذلك قالت الحنفية: لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به أجزأه. وقال أصحابنا: لا بد من أن يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ

بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ **[والحال المقتضية له]**؛ أي: للمترخص؛ يعني: لترخصهُ و«له» ساقط من نسخة.

[على بيان حاله]؛ أي: من كونه مريضاً أو مسافراً **[والمحدث لما لم يجز ذكرهُ ذكر أسبابَهُ]**؛ أي: أسباب حدثهُ؛ أي: بعضها من كونها تغوطاً أو ملامسة للمرأة وإلى الأول أشار بقولهِ(١): **[ما يحدث بالذَّات]** وإلى الثاني بقوله: **[أو بالعَرَض]** إذ التغوط ذاتي والملامسة عَرَضية **[واستغنى عن تفصيل أحوالهُ]**؛ أي: من كونهُ مريضاً أو مسافراً **[وبيان العذر]**؛ أي: عذرهُ في تيممهِ من كونهُ مرضاً أو سفراً المأخوذ من قوله: ﴿مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ **[مجملاً]**؛ أي: من غير بيان لضابط المرض

---

(١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٠/٨٨].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.

وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: من بعضه، وجعل من لابتداء الغاية تعسف إذ لا يفهم من نحو ذلك إلا التبعيض، واليد اسم للعضو إلى المنكب، وما روي أنه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه، والقياس على الوضوء دليل على أن المراد ههنا ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ من رؤية البصر؛ أي: ألم تنظر إليهم، أو القلب. وعدى بـ(إلى) لتضمن معنى الانتهاء. ﴿نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ حظاً يسيراً من علم التوراة لأن المراد أحبار اليهود. ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يختارونها على الهدى، أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه، أو حصوله لهم بإنكار نبوة محمد ﷺ. وقيل: يأخذون الرشى ويحرفون التوراة. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا﴾ أيها المؤمنون. ﴿السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾

والسفر المبيحين للتيمم [وما روى: «أنه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح بيديهِ إلى مرفقيهِ»] رواهُ أبو داود بسند ضعيف(١).

[فلذلك يسَّر الأمر عليكم ورخَّص لكم] قضيتهُ أن قولهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ كالتعليل للترخص المستفاد مما قبلهُ، لكن العفو والغفران يستدعيان سبق جرم، ولم يسبق هنا شيء منه؛ فالوجه ما سلكهُ «الكشاف»(٢) أن ذكر ذلك كناية عن الترخيص والتيسير ووجهها أن إيثار الترخيص والتيسير من توابع جري العادة بالعفو والمغفرة ولوازمهُ فذكر الملزوم لينتقل إلى لازمهُ.

[بإنكار نبوة محمد] متعلق بـ«يختارونها» أو بـ«يستبدلونها» أو بهما على سبيل

---

(١) سنن أبي داود [١/ ١٤١/ برقم: ٣٢٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٤٧].

۞ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾.

وقد أخبركم بعداوة هؤلاء ومما يريدون بكم فاحذروهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره. والباء تزاد في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي.

﴿٤٦﴾ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ﴾ بيان للذين أوتوا نصيباً فإنه يحتملهم وغيرهم، وما بينهما اعتراض أو بيان لأعدائكم أو صلة لنصيراً؛ أي: ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم، أو خبر محذوف صفته ﴿يُحَرِّفُونَ﴾. ﴿ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾؛ أي: من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم؛ أي: يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها. أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه. وقرئ (الكِلْم) بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك. ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾؛ أي: مدعواً عليك

التنازع [والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي] إذ الإسناد الاتصالي حاصل بـ«كفى الله» لاتصال الفعل بفاعلهُ والإضافي بـ«كفى بالله» فزيادة الباء فيه مؤكدة للاتصال الأول [أو صلة لِـ«نصيراً»] قال التفتازاني: يقال: نصرتهُ على عدوهُ ونصرتهُ منهُ لما فيه من معنى الغلبة والاستيلاء عليهِ والمنع والإنجاء منهُ [ويحفظكم منهُ] المناسب منهم [جمع كلمة] بناءً على أن ذلك جَمع حَقيقة، وعليهِ جمع وعلى القول بأنهُ ليس بجمع هو المشهور، أراد بالجمع كما قال التفتازاني: ما هو على حدِّ تَمْرٍ وَرَكْب مما يطلق عليهِ لفظ الجمع[1] نظراً إلى المعنى، وإلى أن لهُ لفظاً يطلق على الواحد مثل «كلمة» و«تمرة» و«راكب» وإن لم يكن هو صيغة جمع

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٣٤].

بلا سمعت لصمم أو موت، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه، أو اسمع كلاماً غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه فيكون مفعولاً به، أو اسمع غير مسمع مكروهاً من قولهم: أسمعه فلان إذا سبه، وإنما قالوه نفاقاً ﴿وَرَٰعِنَا﴾ انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك. ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها وصرفاً للكلام إلى ما يشبه السب، حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروهاً، أو فتلاً بها وَضَمّاً لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقاً. ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ استهزاء به وسخرية. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا﴾ ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ لكان قولهم ذلك خيراً لهم وأعدل؛ وإنما يجب حذف الفعل بعد (لو) في مثل ذلك لدلالة أن عليه ووقوعه موقعه. ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: إلا إيماناً قليلاً لا يعبأ به وهو الإيمان ببعض الآيات والرسل، ويجوزان أن يراد بالقلة العدم كقوله: (قَلِيلُ التَشَكِّي لِلْمُهِم يُصِيْبُه)

بدليل رجوع الضمير إليه مفرداً مثل مواضعهِ ووقوع المفرد صِفَةَ لهُ مثل: «الكلم الطيب»، وحيث ينفى عنهُ الجمعَ يراد أنه ليس مجموعاً على حَد رجال وأفراس.

[وإنما قالوهُ نفاقاً] لأنه ذو وجهين وهو كما قال الطيبي: المسمى في البديع بـ«التوجيه»: وهو إيراد كلام محتمل لوجهين مختلفين بالذم والمدح **[كقوله]**؛ أي: كقول الشاعر، قيل: هو «تأبطَّ شراً»، وقيل: أبو كبير الهذلي:

[قـليـلُ التَّـشَـكّـي لـلـمُـهِـمِّ يُـصِـيْـبُـهُ ....]

تمامهُ:

.... **كثيرُ الهوى شتَّى النَّوى والمسالِكِ**(١)

---

(١) نسبه الواحدي للشاعر تأبط شرّاً، وهو في مدح شمس بن مالك. انظر: شرح ديوان المتنبي، الواحدي [ص١٩٣]، نقد الشعر، قدامة بن جعفر [ص١٥].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾﴾.

أو ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٤٦] آمنوا أو سيؤمنون.

﴿٤٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها؛ يعني: الأقفاء، أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا، أو في الآخرة. وأصل (الطمس) إزالة الأعلام المماثلة؛ وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير، ولذلك قيل معناه: من قبل أن نغير وجوهاً فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار، أو نردها إلى حيث جاءت منه، وهي أذرعات الشام؛ يعني: إجلاء بني النضير، ويقرب منه قول من قال: إن المراد بالوجوه الرؤساء، أو من قبل أن نطمس وجوهاً بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة. ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به

والمُهمُّ مِنَ الهمّ بمعنى: الحزن أو القصد، والمعنى: أنه صبور على النوائب لا يكاد يتألم ويتشكى، كثير الهمِّ، مختلفَ الوجه والطرف لا يقف أمله على فَنٍّ واحد بل يتجاوز إلى فنون مختلفة، صبور على النوائب فاستعمل لفظ القليل وقصد بهِ نفي الجميع [أو إلا قليلاً منهم آمنوا] عطف على قولهِ: «إلا إيماناً قليلاً»، فعلى الأول هو مستثنى من مصدر يؤمنون، وعلى الثاني من فاعلهُ.

[يعني: **الأقفاء**]؛ أي: يعني: بالأدبار[1]: الأقفاء جمع قفا، وذلك بأن يجعل هيئة الوجوه هيئة الأقفاء [**المماثلة**]؛ أي: المرسومة [**يعني**]؛ أي: برد الوجوه

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٣٦٣].

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

أصحاب السبت؛ أي: نمسخهم مسخاً مثل مسخهم، أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود. والضمير لأصحاب الوجوه، أو للذين على طريقة الالتفات، أو للوجوه إن أريد به الوجهاء، وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا، ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال: إنه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطاً بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة. ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ بإيقاع شيء أو وعيده، أو ما حكم به وقضاه. ﴿مَفۡعُولًا﴾ نافذاً وكائناً فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا.

﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ لأنه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره. ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً. ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ تفضلاً عليه وإحساناً. وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ﴾ الشرك لمن يشاء. وهو من لم يتب ويغفر ما دون لمن يشاء وهو من تاب.

[أو مسخاً] نصب بمقدر؛ أي: أو يمسخهم مسخاً وفي نسخة: أو بمسخهم مثل مسخهم [مثل مسخهم]؛ أي: مسخ أصحاب السبت [على طريقة الالتفات]؛ أي: من الخطاب إلى الغيبة [وعطفه]؛ أي: يلعنهم [على الطمس بالمعنى الأول]؛ أي: للعن [يدل على أن المراد بهِ]؛ أي: باللعن [ليس بمسخ]؛ أي: ليس خزياً بمسخ [الصورة في الدنيا](1)؛ أي: فقط إذ لو كان فيها فقط لكان عين المعطوف عليه فيخالف المعروف من تغاير المتعاطفين [أو وعيدهُ] بالرفع عطف على مقدر مفسر للأمر والتقدير ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٤٧]؛ أي: مأمورهُ أو وعيدهُ [أو لأن ذنبهُ لا ينمحي عنهُ أثره]؛

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٢/ ٣٢٥].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾.

وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها. فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن صاحبه خالد في النار. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ارتكب ما يستحقر دونه الآثام، وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب، والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾؛ يعني: أهل الكتاب قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] وقيل: ناس من اليهود جاءوا بأطفالهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: هل على هؤلاء ذنب؟ قال: «**لا**»! قالوا: والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل، وما عملنا بالليل كُفِّر عنا بالنهار. وفي معناهم: من زكى نفسه وأثنى عليها. ﴿بَلِ ٱللَّهُ

أي: إلا بالتوبة بالإسلام(١) [**وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه**]؛ يعني: من الوعيد؛ أي: آياتِ والمراد: أن التقييد بلا دليل لا يرتكب في آيات الوعد لمحافظة الغَرض، فلا يرتكب لذلك في آيات الوعيد.

[**ونقض**] عطف على «تقييد» [**والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل**] لا يعلم منهُ أنه مشترك أو حقيقة ومجاز، وظاهر قوله قيل: ارتكب ما يُستحقَر دونهُ الآثام، أنه استعارة تبعية شبه ما لا يَصح كونه من الفعل بما لا يصح ثُبوتهُ من القول، ثم استعمل في الفعل ما كان مستعملاً في القول من الافتراء فيكون حقيقة في

---

(١) لقوله ﷺ: «**الإسلام يجُبُّ ما كان قبله**». مسند أحمد [٤/ ١٩٤/ برقم: ١٧٨١٢].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾.

﴿يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ تنبيه على أن تزكيته تعالى هي المعتد بها دون تزكية غيره؛ فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبيح، وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين. وأصل التزكية: نفي ما يستقبح فعلاً أو قولاً. ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق. ﴿فَتِيلًا﴾ أدنى ظلم وأصغره، وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ بزعمهم هذا أو بالافتراء. ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ لا يخفى كونه مأثماً من بين آثامهم.

﴿٥١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعو إليه محمد. وقيل: في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وجمع من اليهود خرجوا إلى مكة يخالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ فقالوا: أنتم أهل كتاب! وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا! فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم! ففعلوا. و(الجبت) في الأصل اسم صنم؛ فاستعمل في كل ما عبد من دون الله. وقيل: أصله الجبس وهو

القول مجازاً في الفعل وهو ما صححهِ التفتازاني[١] [وقيل: «في حُيَيّ...»] إلى آخره. رواهُ الطبراني[٢] وغيرهُ[٣].

[فقالوا]؛ أي: قريش [أنتم أهل كتاب] المخاطبون حُيَيّ وكعب وأصحابهما

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٣٧].

(٢) المعجم الكبير، الطبراني [١١/ ٢٥١/ برقم: ١١٦٤٥].

(٣) صحيح ابن حبان [١٤/ ٥٣٤/ برقم: ٦٥٧٢].

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾.

الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء. والطاغوت: يطلق لكل باطل من معبود أو غيره. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لأجلهم ودينهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إليهم ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ أقوم ديناً وأرشد طريقاً.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ يمنع عنه العذاب بشفاعة أو غيرها. ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أَمْ منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم. ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾؛ أي: لو كان لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون أحداً ما يوازي نقيراً، وهو النقرة في ظهر النواة. وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك، فما ظنك بهم إذا كانوا فقراء أذلاء متفاقرين! ويجوز أن يكون المعنى: إنكار أنهم أوتوا نصيباً من الملك على الكناية، وأنهم لا يؤتون الناس شيئاً؛ وإذا وقع

[والطاغوت يطلق لكل باطل]؛ أي: عليهِ، وقيل: هو في الأصل أسم صنم [﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ﴾ [النساء: ٥١]] مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب بـ«يقولون» [﴿سَبِيلًا﴾]؛ أي: طريقاً [**الإغراق**]؛ أي: الاستيعاب والاستيفاء، قال الجوهري: أغرق النازع في القوس؛ أي: استوفى مدها والاستغراق والاستيعاب(١).

[**ويجوز أن يكون المعنى: إنكار أنهم أوتوا**] إلى آخره. الفرق بينهُ وبين ما قبلهُ أن الإنكار فيه على سببين: أن يكون لهم نصيب، وأنهم لا يؤثرون أحداً شيئاً، وفيما قبلهُ أن يكون لهم نصيب من الملك فقط؛ فالمعنى عليه: «ليس لهم نصيب من الملك»، وعلى ما بعدهُ «أنهم أوتوا نصيباً من الملك ليشكروا وينفقوا في سبيل الله فجعلوهُ سبباً للإمساك» وعليهِ فالأولى التعبير فيه «بالواو» لا بـ«أو»، وبأن يقول:

---

(١) الصحاح، الجوهري [٦/ ٢٣٠].

۞ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال؛ ولذلك قرئ (فإذاً لا يؤتوا) على النصب.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بل أيحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه، أو العرب، أو الناس جميعاً لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم؛ وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وَهُما شر الرذائل فكان بينهما تجاذباً وتلازماً. ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ يعني: النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم. ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الذين هم أسلاف محمد وأبناء عمه ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم ﴿فَمِنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ، أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به، وقيل معناه: فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء أمرك. ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ناراً مسعورة يعذبون بها؛ أي: إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم.

وإنهم [لا لشريك مفرد[١]] إذ لو كانت لهُ لتعين الإلغاء لعدم صدارة «إذا» حينئذٍ لكن تقييد التشريك بالمفرد ليس بحقيقة[٢] [لأن من حسد على النبوة] إلى آخره. تعليل للأول من الثلاثة التي ذكرها وكمالهم منصوب بأنهُ بدل من الناس أو بنزع الخافض؛ أي: على كمالهم [وهما شرُّ الرذائل]؛ أي: أقبحها، وإن كان الحسد أقبح من

(١) في نسخة [ب]: (معني).

(٢) في نسخة [ز ـ ج]: (بقيد)، وفي نسخة [ب]: (بقولا).

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ كالبيان والتقرير لذلك. ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أُخْرَى كقولك: بدلت الخاتم قرطاً، أو بأن يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾؛ أي: ليدوم لهم ذوقه. وقيل: يخلق لهم مكانه جلد آخر، والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة إدراكها فلا محذور. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمًا﴾ يعاقب على وفق حكمته. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لأن الكلام فيهم، وذكر المؤمنين

البخل كما دلَّ عليه الإضراب المفاد بـ«أَمْ» لأنه بخَل بما في يد الغير مع شبه اعتراض على من هو كامل في الحكمة عادل في القسمة فكان أقبح من البخل بما في يدهِ(١).

[بأن يعاد ذلك الجلد] إلى آخره. المغايرة على كل من التفسيرين الأولين في الصفة لا في الذات، لكنهُ في الأول تغيير إلى صورة أُخْرَى، وفي الثاني إلى صورتهُ الأولى، وأما المغايرة على الثالث المذكور بقولهِ: «وقيل يخلف(٢) له مكانهُ جلداً آخر» ففي الذات لا في الصفة والمعذب على كل حال هو النفس القائمة بالبدن لأنها المدركة دونه كما نبه عليه بقولهِ والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية إلى آخره(٣).

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٣٦٦].

(٢) في نسخة [ز ـ ج]: (يخلق).

(٣) انظر: تاج العروس، الزبيدي [٢٨/ ٦٤/ مادة: بدل].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾.

بالعرض. ﴿لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ فينانا لا جوب فيه، ودائماً لا تنسخه الشمس، وهو إشارة إلى النعمة التامة الدائمة. و(الظليل) صفة مشتقة من (الظل) لتأكيده كقولهم: (شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم).

﴿٥٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ خطاب يعم المكلفين، والأمانات، وإن نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة، وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال: لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه فلوى علي كرم الله وجهه يده وأخذه منه وفتح، فدخل رسول الله ﷺ وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة. فنزلت فأمره الله أن يرده إليه، فأمر

[فينانا]؛ أي: حسناً طويلاً؛ أي: متصلاً منبسطاً. قال الجوهري: رجل فينان حسن الشعر طويلهُ[(١)] [لا جُوَب فيه] بضم الجيم وفتح الواو جمع جَوْبة بفتح الجيم وإسكان الواو وهي الفُرْجة؛ أي: لا فرج فيه [لا تنسخهُ الشمس]؛ أي: لا تزيلهُ [لتأكيدهُ]؛ أي: لتأكيد معنى الظل [فأمرهُ اللهُ تعالى أن يرد إليه] إلى آخره. فيه نوع خفاء يُوضحهُ مع البسط، قول الزمخشري: «فنزلت فأمَرَ علياً أن يردهُ إلى عثمان[(٢)] ويعتذرَ إليه، فقال عثمان لعلي: أكْرَهْتَ وآذيتَ ثم جئت ترفُق، فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليهِ الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ السدانة في أولاد عثمان أبداً»[(٣)] وما ذكر من أن السدانة في أولاد عثمان أبداً يخالفهُ قول ابن كثير في

---

(١) الصحاح، الجوهري [٣٧/٨].
(٢) عثمان بن طلحة بن عبد الدار، وكان سادن الكعبة المعظمة. الكشاف، الزمخشري [٥٥٦/١].
(٣) الكشاف، الزمخشري [٥٥٦/١].

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾.

عليّاً رضي الله عنه بأن يرده ويعتذر إليه، وصار ذلك سبباً لإسلامه ونزل الوحي بأن السدانة في أولاده أبداً ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾؛ أي: وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم، أو يرضى بحكمكم ولأن الحكم وظيفة الولاة قيل: الخطاب لهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ﴾؛ أي: نعم شيئاً يعظكم به، أو نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة يعظكم. أو مرفوعة موصولة به. والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ بأقوالكم وأحكامكم وما تفعلون في الأمانات.

٥٩ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول ﷺ وبعده، ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية. أمر الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل تنبيهاً على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق. وقيل: علماء الشرع لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]. ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ﴾ أنتم وأولو الأمر منكم. ﴿فِى شَىْءٍ﴾ من أمور الدين، وهو يؤيد الوجه الأول

تفسيره: «أن عثمان دفع المفتاح إلى أخيهِ شيبةَ فهو في ولدهِ إلى اليوم»(١) [ولأن الحكم وظيفة الولاة] الواو فيه ليست للعطف بل للاستئناف؛ أي: ولكون الحُكم وظيفة الولاة [قيل: الخطاب]؛ أي: في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [النساء: ٥٨] [لهم]؛ أي: للولاة لا لجميع المكلفين [﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ﴾ [النساء: ٥٩] أنتم]؛ يعني: الذين آمنوا غير أولي الأمر [وهو يؤيد الوجه الأول]؛ أي: وهو أن المراد بأولي الأمر أُمراء

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٢/ ٣٤٠].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾.

إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس إلا أن يقال الخطاب لأولي الأمر على طريقة الالتفات. ﴿فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا فيه. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى كتابه. ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ بالسؤال عنه في زمانه، والمراجعة إلى سُنَّته بعده. واستدل به منكروا القياس وقالوا: إنه تعالى أوجب رد المختلف إلى الكتاب والسُّنَّة دون القياس. وأجيب بأن رد المختلف إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس، ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة: مثبت بالكتاب، ومثبت بالسُّنَّة، ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فإن الإيمان يوجب ذلك. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الرد. ﴿خَيْرٌ﴾ لكم. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة أو أحسن تأويلاً من تأويلكم بلا ردّ.

﴿٦٠﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن

المسلمين لا العلماء [إذ ليس للمقلِّد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس] هو ظاهر في ذاتهِ لكن في الاستدلال بهِ على كون ما ذكر مؤيداً للوجه الأول وفي كون ما ذكر مؤيداً لذلك نظر فتأمل(١).

[إلا أن يقال الخطاب]؛ أي: في قولهِ: ﴿تَنَٰزَعْتُمْ﴾. [لأولي الأمر على طريقة الالتفات]؛ أي: من الغيبة إلى الحضور فلا يؤيد الوجه الأول لأن التنازع حينئذٍ بين أولي الأمر بعضهم معَ بعض [فراجعوه]؛ أي: الله [فيهِ]؛ أي: في الشيء [إلى كتابِهِ]؛ أي: «الله»، ولو قال بدل «فراجعوه فيه» «فارجعوا فيهِ» لَكان أولى وأوفق

---

(١) انظر: أصول الفقه، أحمد بن علي الرازي [٣/ ١٩٧].

قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ عن ابن عباس ﵄: أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ، فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه وقال: نتحاكم إلى عمر! فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه وخاصم إليك، فقال عمر ﵁ للمنافق: أكذلك؟! فقال: نعم! فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال: هكذا أقضي لمن لم يرضَ بقضاء الله ورسوله، فنزلت. وقال جبرائيل: إن عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق. والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف، وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لأجله، فسمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان، أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه كما قال. ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ وقرئ أن (يكفروا بها) على أن الطاغوت جمع كقوله تعالى: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ [البقرة: ٢٥٧].

بكلام الزمخشري[(١)] [عن ابن عباس أن منافقاً] إلى آخره. ذكرهُ الثعلبي والواحدي واسم المنافق «بِشْر»[(٢)] [لفرط طغيانه أو لشبهه بالشيطان أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان] إلى آخره. قال التفتازاني: فالطاغوت على الأول حقيقة في مفهومه الوضعي، وعلى الثاني استعارة، وعلى الثالث حقيقة في مفهومهِ العلمي، وإنما المجاز في النسبة بين الفعل ومفعولهُ بالواسطة، واستدل للثالث بقولهِ: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] من جهة أنهم أمروا أن يكفروا بالشيطان لا بكعب بن الأشرف، وبقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لأنه عطف على الجملة الحالية بوضع المظهر موضع المضمر على معنى: «يريدون أن يتحاكموا إلى الشيطان فهو بصدد إرادة إضلالهم»، وعلى الأولين يكون ضمير بهِ للطاغوت باعتبار الوصف لا الذات؛ أي: ﴿أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ﴾ بمن هو كثير الطغيان أو شبيه بالشيطان[(٣)].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٥٦]. (٢) جامع البيان، الطبري [٨/ ٥١٠].
(٣) حاشية التفتازاني [ص١٣٧].

۞ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ وقرئ (تَعَالُوْاْ) بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطاً ثم ضم اللام لواو الضمير. ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ هو مصدر أو اسم للمصدر الذي هو الصد، والفرق بينه وبين السد؛ أنه غير محسوس والسد محسوس. و(يصدون) في موضع الحال. ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم. ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله تعالى ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضى بحكمك ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ حين يصابون للاعتذار، عطف على أصابتهم. وقيل: على يصدون وما بينهما اعتراض ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ ما أردنا بذلك إلا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين، ولم نرد مخالفتك. وقيل: جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا: ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه.

﴿٦٣﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم. ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك وكفهم عما هم عليه. ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: في معنى أنفسهم أو خالياً بهم فإن النصح في السر أنجع. ﴿قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ يبلغ منهم ويؤثر

[ويصدون في موضع الحال]؛ أي: على القول بأن «رأى» بصرية أما على القول بأنها «علمية» فهو في محل نصب على المفعول الثاني لِـ«رأى»، وأما مفعول

۞ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾.

فيهم، أمره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب، وذلك مقتضى شفقة الأنبياء عليهم السلام، وتعليق الظرف بـ(بليغاً) على معنى: بليغاً في أنفسهم مؤثراً فيها؛ ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف، والقول البليغ في الأصل: هو الذي يطابق مدلوله المقصود به.

٦٤ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بسبب إذنه في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه، وكأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان كافراً مستوجب القتل، وتقريره أن

«يصدون» فمحذوف؛ أي: «يصدون غيرهم». [وتعليق الظرف بـ«بليغاً»] إلى آخره. رَدَّ بِهِ على الزمخشري[١] في تجويزه ذلك، وَوَجه الردّ بقوله: لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف؛ إذ حق المعمول أن لا يحل إلا في محل يحل فيهِ العامل، لو قلت: «هذا رجل ضارب زيد»، لم يجز أن تقول: «هذا زيداً رجل ضارب»، وأجيب عن الزمخشري: بأن ما قاله جاز على مذهب الكوفيين وإن منعهُ[٢] البصريون وبأن ما ذكرهُ منُتَقض بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠] حيث قدم فيها اليتيم على لا تقهر، والسائل على لا تنهر، مع أنهما معمولان لِـ«تقهر» ولِـ«تنهر»[٣]، والعامل فيها لا يجوز تقدمهُ على لا إذ المجزوم لا يتقدم على جازمهِ، فقد تقدم المعمول حيث لا يتقدم العامل، والبليغ على القول بأن في أنفسهم متعلق بـ«بليغاً» من البلوغ والوصول، ولهذا قال مؤثراً في قلوبهم فجعل أنفسهم ظرفاً ليتمكن القول في قلوبهم تمكن المظروف في الظرف.

[وأمرهُ المبعوث] بنصب المبعوث معمولاً لأمرِهِ [وتقديرهُ]؛ أي: الاحتجاج

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٥٩].

(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (تبعه).

(٣) المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير [٢/ ٣٨].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته، ومن كان كذلك كان كافراً مستوجب القتل. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالنفاق أو التحاكم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين من ذلك؛ وهو خبر (أن) و(إذ) متعلق به. ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ لذنوبهم بالتوبة والإخلاص. ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعاً، وإنما عدل عن الخطاب تفخيماً لشأنه وتنبيهاً على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له، ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب. ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ لعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بالرحمة، وإن فسر وجد بصادف كان تواباً حالاً ورحيماً بدلاً منه أو حالاً من الضمير فيه.

﴿٦٥﴾ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾؛ أي: فوربك، و(لا) مزيدة لتأكيد القسم لا

[وإنما عدل عن الخطاب]؛ أي: إلى الغيبة في قوله: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤] حيث لم يقل: واستغفرت لهم بل قال: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [تفخيماً لشأنِهِ](١) إلى آخره. فهو على طريقة حكم الأمير بكذا مكان «حكمت» [لعلموُه] إلى آخره. فَسَّر «وَجَدَ» بـ«عَلِم» ليكون تواباً مفعولاً ثانياً لهُ ولهذا قال: [وإن فسر «وجد» بـ«صادف» كان تواباً حالاً بدل منهُ أو حالاً من الضمير فيه] لكن قوله: ﴿رَّحِيمًا﴾(٢) إلى آخره. لا يختص بالتفسير الثاني؛ بل يجري على الأول أيضاً ومع ذلك يجوز أن يكون صفة لتواباً.

[و«لا» مزيدة لتوكيد القسم]؛ أي: يجعل المقسم بهِ مدخولها فقط لا لتظاهر؛

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني [ص٧٥].

(٢) الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٣٨٠].

۞ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾.

لتظاهر لا في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنها تزاد أيضاً في الإثبات كقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ [البلد: ١]. ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ ضيقاً مما حكمت به، أو من حكمك أو شكاً من أجله، فإن الشاك في ضيق من أمره. ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم.

﴿٦٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ تعرضوا بها للقتل بالجهاد، أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل؛ و(أن) مصدرية أو مفسرة؛ لأن (كتبنا) في معنى: (أمرنا). ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل، وقرأ أبو عمرو ويعقوب (أَنِ اقْتُلُوا) بكسر النون على أصل التحريك، (أَوِ اخْرُجُوا) بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الأصل، والباقون بضمهما إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل. ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ إلا ناس قليل وهم المخلصون. لما بيّن

أي: لا لتوافق وتعاون لا في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يجعل المقسم به لا مع مدخولها[1] [لأنها تزاد أيضاً في الإثبات] إلى آخره. أشار إلى أن هذا هو المحقق والأصل إجراء المحتمل على المحقق [أو شكّاً] عطف على «ضيقاً» [على أصل التحريك]؛ أي: لالتقاء الساكنين [للاتّباع]؛ أي: لـ«راء» أخرجوا [على الأصل]؛ أي: في التحريك لالتقاء الساكنين [إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل]؛ أي: بالفعل المضموم العين.

---

(١) عبارة: (لا لتظاهر؛ أي: لا لتوافق وتعاون لا في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يجعل المقسم به لا مع مدخولها)، من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

۞ ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾.

أن إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلموا حق التسليم، نبّه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم، والضمير للمكتوب، ودل عليه (كتبنا)، أو لأحد مصدري الفعلين. وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء، أو على: إلا فعلاً قليلاً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من متابعة الرسول ﷺ مطاوعته (طوعاً) ورغبة. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في عاجلهم وآجلهم. ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ في دينهم لأنه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك، أو تثبيتاً لثواب أعمالهم ونصبه على التمييز. والآيه أيضاً مما نزلت في شأن المنافق واليهودي. وقيل: إنها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيراً في شراج من الجرة كانا يسقيان بها النخل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اسق يا زبير! ثم أرسل الماء إلى جارك**»، فقال حاطب: لأن كان ابن عمتك. فقال عليه الصلاة والسلام: «**اسق يا زبير! ثم احبس الماء إلى الجدر واستوف حقك، ثم أرسله إلى جارك**».

﴿٦٧﴾ - ﴿٦٨﴾ ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ جواب لسؤال

[والضمير]؛ أي: ضمير المفعول في قولهِ: ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ [النساء: ٦٦] [**أو لأحد مصدري الفعلين**]؛ أي: الذين هما اقتلوا واخرجوا [**على الاستثناء**]؛ أي: من «واو» فعلوهُ[١] [**أو على إلا فعلاً قليلاً**]؛ أي: على أنه صفة لمصدر محذوف فالمستثنى المصدر، والاستثناء فيه مفرغ؛ أي: «ما فعلوهُ فعلاً ما إلا فعلاً قليلاً»، وأما على قراءة الرفع فـ«قليل» بدل من واو «فعلوه»، وقيل: معطوف عليهِ يجعل «إلا» عاطفة [**وقيل: «إنها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيراً»**] إلى آخره[٢]. يُعقّب بأن حاطباً لم يكن أنصاريّاً، وقصة الزبير كانت مع أنصاري، وبأن ذِكْرَهُ خطأ

(١) انظر: المقتضب، المبرد [٢/ ٢٨١].

(٢) صحيح البخاري [٢/ ٨٣٢/ برقم: ٢٢٣١]، صحيح مسلم [٤/ ١٨٩٢/ برقم: ٢٣٥٧].

۞ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

مقدر كأنه قيل: وما يكون لهم بعد التثبيت فقال: وإذا لو تثبتوا لآتيناهم؛ لأن (إذاً) جواب وجزاء. ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس، ويفتح عليهم أبواب الغيب، قال النبي ﷺ: **«من عمل بما علم وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم»**.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدراً.

لأنه أجلُّ من أن يتكلم بما يتغير بهِ النبي ﷺ لأنه ممن شهد بدراً والحديبية وشهد الله له بالإيمان في قولهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١][1] حتى قيل أن خصم الزبير إنما كان منافقاً، وأجيب بأن ذلك صدر منهُ حالة الغضب وليس ذلك بمستنكر من غير المعصوم في تلك الحالة، و«الشراج»: جمع شَرَجة بفتح الشين والراء وهي مَسيل الماء من الحرةَ إلى السهل، و«الحرة»: أرض ذات حجارةَ سود[2]، و«الجدر»: الجدار الصغير والمراد بهِ ما يحيط بالمزرعة.

[لأن «إذن» جواب وجزاء]؛ أي: هنا كما هو الغالب وإلا فقد يكون جواباً فقط كما هو معروف في محلهِ، وما ذكرهُ تعليل للتقدير؛ يعني: لما قال تعالى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ اتجه لسائل أن يسئل عن جزاء التثبيت على الإيمان فأوقع ﴿وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم﴾ [النساء: ٦٧] جواباً لهذا السؤال وجزاء للتثبيت واللام في ﴿لَّأَتَيْنَٰهُم﴾ جواب لـ«لو» محذوفاً كما قدرهُ، أو جواب لقسم محذوف؛ أي: «إذا والله لآتيناهم» والواو استثناء فيه أو عاطفة جملة ﴿وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم﴾ على جملة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ﴾ [«من عمل بما علم وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم»] رواهُ أبو نعيم في حليتهِ[3]

---

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٨٥٥/ برقم:٤٦٠٨]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٤١/ برقم: ٢٤٩٤].
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس [٢/ ٧]. (٣) حلية الأولياء، أبو نعيم [١٠/ ١٥].

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ بيان للذين، أو حال منه، أو من ضمير (عليهم) قسمهم أربعة بحسب منازلهم في العلم والعمل، وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم، وهم: الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل. ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات، وأُخْرَى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان، حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها. ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله. ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته. ولك أن تقول: المنعم عليهم هم العارفون بالله! وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان. والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريباً وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون، والآخرون: إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في أرضه، وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم الصالحون. ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ في معنى التعجب، و(رَفِيقاً) نصب على التمييز، أو الحال، ولم يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق، أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقاً. روي أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه، فسأله عن

[روي: «أن ثوبان...»] إلى آخره. ذكرهُ الثعلبي ونَقلهُ الواحدي[1] عن الكلبي ورواهُ البيهقي[2] والطبري مرسلاً[3]، والطبراني موصولاً لكنه بلفظ: «جاء رجل من

---

(١) أسباب النزول، الواحدي [١/ ١٩٠].

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٢/ ١٣١/ برقم: ١٣٨٠].

(٣) جامع البيان، الطبري [٨/ ٥٣٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾﴾.

حاله؟ فقال: ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك! ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك؛ لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين، وإن أدخلت الجنة كنتُ في منزل دون منزلك، وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً، فنزلت. ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ إشارة إلى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم، أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم. ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ صفته. ﴿مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ خبره أو (الفضل) خبر و(من الله) حال والعامل فيه معنى الإشارة. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ بجزاء من أطاعه، أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ تيقظوا واستعدوا للأعداء، والحذر والحذر كالأثر والأثر. وقيل: ما يحذر به كالحزم والسلاح. ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ فاخرجوا إلى الجهاد. ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعات متفرقة، جمع (ثبة) من ثبيت على فلان تثبية إذا ذكرت متفرق محاسنه، ويجمع أيضاً على (ثبين) جبراً لما حذف من عجزه. ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ مجتمعين كوكبة واحدة، والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات. ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾

الأنصار...»[١] [و ﴿مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ حال]؛ أي: إذ خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف [جمع ثُبَة] هي الجماعة من الرجال فوق العشرة وقيل الاثنان والثلاثة فأكثر[٢].

[جبراً لما حذف من عجزه]؛ أي: وهو تاء التأنيث [كوكَبَة] «كَوكبَة الشيء»: معظمُهُ، وكوكبة الروضة نورها قالهُ الجوهري[٣] فالمراد هنا: انفروا نفرَةً واحدة فهو

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١/ ١٥٢/ برقم: ٤٧٧].

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري [٥/ ١١٥]. (٣) الصحاح، الجوهري [٢/ ٤١].

۞ ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

الخطاب لعسكر رسول الله ﷺ المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد، من بطأ بمعنى: (أبطأ) وهو لازم أو يبطئون غيرهم كما يبطىء ابن أبي ناساً يوم أُحد، من (بطأ) منقولاً من (بطأ) كـ(ثقل من ثقل) واللام الأولى للابتداء دخلت اسم إن للفصل بالخبر، والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة (من) والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن. ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة. قالَ؛ أي: المبطئ. ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضراً فيصيبني ما أصابهم.

﴿٧٣﴾ ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة. ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكده تنبيهاً على فرط تحسره، وقرئ بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى: (مِنَ). ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ للتنبيه على ضعف عقيدتهم، وأن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه، وإنما يريد أن يكون معكم

كالتوكيد لما قبله [للفصل بالخبر]؛ أي: للفصل بين «إن» واسمها بخبرها وهو «منكم» [والقسم بجوابهِ]؛ أي: معهُ [صلة «من»]؛ أي: أن جعلت موصولة وصفة لها أن جعلت نكرة موصوفة، وبذلك علم أن الجملة القسمية مع جوابها خبرية مؤكدةَ بالقسم فلا يمتنع وقوعها صلة للموصول أو صفة للموصوف، والإنشائية إنما على مجرد القسم أعني أقسم بالله كما ذكرهُ التفتازاني(١).

[على فرط تحسرهم] الأولى تحسرهُ؛ أي: المبطئ لأن الكلام على قراءة الإفراد بقرينة ذكره قراءة الجمعَ بعده قَولِهِ: [وقرئ بضم اللام] إلى آخره. [بين الفعل]؛ أي:

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٤١].

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾.

لمجرد المال، أو حال من الضمير في (ليقولن) أو داخل في المقول؛ أي: يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين، وضعفه المسلمين تضريباً وحسداً، كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم. وقيل: إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف، إذ لا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظاً ومعنى، و(كأن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف. وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب: (تَكُنْ) بالتاء لتأنيث لفظ (المودة)، والمنادى في (يا ليتني) محذوف؛ أي: (يا قوم) وقيل: (يا) أطلق للتنبيه على الاتساع (فأفوز) نصب على جواب التمني، وقرئ بالرفع على تقدير: فأنا أفوز في ذلك الوقت، أو العطف على (كنت).

﴿٧٤﴾ ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾؛ أي: الذين يبيعونها بها، والمعنى: إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة، أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون، والمعنى: حثهم على ترك ما حكي عنهم. ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى

وهو ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [أو حال] عطف على اعتراض [تضريباً] وفي نسخة تضريةً؛ أي: إغراء فيهما، قال الجوهري: ضرى الكلب بالصيد ضراوة؛ أي: تعوّد، وأضراهُ صاحبهُ؛ أي: عوّدهُ وأضراهُ بهِ؛ أي: أغراهُ وكذلك التضرية[1] [وقيل: إنه]؛ أي: كأن لم يكن بينكم وبينهُ موَدَةَ.

[متصل بالجملة الأولى]؛ أي: وهي جملة: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ﴾ [النساء: ٧٢] [أو العطف] بالجر عطف على تقدير «فأنا أفوز».

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٣٣١].

۞ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وعد له الأجر العظيم غَلَبَ أو غُلِبَ، ترغيباً في القتال وتكذيباً لقولهم: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٢] وإنما قال: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين، بالظفر والغلبة وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل؛ بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين.

﴿٧٥﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل. ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على اسم الله؛ أي: وفي سبيل المستضعفين، وهو تخليصهم من الأسر وصونهم عن العدو، أو (على سبيل) بحذف المضاف؛ أي: وفي خلاص المستضعفين، ويجوز نصبه على الاختصاص فإن سبيل الله يعم أبواب الخير، وتخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفار أعظمها وأخصها. ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين، أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين، وإنما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان، وأن دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية. وقيل: المراد به العبيد والإماء وهو جمع وليد. ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ فاستجاب الله دعاءهم بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة، وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح

[تكذيباً لِقولهم] الأَوْلى «لقولِه» نظيرُه ما مرّ [وقيل: المراد بِهِ] الأَوْلى «بهم» [فاستجاب الله دعاءهم بأن يسر لبعضهم الخروج] قال التفتازاني: فإن قيل: إن كان

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)﴾.

مكة على يد نبيّه ﷺ، فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعزاء أهلها، والقرية: مكة، و(الظالم) صفتها، وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل أو المفعول إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه.

(٧٦) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيما يصلون به إلى الله. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ فيما يبلغ بهم إلى الشيطان. ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾؛ أي: إن كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين، ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه، فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه.

(٧٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾؛ أي: عن القتال. ﴿وَأَقِيمُوا۟

قصدهم إلى الجمع بين الدعوتين فلم يجابوا إليهما، وإن كان إلى أحديهما لكونها كافية في المقصود كان المناسب العطف بـ«أو» قلنا: إن قدر، ويقولون: «اجعل لنا» على معنى أنه كانت فيهم الدعوتان فلا إشكال، وإن لم يقدّر فيجوز أن يكون ذلك على سبيل التوزيع، ولو سلم فمعلوم أن المقصود الأصلي والمطلوب الأولي هو النجاة، والخلاص من الظلمة، والوصول إلى خير ولي وناصر وقد حصل(١).

[عَتابّ بن أَسِيد] بفتح الهمزة وكسر السين وكان حين جلعهُ أميراً على مكة ابن ثماني عشرةَ سنة [لا يؤبه بهِ] قال الجوهري: لا يؤبه بهِ، ولا يؤبه لهُ؛ أي: لا يبُالى

(١) حاشية التفتازاني [ص١٤١].

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ واشتغلوا بما أمرتم به. ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه، و(إذا) للمفاجأة جواب (لما) و(فريق) مبتدأ (منهم) صفته (ويخشون) خبره و(كخشية الله) من إضافة المصدر إلى المفعول، وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل (يخشون) على معنى: يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه. ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ عطف عليه إن جعلته حالاً، وإن جعلته مصدراً فلا؛ لأن أفعل التفضيل إذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى؛ أي: وكخشية الله تعالى أو كخشية أشد خشية منه على الفرض؛ اللَّهُمَّ إلا أن تجعل الخشية ذات خشية كقولهم: (جد جده) على معنى: يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى، أو خشية أشد

به[1] [﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] عطف عليهِ]؛ أي: على «خشية الله» [أن جعلتهُ]؛ أي: ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [حالاً وإن جلعتهُ مصدراً فلا]؛ أي: فلا يصح عطفهُ عليهِ [لأن أفعل التفضيل إذا نُصب ما بعدهُ]؛ أي: على التميز [لم يكن]؛ أي: ما بعدهُ [من جنسهِ]؛ أي: من جنس أفعل التفضيل بخلاف ما إذا جُر بهِ [بل هو معطوف على اسم الله] إلى آخره. فالمعنى على تقدير الحالية: أنهم أشد خشية من غيرهم؛ بمعنى: أن خشيتهم أشد خَشيةَ من خَشيَة غيرهم، وهو مستَقيم، وعلى تقدير المصدَرية أن خشيتهم أشد خشية من خشية غيرهم، بمعنى: أن خشية خشيتهم أشد، وليس بمستقيم إلا على طريقة: «جدَّ جدهُ»، كما ذكرهُ المصنف، ويكون كقولك: «زيداً جَدَّ جداً» بخلاف ما إذا قُلتُ: ﴿أَوْ أَشَدِّ خَشْيَةً﴾ بالجر فإنه يِصَح عطفهُ على: ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ بتقدير المصدرية أيضاً[2]؛ فإن معناهُ تفضيل خشيتهم على سائر الخشيات مُتَفرقَة.

[اللَّهُمَّ] راجعَ إلى عَدَمَ عَطف ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ على ما ذكر أن جُعل مَصدراً وهو كثيراً ما يُستعمل عند القصد إلى استثناء أمر بَعيد نادر كأنهُ يَدعو اللهَ ويناديهِ

---

(١) الصحاح، الجوهري [١٢٩/٨].

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٤٠٣/٥].

۞ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

خشية من خشية الله. ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ﴾ استزادة في مدة الكف عن القتال حذراً عن الموت، ويحتمل أنهم ما تفوهوا به ولكن قالوا في أنفسهم فحكى الله عنهم. ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع التقضي ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ولا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه، أو من آجالكم المقدرة. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩] لتقدم الغيبة.

﴿٧٨﴾ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله: (مَنْ يفعل الحسنات الله يشكرها) أو على أنه كلام مبتدأ،

استظهاراً بهِ واستعانة على ذلك، وهو المراد هنا كسائر ما يشبههم [﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا﴾] عطف على يخشون [﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾] سؤال على وجهِ الحكمة في فَرضَ القتال عليهم لا اعتراض لحكمهِ؛ بدليل أنهم لم يوبَّخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾ إلى آخره[١] [استزادة في مدة الكف عن القتال]؛ أي: أخذاً من «لولا» لتضمنها معنى الطلب والسؤال [لتقدم الغَيبة]؛ أي: في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ [كما في قوله]؛ أي: قول عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت، وقيل: قول كعب بن مالك:

[مَنْ يفعلِ الحسناتِ اللّهُ يشكُرُها ....]

تمامهُ:

.... والشَّرُّ بالشَّرِّ عندَ اللّه مثلانِ[٢]

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٢٤٢].

(٢) نسبه سيبويه إلى حسان بن ثابت. انظر: الكتاب، سيبويه [ص١٩٠].

و(أينما) متصل بـ(لَا تُظْلَمُونَ). ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ في قصور أو حصون مرتفعة، و(البروج) في الأصل: بيوت على أطراف القصور، من تبرجت المرأة إذا ظهرت. وقرئ (مُشَيِّدة) بكسر الياء وصفاً لها بوصف فاعلها كقولهم: قصيدة شاعرة، ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية، وهما المراد في الآية؛ أي: إن تصبهم نعمة كخصبٍ نسبوها إلى الله، وإن تصبهم بلية كقحطٍ أضافوها إليك وقالوا: إن هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود: منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغَلَت أسعارها. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يقبض ويبسط حسب إرادته. ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ يوعظون به، وهو القرآن فإنهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله، أو حديثاً ما كبهائم لا أفهام لها، أو حادثاً من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا أن القابض والباسط هو الله تعالى.

وبعدهُ:

فإنما هذهِ الدنيا وزهرتها كالزاد لا بد يوماً أنه فان

[وأينما مُتصل بلا يظلمون]؛ أي: اتصال معنى لا اتصال عمل؛ وإلا فالشرط لا يتقدم عليهِ عاملهُ [وقرئ «مَشَيِدَةَ»]؛ أي: بكسر الياء [**كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية**] يجوز كما قال التفتازاني: أن يكون هذا اشتراكاً لفظياً بحسب الوضعين اللغوي والشرعي وأن يكون اشتراكاً معنوياً؛ أي: ما ينبغي ويلائم طبعاً أو شرعاً وما لا ينبغي ويلائم كذلك(١).

[وهما]؛ أي: النعمة والبلية [المراد] الأولى المراد أن

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٤٤].

۞ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾.

---

٧٩ ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ يا إنسان. ﴿مِنۡ حَسَنَةٖ﴾ مّن نّعْمَةٍ. ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: تفضلاً منه، فإن كل ما يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود، فكيف يقضي غيره، ولذلك قال ﷺ: «**ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى**». قيل: ولا أنت؟! قال: «**ولا أنا**». ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾ من بلية. ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ لأنها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي، وهو لا ينافي قوله تعالى: ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨] فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً؛ غير أن الحسنة إحسان وامتحان، والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: (ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها، وحتى انقطاع شسع نعله؛ إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر). والآيتان كما ترى

[**فكيف يقتضي غيرهُ**]؛ أي: غير الوجود؛ أي: غير نعمتهِ فعلم أنما أنعم الله به تفضل لا مقابل بفعل العبد [«**ما أحد يدخل الجنة...**»] إلى آخره. رواهُ بمعناهُ الشيخان[1] [**لأنها السبب فيها لاجتلابها بالمعاصي**] بيّن بهِ أن سبب إصابتهِ السيئة للعبد فعلهُ، وبعضهم أضمر همزة الاستفهام الإنكاري فقال: تقديرهُ أفمن نفسك كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا﴾ [الشعراء: ٢٢] وقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الأنعام: ٧٦]، [**كما قالت عائشة** رضي الله عنها: «**ما من مسلم...**»] إلى آخره. جمع فيه بين حديثين لاشتراكهما في بعضهِ لكنهُ تجوز في نسبتهِ إلى عائشة فإن حديثها رواهُ الشيخان[2] مرفوعاً بلفظ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر بها عنهُ حتى الشوكة يشاكها**» وحديث غيرها رواهُ الترمذي عن أبي موسى مرفوعاً بلفظ: «**ما يصيب عبد نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفوا الله عنه أكثر**»[3] [والآيتان]؛ أي: وهما ﴿قُلۡ كُلّٞ

---

(١) صحيح البخاري [٥/ ٢٢٧٣/ برقم: ٦٠٩٨]، صحيح مسلم [٤/ ٢١٦٩/ برقم: ٢٨١٦].
(٢) صحيح البخاري [٥/ ٢١٣٧/ برقم: ٥٣١٧]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٩١/ برقم: ٢٥٧٢].
(٣) سنن الترمذي [٥/ ٢٤٧/ برقم: ٣٠٣٨].

۞ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾.

لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة. ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال قصد بها التأكيد إن علق الجار بالفعل والتعميم إن علق بها؛ أي: رسولاً للناس جميعاً كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ويجوز نصبه على المصدر كقوله: (وَلَا خَارِجاً مِنْ فِيَّ زُور كَلَامِ). ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك بنصب المعجزات.

﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنه عليه الصلاة

مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩] إلى آخره.

[لا حجة فيهما لنا] في أن أفعال العبد مخلوقة لله [وللمعتزلة]؛ أي: ولا للمعتزلة في أن أفعال العبد مخلوقةَ لهُ لتعارض الآيتين، والحق أنه لا تعارض وأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى عملاً بالآية الأولى وبقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وأما الآية الثانية فمحمولة على السبب العادي كما حمل عليه قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢][(١)] أو على تقدير الاستفهام الإنكاري الذي مرّ بيانهُ في قولنا، وبعضهم أضمر همزة الاستفهام الإنكاري [والتعميم] عطف على التأكيد [أن علق]؛ أي: الجار [بها]؛ أي: بالحال [أي: رسولاً للناسِ جميعاً] فيه على هذا الوجهِ إشارة إلى أن اللام في الناس للاستغراق، وأن الكلام من حيث تقديم المعمول على عاملهُ مفيد لقصر القلب، والمعنى: وأرسلناك رسولاً لجميع الناس لا لبعضهم كما زعمهُ قوم [كقولهِ]؛ أي: كقول الفرزدق:

ولا خارجاً من فيَّ زورُ كلام ....

---

(١) انظر: الشريعة، أبو بكر الآجري [ص٢٣٧].

والسلام في الحقيقة مبلغ، والآمر هو الله. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله**». فقال: المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه، ما يريد إلا أن نتخذه ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى ربّاً، فنزلت. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن طاعته. ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بأمر: ﴿طَاعَةٌ﴾؛ أي: أمرنا طاعة، أو منا طاعة؛ وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات. ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ خرجوا. ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾؛ أي: زورت خلاف ما قلت لها، أو ما قالت لك من القبول

صدرهُ:

.... **على حلفةٍ لا اشتم الدهر مسلماً.**

وقبلهُ:

ألم ترني عاهدتُ ربي وإنني بين رتاج قائماً ومقامِ(١)

الرتاج: باب الكعبة، والمقام: مقام إبراهيم عليهِ الصلاة والسلام، وخارجاً بمعنى خروجاً وهو منصوب بمحذوف معطوف على لا اشتم؛ أي: حلفت بعهد الله لا أشتم الدهر مسلماً ولا يخرج من فيِّ زور كلام خروجاً [**قال**: «**من أحبني...**»] إلى آخره(٢). قال شيخنا: لم أجدهُ.

[**قارف الشرك**] خالطهُ [**أي**: **زَوَّرْتُ**] هو بتقديم الزاي على الراء؛ أي: حسنت وهيأت وأصلحت بتقديم الراء على الزاي يقال: روّزت في نفسي كلاماً ثم قلتهُ؛ أي: دَبَّرت، قال التفتازاني: وكِلا اللفظين مما أثبته الثقاة(٣) [**خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك**]؛ أي: قوله: أن تقول يحتمل كما قال التفتازاني: أن يكون للخطاب والعدول إلى المضارع لقصد الاستمرار والاستحضار، وأن يكون للغيبة مسنداً إلى

(١) المقتضب، المبرد [٢/ ١٢٦].

(٢) المعجم الكبير، الطبراني [١/ ٣١٩/ برقم: ٩٤٧].

(٣) حاشية التفتازاني [ص١٤٤].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾.

وضمان الطاعة. و(التبييت): إما من البيتوتة لأن الأمور تدبر بالليل، أو من بيت الشعر، أو البيت المبنى؛ لأنه يسوى ويدبّر. وقرأ أبو عمرو وحمزة (بَيَّت طائِفَةٌ) بالإدغام لقربهما في المخرج. ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يثبته في صحائفهم للمجازاة، أو في جملة ما يوحى إليك لتطلع على أسرارهم. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في الأمور كلها سيما في شأنهم. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم.

﴿٨٢﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه، وأصل (التدبر) النظر في أدبار الشيء. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار. ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم، وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية. ولعل ذكره هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح.

ضمير طائفة، وعلى كل تقدير العائد إلى الموصول محذوف[1] [لأنه]؛ أي: كلاً من بيت الشعر والبيت المبني [يسوي ويدبر] إذ الأول يُسويهِ ويُدَبرهُ شاعرَه، والثاني بانيهُ.

[أو جملة ما يوحى إليك] عطف على صَحائِفهم [وبعضهُم تسهل]؛ أي: معارضتهِ [ومطابقة بعض أخبارهِ] بالجر عطف على تناقض المعنى

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٤٤].

۞ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾.

﴿٨٣﴾ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ مما يوجب الأمن أو الخوف. ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ، أو أخبرهم الرسول ﷺ بما أوحى إليه من وعد بالظفر، أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم فكانت إذاعتهم مفسدة. والباء مزيدة أو لتضمن الإذاعة معنى: التحدث. ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾؛ أي: ولو ردوا ذَلك الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ إلى رأيه ورأي كبار أصحابه البصراء بالأمور، أو الأمراء. ﴿لَعَلِمَهُ﴾ على أي وجه يذكر ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم. وقيل: كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالاً على المسلمين، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم حتى يسمعوه منهم، ويعرفوا أنه هل يذاع

[أو أخبرهم] عطف على بلَّغهم جعلهما قولاً واحداً حيث رتب عليهما معنى قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ [النساء: ٨٣] إلى آخره. بلفظ واحد وجعلهما «الكشاف»(١) قولين، فرتب عليهما معنى ذلك بلفظين مختلفين [لعدم حزَمهم]؛ أي: في الأمور لكونهم لا خِبرةَ لهم بِها [ذلك الخبر]؛ أي: خبر السرايا أو خبر الرسول(٢) [ورأي كبار الصحابة]؛ أي: المجتهدين منهم قالهُ الطيبي [أو الأمراء]؛ أي: أو إلى رأي الأمراء [﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾] تنازعهُ علمهُ وبذكرهُ [وقيل: كانوا]؛ أي: الذين من ضعفةِ المسلمين مقابل للقولين الذين جعلهما قولاً واحداً [ويعرفوا أنه]؛ أي: المسموع

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٤٧٢].

(٢) عبارة: (ذلك الخبر؛ أي: خبر السرايا أو خبر الرسول)، من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

۞ ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾.

لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر؛ أي: يستخرجون علمه من جهتهم، وأصل الاستنباط إخراج النبط: وهو الماء، يخرج من البئر أول ما تحفر. ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بإرسال الرسول وإنزال الكتاب. ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ والكفر والضلال. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ إلا قليلاً منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب، وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل. أو إلا اتباعاً قليلاً على الندور.

﴿٨٤﴾ ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أن تثبطوا وتركوك وحدك. ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم، فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود. روي أنه عليه الصلاة والسلام: دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم، فنزلت. فخرج عليه الصلاة والسلام وما معه إلا سبعون لم يلو على أحدٍ. وقرئ (لا تُكَلَّف) بالجزم، و(لا نكلف) بالنون على بناء الفاعل؛ أي: لا نكلفك إلا فعل نفسك؛ لأنا لا نكلف أحداً إلا نفسك لقوله: ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ على القتال إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾؛

[لعلم ذلك]؛ أي: أنه مما يذاع أو لا يذاع.

[«من» صلة] علم وهي تبعيضية [هؤلاء]؛ أي: الرادين [﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾] فاعل علم [من ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ و﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي﴾] متعلق بـ«يستنبطونه» [من جهتهم]؛ أي: الرسول وأولي الأمر [أن تثبطوا]؛ أي: تكاسلوا وعبارة «الكشاف»[1] إن أفردوك [وقرئ ﴿لَا نُكَلِّفُ﴾ بالجزم]؛ أي: جواباً للأمر [﴿بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾]؛ أي: حربهم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٧٤].

۞ ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾.

يعني: قريشاً، وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا. ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش. ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً منهم، وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه.

﴿٨٥﴾ ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضراً أو جلب إليه نفعاً ابتغاء لوجه الله تعالى، ومنها الدعاء لمسلم قال ﷺ: «**من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك: ولك مثل ذلك**». ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها. ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ يريد بها محرماً. ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب من وزرها مساوٍ لها في القدر. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ مقتدراً من أقات على الشيء إذا قدر قال:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ الضِغْنَ عَنْه ... وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتا

أو شهيداً حافظاً، واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه.

وصَولتَهَم [«**من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب**...»] إلى آخره. رواهُ بمعناهُ مسلم وغيرهُ[١] والظهر قد يزاد في مثل هذا إشباعاً للكلام وتمكيناً [**قال**]؛ أي: الزبير بن عبد المطلب:

[**وذِي ضِـــغْـــنٍ**.................... ....]

أي: وربَ صاحب حقد [**كففتُ الضِغْنَ عنهُ وكنتُ على مساءَتِه**]؛ أي: مساءتي لذي الضغن [**مُقِيْتاً**][٢]؛ أي: مقتدراً كما مرّ [**أو شهيداً حافظاً**] عطف على «مقتدراً» فهو تفسير ثانٍ لمقيتاً لكنهُ تفسير باللازم لتضمنهِ معنى الاقتدار وعلى مساءتِهِ

(١) صحيح مسلم [٤/ ٢٠٩٤/ برقم: ٢٧٣٢]، سنن أبي داود [١/ ٤٨٠/ برقم: ١٥٣٤].

(٢) المخصص، ابن سيده [١/ ١٩٥].

۞ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾.

---

(٨٦) ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ﴾ الجمهور على أنه في السلام، ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله، فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما بِرَدّ مثله لما روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك. فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته**». وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال: «**وعليك**» فقال الرجل: نقصتني فأين ما قال الله تعالى؟ وتلا الآية. فقال: «**إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله**». وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل: (أو) للترديد بين أن يحيِّي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها، وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة، وقراءة القرآن، وفي

متعلق بـ«مقيتاً» [روي: «**أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ...**»] إلى آخره. رواهُ الإمام أحمد[١] وغيرهُ[٢] [ومنهُ] مما ذكر في الحديث [قيل أو]؛ أي: في الآية [**للترديد بين**[٣] **أن يُحَيّي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها**] هذا كما ترى إنما يأتي في المسلم و«أو» في الآية إنما هي في المسلم عليهِ فلا يؤخذ مما ذكر في الحديث ما قالهُ هذا القائل.

[وحيث السلام مشروع] عطف على قولهِ: على الكفاية [**فلا يرد في الخطبة**]؛ أي: حالها وهذا وجه من ثلاثة أوجه جواز الرد، استحبابهُ، وجوبه به وهو الأصح [وقِراءة القرآن] هذا على ما نقله النووي عن الواحدي بناءً على قولهِ: إنه لا يشرع ابتداء السلام حينئذٍ ثم قال: وفيه نظرَ. والظِاهر: أنه يسلم عليهِ ويجب عليه الرد باللفظ.

---

(١) الفتح السماوي، المناوي [٢/٥٠٥/ برقم: ٣٨٢].
(٢) المعجم الكبير، الطبراني [٦/٢٤٦/ برقم: ٦١١٤].
(٣) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (الترديدين).

۞ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾.

الحمام، وعند قضاء الحاجة ونحوها. و(التحية) في الأصل: مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة، ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك، ثم قيلَ لكل دعاء فغلب في السلام. وقيل: المراد بالتحية العطية وواجب الثواب أو الرد على المتهب، وهو قول قديم للشافعي رضي الله تعالى عنه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ يحاسبكم على التحية وغيرها.

﴿٨٧﴾ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ مبتدأ وخبر، أو (اللهُ) مبتدأ والخبر: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: (الله)، والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة، أو مفضين إليه، أو في يوم القيامة، ولا إلٰه إلا هو، اعتراض. و(القيام والقيامة) كـ(الطلاب والطلابة) وهي: قيام الناس من القبور أو للحساب. ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ في اليوم أو الجمع؛ فهو حال من (اليوم)، أو صفة للمصدر. ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه، فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه؛ لأنه نقص وهو على الله محال.

[ونحوها]؛ أي: كالأكل والصلاة والأذان والإقامة والجماع(١) [وأَوجب؛ أي: قائل هذا القول والخبر ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ٨٧]؛ أي: مع القسم المفاد باللام بقرينة قولهِ [أي الله: واللهِ لَيَحْشُرَنَّكم] إلى آخره. فعلم أنَّ خبر المبتدأ القسم مع جوابهِ كما كان صلة الموصول في ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢] [أو مفضين] عطف على «من قبوركم» وكذا أما ما بعدهُ [و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾] اعتراض؛ أي: بين المبتدأ وخَبره(٢) [إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منهُ] عبر بهِ نظراً لقولهِ في الآية ﴿وَصَدَّقَ﴾ [الزمر: ٣٣] وإلا فاللائق إنكار أن يكون أحد مساوياً لهُ في الصدق وهو مراد الآية بلا شك.

---

(١) انظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي [٢٦/٣٦٦].
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٥/٤١٧].

۞ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين. ﴿فِئَتَيْنِ﴾؛ أي: فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم، وذلك أن ناساً منهم استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلى البدو لاجتواء المدينة، فلما خرجوا لم يزالوا رحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين، فاختلف المسلمون في إسلامهم. وقيل: نزلت في المتخلفين يوم أُحد، أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن، أو قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة. و﴿فِئَتَيْنِ﴾ حال عاملها لكم كقولك: ما لك قائماً. وفِي الْمُنافِقِينَ حال من ﴿فِئَتَيْنِ﴾؛ أي: متفرقتين فيهم، أو من الضمير؛ أي: فما لكم متفرقين فيهم، ومعنى الافتراق مستفاد من (فِئَتَيْنِ). ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ ردهم إلى حكم الكفرة، أو نكسهم بأن صيرهم للنار. وأصل (الرَّكْس): رد الشيء مقلوباً. ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ

[وذلك أن ناساً منهم] إلى آخره. رواهُ الإمام أحمد [لاجتواء] بالجيم مصدر اجتوى؛ أي: استوخم [وقيل: «نزلت في المتخلفين يوم أُحد»] رواهُ الشيخان[1]. [«أو في قوم هاجروا...»] إلى آخره[2]. فارق القول الأول بأن القوم فيه موصوفون بالهجرة والاشتياق إلى الوطن بخلافهم في الأول [عاملها «لكم»]؛ أي: لاستلزامه الاستقرار أو [عاملها]؛ يعني: أو عامل الحال عامل لفظة «لكم» وهو استقر أو «ما»[3] لكونه مبتدأ و«لكم» خبرهُ [أو من الضمير]؛ أي: في «لكم».

[واصل الرَّكْس: رَدُّ الشيء مقلوباً] وعن الكسائي وغيرهُ «الركس والنكس»:

---

(١) صحيح البخاري [٦/ ٢٤٩٥/برقم: ٦٤١٩]، صحيح مسلم [١/ ١٠٨/برقم: ١١٦].

(٢) جامع البيان، الطبري [٨/ ١١].

(٣) في نسخة [ز]: (استقرا وما)، وفي نسخة [ج]: (وهو استقرار لما)، وفي نسخة [ب]: (استقرا وما).

۞ ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٨٩﴾.

أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أن تجعلوه من المهتدين. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى.

(٨٩) ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ تمنوا أن تكفروا ككفرهم. ﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ﴾ فتكونون معهم سواء في الضلال، وهو عطف على (تكفرون) ولو نصب على جواب التمني لجاز. ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لأغراض الدنيا، وسبيل الله ما أمر بسلوكه. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان الظاهر بالهجرة أو عن إظهار الإيمان. ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾ كسائر الكفرة. ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ أي: جانبوهم رأساً ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة.

قلب الشيء على رأسهِ أو ردُّ أَولهِ على آخرهِ[١]. وقال الراغب: معناهما: الرد والنكس أبلغ لأن النكس ما جعل أسفلهُ أعلاهُ والركس ما جعل رجيعاً بعد ما كان طعاماً[٢] [و«لو» **نصب على جواب التمني**]؛ أي: المفهوم من «لو» هنا [﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [النساء: ٨٩]] لما كانت الهجرة غير كافية هنا فسرها المصنف بالإيمان أو تحَقُّقه فقال: [**فلا توالوهم حتى يؤمنوا**]؛ أي: ينشؤا الإيمان [**أو تحَققوا**]؛ أي: أو تتحققوا أنتم [**إيمانهم**] السابق [**بهجرة**] إلى آخره.

[**أي: جانبوهم رأساً**] بيان لمعنى الاستمرار المفاد بتكرير ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ

---

(١) انظر: العباب الزاخر، الصاغاني [١/ ١١٨].

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٢٥٥].

۞ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾.

﴿٩٠﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾؛ أي: إلا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم، ويفارقون محاربتكم. والقوم هم: خزاعة. وقيل: هم الأسلميون؛ فإنه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ماله. وقيل: بنو أبكر بن زيد مناة. ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ عطف على الصلة؛ أي: أو الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم، استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين، أو أتى الرسول وكف عن قتال الفريقين، أو على صفة (قوم) وكأنه قال: إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم. والأول أظهر لقوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾. وقرئ بغير العاطف على أنه صفة بعد صفة،

أَوْلِيَآءَ﴾ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ [استثناء من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾]؛ أي: لا من قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ أيضاً وإن كان أقرب لأن اتخاذ الولي منهم حرام[(١)] [وقيل: بنو بكر] عطف على خزاعة [زيد مَناة] علم كعبد مَناة، ومناة اسم صنم [والأول أظهر لقوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾]؛ أي: لأن الاستثناء كما قال التفتازاني: وغيرهُ يشعر بأن سبب ترك التعرض لهم أمران، الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافّين عن القتال إن كان العطف على الصفة، أو الكف عن القتال إن كان العطف على الصلة[(٢)]. لكن قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠] إلى آخره. يشعر بأن الكفّ

---

(١) مدارك الترتيل وحقائق التأويل، النسفي [١/ ٢٣٢].

(٢) حاشية التفتازاني [ص١٤٨].

أو بيان لـ(يصلون) أو استئناف. ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حال بإضمار (قد) ويدل عليه أنه قرئ (حصرة صدورهم) وحصرات صدورهم، أو بيان لـ(جاءوكم) وقيل: صفة محذوف؛ أي: جاءوكم قوماً حصرت صدورهم، وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض. ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾؛ أي: عن أن، أو لأن، أو كراهة أن يقاتلوكم. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن قوى قلوبهم وبسط

لأن مَعناه: أن كفوا عن قِتالكم فلا سبيل لكم عليهم، فينبغي أن يحمل الاستثناء على وَجه يفيد ذلك؛ أي: «اقتلوهم إلا الذين اتصلوا بالمعاهدين أو الذين كفوا عن قتالكم» لِيكون هذا تقريراً لهُ، وذلك في العطف على الصلة إذ معنى العطف على الصفة «اقتَلوهُم إلا الذين اتصلوا بالمعاهدين أو الكافين».

[أو بيان] زاد «الكشاف»(١): «أو بدل». وضَعف الأول بأن البيان لا يكون في الأفعال، والثاني بأنه ليس كلاً ولا بعضاً ولا اشتمالاً، وأشار التفتازاني إلى جواز ذلك فقال: لما كان الانتهاء إلى المعاهدين والاتصال بهم حاصلهُ: الكف عن قتال المسلمين صحَ أن يجعل مجيئهم إلى المسلمين بهذهِ الصفة وعلى هذهِ العزيمة بياناً لاتصالهم بالمعاهدين أو بدلاً منهُ كلاً وبعضاً أو اشتمالاً على ما قيل(٢).

[أو استئناف]؛ أي: على أنه جواب كيف رحلوا إلى المعاهدين وَمِنْ أين علم ذلك [أو بيان لـ﴿جَآءُوكُمْ﴾»] من جهة أن المراد بالمجيء الاتصال بالمعاهدين وترك المعاندة والمقاتلة لا حقيقة المجيء، أو من جهة أنه بيان لكيفية المجيء، وجوز بعضهم كونه بَدل اشتمال [أي: ﴿جَآءُوكُمْ﴾ قوماً حصرت] فقوماً على هذا حال موطئةٌ كقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣](٣).

[بنو مُدلج] بضم الميم قبيلة من كنانة [﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾] جملة اعتراضية مقتضية للامتنان على المؤمنين وتعليل بأن كفهم ما كان إلا بقذف الله

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٧٦]. (٢) حاشية التفتازاني [ص١٤٨].
(٣) انظر: إملاء ما مَنَّ به الرحمٰن، العكبري [١/ ١٩٠].

۞ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

صدورهم وأزال الرعب عنهم. ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ ولم يكفوا عنكم. ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ فإن لم يتعرضوا لكم. ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الاستسلام والانقياد. ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم.

﴿٩١﴾ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ هم: أسد وغطفان، وقيل: بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الكفر وإلى قتال المسلمين. ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب. ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ وينبذوا إليكم العهد. ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم. ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض. ﴿وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم، ووضوح كفرهم وغدرهم، أو تسلطاً ظاهراً حيث أذنا لكم في قتلهم.

الرُّعب في قلوبهم [﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾] اللام فيه جواب لو وهو على التكرار أو البدل على تأويل ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ فلو شاء الله لقاتلوكم[1] [أقبح قلب]؛ أي: لأن معنى أركسهُ قلبهُ على رأسهِ كما مرَّ مع زيادة [وينبذوا إليكم العهد] فسَّر به ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ وليس بمناسب؛ بل المناسب تفسير غيره له «ويلقوا إليكم الاستسلام والانقياد» [فإن مجرد الكفر لا يوجب نفي التعرض] تعليل ما قبله بهِ غير مناسب

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٦/ ٥٥٥].

۞ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)﴾.

---

(٩٢) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ وما صح له وليس من شأنه. ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حق. ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ فإنه على عرضته، ونصبه على الحال أو المفعول له؛ أي: لا يقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ، أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف؛ أي: إلّا قتلاً خطأ. وقيل: مَا كانَ نفي في معنى النهي، والاستثناء منقطع؛ أي: لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر، والخطأ ما لا يضامه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً، أو ما لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه، أو يكون فعل غير المكلف. وقرئ (خطاء) بالمد و(خَطاً) كـ(عَصاً) بتخفيف الهمزة، والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم، لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله. ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فعليه أو فواجبه تحرير رقبة، أو التحرير الإعتاق، والحر كالعتيق

أيضاً [فإنه]؛ أي: الخطأ وقَع [على عرضتهِ]؛ أي: عرضة المقتول خطأ بمعنى: أنه عرضة للخطأ من قولهم: فُلان عُرضة للناس؛ أي: لا يزالون يقعُون فيه(١).

[والاستثناء منقطع] جاز على القولين وقيل: متصل بمعنى: أن القاتل يؤاخذ على القتل إلا إذا كان خطأً، أو بمعنى: أنه ليسَ لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً بأن ظن كفر شخص فقتلهُ ثم تبين إسلامهُ [ما لا يُضامَهُ القصد]؛ أي: يجامعهُ [والحرُ كالعَتيق] في

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/٢٤١].

للكريم من الشيء، ومنه (حُرُّ الوَجْهِ) لأكرم موضع منه، سمي به لأن الكرم في الأحرار واللؤم في العبيد، والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس. ﴿مُّؤۡمِنَةٖ﴾ محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة. ﴿وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾ مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث، لقول ضحاك بن سفيان الكلابي: (كتب إليَّ رسول الله ﷺ يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها). وهي على العاقلة؛ فإن لم تكن فعلى بيت المال؛ فإن لم يكن ففي ماله. ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾ يتصدقوا عليه بالدية. سمى العفو عنها (صدقة) حثاً عليه وتنبيهاً على فضله، وعن النبي ﷺ: «**كل معروف صدقة**» وهو متعلق بـ(عليه)، أو بـ(مُسَلَّمة)؛ أي: تجب الدية عليه أو يسلمها إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه. أو زمانه؛ فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل أو الظرف. ﴿فَإِن

أنَّ كلاً منهما وضع [للكريم من الشيء] آدمياً كان أم غيرهُ [**لقول الضحاك بن سفيان الكلابي**] إلى آخره. رواهُ أبو داود وغيرهُ[١]، و«أشيم» بشين معجمة ساكنة فتحتية مفتوحة والضبابي بضاد معجمة[٢]، وموحدتين بينهما ألف، والعَقل الديَّة.

[**ففي ماله**]؛ أي: القاتل [«**كل معروف صدقة**»] رواهُ الشيخان[٣] [**وهو**]؛ أي: ﴿أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾ [النساء: ٩٢] [**متعلق**] تعلق معنوي[٤] بـ[**عليهِ**]؛ أي: المحذوف عند قوله: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [**أو بِـ«مسلمة»**] وهو أولى [**فهو**]؛ أي: ﴿أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾ [**في محل النصب**] إما [**على الحال مِنَ «القاتل»** أو **«الأهلَ»** أو] على [**الظرف**] بتقدير حذف الزمان المشار إليه قيل بقولهِ أو زمانهِ كقولهم: «أجلس ما دام زيدٌ جالساً»، وما ذكرهُ من أنَّ نَصبهُ على الحال أو الظرف تبع فيه «الكشاف»[٥] قال أبو حيان: هو

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ١٤٤/ برقم: ٢٩٩٧]، سنن الترمذي [٤/ ٢٧/ برقم: ١٤١٥].
(٢) عبارة: (ساكنة فتحتية مفتوحة والضبابي بضاد معجمة) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].
(٣) صحيح البخاري [٥/ ٢٢٤١/ برقم: ٥٦٧٥]، صحيح مسلم [٢/ ٦٩٧/ برقم: ١٠٠٥].
(٤) عبارة: (تعلق معنوي) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].
(٥) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٨٢].

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: فإن كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين، أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه؛ فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله؛ إذ لا وراثة بينه وبينهم ولأنهم محاربون. ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: وإن كان من قوم كفرة معاهدين، أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية، ولعله فيما إذا كان المقتول معاهداً، أو كان له وارث مسلم. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها. ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فعليه، أو فالواجب عليه صيام شهرين. ﴿تَوْبَةً﴾ نصب على المفعول له؛ أي: شرع ذلك توبة، من (تاب الله عليه) إذا قبل توبته. أو على المصدر؛ أي: وتاب عليكم توبة، أو حال بحذف مضاف؛ أي: فعليه صيام شهرين ذا توبة. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفتها. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بحاله. ﴿حَكِيمًا﴾ فيما أمر في شأنه.

﴿٩٣﴾ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا

خطأ لأن «أن» والفعل لا يجوز وقوعهما حالاً ولا منصوباً على الظرف كما نصّوا عليه؛ فالصواب: أنه في محل نصب على الاستثناء المنقطع(١). وفيه نظر يُعرف بما قدمتهُ في الكلام على قولهِ تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ [النساء: ١٩].

[من قوم]؛ أي: من نسَب قوم [كفار مُحاربين] ولم يفارقونهم [أو] لم يكن من نسبهم لكن كان [في تضاعيفهم]؛ أي: فيما بينهم سواء كان ببلادهم أم ببلادنا بصفتهم [إذ لا وراثة بينهُ وبينهم] تعليل للنوعين [لأنهُم محارِبون] تعليل للتعليل [ولعلهُ فيما إذا كان المقتول معاهداً] ظاهراً [أو كان له وارث مسلم] لا يخفى ما

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ١٦٤].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾.

وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾﴾ لما فيه من التهديد العظيم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمداً). ولعله أراد به التشديد إذ روي عنه خلافه. والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] ونحوه وهو عندنا؛ إما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره، ويؤيده أنه نزل في مقيس بن ضبابة وَجَدَ أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار ولم يظهر قاتله؛ فأمرهم رسول الله ﷺ أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتداً، أو المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم.

﴿٩٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ سافرتم وذهبتم

فيهِ. ومن ثم قال الطيبي: فيه نظر [قال ابن عباس: «**لا تُقبل توبة قاتل المؤمن عمداً**»] رواه الشيخان[1] [**إذ روى عنهُ خلافهُ**] رواهُ البيهقي في سننهِ[2].

[**وهو عندنا إما مخصوص بالمستحل له**] إلى آخره. حاصله: أن الآية مخصوصة بالمستحل، أو المراد بالخلود فيها المكث الطويل، وبقي ثالث: وهو أن المراد بها التغليظ كقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٧]، بناءً على تفسير مَنْ كَفَرَ بمن لم يحج وكقولهِ ﷺ للمقداد: «**لا تَقْتُلْهُ فإنْ قَتَلْتَهُ فإنَّهُ بمنزِلَتِكَ قبلَ أنْ تقْتُلَهُ، وإنَّكَ بمنزلتِهِ قبلَ**

(١) صحيح البخاري [٤/١٦٧٦/ برقم: ٤٣١٤]، صحيح مسلم [٤/٢٣١٧/ برقم: ٣٠٢٣].
(٢) الفتح السماوي، المناوي [٢/٥٠٩/ برقم: ٣٨٩].

للغزو. ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه. وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا، وفي (الحجرات) من التثبت. ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ لمن حياكم بتحية الإسلام. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الألف؛ أي: الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضاً. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما فعلت ذلك متعوذاً. وقرئ (مُؤْمَّناً) بالفتح؛ أي: مبذولاً له الأمان. ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تطلبون ماله الذي هو حطام الدنيا سريع النفاذ، وهو حال من الضمير في (تقولوا) مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت. ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله. ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: أول ما دخلتم في الإسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم. ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين. ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم، ولا تبادروا إلى قتلهم ظناً بأنهم دخلوا فيه اتقاء وخوفاً، فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم. وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالماً به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه. روي: أن سرية رسول الله ﷺ غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل

أنْ يقولَ الكلِمَةَ التي قال»[1] [وقرئ «لست مُؤمَناً» بالفتح]؛ أي: بفتح الميم الثانية قرأ بِها أبو جعفر بخلاف عندهُ.

[**فلا تهافتوا**]؛ أي: تساقطوا يقال: تهافت الفراش تساقط، قاله الجوهري[2]

[روي: «أن سَرِيَّة...»] إلى آخره. رواهُ الطبري[3] وذكرهُ الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٤٧٤/ برقم: ٣٧٩٤]، صحيح مسلم [١/ ٩٥/ برقم: ٩٥].

(٢) الصحاح، الجوهري [٥/ ١٦٠]. (٣) جامع البيان، الطبري [٩/ ٧٧].

۞ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾.

وصعد، فلما تلاحقوا به وكبّروا كبّر ونزل وقال: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم؛ فقتله أسامة، واستاق غنمه. وقيل: نزلت في المقداد مرَّ برجل في غنيمة فأراد قتله فقال: لا إلٰه إلا الله؛ فقتله أسامة وقال: ودَّ لو فرَّ بأهله وماله. وفيه دليل على صحة إيمان المكره وأن المجتهد قد يخطئ وأن خطأه مغتفر.

﴿٩٥﴾ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ عن الحرب. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذي فيه. ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة للقاعدون لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه. وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال أَوِ الاستثناء. وقرئ بالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه. وعن زيد بن ثابت: أنها نزلت ولم يكن فيها غير أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم: وكيف وأنا أعمى؟ فغشي رسول الله ﷺ في مجلسه الوحي، فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال: اكتب: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ﴾؛ أي: لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة. وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد

[بالرفع صفة للقاعدين لأنه لم يقصد بهِ قوم بأعيانهم]؛ أي: بل أراد بهِ الجنس كما في قولهِ: «وَلَقَد أَمَرُّ على اللَّئِمِ يَسُبُّنِي». فصح جَعل غير صفة للقاعدين [وعن زيد بن ثابت: «أنها نزلت...»] إلى آخره. رواهُ البخاري[1] وغيرهُ[2] [أن ترُضَّها] أن تدقَّها وتكسرها. [ثم سرى عنهُ]؛ أي: أُزيل وكشف ما بهِ من بُرَحاء الوحي

---

(١) صحيح البخاري [٣/ ١٠٤٢/ برقم: ٢٦٧٧]. (٢) صحيح مسلم [٣/ ١٥٠٨/ برقم: ١٨٩٨].

﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٩٦﴾.

في الجهاد رفعاً لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته. ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ﴾ جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق، و(درجة) نصب بنزع الخافض؛ أي: بدرجة، أو على المصدر لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرّة منه، أو الحال بمعنى: ذوي درجة. ﴿وَكُلّٗا﴾ من القاعدين والمجاهدين. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ المثوبة الحسنى: وهي الجنة؛ لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم، وإنما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب. ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ نصب على المصدر لأن (فضّل)؛ بمعنى: أجر، أو المفعول الثاني له لتضمنه معنى الإعطاء كأنه قيل: وأعطاهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً.

(٩٦) ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ كل واحد منها بدل من (أجراً)، ويجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك: ضربته أسواطاً، و(أجراً) على الحال عنها تقدمت عليها لأنها نكرة، و(مغفرة ورحمة) على المصدر بإضمار فِعْلَيْهما كرر تفضيل المجاهدين، وبالغ فيه إجمالاً وتفصيلاً تعظيماً للجهاد وترغيباً فيه. وقيل: الأول: ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر، والثاني: ما جعل لهم في الآخرة. وقيل: المراد بالدرجة

[لمّا نفى الاستواء فيه]؛ أي: وهو التفضيل [والقاعدون] مبتدأ خبرهُ [على التقييد السابق]؛ أي: وهو تقييدهم بأنهم غير أولي الضرر [لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة] كأنهُ قيل: فَضلهم بفضيلة [«وأجراً» على الحال عنها]؛ أي: عن «درجات» ولا يضر توحيد «أجراً»؛ لأنه مصدر يستوي فيهِ الجمع وغيرهُ[1].

[﴿وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ على المصدر بإضمار فعلهما]؛ أي: لا بالعطف على

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٢٧١].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

الأولى ارتفاع منزلتهم عند الله، وبالدرجات منازلهم في الجنة. وقيل: (القاعدون) الأوّل هم الأضراء، و(القاعدون) الثاني هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم. وقيل: المجاهدون الأولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**». ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما عسى أن يفرط منهم. ﴿رَّحِيمًا﴾ بما وعد لهم.

﴿٩٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يحتمل الماضي والمضارع، وقرئ (توفتهم) و(توفاهم) على المضارع من (وفيت)؛ بمعنى: أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها؛ أي: يمكنهم من استيفائها فيستوفونها. ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة؛ فإنها

أجراً وإن صحَ معنى لِما فيهِ من تخلل ذي الحال بين الأحوال المتعاطفة [وهم الأَضرَّاء] جمع ضرير بمعنى: مضرور [وقيل: المجاهدون الأولون من جاهد الكفار، والآخرون من جاهد نفسهُ] هذا وما قبله من الأقوال جواب ما يقال: كيف جعل التفضل[1] على غير أولي الضرر تارةَ درجةً وتارةً درجات: [«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»] لا أصل لهُ كما قال العلامة تقي الدين ابن تيمية[2].

[يحتمل الماضي والمضارع] بحذف إحدى التاءين على الثاني، وعليهِ يكون المضارع من باب حكاية الحالة الماضية بقرينة قوله: ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧] حيث أوقع خبراً لِـ«إنَّ» على قول، أو صفة لِـ«ظالمي» أو حالاً من «الملائكةِ» كما يأتي بيانها في كلامهِ.

---

(١) في نسخة [ز - ج - ب]: (الفضل).
(٢) الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٥١٤/ برقم: ٣٩٣].

نزلت في أناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: الملائكة ـ توبيخاً لهم ـ: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة، أو عن إظهار الدين وإعلاء كلمة الله. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: الملائكة تكذيباً لهم أو تبكيتاً. ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة. ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار. وهو خبر (إن) والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط، و(قالوا فيم كنتم) حال من (الملائكة) بإضمار (قد) أو الخبر (قالوا) والعائد محذوف؛ أي: قالوا لهم، وهو جملة معطوفة على الجملة التي قبلها مستنتجة منها. ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مصيرهم؛ أي: جهنم، وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه، وعن النبي ﷺ: «**من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيّه محمد عليهما الصلاة والسلام**».

[«نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا»] رواهُ الطبراني[1] عن ابن عباس [وهو خبر «أن»]؛ أي: على تقدير أن «قالوا» ليس خبراً لها، ولا أن[2] خبرها محذوف؛ أي: «هلكوا»، وهو خبر ثانٍ لها [أو الخبر «قالوا»] عطف على خبر «إنَّ»؛ أي: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ خبر «إنَّ» أو خبرها «قالوا» بالتقدير الذي قالهُ [وهو]؛ أي: قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ على هذا القول [جملة معطوفة] إلى آخره.

[«مَن فرَّ بِدينهِ...»] إلى آخره. رواهُ الثعلبي[3] مرسلاً[4] [استوجبت لهُ الجنة]؛

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١١/ ٢٠٥/برقم: ١١٥٠٥].

(٢) في نسخة [ز]: (لأن).

(٣) في نسخ [ز ـ ج ـ ب] زيادة: (مرسلاً) ساقطة من [الأصل].

(٤) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٥١٥/ برقم: ٣٩٥].

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

﴿٩٨﴾ - ﴿٩٩﴾ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه، وذكر (الولدان) إن أريد به المماليك فظاهر، وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة، فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ صفة للمستضعفين إذ لا توقيت فيه، أو حال منه أو من المستكن فيه. واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه، واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ ذكر بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذاناً بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى إن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ متحولاً من (الرغام) وهو التراب. وقيل: طريق يراغم قومه بسلوكه؛

أي: وجبت لهُ [والإشارة] بالجر؛ أي: واسم الإشارة [إليه]؛ أي: إلى الموصول [صفةٌ للمستضعفين إذ لا توقيت فيهِ]؛ أي: لا تعيين فيه فكأنهُ نكرة فصحَّ وصفهُ بالجملة كما في قولهِ: ولقد أمر على اللئيم يسبني [أو حال] إلى آخره. وقيل: إن الجملة مستأنفةَ جواب ما يقال ما وجه استضعافهم وقيل: مفسرةً لهم [بكلمة الإطماع]؛ أي: وهي «عسى».

[بأن ترك الهجرة أمر خطير]؛ أي: شديد، وعبارة «الكشاف» أمر مُضَيَّق لا توسعة فيه حتى أن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول: عسى الله أن يعفوا

أي: يفارقهم على رغم أنوفهم، وهو أيضاً من (الرغام). ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق وإظهار الدين. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ وقرئ (يُدْرِكُهُ) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: ثم هو يدركه، وبالنصب على إضمار أن كقوله:

سَأَتْرُك مَنْزِلِي بِبَني تَمِيم وَأَلْحَقُ بالحِجَازِ فَأَسْتَرِيحا

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى: ثبت أجره عند الله تعالى ثبوت الأمر الواجب. والآية الكريمة نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجهاً إلى المدينة، فلما

عني فكيف بغيره[1] [أي: يفارقهم على رغم أنوفهم] زاد «الكشاف» والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام[2] [وقرئ «يدركُه» بالرفع على أنه خبره محذوف] إلى آخره. فيه عطف الجملة الفعلية على الاسمية وهو جائز على خلاف فيه وزاد «الكشاف»[3]: وقيل: رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقلت حركة الهاء إلى الكاف كقوله:

.... مـن عَـنَـزِي سَـبَّـنِـي لـمْ أَضْـرُبُـه

وصدر البيت:

عـجَـبْـتُ والـدَّهـرُ كـثـيـرٌ عـجـبُـه[4] ....

[كقوله]؛ أي: قول المغيرة بن حبناء الحنظلي:

[.................................... وأَلْـحـقُ بـالـحـجـازِ فـأسـتـريـحـا]

صدره:

سَـأَتْـرُكُ مـنـزلـي لـبـنـي تَـمـيـمٍ[5] ....

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٨٩].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٨٩].
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٨٩].
(٤) البيت لزياد الأعجم. انظر: الكتاب، سيبويه [٤/ ١٧٩].
(٥) الكتاب، سيبويه [٣/ ٣٩].

۞ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾.

بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال: اللَّهُمَّ هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك فمات.

﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه، ويؤيده أنه ﷺ أتم في السفر. وأن عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله قصرت وأتممت، وصمت وأفطرت. فقال: «**أحسنت يا عائشة**». وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالى عنه: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيّكم ﷺ، ولقول عائشة رضي الله عنها: أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين؛ فأقرت في السفر وزيدت في

[اللَّهُمَّ هذه لك وهذه لرسولك][١] قال التفتازاني: الظاهر أنَّ هذه إشارة إلى اليمين، وهذه إلى الشمال لا على قصد إسناد الجارحة إلى الله تعالى بل على سبيل التصوير وتمثيل مبايعة الله على الإيمان والطاعة بمبايعة رسول الله إياه[٢]. وقيل: إشارة إلى البيعة والصفقة والمعنى: أن بيعته كبيعة رسول الله ﷺ لا كبيعة الناس. **[ويؤيده: «أنه عليه الصلاة والسلام: أتم في السفر»]** رواه الشافعي[٣] وغيره. **[«وأن عائشة اعتمرت...»]** إلى آخره. رواه الدارقطني وحسنه[٤] البيهقي وصححه[٥] **[لقول عمر رضي الله عنه: «صلاة السفر ركعتان على لسان نبيكم»]** رواه النسائي[٦] وابن ماجه[٧] **[ولقول عائشة رضي الله عنها: «أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين»]** إلى آخره. رواه

---

(١) انظر القصة في: معالم التنزيل، البغوي [٢/ ٢٧٤].
(٢) حاشية التفتازاني [ص١٥٢]. (٣) الأم، الشافعي [١/ ٢١١].
(٤) سنن الدارقطني [٢/ ١٨٨/ برقم: ٣٩].
(٥) السنن الكبرى، البيهقي [٣/ ١٤٢/ برقم: ٥٢١٢].
(٦) سنن النسائي [٣/ ١١١/ برقم: ١٤٢٠]. (٧) سنن ابن ماجه [١/ ٣٣٨/ برقم: ١٠٦٣].

۞ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

الحضر. فظاهرهما يخالف الآية الكريمة؛ فإن صحا فالأول مؤول بأنه كالتام في الصحة والإجزاء، والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة إلى تأويل الآية؛ بأنهم ألفوا الأربع فكانت مظنة لأن يخطر ببالهم أن ركعتي السفر قصر ونقصان، فسمي الإتيان بهما قصراً على ظنهم. ونفي الجناح فيه لتطبيب به نفوسهم، وأقل سفر تقصر فيه؛ أربعة برد عندنا، وستة عند أبي حنيفة. قرئ (تُقْصِرُواْ) من أقصر بمعنى قصر و(من الصلاة) صفة محذوف؛ أي: شيئاً من الصلاة عند سيبويه، ومفعول (تقصروا) بزيادة من عند الأخفش. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت، ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضاً في حال الأمن. وقرئ (من الصلاة أن يفتنكم) بغير (إن خفتم) بمعنى: كراهة أن يفتنكم: وهو القتال والتعرض بما يكره.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول ﷺ لفضل الجماعة، وعامة الفقهاء على أنه

الشيخان[1] [أفضل الجماعة]؛ أي: جماعته ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري [٣/ ١٤٣١/ برقم: ٣٧٢٠]، صحيح مسلم [١/ ٤٧٨/ برقم: ٦٨٥].

تعالى علم الرسول ﷺ كيفيتها ليأتم به الأئمة بعده؛ فإنهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره. ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك يصلون، وتقوم الطائفة الأُخْرَى تجاه العدو. ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ أي: المصلُّون حزماً. وقيل: الضمير للطائفة الأُخْرَى، وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم. ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾؛ يعني: المصلين. ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾؛ أي: غير المصلين. ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسونكم يعني: النبي ﷺ ومن يصلي معه، فغلب المخاطب على الغائب. ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ﴾ لاشتغالهم بالحراسة. ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ ظاهره يدل على أن الإمام يصلي مرتين بكل طائفة مرّة كما فعله رسول الله ﷺ ببطن نخل، وإن أريد به أن يصلي بكل ركعة إن كانت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلي بالأولى ركعة وينتظر قائماً حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى وجه العدو، وتأتي الأُخْرَى فيتم بهم الركعة الثانية. ثم ينتظرهم قاعداً حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله ﷺ بذات الرقاع. وقال أبو حنيفة: يصلي بالأولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بإزاء العدو، وتأتي الأُخْرَى فتصلي معه ركعة، وتتم صلاتها، ثم تعود إلى وجه العدو، وتأتي الأولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها. ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ، ونظيره

[«كما فعله ﷺ ببطن نخل»] رواه الشيخان[1] [كما «فعله ﷺ بذات الرقاع»]. رواه الشيخان[2] أيضاً.

[جعل الحذر آلة] إلى آخره. جواب ما يقال أنَّ أخذ الحذر مجاز، وأخذ الأسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما بلفظ واحد، وحاصل الجواب: أنَّ أخذ الحذر حقيقة تنزيلاً له منزلة الآلة على سبيل الاستعارة بالكناية فالجمع إنما هو بين حقيقتين

---

(١) صحيح البخاري [١/٣١٩/برقم: ٩٠٠]، صحيح مسلم [١/٥٧٤/برقم: ٨٤٠].
(٢) صحيح البخاري [٤/١٥١٣/برقم: ٣٩٠٠]، صحيح مسلم [١/٥٧٥/برقم: ٨٤٢].

۞ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [الحشر: ٩] ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾ تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة، وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض، وهذا مما يؤيد أن الأمر بالأخذ للوجوب دون الاستحباب. ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ﴾ أمرهم مع ذلك بأخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الأمر بالحزم ليقوى قلوبهم، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لضعفهم وغلبة عدوهم؛ بل لأن الواجب أن يحافظوا في الأمور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله.

﴿١٠٣﴾ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أديتم وفرغتم منها. ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ فداوموا على الذكر في جميع الأحوال، أو إذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فأدوها كيفما أمكن، قياماً مسايفين ومقارعين، وقعوداً مرامين، وعلى جنوبكم مثخنين. ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ سكنت قلوبكم من الخوف. ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ﴾ فعدلوها واحفظوا أركانها وشرائطها وائتوا بها تامة. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ فرضاً محدود الأوقات

على أن الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز كما عليه الشافعي[(١)] [على مراسم التيقظ والتدبُّر]؛ أي: على آثارهما من الرسم وهو الأثر [مسايفين]؛ أي: ضاربين بالسيوف [ومقارعين]؛ أي: قارعين بالرماح.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٤٤٤].

۞ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾
وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾.

لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في شيء من الأحوال، وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة، وأنها واجبة الأداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة، وتعليل للأمر بالإتيان بها كيف ما أمكن. وقال أبو حنيفة: لا يصلي المحارب حتى يطمئن.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ ولا تضعفوا. ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار بالقتال. ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ إلزام لهم وتقريع على التواني فيه، بأن ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم، وهم يرجون من الله بسببه من إظهار الدين واستحقاق الثروات ما لا يرجو عدوهم، فينبغي أن يكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها. وقرئ (أَن تَكُونُواْ) بالفتح بمعنى: ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون، ويكون قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ علة للنهي عن الوهن لأجله. والآية نزلت في بدر الصغرى. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأعمالكم وضمائركم. ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يأمر وينهى.

﴿١٠٥﴾ - ﴿١٠٦﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر، سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان في

[وتعليل الأمر] عطفاً على دليل [ويكون قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] علة للنهي]؛ أي: على هذه القراءة أما على الأولى فهو جواب الشرط [لأجله]؛ أي: لأجل التألم [«نزلت في طعمة بن أبيرق...»] رواه بمعناه الترمذي[1]. وطِعمة مُثَلَّثُ الطَّاءِ، والكسرُ أشهر.

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٢٤٤/ برقم: ٣٠٣٦].

۞ ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها وما له بها علم؛ فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها. فقال دفعها إليَّ طعمة وشهد له ناس من اليهود! فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح، وبرئ اليهودي! فهم رسول الله ﷺ أن يفعل ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ بما عرفك الله وأوحى به إليك، وليس من الرؤية بمعنى: العلم؛ وإلا لاستدعى ثلاثة مفاعيل. ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ﴾؛ أي: لأجلهم والذب عنهم ﴿خَصِيمٗا﴾ للبرآء. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ مما هممت به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ لمن يستغفره.

﴿١٠٧﴾ ـ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ يخونونها فإن وبال خيانتهم يعود عليها، أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً

[فهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل] زاد «الكشاف» ويعاقب اليهودي وقيل: همَّ أن يقطع يده فنزلت(١) [بما عرفك] إلى آخره. أشار به إلى أن «أرَى» بمعنى «عرف» لا بمعنى «علم»، وقد صرح به في قوله: [وليس من الرؤية] إلى آخره. [﴿خَصِيمٗا﴾ للبراء] لام للبراء متعلقة بـ«خصيماً» وهو بفتح الباء مع المد قبل الهمز مفرد بمعنى بريء، يقال: أنا بريء وبراء، وبضمها مع المد بين همزتين جمع بريء كفقيه وفقهاء.

[أو جعل المعصية خيانة لها] عطف على يخونونها وكأنه أراد بالخيانة في

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٩٥].

۞ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

عليها، والضمير لـ(طعمة وأمثاله) أو (له ولقومه) فإنهم شاركوه في الإثم حيث شهدوا على براءته وخاصموا عنه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ مبالغاً في الخيانة مصرّاً عليها. ﴿أَثِيمًا﴾ منهمكاً فيها. روي: أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله. ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يستترون منهم حياء وخوفاً. ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وهو أحق بأن يستحيي ويخاف منه. ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ لا يخفي عليه سرهم فلا طريق معه إلا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه. ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبّرون ويزوّرون. ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من رمي البريء، والحلف الكاذب، وشهادة الزور. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾. لا يفوت عنه شيء.

﴿١٠٩﴾ - ﴿١١٠﴾ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ جملة مبينة لوقوع (أولاء) خبراً، أو صلة عند من يجعله موصولاً.

الأول بقائها على معناها وإن تضمنت المعصية، وفي الثاني أنها المعصية ولا يخفى ما فيه إذ الخيانة معصية ولهذا لم يرتكب «الكشاف» العطف بل جعل ذلك قولاً واحداً حيث قال: يخونونها بالمعصية[1] كقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلماً لها لأن الضرر راجع إليهم.

[روي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد] إلى آخره. رواه بمعناه الطبراني[2] [ليسرق أهله]؛ أي: متاع أهله [يستحقون]؛ أي: طعمة وأعوانه [أو صلة] عطف

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٩٥].

(٢) المعجم الكبير، الطبراني [١٩/٩/برقم: ١٥].

۞ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾.

﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ محامياً يحميهم من عذاب الله. ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ قبيحاً يسوء به غيره. ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بما يختص به ولا يتعداه. وقيل: المراد بالسوء: ما دون الشرك، وبالظلم: الشرك. وقيل: الصغيرة والكبيرة. ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ بالتوبة. ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ لذنوبه ﴿رَّحِيمًا﴾ متفضلاً عليه، وفيه حثٌّ لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار.

﴿١١١﴾ - ﴿١١٢﴾ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ فلا يتعداه وباله لقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فهو عالم بفعله حاكم في مجازاته. ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ صغيرة أو ما لا عمد فيه. ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة أو ما كان عن عمد. ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ كما رمى طعمةُ زيداً، ووحد الضمير لمكان (أو). ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة، ولذلك سوى بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر.

على مبينة [﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ١٠٩]]، استفهام توبيخ وتقريع ومن مبتدأ خبره [﴿يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ﴾ ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾]؛ أي: كفيلاً و«أم» منقطعة [صغيرة أو ما لا عمد فيه] فسر الخطيئة بأحد هذين الأمرين، و«الكشاف»[1] اقتصر على الأول وهو المناسب لترتب قوله: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢] إذ ما لا عمد فيه لا بهتان ولا إثم فيه لخبر: «**رُفِعَ عن أمتي الخطأ**»[2].

[السب رمي البريء] إلى آخره. بيَّن به تعليل قوله: ﴿**فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ و«الكشاف» علله بأوضح من ذلك حيث قال: لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٩٧].

(٢) سنن ابن ماجه [١/ ٦٥٩/ برقم: ٢٠٤٣].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾.

---

(١١٣) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي، والضمير لـ(رسول الله ﷺ). ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: من بني ظفر. ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال، والجملة جواب (لولا) وليس القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأنه ما أزالك عن الحق وعاد وباله عليهم. ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ فإن الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الأمر لا ميلاً في الحكم، و(من شيء) في موضع النصب على المصدر؛ أي: شيئاً من الضر ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من خفيات الأمور، أو من أمور الدين والأحكام. ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ إذ لا فضل أعظم من النبوة.

(١١٤) ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ من متناجيهم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧] أو من تناجيهم فقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ على حذف مضاف؛ أي: إلا نجوى من أمر أو على الانقطاع

البريء باهت فهو جامع بين الأمرين[١] **[وليس القصد فيه إلى نفي همهم]** إلى آخره. جواب ما يقال أنهم قد هموا فكيف نفى عنهم الهم **[وما خطر ببالك]**؛ أي: من إنك تجادل عن طعمة [﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [النساء: ١١٣]] إلى آخره. بيّن به

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٩٧].

۞ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

بمعنى: ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير، والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل. وفسر هاهنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به. ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ أو إصلاح ذات البين. ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ بني الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل؛ ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم، وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه، وقيد الفعل بأن يكون لطلب مرضاة الله تعالى؛ لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيراً رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجراً. ووصف الأجر بالعظم تنبيهاً على حقارة ما فات في جنبه من أعراض الدنيا. وقرأ حمزة وأبو عمرو (يؤتيه) بالياء.

﴿١١٥﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ يخالفه، من الشق فإن كلّاً من المتخالفين في شق غير شق الآخر. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات. ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل. ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال، ونخل بينه وبين ما

منة الله تعالى على نبيِّه ﷺ **[أو على الانقطاع]**؛ أي: على سبيل الاستثناء المنقطع.

[وفسر ههنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع]؛ أي: بكل منها **[وسائر ما فسر به]**؛ يعني: بكل جميل كما عبر به «الكشاف»[1] **[بنى الكلام على الأمر]**؛ أي: على قوله: ﴿أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [النساء: ١١٤] إلى آخره. **[ورتب الجزاء على الفعل]**؛ أي: فعل الصدقة وما عطف عليها **[كأن الفاعل أدخل فيهم]**؛ أي: لأنه مباشر والأمر دال ولهذا قيل الدال على الخير كفاعله.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٥٩٧].

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾.

اختاره. ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ﴾ وندخله فيها. وقرئ بفتح النون من (صلاه). ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ جهنم، والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع؛ لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين، وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما، والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد، وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة ضم إليها غيرها أو لم يضم، وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً كان اتباع سبيلهم واجباً؛ لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم، وقد استقصيت الكلام فيه في «مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام».

١١٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ كرره للتأكيد، أو لقصة طعمة. وقيل: جاء شيخ إلى رسول الله ﷺ وقال: إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به، ولم اتخذ من دونه ولياً، ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له، وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً، وإني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله تعالى، فنزلت. ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة، وإنما ذكر في الآية الأولى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب،

[لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم] لا يقال لا نسلم ذلك إذ لا يمتنع أن لا يتبع شيئاً من السبيلين لأنا نقول المتابعة للغير هي الإتيان بمثل ما فعله فمن ترك اتباع سبيل المؤمنين فقد أتى بمثل ما فعل غير المؤمنين فلزم أن يكون متبعاً لسبيلهم [كرره]؛ أي: أن الله إلى آخره. حيث ذكره قبل عقب ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] [وقيل: «جاء شيخ...»] إلى آخره. ذكره

۞ ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧﴾.

ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ﷻ.

١١٧ ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾؛ يعني: اللات والعزى ومناة ونحوها، كان لكل حي صنم يعبدونه، ويسمونه أنثى بني فلان؛ وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال:

وَمَا ذَكَرٌ فَإِنْ يَسْمَنْ فَأُنْثَى شَدِيد الأزمِ لَيْسَ لَهُ ضُرُوسٌ

فَإِنه عنى القراد؛ وهو ما كان صغيراً، سمي قراداً فإذا كبر سمي حلمة. أو لأنها كانت جمادات، والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لا نفعاً لها، ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيهاً على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثاً لأنه ينفعل ولا يفعل، ومن حق المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل ليكون دليلاً على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم. وقيل: المراد الملائكة لقولهم: الملائكة بنات الله، وهو جمع أنثى كرباب وربى، وقرئ (أنثى) على التوحيد، و(أنثا) على أنه جمع (أنيث) كـ(خبث وخبيث)، و(وثناً) بالتخفيف والتثقيل: وهو جمع (وثن) كأسد وأسد وأثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة.

الثعلبي عن ابن عباس منقطعاً[١] [كما قال]؛ أي: الشاعر:

[ومـــا ذكـــر... ....]

أي: حيوان ذكر [فإن يسمن فأنثى]؛ أي: فهو أنثى [شديد الأزم]؛ أي: العض أو اللزوم يقال: أزمه؛ أي: عضهُ وأزم الرجل بصاحبه؛ أي: لزمه قاله الجوهري[٢] [ليس له ضروس فإنه]؛ أي: الشاعر [عني] بالذِّكر الموصوف بما ذكر [القُرَاد] إلى آخره. [أو لأنها] عطف على لتأنيث أسماءها [ضاهت]؛ أي: شابهت [وقيل: المراد بالملائكة] مقابل لقولهِ يعني: اللات إلى آخره. [وهو]؛ أي: إناثاً [ووثناً بالتخفيف والتثقيل]؛ أي: بسكون النون وضمها [وهو]؛ أي: وثناً [وأُثُناً بهما]؛ أي: قرئ:

---

(١) معالم التنزيل، البغوي [٢/ ٢٨٨].

(٢) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٦٣].

۞ ﴿لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾.

﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ وإن يعبدون بعبادتها. ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها، فكأن طاعته في ذلك عبادة له، والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير. وأصل التركيب للملابسة. ومنه ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [النمل: ٤٤] وغلام أمرد، وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها.

﴿١١٨﴾ ﴿لَعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ صفة ثانية (للشيطان). ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ عطف عليه؛ أي: شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله، وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس. وقد برهن سبحانه أولاً على أن الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل، بأن ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلاً اختيارياً، وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة، فإن الإلٰه ينبغي أن يكون فاعلاً غير منفعل، ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان وهي أفظع الضلال لثلاثة أوجه. الأول: أنه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى، فتكون طاعته ضلالاً بعيداً عن الهدى. والثاني: أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن. والثالث: أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلاً عن عبادته. والمفروض المقطوع؛ أي: نصيباً قدر لي وفرض من قولهم: فرض له في العطاء.

﴿١١٩﴾ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق. ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأماني الباطلة كطول

«أُثُناً» بالتخفيف والتثقيل(١).

(١) وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه. انظر: جامع البيان، الطبري [٩/ ٢١٠].

الحياة، وأن لا بعث ولا عقاب. ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ يشقونها لتحريم ما أحله الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب، وإشارة إلى تحريم ما أحل ونقص كل ما خلق كاملاً بالفعل أو القوة. ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ عن وجهه وصورته أو صفته. ويندرج فيه ما قيل: من فقىء عين الحامي، وخصاء العبيد، والوشم، والوشر، واللواط، والسحق، ونحو ذلك وعبادة الشمس، والقمر، وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الإسلام، واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالاً ولا يوجب لها من الله زلفى. وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة. والجُمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقاً أو أتاه فعلاً. ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بإيثاره ما يدعو إليه على ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٧] ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعته. ﴿فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ إذا ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار.

[مِنْ فقأ عين الحامي] «الفقء»: القلع، و«الحامي»: الفحل الذي طال مكثهُ عندهم، فإذا ولد لولده ولد حمى ظهرهُ فلا يركب ولا يجز وبرهُ ولا يمنع من مرعى [والوشم] هو أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل [والوشر] هو أن تحد المرأة أسنانها وترققها [لكن الفقهاء رخصوا في إخصاء البهائم للحاجة] أطلقهُ وفيه تفصيل عند الشافعي وهو أن لا يجوز إخصاء حيوان غير مأكول مطلقاً ولا في مأكول كبير(١) لظاهر الآية ويجوز في مأكول صغير لغرض طيب اللحم ذكرهُ النووي في مجموعه.

[والجمل الأربع]؛ أي: التي أولها: لأتّخذَنَّ(٢).

---

(١) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب للنووي، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري [٥/ ٢٤١].

(٢) في نسخة [ز - ج]: (الأوْلَى الخمس؛ أي: التي أولها لأتخذن).

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢١﴾ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ ﴿يَعِدُهُمْ﴾ ما لا ينجزه. ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة، أو بلسان أوليائه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ معدلاً ومهرباً من حاص يحيص إذا مال عن حق وعنها حال منه، وليس صلة له لأنه اسم مكان، وإن جعل مصدراً فلا يعمل أيضاً فيما قبله.

﴿١٢٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾؛ أي: وعده وعداً وحق ذلك حقاً، فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الإسمية التي قبله وعد، والثاني مؤكد لغيره ....

[وإن جعل مصدراً فلا يعمل أيضاً فيما قبلهِ] يُرَدَّ بأن ما قبله هنا جار ومجرور وعمل المصدر فيه جائز؛ إذ يتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما [لأن مضمون الجملة الاسمية]؛ أي: وهي جملة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [وعد] إذ الوعد هو الإخبار عن إيصال المنافع قبل وصولها. وهو حاصل بتلك الجملة.

[والثاني مؤكد لغيره] قالوا: لأن تلك الجملة من حيث أنها خبر يحتمل غير الحق فيكون حقاً تأكيداً لغيرهِ؛ أي: لأجل دفع الغير وهو الباطل(١)، وتحقيق ذلك أن مضمون تلك الجملة هو الحق وغيرهُ احتمال عقلي بناءً على ما قالهُ المحققون

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٥/ ٤٥٥].

۞ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾.

ويجوز أن ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده، ووعد الله بقوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ لأنه بمعنى: نعدهم إدخالهم ﴿حَقًّا﴾ على أنه حال من المصدر. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ جملة مؤكدة بليغة، والمقصود من الآية: معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه، والمبالغة في توكيده ترغيباً للعباد في تحصيله.

﴿١٢٣﴾ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾؛ أي: ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم أيها المسلمون، ولا بأماني أهل الكتاب، وإنما ينال بالإيمان والعمل الصالح. وقيل: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. روي: أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا! فقال أهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيّكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم! وقال المسلمون: نحن أولى منكم نبيّنا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على

من أن مدلول الجملة الخبرية هو الصدق وإنما الكذب احتمال عقلي بناءً على أن ما يكون مدلول اللفظ لا يلزم أن يكون ثابتاً [**ويجوز أن ينصب الموصول**]؛ أي: وهو الذي [**بفعل يفسرهُ ما بعدهُ**]؛ أي: وهو ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ [النساء: ١٢٢] [و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾] عطف على الموصوف وكذا قوله: [و﴿حَقًّا﴾] ولا يخفى ما في هذا القول من التكلف مؤكدة؛ أي: لمضمون ما قبلها بليغة؛ أي: بواسطة الاستفهام وذكر اسم الله الجامع وبناء أفعل وجعل القول تمييزاً.

[ولكن ما وقر في القلب]؛ أي: أثر وقيل: سكن فيه وثبت وقيل: [ليس الإيمان بالتمني] إلى آخره[1]. جعل اسم «ليس» هنا الإيمان وفيما قبلهُ ما وعد الله من الثواب فهو مقابلة وعلى كل منهما فالخطاب مع المسلمين وقيل: مع المشركين

---

(١) هو قول للحسن البصري. انظر: مصنف ابن أبي شيبة [٦/ ١٦٣/ برقم: ٣٠٣٥١].

۞ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾.

الكتب المتقدمة، فنزلت. وقيل: الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم؛ أي: ليس الأمر بأماني المشركين، وهو قولهم: لا جنة ولا نار، أو قولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم وأحسن حالاً. ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] ثم قرر ذلك وقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عاجلاً أو آجلاً لما روي أنها لما نزلت قال أبو بكر: فمن ينجو مع هذا يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أما تحزن؟ أما تمرض؟ أما يصيبك اللأواء؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**هو ذاك**». ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ولا يجد لنفسه إذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعضها وشيئاً منها؛ فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها. ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ في موضع الحال من المستكن في (يعمل)، و(مَنْ) للبيان أو من الصالحات؛ أي: كائنة ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ و(من) للابتداء. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال شرط

كما ذكره بدليله بقولهِ: [وقيل: **الخطاب مع المشركين**] إلى آخره. [﴿وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣]] **عطف** على أماني المشركين [**روي أنها لما نزلت قال أبو بكر: فمن ينجو**] إلى آخره. رواهُ الإمام أحمد(١) وابن حبان(٢) وغيرهما.

[**أما يصيبك اللأواء**]؛ أي: الشدة [**وشيئاً**] منها العطف فيه للتفسير [**شرط**

---

(١) مسند أحمد [١/١١/برقم: ٦].

(٢) صحيح ابن حبان [٧/١٧٠/برقم: ٢٩١٠].

۞ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾.

اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور وتنبيهاً على أنه لا اعتداد به دونه فيه. ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ بنقص شيء من الثواب، وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لا يزاد عقاب العاصي؛ لأن المجازي أرحم الراحمين، ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (يُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ) هنا وفي (غافر) و(مريم) بضم الياء وفتح الخاء، والباقون بفتح الياء وضم الخاء.

﴿١٢٥﴾ - ﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص نفسه لله

اقتران العمل بها]؛ أي: بالحال **[في استدعاء]**؛ أي: طلب **[الثواب تنبيهاً على أنه لا اعتداد بهِ]**؛ أي: بالعمل الصالح **[دونهُ]**؛ أي: دون اقتران العمل **[بالحال فيه]**؛ أي: في الثواب **[وإذا لم ينقص ثواب المطيع]** إلى آخره. جواب ما يقال كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون مع أن غيرهم كذلك، وحاصل الجواب: أنه إذ لم ينقص ثواب المطيع مع أنه لا ضرر في النقص فبالأولى أن لا يزاد في عقاب العاصي لزيادة ضرره، والمُجَازي أرحمُ الراحمين[1] وأجاب في «الكشاف» عن ذلك بقولهِ: قلتُ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون الراجع في ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٢٤] لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً، والثاني: أن يكون ذكرهُ عند أحد الفريقين دالّاً على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابهِ وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم، فكأن ذكرهُ مستغني عنهُ وأما المحسن فلهُ ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب، فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب فكان نفي الظلم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٢/ ٤٢١].

لا يعرف لها ربّاً سواه. وقيل: بذل وجهه له في السجود. وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ آت بالحسنات تارك للسيئات. ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن سائر الأديان، وهو حال من (المتبع) أو من (الملة) أو (إبراهيم). ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله، وإنما أعاد ذكره ولم يضمره تفخيماً لشأنه، وتنصيصاً على أنه الممدوح. و(الخُلّة) من الخلال؛ فإنه ودٌّ تَخَلَّل النفس وخالطها. وقيل: من (الخلل)؛ فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر، أو من (الخل) وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريقة، أو من (الخلة) بمعنى: الخصلة؛ فإنهما يتوافقان في الخصال. والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته ﷺ، والإيذان بأنه نهاية في الحسن، وغاية كمال البشر.

روي: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعث غلمانه إلى خليل له بمصر في أزمنة أصابت الناس من يمتار منه فقال خليله: لو كان إبراهيم يريد لنفسه لفعلت، ولكن يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس! فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر ....

دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل(١).

[أو من الملة]؛ أي: أو حال من الملة وصح جعل ﴿حَنِيفًا﴾ حالاً منها مع أنه مُذَكَّر وهي مؤنثةَ لأنه بوزن «فعيل» وهو يستوي فيه المُذَكر والمؤنث [اصطفاهُ وخصصهُ] إلى آخره. هو كما قال الطيبي: استعارة تمثيلية [فإنهُ ودّ]؛ أي: حَب [أو من الخَل]؛ أي: بفتح الخاء [فإنهما]؛ أي: الخليلين [والجملة استئناف] عبر «الكشاف» بأنها اعتراضية(٢).

[في أزمنة]؛ أي: شدة، [يمتار منهُ]؛ أي: يطلب منهُ المِيْرَة [ببطحاء]؛ أي:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٠٢].

(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٠٢].

۞ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾.

حياء من الناس؛ فلما اخبروا إبراهيم ساءه الخبر، فغلبته عيناه فنام وقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت، فاستيقظ إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال: من أين لكم هذا؟ فقالت: من خليلك المصري، فقال: بل هو من عند خليلي الله عز وجل؛ فسماه الله خليلاً.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ خلقاً وملكاً يختار منهما من يشاء وما يشاء. وقيل: هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السمٰوات والأرض، وكمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ إحاطة علم وقدرة فكان عالماً بأعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ في ميراثهن؛ إذ سبب نزوله: أن عيينة بن حصن

بأرض ذات حصى [حياء من الناس]؛ أي: الأضياف [فأخرجت حُواري]؛ أي: دقيقاً نُخِلَ مرة بعد أُخْرَى قال الجوهري: «الحُواري» بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء مأخوذة من الطعام؛ أي: بُيِّضَ، وهذا دقيق حواري وحَوَّرتُهُ فَاحْوَرَّ؛ أي: ابْيَضَّ[1] [وقيل: هو متصل بذكر العمال]؛ أي: بآية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ويكون كالتعليل لوجوب العمل، ويكون قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ اعتراضاً بين العلة والمعلول حثاً على الترغيب في العمل الصالح، وردعاً وزجراً عن المعاصي على أبلغ الوجوه.

[إذ سبب نزوله: «أن عيينة بن حصين...»] إلى آخره. رواهُ الحاكم

---

(١) الصحاح، الجوهري [٣/ ٤٨١].

أتى النبي ﷺ فقال: أُخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف، وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام: «**كذلك أمرت**»! ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾ يبين لكم حكمه فيهن. و(الافتاء): تبيين المبهم. ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ عطف على اسم الله، أو ضميره المستكن في (يفتيكم) وساغ للفصل؛ فيكون الإفتاء مسنداً إلى الله تعالى، وإلى ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١] ونحوه، باعتبارين مختلفين، ونظيره: أغناني زيد وعطاؤه، أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن (ما يتلى عليكم) مبتدأ و(في الكتاب) خبره. والمراد به: اللوح المحفوظ، ويجوز أن ينصب على معنى: ويبين لكم ما يتلى عليكم، أو يخفض على القسم كأنه قيل: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، ولا يجوز عطفه على المجرور في (فيهن) لاختلاله لفظاً ومعنى ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ صلة (يتلى) إن عطف الموصول على ما قبله؛ أي: يتلى عليكم في شأنهن وإلا فبدل من (فيهن)، أو صلة أُخرَى لـ(يفتيكم) على معنى: الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول:

بمعناهُ[1]، وقولهُ: حُصين، في نسخة حصن وهو الصواب [**عطف على اسم الله**] إلى آخره. بَيَّنَ بهِ أنه يجوز في ما يتلى عليكم الرفع والنصب والجر وهي ظاهرة من كلامهِ [**لاختلاله لفظاً ومعنى**] أما لفظاً فلأنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، لكن هذا إنما يأتي على قول جمهور البصريين كما قدمتهُ[2]، وأما معنى فلان قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ على حذف مضاف؛ أي: في حقهن فيصير التقدير «وفي حق ما يتلى عليكم»، وليس هو المراد، وإنما المراد أنه تعالى يفتي فيما سألوهُ من المسائل.

[**وإلا فبدل من** ﴿فِيهِنَّ﴾]؛ أي: بدل بعض.

---

(١) الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٥٣١/ برقم: ٤١٢].

(٢) الشرح على الكافية، الاستراباذي [٢/ ٣٣٧].

۞ ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

كلمتك اليوم في زيد، وهذه الإضافة بمعنى (من) لأنها إضافة الشيء إلى جنسه. وقرئ (ييامى) بياءين على أنه أيامى فقلبت همزته ياء. ﴿ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾؛ أي: فرض لهن من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ في أن تنكحوهن، أو عن أن تنكحوهن. فإن أولياء اليتامى كانوا؛ أي: يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون ما لهن، وإلا كانوا يعضلونهن طمعاً في ميراثهن و(الواو) تحتمل الحال والعطف، وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها. ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ عطف على يتامى النساء. والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء. ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ أيضاً عطف عليه؛ أي: ويفتيكم أو ما يتلى في أن تقوموا؛ هذا إذا جعلت (في يتامى) صلة لأحدهما؛ فإن جعلته بدلاً فالوجه نصبهما عطفاً على موضع (فيهن)، ويجوز أن ينصب و(أن تقوموا) بإضمار فعل؛ أي: يأمركم أن تقوموا، وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم، أو للقوّام بالنصفة في شأنهم. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ وعد لمن آثر الخير في ذلك.

﴿١٢٨﴾ ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾ توقعت منه لما ظهر لها من المخايل، و(امرأة) فاعل فعل يفسره الظاهر. ﴿نُشُوزًا﴾ تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها. ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يقل مجالستها ومحادثتها. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ أن يتصالحا بأن تحط له بعض المهر، أو القسم، أو تهب له شيئاً تستميله به. وقرأ الكوفيون (أَنْ

[فالوجه نصبهما عطف على موضع ﴿فِيهِنَّ﴾]؛ أي: ويبين لكم المستضعفين

۞ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾.

يُصْلِحا) من أصلح بين المتنازعين، وعلى هذا جاز أن ينتصب (صلحاً) على المفعول به، و(بينهما) ظرف، أو حال منه، أو على المصدر كما في القراءة الأولى، والمفعول (بينهما) أو هو محذوف. وقرئ (يَصَّلِحَا) من أصلح بمعنى: اصطلح. ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة. ويجوز أن يراد به التفضيل؛ بل بيان أنه من الخيور كما أن الخصومة من الشرور، وهو اعتراض وكذا قوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ ولذلك اغتفر عدم تجانسها، والأول للترغيب في المصالحة، والثاني لتمهيد العذر في المماكسة. ومعنى إحضار الأنفس الشح؛ جعلها حاضرة له مطبوعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقها، ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها. ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ في العشرة. ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ النشوز والإعراض ونقص الحق. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان والخصومة. خبيراً عليماً به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه، أقام كونه عالماً بأعمالهم مقام إثابته إياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط إقامة للسبب مقام المسبب.

﴿١٢٩﴾ - ﴿١٣٠﴾ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لأن العدل أن لا يقع ميل البتة، وهو متعذر ولذلك كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه

﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾ [وعلى هذا جاز أن ينصب ﴿صُلْحًا﴾ على المفعول بهِ]؛ أي: على حذف الجار، والأصل يصلح؛ أي: بشيء يصطلحان عليه [«كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه...»] إلى آخره. رواهُ أبو داود وغيرهُ(١) وصححهُ الحاكم(٢). وقولهُ: «**هذه**

---

(١) سنن أبي داود [١/٦٤٨/ برقم: ٢١٣٤]، سنن الدارمي [٢/ ١٩٣/ برقم: ٢٢٠٧].
(٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٢٠٤/ برقم: ٢٧٦١].

۞ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾.

فيعدل ويقول: «**هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**». ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾؛ أي: على تحري ذلك وبالغتم فيه. ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله. ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست ذات بَعْلٍ ولا مطلقة. وعن النبي ﷺ: «**من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شِقَّيْهِ مائل**». ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ ما كنتم تفسدون من أمورهن. ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيم يستقبل من الزمان. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفر لكم ما مضى من ميلكم. ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ وقرئ: «وإن يتفارقا»؛ أي: وإن يفارق كل منهما صاحبه. ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ منهما عن الآخر ببدل أو سلو. ﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ غناه وقدرته. ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ مقتدراً متقناً في أفعاله وأحكامه.

﴿١٣١﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيه على كمال سعته وقدرته. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ يعني: اليهود والنصارى ومن قبلهم، و(الْكِتابَ) للجنس، و(مِنْ) متعلقة بـ(وَصَّيْنَا) أو بـ(أُوتُوا) ومساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص. ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ عطف على (الذين). ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بأن اتقوا الله، ويجوز أن تكون (أن) مفسرة لأن التوصية في معنى القول. ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على إرادة القول؛

قسمتي» تبع فيه «الكشاف»[١]، والمشهور هذا قسمي والمعنى واحد [«من كان لهُ امرأتان...»] إلى آخره. رواهُ أبو داود وغيره[٢] وصححهُ الحاكم[٣]. [على إرادة القول]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٠٥].
(٢) سنن أبي داود [١/ ٦٤٨/ برقم: ٢١٣٣]، سنن الدارمي [٢/ ١٩٣/ برقم: ٢٢٠٦].
(٣) مستدرك الحاكم [٢/ ٢٠٣/ برقم: ٣٧٠٩].

۞ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾.

أي: وقلنا لهم ولكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ فَإنَّ الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم، كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم، وإنما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم. ﴿حَمِيدًا﴾ في ذاته حمد أو لم يحمد.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ ذكره ثالثاً للدلالة على كونه غنياً حميداً، فإن جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات على كونه حميداً. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ راجع إلى قوله: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٣٠]، فإنَّه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك.

﴿١٣٣﴾ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يُفْنِكُم، ومفعول (يشأ) محذوف دل عليه الجواب. ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ ويوجد قوماً آخرين مكانكم أو خلقاً آخرين مكان الإنس. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ من الإعدام والإيجاد. ﴿قَدِيرًا﴾ بليغ القدرة لا يعجزه مراد، وهذا أيضاً تقرير لغناه وقدرته، وتهديد لمن كفر به وخالف أمره. وقيل: هو خطاب لمن عادى رسول الله ﷺ من العرب ومعناه معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]

إلى آخره. قال التفتازاني: أي: لأن الجملة الشرطية لا يصح أن تقع بعد «أن» المصدرية أو المفسرة، فلا يصح عطفها على الواقع بعدها[1] [بليغ القدرة] قال: بِمجيء قدير على «فعيل» ولتخصيص ذكر اسم الجامع، وللإتيان بلفظ ذلك مع أن المشار إليه قريب [وقيل: هو خطاب] إلى آخره؛ أي: بخلاف ما قبله فإنه خطاب عام تبعاً للكلام قبله.

---

(١) حاشية التفتازاني [ص١٥٧].

۞ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

لما روي: أنه لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمان وقال: **«إنهم قوم هذا»**.

﴿١٣٤﴾ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ كالمجاهد يجاهد للغنيمة. ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ﴾ فما له يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، أو ليطلب الأشرف منهما، فإن من جاهد خالصاً لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة، ما هي في جنبه كلا شيء، أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلاً ما يريده كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ الآية [الشورى: ٢٠] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ عالماً بالأغراض فيجازي كلاً بحسب قصده.

﴿١٣٥﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته. ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾؛ أي: بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله، وهو خبر ثان أو حال. ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها؛ لأن الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره. ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ﴾ ولو كانت على والديكم وأقاربكم. ﴿إِن يَكُنْ﴾؛ أي:

[لما روي: «أنه لما نزل...»]؛ أي: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] إلى آخره. رواهُ الطبري[١] [إنهم قوم هذا]؛ أي: سلمان وقومه بنو فارس[٢] [مواظبين على العدل] مأخوذ من قولِهِ: ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ [النساء: ١٣٥] لدلالتِهِ على المبالغة

(١) جامع البيان، الطبري [٩/٢٧٧].
(٢) عبارة: (وقومهُ بنو فارس) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من [الأصل].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾.

المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له. ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة، أو لا تجوروا فيها ميلاً أو ترحماً. ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً لما شرعها، وهو علة الجواب أقيمت مقامه، والضمير في (بهما) راجع لما دل عليه المذكور، وهو جنسا الغني والفقير لا إليه وإلا لوحَّد، ويشهد عليه أنه قرئ (فالله أولى بهم). ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل. ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ ألسنتكم عن شهادة الحق، أو حكومة العدل. قرأه نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وعاصم والكسائي بإسكان اللام، وبعدها واوان الأولى مضمومة، والثانية ساكنة. وقرأ حمزة وابن عامر (وإن تلوا) بمعنى: وإن وليتم إقامة الشهادة فأديتموها. ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عن آدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه.

﴿١٣٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطاب للمسلمين، أو المنافقين، أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي: أن ابن سلام وأصحابه قالوا: يا رسول الله

[وهو]؛ أي: ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [**علة الجواب**] وهو قوله: فلا تمتنعوا إلى آخره. [**لا إليه**]؛ أي: إلى المذكور الصادق بالغني والفقير [**وإلا لَوُحِّدَ**]؛ أي: لكون العطف بـ«أو» [**ويشهد عليه**]؛ أي: على أن المراد الجنس قِراءة أُبَيّ (فَاللهُ أَوْلَى بِهِم)[1]؛ أي: لأن الجمع والمطلق يلتقيان في العموم [**وقرئ** ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾] من الولاية [**بمعنى: وإن وليتم إقامة الشهادة**] عدل إلى الماضي لتظهر الواو بمعنى أنه على هذهِ القراءة لفيف مفروق، وعلى الأول لفيف مقرون، وقيل: إن الثانية كالأولى وأصلها

---

(١) جامع البيان، الطبري [٩/٣٠٦].

۝ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۝١٣٧﴾.

إنا نؤمن بك وبكتابك، وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه، فنزلت. ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه، أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم، أو آمنوا إيماناً عاماً يعم الكتب والرسل، فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان، والكتاب الأول: (القرآن)، والثاني: الجنس. وقرأ نافع والكوفيون: (الَّذِي نَزَّلَ) و(الَّذِي أَنْزَلَ) بفتح النون والهمزة والزاي، والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ أي: ومن يكفر بشيء من ذلك. ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه.

١٣٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ يعني: اليهود آمنوا بموسى ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعد عوده إليهم ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ، أو قوماً تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر

«تلَووا» قلبت الواو الأولى همزة ثم نقلت حركتها إلى اللام(١).

[اثبتوا على الإيمان] إلى آخره. راجع إلى أن الخطاب للمسلمين [أو آمنوا بهِ بقلوبكم كما أمنتم بألسنتكم] راجع إلى أن الخطاب للمنافقين. [أو آمنوا إيماناً عاماً] راجع إلى أن الخطاب لمؤمني أهل الكتاب؛ ففي كلامهِ لف ونشر مرتب [أي: ومن يكفر بشيء من ذلك] أشار بهِ إلى أن الحكم هنا متعلق بكل من المتعاطفات بالواو لا بمجموعها بقرينة المقام إذ الإيمان بالكل واجب، والكل ينتفي بانتفاء البعض، فلا يحتاج إلى جعل الواو بمعنى «أو» [أو قوماً] عطف على اليهود(٢).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٥/ ٤١٤].
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٧/ ٧١].

۞ ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾.

وازدادوا تمادياً في الغي ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان، فإن قلوبهم ضربت بالكفر، وبصائرهم عميت عن الحق؛ لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم، وخبر (كان) في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل: لم يكن الله مريداً ليغفر لهم.

﴿١٣٨﴾ - ﴿١٣٩﴾ ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السرّ مرة بعد أُخْرَى، ثُمَّ ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين، ووضع (بَشِّرِ) مكان (أنذر) تهكم بهم. ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ في محل النصب، أو الرفع على الذم بمعنى: أريد الذين، أو هم الذين. ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أيتعززون بموالاتهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لا يتعزز إلا من أعزه، فقد كتَبَ العزة لأوليائه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ولا يُؤْبَهُ بعزة غيرهم بالإضافة إليهم.

[ضُرِبَتْ بالكفر]؛ أي: اعتادَتْ بهِ بحيث لا تَصبر عنهُ [وخبر كان في أمثال ذلك محذوف تَعَلَّقَ بهِ اللام]؛ أي: لأن الفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وهي ومنصوبها في تقَدير مصَدر، والمصدر لا يصح وقوعه خبراً لأنه معنى، والمخبر عنهُ جُثَّةً، فجعل الخبرَ محذوفاً واللام مُقَوية لِتعديتهُ إلى المصدر وهذا مذهب البصريين في مثل ذلك. وأما مذهب الكوفيين فيهِ وعليهِ مشى «الكشاف»(١): فالفعل هو الخبر واللام زيدت فيه للتأكيد وهي الناصبة بدون إضمار أن، وطُعِنَ فيه بما مرَّ فلذلك عدل عنه المصنف إلى ما قاله.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٠٩].

۞ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن. وقرأ غير عاصم (نُزِّلَ) والقائم مقام فاعله. ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهي المخففة؛ والمعنى: أنه إذا سمعتم. ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئاً معانداً غير مرجو، ويؤيده الغاية. وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٦٨]. والضمير في (معهم) للكفرة المدلول عليهم بقوله: ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم لأنكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم، أو الكفر إن رضيتم بذلك، أو لأن الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين، ويدل عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾؛ يعني: القاعدين والمقعود معهم، وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم؛ لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع. وقرئ بالفتح

[**والقائم مقام فاعلهُ**: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]]؛ أي: على القراءة الأولى، أما على القراءة الثانية فهو مفعول(١) [**الذي هو جزاء الشرط**]؛ أي: وهو إذا [**بما**(٢)] متعلق بتقييد النهي [**ويؤيدهُ الغاية**]؛ أي: وهي ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [**وهذا**]؛ أي: ما نزل عليكم في الكتاب [**تِذكار**] هو بالكسر لحفظ الشيء

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة [٢/ ٦٥].

(٢) في نسخة [ب]: (بها).

۞ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

على البناء لإضافته إلى مبني كقوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

﴿١٤١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون وقوع أمر بكم، وهو بدل من (الذين يتخذون)، أو صفة للمنافقين والكافرين، أو ذم مرفوع، أو منصوب، أو مبتدأ خبره: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ مظاهرين لكم فأسهموا لنا مما غنمتم ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الحرب فإنها سجال ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قالوا للكفرة: ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم، والاستحواذ الاستيلاء، وكان القياس أن يقال: استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل. ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم، وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم، وإنما سمي ظفر المسلمين: فتحاً، وظفر الكافرين: نصيباً؛ لخسة حظهم، فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال. ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ حينئذ، أو في الدنيا، والمراد بالسبيل الحجة، واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم. والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد، وهو ضعيف؛ لأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة.

[لخسة حظهم] إلى آخره؛ أي: بخلاف حظ المؤمنين لأن ظفرهم أمر عظيم يفتح الله لهُ أبواب السماء حتى نزل الرحمة عليهم، ففيها ذكر تعظيم لشأنهم وتحقيراً لشأن الكافرين [لأنه لا ينفي أن يكون]؛ أي: له سبيل.

۞ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾.

﴿١٤٢﴾ - ﴿١٤٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ سبق الكلام فيه أول سورة البقرة. ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين كالمُكرَه على الفعل وقرئ (كَسالى) بالفتح وهما جمعا (كسلان). ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ليخالوهم مؤمنين، (المراءاة) مفاعلة بمعنى التفعيل كـ(نعم وناعم) أو للمقابلة؛ فإن المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه. ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه؛ وهو أقل أحواله، أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب. وقيل: المراد بالذكر: (الصلاة). وقيل: الذكر فيها؛ فإنهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم. ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ حال من (واو) (يُراؤُنَ) كقوله: (وَلا يَذْكُرُونَ)؛ أي: يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو (واو) يذكرون، أو منصوب على الذم، والمعنى: مرددين بين الإيمان والكفر؛ من (الذبذبة): وهي جعل الشيء مضطرباً، وأصله (الذب) بمعنى: الطرد. وقرئ بكسر الذال بمعنى: يذبذبون قلوبهم، أو دينهم، أو يتذبذبون كقولهم: صلصل بمعنى: تصلصل. وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى: أخذوا تارة في دُبَّةٍ وتَارَةً في دُبَّةٍ؛ وهي الطريقة. ﴿لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين، أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية. ﴿وَمَن

[بمعنى أخذوا تارة في دُبَّةَ] إلى آخره. منهُ ما روي عن ابن عباس: «ابتغوا دَبة قريش ولا تفارقوا الجماعة»[1]؛ أي: طريقتهم.

---

(١) قول لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٤/ ٤٤٠].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾.

يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ إلى الحق والصواب، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

﴿١٤٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ فإنه صنيع المنافقين وديدنهم؛ فلا تتشبهوا بهم، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حجة بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق، أو سلطاناً يسلط عليكم عقابه.

﴿١٤٥﴾ - ﴿١٤٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهي الطبقة التي في قعر جهنم، وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: **«ثلاث من كن فيه فهو منافق ـ وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ـ: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»** ونحوه، فمن باب التشديد والتغليظ، وإنما سميت طبقاتها السبع دركات؛ لأنها متداركة متتابعة بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهي لغة كالسطر والسطر،

[**«ثلاث مَنْ كُنَّ فيهِ...»**] إلى آخره. رواهُ مسلم[1] وثلاث مبتدأ والجملة بعدهُ صفةَ لهُ، و**«من إذا حَدَّثَ...»** إلى آخره. خَبَره على حذف مضاف؛ أي: خِصال **«من إذا حَدَّث»**، أو **«ثلاث»** خبر والمبتدأ **«من إذا حدَّث»** بتقدير المضاف [**بعضها فوق بعض**] الأنسب كما قال التفتازاني[2]: بعضها أسفل من بعض، وما ذكرهُ إنما هو

---

(١) صحيح مسلم [١/٧٨/برقم: ٥٩].

(٢) حاشية التفتازاني [ص١٥٩].

۞ ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾.

والتحريك أوجه لأنه يجمع على أدراك. ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجهم منه. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن النفاق. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق. ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به أو تمسكوا بدينه. ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ لا يريدون بطاعتهم غير وجهه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومن عدادهم في الدارين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيساهمونهم فيه.

﴿١٤٧﴾ ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ أيتشفى به غيظاً، أو يدفع به ضرراً، أو يستجلب به نفعاً وهو الغني المتعالي عن النفع والضر، وإنما يعاقب المصرّ بكفره؛ لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض؛ فإذا أزاله بالإيمان والشكر، ونفى نفسه عنه تخلص من تبعته، وإنما قدم الشكر؛ لأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكراً مبهماً، ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به. ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ مثيباً يقبل اليسير ويعطي الجزيل. ﴿عَلِيمًا﴾ بحق شكركم وإيمانكم.

﴿١٤٨﴾ ـ ﴿١٤٩﴾ ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه. وروي: أن رجلاً ضاف قوماً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه. فنزلت. وقرئ (من ظَلَم) على البناء للفاعل؛ فيكون الاستثناء منقطعاً؛ أي: ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله. ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لكلام المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ بالظالم. ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾ طاعة وبراً. ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أو تفعلوه سرّاً ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ﴾ لكم المؤاخذة عليه،

تفسير للدرج [**والتحريك أوجه لأنه**]؛ أي: الدَّرَك بالتحريك [**يجمع على أدراك**]؛ أي: بخلاف السكون لا يجمع على ذلك إلا شاذاً.

۞ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾.

وهو المقصود؛ وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له، ولذلك رتب عليه قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾؛ أي: يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك، وهو حث للمظلوم على تمهيد العفو بعد ما رخص له في الانتظار حملاً على مكارم الأخلاق.

﴿١٥٠﴾ - ﴿١٥١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله. ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر، ولا واسطة: إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً أو إجمالاً، فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا. ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره،

[**وذكر إبداء الخبر وإخفائه تشبيب له**]؛ أي: تمهيد وتوطئة للعفو من تشبيب القصيدة وهو تزيينها بما يقدم على التخلص إلى المدح من التغزل، يقال: شَبَّبَ قصيدتهُ بِفُلانة، والمعنى: أنه ذكر عاماً[1]، وهو إبداء الخبر وإخفاءهُ ثم ذكر خاصاً وهو العفو عن سوءٍ، وذكر العام إنما هو توطئة لذلك الخاص، تنبيهاً على شرفِه وعلو منزلتهِ [**هم الكاملون في الكفر**] أخذاً من توسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرف بلام الجنس [﴿**حَقًّا**﴾ **مصدر مؤكد لغيرهِ**] هو ما تضمنهُ ما قبله من

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي [١/ ٣٠٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾.

أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى: هم الذين كفروا كفراً حقاً؛ أي: يقيناً محققاً. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿١٥٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أضدادهم ومقابلوهم، وإنما دخل (بين) على (أحد) وهو يقتضي متعدداً لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ﴾ الموعودة لهم وتصديره بـ(سوف) لتأكيد الوعد، والدلالة على إنه كائن لا محالة وإن تأخر. وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب: بالياء على تلوين الخطاب. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما فرط منهم. ﴿رَّحِيمًا﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم.

﴿١٥٣﴾ ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ نزلت في

كمال كفرهم؛ أي: قولنا أن هذا كفر كامل حق لا باطل **[أو صفة لمصدر الكافرين]** إلى آخره؛ أي: كُفراً حقاً فحقاً على الأول: مصدر مؤكد لغيرهِ كما مرّ، وعاملهُ محذوف وجوباً وعلى الثاني: صفة لمصدر محذوف وعاملهُ مذكور وهو «الكافرون»(١) **[أضدادهم ومقابلوهم]** العطف فيه للتفسير **[وتصديرهُ بسوف لتوكيد الوَعد(٢)]** إلى آخره. قيل: لأن الفعل الذي للاستقبال موضوع لمعنى الاستقبال بصيغتهِ فإذا دخل عليهِ سوف أو السين أكد ما هو موضوع له من إثبات الفعل في المستقبل. **[على تلوين الخطاب]**؛ أي: تنويعهَ والمراد من الخطاب الكلام لا مقُابل

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٦/ ٣].
(٢) في نسخة [ب]: (الفعل).

۞ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾.

أحبار اليهود قالوا: إن كنت صادقاً فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام، وقيل: كتاباً محرراً بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة، أو كتاباً نعاينه حين ينزل، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله. ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ جواب شرط مقدر؛ أي: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام أكبر منه! وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم؛ لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم. والمعنى: إن عرقهم راسخ في ذلك، وأن ما اقترحوه عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم. ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً؛ أي: أرناه نره جهرة، أو مجاهرين معاينين له. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ نار جاءت من قبل السماء فأهلكتهم. ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم: وهو تعنتهم وسؤالهم ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها، وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقاً. ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضاً أوائلهم، والبينات، المعجزات، ولا يجوز حملها على التوراة؛ إذ لم تأتهم بعد. ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ تسلطاً ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم.

﴿١٥٤﴾ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه. ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ على لسان موسى والطور مطل عليهم. ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟

الغيبة والتكلم إذ لا خطاب في الآية بهذا المعنى [قالوا: إن كنت صادقاً] إلى آخره. رواهُ الطبري[1] بمعناه[2] [اقترحوا]؛ أي: ابتدعوا.

(١) قول لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٤/ ٤٤٠].

(٢) في نسخة [ج ـ ب]: (الطبراني).

۞ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾.

﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ على لسان داود عليه السلام، ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم، فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام، وقرأ ورش عن نافع ﴿لَا تَعَدُّواْ﴾ على أن أصله (لا تتعدوا) فأدغمت التاء في الدال، وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالإسكان. ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك وهو قولهم: سمعنا وأطعنا.

﴿١٥٥﴾ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾؛ أي: فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم، و(ما) مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف، ويجوز أن تتعلق بـ(حرمنا عليهم طيبات) فيكون التحريم بسبب النقض، وما عطف عليه إلى قوله: فبظلم، لا بما دل عليه قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ مثل لا يؤمنون لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فتكون (من) صلة، وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره. ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالقرآن، أو بما في كتابهم. ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أوعية للعلوم، أو في أكنة مما تدعونا إليه. ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فجعلها محجوبة عن العلم، أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كعبد الله بن سلام، أو إيماناً قليلاً؛ إذ لا عبرة به لنقصانه.

[فإنهُ]؛ أي: موسى [شرع السبت]؛ أي: ترك العمل فيه [لا بما دل عليه] عطف على قولهِ بالفعل المحذوف لا على قولهِ: «بسبب النقض» [مثل لا يؤمنون] مثال لما دل عليه ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ [النساء: ١٥٠] [لأنه]؛ أي: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ [فيكون]؛ أي: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾.

[«من» صلة وقولهم]؛ أي: في قولهِ تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [فلا يعمل]؛ أي: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ [في جارِّهِ]؛ أي: وهو «باء» ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾.

۞ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ
لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ
إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿١٥٦﴾ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى، وهو معطوف على (بكفرهم) لأنه من أسباب الطبع، أو على قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله؛ ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرر كفرهم، فإنهم كفروا بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾؛ يعني: نسبتها إلى الزنى.

﴿١٥٧﴾ - ﴿١٥٨﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؛ أي: بزعمهم ويحتمل أنهم قالوه استهزاء، ونظيره: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وأن يكون استئنافاً مِن الله بمدحه، أو وضعاً للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ روي: أن رهطاً من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير،

[وهو معطوف على بكفرهم] بإعادة الباء فيهِ، وتقدير إعادتها «ثم» ومع ذلك فالمشهور عطفهُ على بما نقضهم الذي أشار إليه بعد بقولهِ، أو على قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ وبهذا علم أن في قولهِ بعد: وما عطف عليه؛ أي: على «بكفرهم» تجوز وإنما أعيدت في المعطوف للفصل بينهُ وبين ما عطف عليهِ بأجنبي وهو ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾ إلى آخره[١]. [بزعمهِ]؛ أي: بزعم عيسى عندهم [ويحتمل أنهم قالوه]؛ أي: رسول الله [استهزاء]؛ أي: لا اعتقاداً لأنهم كانوا كافرين بعيسى أعداء لهُ عامدين لِقتلهِ يسمونهُ الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة.

[وروي: «أن رهطاً من اليهود...»] إلى آخره. رواه النسائي عن ابن عباس[٢]

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٦/٨]. (٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي [٢/٤٤].

فاجتمعت اليهود على قتله؛ فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة، فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب. وقيل: كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه، فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب وقتل. وقيل: دخل طيطانوس اليهودي بيتاً كان هو فيه فلم يجده، وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب. وأمثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة، وإنما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله، وقصدهم قتل نبيّه المؤيد بالمعجزات الباهرة، وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم، و﴿شُبِّهَ﴾ مسند إلى الجار والمجرور كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول، أو في الأمر على قول من قال: لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس. أو إلى ضمير المقتول لدلالة: (إنا قتلنا) على أن ثَمَّ قَتيلاً. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في شأن عيسى ﷺ؛ فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود: إنه كان كاذباً فقتلناه حقاً، وتردد آخرون فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى، والبدن بدن صاحبنا. وقال من سمع منه أن الله يرفعني إلى السماء: أنه رفع إلى السماء. وقال قوم: صلب الناسوت وصعد اللاهوت. ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنۡهُۚ﴾ لفي تردد، والشك كما يطلق على ما لا يرجح أحد طرفيه يطلق على مطلق

[لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم]؛ أي: على ظنهم أنهم قتلوهُ فمدخول لا معطوف على مقدر مأخوذ من مجرور الباء المبَيّن بما ذكر؛ أي: وإنما ذمَّهُم الله بما دل عليه الكلام لأجلهِ لا لقولهم المذكور [أو في الأمر] عطف على بين [صلب الناسوت]؛ أي: الإنسانية [وصَعد اللاهوت]؛ أي: الألوهية(١). [يطلق على مطلق

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٦/ ١١].

۞ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

التردد، وعلى ما يقابل العلم؛ ولذلك أكده بقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ﴾ استثناء منقطع؛ أي: ولكنهم يتبعون الظن، ويجوز أن يفسر الشك بالجهل، والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جزماً كان أو غيره؛ فيتصل الاستثناء. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ قتلاً يقيناً كما زعموه بقولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾، أو متيقنين. وقيل معناه: ما علموه يقيناً كقول الشاعر:

كَذَاكَ تُخْبِرُ عَنْهَا العَالِمَاتُ بِهَا   وَقَدْ قَتَلْتُ بِعِلْمِي ذلِكُمْ يَقِينا

من قولهم: قتلت الشيء علماً، ونحرته علماً إذا تبالغ في علمك. ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ رد وإنكار لقتله، وإثبات لرفعه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يغلب على ما يريده. ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لعيسى لا يعبث.

﴿١٥٩﴾ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ﴾؛ أي: وما من

التردد وعلى ما يُقابل العلم] الثاني منهما أعم لشموله الاعتقاد بخلاف مطلق التردد [قتلاً يقيناً[1]] إلى آخره. جوز في [يقيناً[2]] أن يكون صفة لمصدر محذوف، وأن يكون حالاً، وحكى ثالثاً وهو أن يكون مصدراً من معنى العامل قبلهُ؛ أي: وما علموا قتله يقيناً[3] [كقولهِ]؛ أي: كقول الشاعر:

[كذاك تخبر عنا العالمات بها   وقد قتلت بعلمي ذلكم يقيناً]

الشاهد في «يقينا» حيث نصب بمعنى علمي؛ أي: بيقيني ذلكم يقيناً فيكون مصدراً مؤكداً [من قولهم: قلت[4] الشيء علماً]؛ أي: علمته علماً [ونَحرتهُ علماً]؛

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي نسخة [الأصل]: (قتلاً نفساً).

(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب]، وفي [الأصل]: (نفساً).

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية [٢/١٥٨].

(٤) هكذا وردت في النسخ المخطوطة، وفي تفسير البيضاوي: (قتلت الشيء) ولعله الصواب والله أعلم. انظر: تفسير البيضاوي [٢/٢٧٨]، وتفسير أبو السعود [٢/٢٥٢]، وتفسير الكشاف [١/٦٢١].

أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، فقوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ جملة قسمية وقعت صفة لـ(أحد) ويعود إليه الضمير الثاني، والأول لعيسى. والمعنى: ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت؛ ولو حين أن تزهق روحه، ولا ينفعه إيمانه، ويؤيد ذلك أنه قرئ. (إلا ليؤمنن به قبل موتهم) بضم النون لأن أحداً في معنى الجمع، وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطروا إليه ولم ينفعهم إيمانهم. وقيل: الضميران لعيسى، والمعنى: أنه إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً. روي: أنه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا

أي: علمت نَحره علماً [﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] **جملة قسمية**] أطلق عليها قسمية لكون اللام فيها قسم جواب محذوف؛ أي: «والله» وإلا فهي إنما هي جواب قسم، والقسمية[١] مجموع القسم وجوابهُ هذا والأولى جعل ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ صفة لِـ«أحد» إن قُدِّر أحد مقدماً عليهِ، وحالاً إن قُدِّرَ مؤخراً عنهُ، وإلا ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ خبر «أحد».

[**الضمير الثاني**]؛ أي: ضمير موتهِ [**والأول**]؛ أي: ضمير بهِ [**إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين تزَهق رُوحهُ**]؛ أي: ولو حين شُروعها في الزهُوق[٢] [**ولا ينَفعَهُ إيمانهُ**] حينئذٍ لانقطاع التكليف [**وهذا كالوعيد لهم**] إلى آخره. أشار بهِ إلى فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم [**وهي كما قال**] «الكشاف»: فائدة الوعيد وليكون علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان بهِ عن قريب عند المعاينة، وإن ذلك لا ينفعهم بعثاً لهم وتنبيهاً على معالجة الإيمان بهِ في أوان الانتقاع بهِ وليكون إلزاماً للحجة[٣] لهم.

[**روي: «أنه ينزل من السماء...»**] إلى آخره. رواهُ الحاكم وصححهُ موقوفاً[٤] وأبو داود[٥] وابن حبان مرفوعاً بدون: «**فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن بهِ**»[٦]

---

(١) في نسخة [ج]: (القسيمة).
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٦/ ٤٦٤].
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٢٢].
(٤) سنن أبي داود [٢/ ٥٢٠/ برقم: ٤٣٢٤].
(٥) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٣٨/ برقم: ٣٢٠٧].
(٦) صحيح ابن حبان [١٥/ ٢٣٣/ برقم: ٦٨٢١].

۞ ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾.

يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام، وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات. ويلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه. ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ فيشهد على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنهم دعوه: ابن الله.

١٦٠ - ١٦١ ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾؛ أي: فبأي ظلم منهم. ﴿حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾؛ يعني: ما ذكره في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا﴾ [الأنعام: ١٤٦]. ﴿وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ ناساً كثيراً، أو صداً كثيراً. ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾ كان الربا محرماً عليهم كما هو محرم علينا، وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم. ﴿وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة. ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ دون من تاب وآمن.

وقولهُ فيه: «**ويلبث في الأرض أربعين سنة**» لا يُعارضهُ ما في «مسلم» في «قِصة الدجال»: «**أن اللهَ يبعثُ عيسى ابن مريم فيطلبهُ فيهلكهُ ثم يلبث الناس بعدهُ سبع سنين ليس بين اثنين عداوة**»[1] لأن قوله: «**ثم يلبث الناس بعدهُ**»؛ أي: بعد مَوتهِ فلا معارضة أو لأن «السَّبع» محمولة على مُدة إقامتهِ بعَد نزوله ويكون ذلك مُضافاً إلى مكثه فيها قبل رفعهِ إلى السماء، وكان عمرهُ إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنةَ على المشهور[2].

[بأي ظلم منهم] التعميم من التنكير [﴿وَبِصَدِّهِمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]] عطف على بظلم وأعيدت الباء فيه للفصل بينهما بالعامل [﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾] عطف على ﴿حَرَّمۡنَا﴾

---

(١) صحيح مسلم [٤/٢٢٥٨/ برقم: ٢٩٤٠].

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد [٣/ ٥٩٠].

۞ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾.

﴿١٦٢﴾ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: منهم، أو من المهاجرين والأنصار. ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ﴾ خبر المبتدأ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ نصب على المدح إن جعل (يؤمنون) الخبر لـ(أولئك)، أو عطف على (ما أنزل إليك) والمراد بهم الأنبياء؛ أي: يؤمنون بالكتب والأنبياء. وقرئ بالرفع عطفاً على (الرَّاسِخُونَ) أو على الضمير في (يُؤْمِنُونَ) أو على أنه مبتدأ والخبر (أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ). ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ رفعه لأحد الأوجه المذكورة. ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لأنه المقصود بالآية. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على جمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة (سيؤتيهم) بالياء.

﴿١٦٣﴾ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيماً لهم، فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم، والباقين أشرف الأنبياء ومشاهيرهم. ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ وقرأ حمزة (زُبُوراً) بالضم وهو جمع (زبر). بمعنى: (مزبور).

[لأنه]؛ أي: الإيمان بالأنبياء وما عطف عليهِ [المقصود بالآية]؛ أي: فقدم على الإيمان

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾.

﴿١٦٤﴾ ـ ﴿١٦٥﴾ ﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بمضمر دل عليه (أوحينا إليك) كأرسلنا أو فسره: ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذه السورة أو اليوم. ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم، وقد فضل الله محمداً ﷺ بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم. ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ نصب على المدح، أو بإضمار أرسلنا، أو على الحال ويكون (رسلاً) موطئاً لما بعده كقولك: مررت بزيد رجلاً صالحاً. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤] فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم، وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس ضرورة لقصور الكل

بالله واليوم الآخر وإن كان الإيمان بهذين مقصوداً في نفسهِ [نصب بمضمر دل عليهِ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾] إلى آخره؛ أي: لا بـ«أوحينا» لأنه إنما تعدى إلى المفعول بهِ بـ«إلى»، ولا يأتينا لأن فيهِ تكلف فقولهُ كأرسلنا مثال لما دل عليهِ «أوحينا»، وقولهُ أو فسرهُ عطف على دَل وزاد في «الكشاف» أنه قرئ رسلٌ في الموضعين بالرفع ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾، بالنصب[1].

[خص بهِ موسى]؛ أي: عن سائر الأنبياء غير محمد ﷺ بقرينة قولهِ: وقد فضل الله تعالى محمد إلى آخره. ولا يلزم من تَخصيص موسى بالتكلم الطعن في نبوة سائر الأنبياء، كما لا يلزم من تَخصيصه بإنزال التوراة عليهِ دُفعَةً واحدة طعن في نبوة من أنزل عليهِ الكتاب مفرقاً، ولا من تخصيص عيسى عليه السلام بإحياء الموتى طعن في نبوة من لم يحيي الموتى.

[أو بإضمار أرسلنا]؛ أي: أو قصصنا [وفيه تنبيه] إلى آخره. جواب ما يقال

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٢٤].

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾.

عن إدراك جزيئات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها، واللام متعلقة بأرسلنا أو بقوله: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وحُجَّةٌ اسم كان وخبره (لِلنَّاسِ) أو (عَلَى اللهِ) والآخر حال، ولا يجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يغلب فيما يريد ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّر من أمرِ النبوة، وخص كل نبي بنوع من الوحي والإعجاز.

﴿١٦٦﴾ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ استدراك عن مفهوم ما قبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء، واحتج عليهم بقوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ قال: إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد، أو أنهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره. ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز الدال على نبوتك.

الآيةَ تدل أن للناس حجة على الله قبل البعثة في ترك الطاعات مع أنهم محجوجون بما نصبهُ الله تعالى من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة، وحاصل الجواب: أن الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر في الأدلة فإرسالهم ضروري[1] [واللام]؛ أي: في ﴿لِئَلَّا﴾ **[ولا يجوز تعلقهُ]**؛ أي: تعلق على الله كما أفصح بهِ غيرهُ **[لأنه مصدر]** ومعمول المصدر لا يتقدم عليه وقد يقال: يجوز هنا لأنه يتوسع في الجار والمجرور كالظرف ما لا يتوسع في غيرهما **[لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله]**؛ أي: عن المعلوم من قوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ إلى آخره. وهو أن أهل الكتاب لما سألوا إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ﴾ إلى آخره. قال ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦] بمعنى: أنهم لا يشهدون بهِ لكن الله يشهد بهِ، وإلى ذلك أشار بقولهِ: **[وكأنه لما تعنتوا عليهِ]** إلى آخره[2]. **[أو أنهم أنكروه]** عطف على أنهم لا يشهدون

---

(١) انظر: الرسائل، الجاحظ [ص٢١١].

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٦/٢٩].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾.

روي: أنه لما نزل ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٣] قالوا: ما نشهد لك، فنزلت. ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أنزله ملتبساً بعلمه الخاص به، وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ، أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه، أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم، فالجار والمجرور على الأولين حال من الفاعل، وعلى الثالث حال من المفعول، والجملة كالتفسير لما قبلها ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ﴾ أيضاً بنبوتك. وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل، وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للإنسان إلى العلم بأمثال ذلك سوى الفكر والنظر، فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾؛ أي: وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره.

﴿١٦٧﴾ إلـــى ﴿١٦٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال؛ ولأن المضل يكون أغرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ محمداً ﷺ بإنكار نبوته، أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو بأعم من ذلك. والآية تدل على أن الكفار مخاطبون بالفروع إذ المراد بهم

وعليه فباء بما جيء بها نظراً للفظ يشهد [أو بحال] عطف على «تأليفه».

[أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس] عطف على بعلمه الخاص به [وهذا النوع]؛ أي: العلم بصحة دعوى النبوة من غير نظر وتأمل [من خواص الملَك] بفتح اللام؛ أي: الملائكة [أي: وكفى بما أقامَ] «الباء» في «باللهِ» زائدة وفي «بما أَقام» معدية؛

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾.

الجامعون بين الكفر والظلم. ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾. ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ لا يعسر عليه ولا يستعظمه.

١٧٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ لما قرر أمر النبوة وبيَّن الطريق الموصل إلى العلم بها ووعيد من أنكرها، خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد على الرد. ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾؛ أي: إيماناً خيراً لكم، أو ائتوا أمراً خيراً لَّكُمْ مما أنتم عليه. وقيل: تقديره: يكن الإيمان خيراً لكم، ومنعه البصريون لأن (كان) لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه؛ ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه. ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعني: وإن تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم، ونبّه على غناه بقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٗا﴾ فيما دبر لهم.

١٧١ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ الخطاب للفريقين، غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بأنه ولد من غير رشدة،

أي: وكفى الله بما أقامه من الحجج إلى آخره. [بأنه ولد لغير رِشدة] بكسر الراء

۞ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾.

والنصارى في رفعه حتى اتخذوه إلٰهاً. وقيل: الخطاب للنصارى خاصة فإنه أوفق لقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ﴾؛ يعني: تنزيهه عن الصاحبة والولد. ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أوصلها إليها وحصلها فيها. ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُۖ﴾ وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له، وقيل: سمي روحاً لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾؛ أي: الآلهة ثلاثة: الله والمسيح ومريم، ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: ١١٦] أو: الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون: الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس، ويريدون بالأب الذات، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة. ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن التثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْۚ﴾ نصبه لما سبق. ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾؛ أي: واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما. ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ﴾؛ أي: أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد، فإنه يكون لمن يعادله مثل، ويتطرق إليه فناء. ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ ملكاً وخلقاً لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولداً. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ تنبيه على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه؛ والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلقه أو يعينه.

﴿١٧٢﴾ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ لن يأنف، من نكفت الدمع إذا نحيته بأصبعك كي لا يرى أثره عليك. ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ من أن يكون عبداً

وفتحها ضد زنية فالمعنى ولد لزنية [ثلاثة أقانيم]؛ أي: ثلاث أصول[1]

(١) انظر بسط المسألة في: روح المعاني، الألوسي [٦/ ٢٦].

له فإن عبوديته شرف يتباهى به، وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره. روي: أن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: لم تعيب صاحبنا؟ قال رسول الله ﷺ: «**ومن صاحبكم؟**» قالوا: عيسى عليه السلام، قال عليه السلام: «**وأي شيء أقول!**». قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله، قال: «**إنه ليس بعار أن يكون عبد الله**»، قالوا: بلى، فنزلت. ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ عطف على المسيح؛ أي: ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله، واحتج به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عليهم. وقال: مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية؛ وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه، وجوابه: أن الآية للرد على عَبَدَةِ المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك: أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس، وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش، أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء؛ وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً والنزاع فيه. ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ

[**وإن سلم اختصاصها بالنصارى**] إلى آخره. قال الطيبي: الجواب الصحيح أن يقال: إن الكلام إنما سيق للرد على النصارى وإنما تنهض الحجة عليهم بهِ إذا سلَّموا أن الملائكة أفضل من عيسى ـ ودونه خرط القتاد ـ فكيف والنصارى رفعوا درجته إلى الإلٰهية، فظهر أن ذكر الملائكة للاستطراد كما قال محي السُّنَّة رداً على الذين يقولون الملائكة آلهة كما رد على النصارى وأنه من باب التتميم لا من باب الترقي[1] [**وهم الكروبيون**] بتخفيف الراء سادات الملائكة وهم المقربون من كرب إذا قرب[2]، ويقال إذا قرب قرباً بالغاً والباء فيه للمبالغة كـ«أحمري» كما أن وزنه «فعول» وهو

---

(١) معالم التنزيل، البغوي [٢/ ٣١٥].

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم [٩/ ١٨٩].

۞ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾ ومن يترفع عنها، والاستكبار دون الاستنكاف؛ ولذلك عطف عليه، وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر؛ فإنه قد يكون بالاستحقاق ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ فيجازيهم.

﴿١٧٣﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام، وكأنه قال: فسيحشرهم إليه جميعاً يوم يحشر العباد للمجازاة، أو لمجازاتهم؛ فإن إثابة مقابليهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة.

﴿١٧٤﴾ - ﴿١٧٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ عنى بالبرهان: المعجزات وبالنور: القرآن؛ أي: قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل، ولم يبق لكم عذر ولا علة، وقيل: البرهان الدين أو رسول الله أو القرآن. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ

للمبالغة أيضاً [والاستكبار دون الاستنكاف] قد بين الأَدْوَنِيَّة بقوله بعد: [وإنما يستعمل حيث لا استحقاق] إلى آخره. وبيَّنها الراغب: بأن الاستنكاف تكبر في تركه أنفة والاستكبار بخلافه(١) [أو لمجازاتهم] عطف على للمجازاة العامة فالضمير للذين استنكفوا واستكبروا كالضمير في قوله: «مقابليهم» وفي «لهم»، وقولهُ: «إليه» الأَوْلى «إليهم»؛ أي: إلى مقابليهم [أو القرآن] فالنون على هذا القرآن أيضاً وعطفهُ عليهِ

---

(١) غريب القرآن، الأصفهاني [ص٢٨].

۞ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ في ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب ﴿وَفَضْلٍ﴾ إحسان زائد عليه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الله. وقيل: إلى الموعود. ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ هو الإسلام والطاعة في الدنيا، وطريق الجنة في الآخرة. ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: في الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليه. روي: أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي، فنزلت، وهي آخر ما نزل في الأحكام.

﴿١٧٦﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ سبق تفسيرها في أول السورة. ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ ارتفع ﴿امْرُؤٌ﴾ بفعل يفسره الظاهر، وليس له ولد صفة أو حال من المستكن في هلك، و(الواو) في (وَلَهُ) يحتمل الحال والعطف، والمراد بالأخت: الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة، والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن

لاختلاف اللفظين كما في قولهِ تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] [بإزاء إيمانه وعمله] الضمير فيهما للمؤمن المفهوم من آمنوا، والأَوْلى جَمْعُهُ [روي: «أن جابر بن عبد الله...»] إلى آخره. رواهُ الشيخان[١] وغيرهما [وهي آخر ما نزل من الأحكام] رواه الشيخان وغيرهما أيضاً [والولد على ظاهره]؛ أي: من شموله الذكر والأنثى.

---

(١) صحيح البخاري [٥/٢١٣٩/برقم: ٥٣٢٧]، صحيح مسلم [٣/١٢٣٤/برقم: ١٦١٦]، سنن أبي داود [٢/١٣٣/برقم: ٢٨٨٦].

عباس رضي الله تعالى عنهما. لكنها لا ترث النصف. ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾؛ أي: والمرء يرث أخته إن كان الأمر بالعكس. ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ذكراً كان أو أنثى؛ إن أريد بـ(يرثها) يرث جميع مالها، وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ، والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به، وقد دلت السُّنَّة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ إن فسرت بالميت. ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الضمير لمن يرث بالأخوة، وتثنيته محمولة على المعنى، وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد

[لكنها لا ترث النصف]؛ أي: فرضاً وهذا التقدير أحوج إليه مخالفته قول الزمخشري(١): المراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعهِ على الذَّكَر وعلى الأنثى؛ لأن الابن يُسْقِط الأخت ولا تسقطها البنتُ إلا في مذهب ابن عباس [لم يدل على عدم سقوطهم بهِ]؛ أي: بغير الولد الصادق بالأب [وقد دلت السُّنَّة على أنهم لا يرثون مع الأب] أشار بالسُّنَّة إلى خبر: «**ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذَكَر**»(٢) والأب أَوْلَى من الأخ، فالسُّنَّة بينت حكم انتفاء الوالد والكتاب بيَّن حكم انتفاء الولد [وكذا مفهوم قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] أن فُسِّرت بالميت] لا حاجة إلى هذا الشرط بل هو مضر لأن الكلالة كما قال «الكشاف»: يتناول انتفاء الوالد والولد جميعاً. وهذا صادق بتفسيرها بالميت وبالورثة؛ لأن كلاً منهما مقيد بانتفاء الوالد والولد(٣) كما صرح بهِ المصنف نفسه أوائل السورة.

[الضمير]؛ أي: في «كانتا» أو في «كانوا» الآتي [لمن يرث بالأخوة] المقدر إذا التقدير فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين إلى آخره. [وتثنيتهُ]؛ أي: وجمعهُ بعد [محمولة على المعنى]؛ أي: على المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ أو على معنى من المقدرة لا على لفظها [وفائدة الإخبار عنه باثنتين] إلى آخره. جواب

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٣٢].

(٢) صحيح البخاري [٦/ ٢٤٧٦/ برقم: ٦٣٥١]، صحيح مسلم [٣/ ١٢٣٣/ برقم: ١٦١٥].

(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٣٢].

دون الصغر والكبر وغيرهما. ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ أصله: وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾؛ أي: يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا. وقيل: لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات. عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة، وورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً، وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم»**.

ما يقال: لا بد أن يقيد الخبر ما لم يفدهُ المبتدأ، وهنا ليس كذلك إذ ما أفاده الخبر هنا مفاد من ضمير «كانتا»، وحاصل الجواب: أن البنتين يستحقان الثلثين بمُجرد هذا العدد من غير اعتبار تقييد بصغر أو كبر أو غيرهما من الأوصاف، وردَّ بأن هذا القدر مفاد من ضمير «كانتا» أيضاً ومن ثم أُجيب بأن ضمير «كانتا» للوراثتين؛ وإن الاثنتين صفة محذوفة بها يفيد الخبر ما لم يُفِدهُ الضمير، والتقدير: «فإن كانتا الوارثتان اثنتين من الأخوات» ليتحرزوا عنه متعلق بقولهِ «يبيِّن».

[«مَنْ قرأ سورة النساء فكأنَّما تصدَّق..»] إلى آخره. موضوع[1] [ورث ميراثاً] صفة لكل مؤمن ومؤمنة [كمن اشترى محرراً]؛ أي: رقيقاً وحررهُ ففيهِ مجاز الأول.



---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/٥٤٦/برقم: ٤٢٧].

سُورَةُ المَائِدَةِ

(٥) مدنية، وهي مائة وثلاث وعشرون آية

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ الوفاء: هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد: العهد الموثق قال الحطيئة:

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْداً لِجَارِهِمُ   شَدُّوا العِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الكَرَبا

[قوله: قال الحطيئة:

قومٌ إذا عَقَدوا عَقداً لجارِهِمُ   شَدُّوا العَنَاجَ وشَدُّوا فَوْقَهُ الكَرَبا][1]

مدح به بني «أنف الناقة»، قال التفتازاني: وكان هذا نبزاً في غاية الشناعة فأبرزهُ الحطيئة في صورة المدح وكمال الرئاسة، حيثُ قال بعدَ هذا البيت:

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهمُ   ومَنْ يُسَوِّي بـ«أنْفِ الناقةِ» الذَّنَبا[2]

وفي البيت إشارة إلى أن كون العقد بمعنى العهد مستعاراً من عقد الحبل حيث رشح ذلك بذكر الحبل والدلو وما يتعلق بهما، و«العناج»: حبل يشد به في أسفل الدلو ثم يشد إلى العرّاقي ليكون عوناً لها وللوذم، فإذا انقطعت الأوذام أمسكها العناج[3]، والعرقوتان الخشبتان المعترضتان على الدلو

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري [٣/ ٣٦٧].
(٢) الاشتقاق، ابن دريد [ص٨٣].
(٣) الصحاح، الجوهري [١/ ٤٩٨].

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال، ولعل المراد بالعقود: ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده، وألزمها إياهم من التكاليف، وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها؛ مما يجب الوفاء به، أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب. ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ تفصيل للعقود، والبهيمة كل حي لا يميّز. وقيل: كل ذات أربع قوائم، وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك: ثوبُ خزّ، ومعناه: البهيمة من الأنعام. وهي الأزواج الثمانية، وألحق بها الظباء وبقر الوحش. وقيل: هما المراد بالبهيمة، ونحوهما مما يماثل

كالصليب، والأوذام والسيور التي بين آذان الدلو وأطراف العراقي، و«الكرب»: الحبل الذي يشد في وسط العرّاقي ثم يثنى ويثلث ليكون هو الذي يلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير، ويقال: ملأ الدلو إلى عقد الكرب لمن يبالغ فيما يلي من الأمر. انتهى.

[وأصله]؛ أي: العقد **[وإضافتها إلى الأنعام للبيان]** زاد «الكشاف»: وهي الإضافة التي بمعنى «مِنْ»(١) قال التفتازاني: قد اشترطوا فيها كون المضاف إليه جنس المضاف كالفضةُ للخاتم وههنا الأمر بالعكس، انتهى. وعليه فتمثيل المصنف بقوله: «كثوب خز» أَوْلَى من تمثيل «الكشاف»(٢) من قولِهِ: «كخاتم فضة». قال التفتازاني: و«من» في البهيمة من الأنعام لا تكون إلا بيانية، وفي «خاتم من فضة» إبتدائية أو تبعيضية **[وقيل: هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب]** لو قدم فيه ونحوهما على المراد كان أوضح وأوفق بقول «الكشاف»: وقيل: «بهيمة الأنعام» الظباء وبقر الوحش ونحوها، كأنهم أرادُوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب(٣). انتهى.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٠٤].

(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٣٥].

(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٣٥].

الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب، وإضافتها إلى الأنعام لملابسة الشبه. ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إلا مُحَرَّم ما يتلى عليكم كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ أو ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٣] تحريمه. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من الضمير في (لَكُمْ)، وقيل: من واو (أَوْفُوا)، وقيل: استثناء، وفيه تعسف ﴿الصَّيْدِ﴾ يحتمل المصدر والمفعول. ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال مما استكن في (مُحِلِّي)، و(الحُرُم): جمع حَرَام وهو المحرم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من تحليل أو تحريم.

و«الاجترار»: إخراج الجرة وهي ما يجرهُ النعم من العلف من الكرش إلى الفم فتمضغهُ ثم تبتلعهُ، وفائدة زيادة البهيمة، دون أن يقول: أُحلت لكم الأنعامُ على القول الثاني ظاهرة وعلى الأول قصد الإبهام، والتفسير وأفرد لفظ البهيمة لقصد الجنسية، قاله التفتازاني.

[إلا محرم ﴿مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾] إلى آخره. قدّر لجعل الاستثناء متصلاً أحد شيئين لأن «ما يتلى» لفظ فلا يشمله بهيمة الأنعام، فقدر مضافاً محذوفاً أولاً من «ما يتلى»؛ أي: محرّم، وثانياً من نائب فاعل «يتلى»؛ أي: يتلى عليكم آية تحريمه، فحذف المضاف الأول وهو آية، ثم الثاني وهو «تحريم» وأقيم المضمر المجرور مقامهُ(١)، فانقلب مرفوعاً واستتر في «يتلى» [﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١] **حال من الضمير في لكم**]. لا يقال مفهوم هذا مع تقييده بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أنه إذا انتفى عنهم عدم حل الصّيد وهم حرم يُحرم عليهم بهيمة الأنعام، وليس كذلك لأنا نقول المراد ببهيمة الأنعام: إما الوحشي كالظباء وهو ظاهراً أو ما يعمهُ، والإنسي وإحلالُها حينئذٍ على عُمُومها مختص بحال غير الإحرام إذ معه تحريم البعض وهو الوحشي أو الإنسي، والمفهومُ مفهومُ موافقة لأنها إذا حلت مع تحريم الوحشي فمع حله أولى(٢).

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٣٣٤].

(٢) انظر: أحكام القرآن، القاضي ابن العربي [٣/ ٢٨].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

﴿٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: مناسك الحج، جمع شعيرة؛ وهي اسم ما أشعر؛ أي: جعل شعاراً، سمى به أعمال الحج ومواقفه؛ لأنها علامات الحج وأعلام النسك. وقيل: دين الله لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢]؛ أي: دينه. وقيل: فرائضه التي حدها لعباده ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه أو بالنسيئ ﴿وَلَا ٱلْهَدْيَ﴾ ما أهدي إلى الكعبة، جمع هَدْيَة؛ كجَدْي في جمع جَدْيَةِ السَّرْج ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾؛ أي: ذوات القلائد من الهدي، وعطفها على (الهدي) للاختصاص؛ فإنها أشرف الهدي، أو القلائد أنفسها، والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، و(القلائد): جمع قلادة، وهي ما قلد به الهدي من نعل، أو لحاء شجر، أو

[والصيد يحتمل المصدر والمفعول]؛ أي: الصيد وهو هنا الوحشي ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حال عما استنكر[1] في مُحِلِّي فهو مع غير مُحِلِّي حالان مُتداخلان [﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢]]؛ أي: لا تتعدوا حدودها [كجدي] بالجيم في [جمع جدية السرج]. قال الجوهري: «الجَدْيَة» ـ بتسكين الدال ـ: شيء محشو تحت دفتي السَّرج؛ أي: جانبيه[2] [ولحاء الشجر] بفتح اللام وبالمد؛ أي: قشره.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (استكن).

(٢) الصحاح، الجوهري [٨/ ١٩٠].

غيرهما؛ ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ قاصدين لزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ أن يثيبهم ويرضى عنهم، والجملة في موضع الحال من المستكن في (آمّين) وليست صفة له؛ لأنه عامل، والمختارُ أنَّ اسم الفاعل الموصوف لا يعمل، وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه، والتنبيه على المانع له. وقيل معناه: يبتغون من الله رزقاً بالتجارة، ورضواناً بزعمهم؛ إذ روي: (أن الآية نزلت عام القضية في حُجَّاج اليمامة لما همَّ المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطيم بن شريح بن ضبيعة، وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة). وقرئ: (تبتغون) على خطاب المؤمنين ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ إِذْنٌ في الاصطياد بعد زوال الإحرام، ولا يلزم من إرادة الإباحة هاهنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقاً. وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة همزة الوصل عليها، وهو ضعيف جدّاً. وقرئ (أَحْلَلْتُم) يقال: حَلَّ المُحْرِم وأَحَلَّ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم أو لا يكسبنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ شدة بغضهم وعداوتهم؛ وهو مصدر أضيف إلى المفعول أو الفاعل. وقرأ ابن عامر وإسماعيل عن نافع، وابن عياش عن عاصم بسكون النون، وهو أيضاً مصدر كـ(لَيَان) أو نعت بمعنى: بغيض قوم، و(فعلان) في النعت

[وعلى هذا فالآية منسوخة] لما فيها من حرمة القتال في الشهر الحرام، ومن حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام، والأول منسوخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] والثاني بقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] فقوله: والآية منسوخة منزل على هذا، لكن إذا قلنا بشمول آمين للمسلمين وللمشركين إنما يكون النسخ فيه في حق المشركين خاصة، وهو في الحقيقة تخصيص لا نسخ، ففي تسميتِهِ نسخاً تسمح[1].

[ولا يلزم من إرادة الإباحة هاهنا] إلى آخره. إذ لا يلزم من اعتبار الأخص

---

(١) أصول الفقه، الجصاص [١/ ٣٨٦].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾.

أكثر كـ(عطشان) و(سكران). ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لأن صدوكم عنه عام الحديبية. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه (لا يجرمنكم). ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ بالانتقام، ثاني مفعولي يجر منكم؛ فإنه يُعَدَّى إلى واحد وإلى اثنين كـ(كسب). ومن قرأ ﴿يُجْرِمَنَّكُمْ﴾ بضم الياء جعله منقولاً من المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ على العفو والإغضاء، ومتابعة الأمر، ومجانبة الهوى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ للتشفي والانتقام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فانتقامه أشد.

(٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ بيان (ما يتلى عليكم)، و(الميتة): ما فارقه الروح من غير تذكية ﴿وَالدَّمُ﴾؛ أي: الدم المسفوح لقوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها. ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾؛ أي: رفع الصوت لغير الله به كقولهم: باسم اللات والعزى ـ عند ذبحه ـ. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ التي ماتت بالخنق. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المضروبة بنحو خشب، أو حجر حتى تموت، من: (وقذته) إذا ضربته. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي تردت من علو أو في بئر فماتت. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح، والتاء فيها للنقل. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾؛

ووجوده اعتبار الأعم ووجوده [بالهمز إلى مفعولين] كل من حرفي الجر متعلق بمنقولٍ [والتاء فيها للنقل]؛ أي: من الوصفية إلى الأسمية.

أي: وما أكل منه السبع فمات، وهو يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم تحل ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك. وقيل: الاستثناء مخصوص بما أكل السبع. والذكاة في الشرع لقطع الحلقوم والمريء بمحدد. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ النُّصُب: واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة. وقيل: هي الأصنام، و(على) بمعنى (اللام) أو على أصلها بتقدير: وما ذبح مسمى على الأصنام. وقيل: هو جمع، والواحد نصاب. ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾؛ أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح؛ وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثة أقداح. مكتوب على أحدها: أمرني ربي. وعلى الآخر: نهاني ربي. والثالث: غفل؛ فإن خرج الأمر مضوا على ذلك، وإن خرج الناهي تجنبوا عنه، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً، فمعنى الاستقسام: طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالأزلام. وقيل: هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومة، وواحد الأزلام (زَلَم) كـ(جَمَل) و(زُلَم) كـ(صُرَد). ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ إشارة إلى (الاستقسام)، وكونه فسقاً؛ لأنه دخول في علم الغيب، وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه، وافتراء على الله إن أريد بربي الله، وجهالة وشرك؛ إن أريد به الصنم، أو الميسر المحرم، أو إلى تناول ما حرم عليهم. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ لم يرد به يوماً

[بالأقداح] هي: السهام قبل أن تُراش [والثالث غفل]؛ أي: لا سِمَة عليه [أجالوها] بالجيم أداروها [وقيل: هو استفهام الجزور]؛ أي: قسمتهم الجزور كما عبر به «الكشاف»[1].

[طريقٌ إليه]؛ أي: إلى علم الغيب [إن أريد «بربي»]؛ أي: في قوله: «أمرني رَبِّي ونهاني رَبِّي» [أو الميسر]. هو القمار [المحرم] صفة كاشفة [أو إلى تناول ما حرم عليهم] عطف على الاستفهام.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٣٩].

بعينه، وإنما أراد الزمن الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية. وقيل: أراد يوم نزولها؛ وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع. ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾؛ أي: من إبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث أو غيره، أو من أن يغلبوكم عليه. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ وأخلصوا الخشية لي.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالنصر والإظهار على الأديان كلها، أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بالهداية والتوفيق، أو بإكمال الدين، أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ اخترته لكم ديناً من بين الأديان؛ وهو الدين عند الله لا غير ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها، وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل، والنعمة التامة، والإسلام المرضي. والمعنى: فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ غير مائل له ومنحرف إليه؛ بأن يأكلها تلذذاً، أو مجاوزاً حد الرخصة؛ لقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ لا يؤاخذه بأكله.

[**«نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة حجة الوداع»**] رواهُ الشيخان وغيرهما[1] و«عرفة» بدل من «الجمعة» ومضافة إلى «حجة الوداع» [**بتحليل هذهِ الخبائث**] تنازعهُ «إبطالكم» «ورجوعكم» [**وغيره**]؛ أي: غير تحليل الخبائث.

[**اخترتهُ لكم ديناً**] يقال: «رضيه صاحباً» فالمنصوب الثاني يجوز أن يكون حالاً أو تمييزاً، أو أن يكون مفعولاً ثانياً على تضمين «رضيت» معنى «التصيير» [**وما بينهما اعتراض**] وهو كما قال الطيبي: سبع جمل أولها «ذلكم فسق» واقتصر المصنف على التصريح ببعضها حيث قال: [**وهو أن يتناولها فسوق..**] إلى آخره[2].

---

(١) صحيح البخاري [١/ ٢٥/ برقم: ٤٥]، صحيح مسلم [٤/ ٢٣١٢/ برقم: ٣٠١٧].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٤٤٣].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

﴿٤﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ﴾ لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة، وقد سبق الكلام في (مَاذَا) وإنما قال: (لهم) ولم يقل: (لنا) على الحكاية؛ لأن (يَسْئَلُونَكَ) بلفظ الغيبة، وكلا الوجهين سائغ في أمثاله، والمسؤول ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما أحل لهم. ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ ما لم تستخبثه الطباع السليمة، ولم تنفر عنه؛ ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب، أو ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ عطف على الطَّيِّباتُ إن جعلت (مَا) موصولة على تقدير: وصيد ما علمتم، وجملة شرطية إن جعلت شرطاً وجوابها: ﴿فَكُلُوا۟﴾. و﴿ٱلْجَوَارِحِ﴾ كواسب الصيد على أهلها من

[لما تضمن السؤال معنى القول أو وقع على الجملة] يجوز أيضاً أن يكون إيقاعه عليها لكونه عُلق عن العمل بالاستفهام كقوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠] لنصِّهم على أن فعل السؤال تعلق وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأنه سبب للعلم فعلق كمسببه[١] [وما لم يدل..] إلى آخره. عطف على ما لم يستخبثهُ [على تقدير: «وصيد ما علمتم»]؛ أي: مصيده؛ لأنه الذي أحل فعطفهُ على الطيبات من عطف الخاص على العام، وفائدته رفع توهم أن مصيد الجارحة ليس من الطيبات [وجملة شرطية إن جعلت شرطاً]؛ أي: إن جعلت «ما» شرطاً، وفيه تجوز إذ الشرط حقيقة مدخول «ما» و«ما» شرطية كما أن جملة الشرط مع جزائه شرطية[٢]، وبه عُلم أن في قوله: «وجملة شرطية» تجوز إذ الشرطية جملة الشرط مع جزائه لا هي وحدها كما تقرر[٣]، ثم قضية جعل ذلك تفسيراً ثانياً أنه لا يحتاج فيه إلى تقدير المضاف كما في الأول وهو ظاهر.

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٦/ ٦٧].

(٢) عبارة: (كما أن جملة الشرط مع جزائه شرطية) من نسخة [ز - ج - ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٣) انظر: اللباب، ابن عادل [٧/ ٢٠٤].

سباع ذوات الأربع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ معلمين إياه الصيد، و(المُكَلِّب): مؤدب الجوارح ومضربها بالصيد. مشتق من الكلب؛ لأن التأديب يكون أكثر فيه أثراً، أو لأن كل سبع يسمى كلباً؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ سلط عليه كلباً من كلابك». وانتصابه على الحال من (علمتم) وفائدتها المبالغة في التعليم ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال ثانية أو استئناف. ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من الحيل وطرق التأديب، فإن العلم بها إلهام من الله تعالى، أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه، أو مما علمكم الله أن تعلموه؛

ولهذا قال التفتازاني: لا يحتاج على الشرطية إلى حذف المضاف، وإن نقل عن المصنف؛ يعني: الزمخشري أنه قال: تقدير المضاف لا يبطل كون ما شرطية؛ لأن المضاف إلى الاسم الحامل لمعنى الشرط في حكم المضاف إليه تقول: «غلام من تضرب اضرب» كما تقول: «من تضرب اضرب»[(١)]، وفيه إشارة إلى الرد على الطّيبي حيث زعم أنه يحتاج إلى تقدير المضاف مستدلاً بكلام الزمخشري المذكور [وتضريها] من التضرية والاضراء، وهما الإغراء [مشتق]؛ أي: مأخوذ [من الكلْب] بسكون اللام وهو الحيوان النابح.

ويجوز أن يبقى الاشتقاق على معناه ويكون سكون لام الكلب مخففاً من الكلَب بفتحها وهو الشدة والضراوة[(٢)] **[لأن التأدب يكون فيه]**؛ أي: في النابح وفي كلامه على الثاني استخدام **[وآثر]**؛ أي: أقوى تأثيراً [**«اللَّهُمَّ سلط عليهم كلباً من كلابك..»**] زاد في «الكشاف»[(٣)] «فأكله الأسد»، والحديث رواه بمعناه الحاكم وصحح إسناده[(٤)] وقالهُ ﷺ في عتبة بن أبي لهب حيث أراد سفر الشام فغاظ النبي ﷺ.

[منْ ﴿عَلَّمْتُم﴾]؛ أي: من ضميره [﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال ثانية]؛ أي: من ضمير «عَلَّمْتم» لكن الحال الأولى ترجع إلى أن معلم الجارحة ينبغي أن يكون مدرباً في تلك الصنعة يعلم لطائف الحيل، وفائدة الثانية: إلى أنه ينبغي أن يكون فقيهاً عالماً بالشرائط المعتبرة في الشرع لحل الصيد **[فإن العلم به]**؛ أي: بالتأديب أو بالتكليب وفي نسخة بها؛ أي: بطريق التأديب[(٥)] **[أو مما علمكم الله أن تعلموه]** عطف على

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٦/ ٦٢].
(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي [٤/ ١٧٤/ مادة: كلب].
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٤٠].
(٤) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٨٨/ برقم: ٣٩٨٤].
(٥) انظر: أحكام القرآن، القاضي ابن العربي [٣/ ٦٥].

۝ ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾.

من اتباع الصيد بإرسال صاحبه، وأن ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه. ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهو ما لم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم: «**وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه**». وإليه ذهب أكثر الفقهاء، وقال بعضهم: لا يشترط ذلك في سباع الطير لأن تأديبها إلى هذا الحد متعذر، وقال آخرون: لا يشترط مطلقاً ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ﴾ الضمير لما علمتم والمعنى: سموا عليه عند إرساله، أو لما أمسكن عليكم بمعنى: سموا عليه إذا أدركتم ذكاته ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ في محرماته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بما جل ودق.

۝٥ ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ يتناول الذبائح وغيرها، ويعمّ الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى، واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى بني تغلب وقال: «ليسوا على النصرانية، ولم

مما علمكم الله من الحيل، وأن تعلموه مفعول ثان لِـ«علمكم»، والضمير المنصوب في تعلموه عائد إلى «ما»، ومفعوله الثاني محذوف؛ أي: أن تعلموه الجارحة [من اتباع الصيد] بيان لِـ«ما» والإضافة فيه للمفعول؛ أي: من اتباع الجارح الصيد [وينزجر..] إلى آخره. عطف على إرسال، من باب عطف الفعل على الاسم كما في عطف ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤].. إلى آخره. على ما قبله.

[«وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه»] رواه الشيخان وغيرهما(١)، [وقال بعضهم] هو إمام الحرمين: [واستثنى عليٌّ(٢) عليه السلام نصارى بني تغلب]. روى

---

(١) صحيح البخاري [٥/٢٠٨٦/برقم: ٥١٥٩]، صحيح مسلم [٣/١٥٢٩/برقم: ١٩٢٩].

(٢) في نسخة [ز ـ ج]: (على).

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا

يأخذوا منها إلا شرب الخمر». ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وإن ألحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام: «**سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب، غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم**». ﴿وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾ فلا حرج عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم، ولو حرم عليهم لم يجز ذلك. ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ أي: الحرائر أو العفائف، وتخصيصهن بعث على ما هو الأولى ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وإن كن حربيات، وقال ابن عباس: لا تحل الحربيات. ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، وتقييد الحل بإيتائها لتأكيد وجوبها، والحث على ما هو الأولى. وقيل: المراد بإيتائها التزامها ﴿مُحۡصِنِينَ﴾ أعفاء بالنكاح ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ غير مجاهرين بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾ مسرين به، والخدن: الصديق يقع على الذكر والأنثى ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ يريد بالإيمان شرائع الإسلام وبالكفر إنكاره والامتناع عنه.

(٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: إذا أردتم القيام

الشافعي بإسناد صحيح أنه قال: «**لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب**»(١) [**ولا يلحق بهم**]؛ أي: بأهل الكتاب [**لقوله** ﷺ: «**سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم**»] رواه الإمام مالك(٢).

[﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [المائدة: ٥]]؛ أي: حل لكم [**يريد بالإيمان شرائع الإسلام**]؛ لأن الكفر إنما يكون بالمؤمن به لا بالإيمان نفسه، وهذا كما قال التفتازاني: كالتذييل لقوله تعالى: ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ﴾ تعظيماً لشأن التحريم والإحلال وتحريضاً على المحافظة عليهما وتغليظاً على المخالفة [**إذا أردتم القيام..**]

---

(١) الأم، الشافعي [٢/ ٢٥٤].
(٢) موطأ مالك [٢/ ١٣٥/ برقم: ٣٣٣].

فَاطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها، بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة، أو إذا قصدتم الصلاة؛ لأن التوجه إلى الشيء والقيام إليه قصد له، وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثاً، والإجماع على خلافه؛ لما روي: أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟! فقال: «**عمداً فعلته**».

إلى آخره. جعل كـ«الكشاف»[(١)] لإطلاق القيام إلى الصلاة على أرادتها وجهين، أحدهما: أنه عبر عن إرادة القيام بالقيام المسبب عنها، والثاني: أنه عبر عنها بالقيام اللازم كل منهما للتوجه إلى الصلاة، فهو في الأول من إطلاق المسبب على السبب، وفي الثاني من إطلاق أحد اللازمين على الآخر، والإرادة والقصد وإن تغايرا لفظاً متحدان معنى، وما قدرته مأخوذ مع زيادة من قول التفتازاني بعد كلام طويل، فجعل القيام مجازاً عن إرادته بعلاقة كونهِ مسبباً، أو عن قصد الصلاة وإرادتها بعلاقة كونهِ من لوازم التوجهُ إلى الصلاة، فعبر عن لازم الشيء بالقيام إليه والتوجه فيكون من إطلاق إحدى لازمي الشيء على لازمه الآخر لا من إطلاق اسم الملزوم على لازمه أو المسبب على سببهِ[(٢)]، بناء على أن إرادة الشيء لازم له، وسبب على أنه لو سلم فيكفي في تغاير الوجهين اعتبار العلاقتين. انتهى. فقول المصنف: [**لأن التوجهُ إلى الشيء والقيام إليه قصد له**] مُؤَوَّل بأن كلاً

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٤٣].

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٣٤٩].

فقيل: مطلق أريد به التقييد، والمعنى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ محدثين. وقيل: الأمر فيه للندب. وقيل: كان ذلك أول الأمر، ثم نسخ، وهو ضعيف لقوله ﷺ: **«المائدة من آخر القرآن نزولاً فَأَحِلُّوا حلالها وحرموا حرامها»**. ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ أمرُّوا الماء عليها ولا حاجة إلى الدلك خلافاً لمالك ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ الجمهور على دخول المرفقين في المغسول؛ ولذلك قيل: (إِلَى) بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] أو متعلقة بمحذوف تقديره: وأيديكم مضافة إلى المرافق، ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة؛ لأن مطلق اليد يشتمل عليها. وقيل: (إلى) تفيد الغاية مطلقاً، وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه، وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية، وكانت الأيدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطاً. وقيل: (إلى) من حيث أنها تفيد الغاية تقتضي خروجها؛ وإلا لم تكن غاية لقوله: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب إدخالها احتياطاً. ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء مزيدة. وقيل: للتبعيض، فإنه الفارق بين قولك: (مسحت المنديل) و(مسحت بالمنديل)، ووجهه أن يقال: إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق؛ فكأنه قيل: وألصقوا المسح برءوسكم، وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل: وامسحوا رؤوسكم؛ فإنه كقوله: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ واختلف العلماء في قدر الواجب. فأوجب الشافعي رضي الله تعالى عنه: أقل ما يقع عليه الاسم أخذاً باليقين. وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: مسح ربع الرأس؛ لأنه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع. ومالك

منهما مستلزم للقصد. **[يشتمل عليها]**؛ أي: على المرافق.

[**«لأنه عليه السلام مسح على ناصيته..»**] رواهُ مسلم(١).

---

(١) صحيح مسلم [١/٢٢٨/ برقم: ٢٧٤].

رضي الله تعالى عنه: مسح كله أخذاً بالاحتياط. ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفاً على وجوهكم؛ ويؤيده: السُّنَّة الشائعة، وعمل الصحابة، وقول أكثر الأئمة، والتحديد؛ إذ المسح لم يحد. وجَرَّهُ الباقون على الجوار؛ ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦] وَ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] بالجر في قراءة حمزة والكسائي، وقولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ. وللنحاة باب في ذلك، وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها، ويغسل غسلاً يقرب من المسح، وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء على وجوب الترتيب. وقرئ بالرفع على (وَأَرْجُلُكُمْ) مغسولة.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ سبق تفسيره، ولعلَّ تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمم تضييقاً عليكم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ لينظفكم، أو ليطهركم عن الذنوب؛ فإن الوضوء تكفير للذنوب، أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء. فمفعول (يُرِيدُ) في الموضعين محذوف واللام للعلة. وقيل: مزيدة، والمعنى: ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم، ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف؛ لأن أن لا تقدر بعد المزيدة. ﴿وَلِيُتِمَّ﴾ ليتم بشرعية ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم ﴿نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ في الدين، أو ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته.

[وجرَّهُ الباقون على الجواز] تقديرهُ ظاهر من كلامه، ومنهم من عطف المجرور في قراءة الجر على الممسوح ليفيد مسح الخف. وعطف المنصوب في قراءة النصب على المغسول ليفيد غسل الرجل المتجردة منه. فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى: طهارتان: أصل وبدل، والأصل: اثنان مستوعب وغير مستوعب، وغير المستوعب باعتبار الفعل: غسل ومسح، وباعتبار المحل: محدود وغير محدود، وأن آلتهما: مائع وجامد، وموجبهما: حدث أصغر أو أكبر، وأن المبيح للعدول إلى البدل: مرض أو سفر، وأن الموعود عليهما: تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

﴿٧﴾ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام؛ لتَذَكّركُم المنعم وترَغّبكُم في شكره. ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ يعني: الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم النبي ﷺ على السمع والطاعة؛ في العسر واليسر، والمنشط والمكره. أو ميثاق ليلة العقبة، أو بيعة الرضوان. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في إنساء نعمه ونقض ميثاقه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾؛ أي: بخفيّاتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليّات أعمالكم.

﴿٨﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ عدَّاهُ بـ(على) لتضمنه معنى الحمل، والمعنى: لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل؛ كمُثْلَةٍ وقذفٍ وقتلِ نساءٍ وصِبْيَةٍ ونقْضِ عهدٍ؛

الأُخْرَى [«حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع..»] إلى آخره. رواه الشيخان(١).
والمَنْشَطُ مفعل من النشاط: وهو الأمر الذي ينشط له ويؤثر فعله، والمكره: مفعل من الكره وهو الأمر الذي تكرهه النفس.

---

(١) صحيح البخاري [٦/ ٢٦٣٣/ برقم: ٦٧٧٤]، صحيح مسلم [٣/ ١٤٦٩/ برقم: ١٧٠٩].

۞ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

تشفياً مما في قلوبكم ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: العدل أقرب للتقوى، صرح لهم بالأمر بالعدل، وبيَّن أنه بمكان من التقوى؛ بعد ما نهاهم عن الجور، وبيَّن أنه مقتضى الهوى، وإذا كان هذا للعدل مع الكفار؛ فما ظنك بالعدل مع المؤمنين؟! ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به، وتكرير هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل: إن الأولى نزلت في المشركين، وهذه في اليهود، أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ إنما حذف ثاني مفعولي (وَعَد) استغناء بقوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ فإنه استئناف يبينه. وقيل: الجملة في موضع المفعول؛ فإن الوعد ضَرْبٌ من القول، وكأنه قال: وعدهم هذا القول. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ هذا من عادته تعالى؛ أن يُتْبِعَ حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة، وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم.

﴿١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ روي: (أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه ـ بعسفان ـ قاموا إلى الظهر معاً؛ فلما صلوا، ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم، وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر، فردَّ الله كيدهم؛ بأن أنزل صلاة الخوف). والآية إشارة إلى ذلك. وقيل:

[صرح لهم الآمر] بمد الهمزة وكسر الميم [فإن الوعد ضَرْبٌ من القول]؛ أي: لأنه لا ينعقد إلا به. [روى: «أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان..»]

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى

(إشارة إلى ما روي أنه عليه الصلاة والسلام أتى قريظة ـ ومعه الخلفاء الأربعة ـ يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأً ـ يحسبهما مشركين ـ، فقالوا: نعم يا أبا القاسم! اجلس حتى نطعمك ونقرضك؛ فأجلسوه وهَمُّوا بقتله، فعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه؛ فأمسك الله يده، فنزل جبريل، فأخبره، فخرج). وقيل: (نزل رسول الله ﷺ منزلاً، وعلق سلاحه بشجرة ـ وتفرق الناس عنه ـ فجاء أعرابي فسلَّ سيفه وقال: من يمنعك مني؟ فقال: «الله!» فأسقطه جبريل من يده، فأخذه الرسول ﷺ وقال: «من يمنعك مني؟» فقال: لا أحد! أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فنزلت). ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك، يقال: بسط إليه يده إذا بطش به، وبسط إليه لسانه إذا شتمه. ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ﴾ منعها أن تمد إليكم، وردَّ مضرتها عنكم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر.

(١٢) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ

إلى آخره. رواه مسلم وغيره[(١)]. [روي: «أنه عليه السلام أتى قريظة..»] إلى آخره. رواهُ البيهقي[(٢)]. لكن في روايته أن المقتولين كانا معاهدين لا مسلمين وأنَّ الخروج كان إلى بني النضير لا إلى قريظة، ومعنى «يستقرضهم»: يطلب منهم مالاً قرضاً [وقيل: «نزل رسول الله ﷺ منزلاً..»] إلى آخره. رواه الشيخان[(٣)].

[يقال: بسط إليه يده إذا بطش..] إلى آخره. زاد «الكشاف»: ومعنى «بسط

---

(١) صحيح مسلم [١/ ٥٧٤/ برقم: ٨٤٠]، سنن أبي داود [١/ ٣٩٤/ برقم: ١٢٣٦].
(٢) دلائل النبوة، البيهقي [٣/ ٣٠٣].
(٣) صحيح البخاري [٣/ ١٠٦٥/ برقم: ٢٧٥٣]، صحيح مسلم [١/ ٥٧٦/ برقم: ٨٤٣].

وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

نَقِيبًا﴾ شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها، أو كفيلاً يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به. روي: (أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر، أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام ـ وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون ـ وقال: إني كتبتها لكم داراً وقراراً، فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها؛ فإني ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما أُمِروا به؛ فأخذ عليهم الميثاق، واختار منهم النقباء، وسار بهم؛ فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار، ونهاهم أن يحدِّثوا قومهم؛ فرأوا أجراماً عظيمة، وبأساً شديداً، فهابوا، فرجعوا وحدثوا قومهم؛ إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا، ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف. ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: نصرتموهم، وقويتموهم؛ وأصله الذب ومنه التعزيز ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ

اليد»: مدّها إلى المبطوش به[1]. وكذا بسط اللسان وهي زيادة حسنةٌ بيَّنَ بها أن معنى البسط المد، والبطش والشتم إنما هما حاصل المعنى فلا يكون ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم﴾ [الممتحنة: ٢] من الجمع بين معنيين مختلفين للفظ واحد نبه عليه التفتازاني.

[ينقب عن أحوال قومه] النقب: الطريق في الجبل، والنقيب: العريف، سمّي نقيباً؛ لأنه يعرف مناقب القوم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم [ومنه]؛ أي: من الذب [التعزير] الذي هو التأديب لأن فيه ذبّاً عن الدِّين ونصرة له، ومنه خبر: «**انصر**

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٤٩].

۞ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيل الخير، و(قرضاً) يحتمل المصدر والمفعول. ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ جواب للقسم المدلول عليه باللام في (لئن) ساد مسد جواب الشرط. ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم. ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ضلالاً لا شبهة فيه، ولا عذر معه؛ بخلاف من كفر قبل ذلك، إذ قد يمكن أن يكون له شبهة، ويتوهم له معذرة.

﴿١٣﴾ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ طردناهم من رحمتنا، أو مسخناهم، أو ضربنا عليهم الجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا تنفعل عن الآيات والنذر. وقرأ حمزة والكسائي (قَسِيَّة) وهي إما مبالغة (قاسِيَةً) أو بمعنى رديئة من قولهم: (درهم قسي) إذا كان مغشوشاً، وهو أيضاً من القسوة؛ فإن المغشوش فيه يبس وصلابة، وقرئ: (قِسِيَّة) بإتباع القاف للسين. ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم؛ فإنه

أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال: أنصره مظلوماً فكيف أنصرهُ ظالماً قال: **تكفهُ عن الظلم**»[١].

[**المعلق به الوعد العظيم**] الوعد العظيم، لأكفرن.. إلى آخره. لأن المتعلق بالشرط صناعة ومعنى وقول «الكشاف»[٢] المتعلق بالوعد العظيم صحيح أيضاً لأنه أراد بالوعد العظيم؛ إني معكم، وهو متعلق بالشرط معنى فلا مخالفة بين الكلامين

---

(١) صحيح البخاري [٢/ ٨٦٣/ برقم: ٢٣١١]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٩٨/ برقم: ٢٥٨٤].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٤٩].

۞ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾.

لا قسوة أشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه، ويجوز أن يكون حالاً من مفعول (لَعَنَّاهُمْ) لا من القلوب؛ إذ لا ضمير له فيه. ﴿وَنَسُواْ حَظّٗا﴾ وتركوا نصيباً وافياً. ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من التوراة، أو من اتِّباع محمد ﷺ، والمعنى: أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه، وقيل معناه: أنهم حرفوها فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم؛ لما روي ابن مسعود قال: (قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية، وتلا هذه الآية). ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ خيانة منهم، أو فرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة. والمعنى: أن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم؛ لا تزال ترى ذلك منهم. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ﴾ لم يخونوا؛ وهم الذين آمنوا منهم، وقيل: استثناء من قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ﴾ إن تابوا وآمنوا، أو عاهدوا والتزموا الجزية. وقيل: مطلقٌ نُسِخَ بآية السيف. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تعليل للأمر بالصفح، وحَثٌّ عليه، وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلاً عن العفو عن غيره.

١٤ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾؛ أي:

في الصحة [ويجوز أن يكون حالاً من مفعول «لعنَّاهم»]؛ أي: أو من ضمير «قلوبهم» [لا من «القلوب» إذ لا ضمير له]؛ أي: للحال [فيه]؛ أي: في لفظ «القلوب». والأولى فيها، ورد ما قاله: بأنه يجوز أن يراد بالقلوب الأشخاص وإنما عبر بها لأنها محل التحريف بالتفكر فيه فيجوز أن يكون حالاً من القلوب [وتركوا نصيباً وافياً] أشار به إلى أن تنكير حظّاً للتعظيم [روي: «أن ابن مسعود..»] إلى آخره. رواه

۞ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾.

وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم، وقيل: تقديره: ومن الذين قالوا: إنا نصارى قوم أخذنا، وإنما قال: قالوا: إنا نصارى؛ ليدل على أنهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا﴾ فألزمنا؛ من: (غري بالشيء) إذا لصق به ﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ بين فرق النصارى، وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية، أو بينهم وبين اليهود. ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ بالجزاء والعقاب.

(١٥) ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ يعني: اليهود والنصارى، وَوَحَّد الكتاب؛ لأنه للجنس. ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ كنعت محمد ﷺ، وآية الرجم في التوراة، وبشارة عيسى بأحمد ﷺ في الإنجيل. ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني، أو عن كثير منكم فلا يؤخذاه بجُرْمِه. ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾؛ يعني: القرآن؛

الإمام أحمد(١).

[وإنما قال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ١٤]..] إلى آخره. حاصله: أنه لما كان المقصود من ذلك ذمهم بنقض الميثاق المأخوذ عليهم بنصرة الله تعالى، أتى بما يدل على أنهم لم يوفوا بما عليهم من النصرة فما صدر منهم قول بلا فعل، وأما فائدة العدول عن أن يقول ومن النصارى إلى ما ذكر فتصوير تلك الحالة في ذهن السامع وتقدير أنهم ادّعوا نصرة دين الله ونحوه قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ [يوسف: ٢٣] عدل عن اسمها إلى ما ذكر لزيادة تقرير المراودة [يعني: القرآن]

---

(١) الزهد، أحمد بن حنبل [ص١٥٥].

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

فإنه الكاشف لك ظلمات الشك والضلال، والكتاب الواضح الإعجاز. وقيل: يريد بالنور: محمد ﷺ.

﴿١٦﴾ ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ وَحَّد الضمير؛ لأنَّ المراد بهما واحد، أو لأنهما كواحد في الحكم. ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ من اتبع رضاه بالإيمان منهم. ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ طرق السلامة من العذاب، أو سبل الله. ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من أنواع الكفر إلى الإسلام. ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته أو توفيقه. ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة.

﴿١٧﴾ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ هم الذين قالوا: بالاتحاد منهم، وقيل: لم يصرح به أحد منهم، ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتاً، وقالوا: لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح؛ فنسب إليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم، وتفضيحاً لمعتقدهم. ﴿قُلْ فَمَن

تفسير للكتاب والنور، بناء على أن العطف فيه للتفسير، وقيل: المراد بالنور: الإسلام، وعليه فما ذكر تفسير للكتاب فقط **[فإنه الكاشف..]** إلى آخره[١]. تعليل لتسمية القرآن بالنور وبالكتاب ففي كلامه لف ونشر مرتب.

[وقيل: يريد بالنور: محمد ﷺ] قال الطيبي: والأول يعني: أن المراد به القرآن أوفق لتكرير قوله: قد جاءكم بغير عاطف **[لم يصرح به]**؛ أي: بأن الله هو

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٦/٩٨].

۞ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئاً. ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ﴾ احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره: أن المسيح مقدور مقهور، قابل للفناء كسائر الممكنات؛ ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره، والمعنى: أنه تعالى قادر على الإطلاق؛ يخلق من غير أصل: كما خلق السمٰوات والأرض، ومن أصل: كخلق ما بينهما، فينشئ من أصل ليس من جنسه: كآدم خلقه من تراب، وكثير من الحيوانات، ومن أصل يجانسه: إما من ذكر وحده كحواء، أو من أنثى وحدها كعيسى، أو منهما كسائر الناس.

﴿١٨﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ أشياع ابنيه عزير

المسيح [فمن يمنع من قدرته] فسر كـ«الكشاف»[١] هنا «يملك» بـ«يمنع»، وفي الأحقاف بـ«يقدر» وكل من التفسيرين مجاز، إذ «حقيقة الملك»: كما قال التفتازاني: الضبط والحفظ عن حزم، يقول: ملكت الشيء إذا دخل تحت ضبطك دخولاً تامّاً، وهذا يستلزم قدرة مالك الشيء على التصرف فيه ومنع غيره من التصرف فيه، ويحتمل أن يكون تفسيره بالقدرة حقيقة تقول: «لن أملك رأس البعير» إذا لم تستطعه، فيكون الملك مشتركاً وتفسيره بالقدرة ثم حقيقة[٢] [﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨]] العطف فيه على بابه بتقدير مضاف في الأبناء؛ أي: «أبناء رسل الله» أو هو عطف تفسير، وفسر ذلك بقوله: [أشياع ابنيه]؛ أي: اتباع

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٥١].

(٢) انظر: التوقيف، المناوي [ص٦٧٥].

۞ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾.

والمسيح؛ كما قيل لأشياع ابن الزبير: الخُبَيْبُونَ، أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم، وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران. ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾؛ أي: فإن صحَّ ما زعمتم! فلم يعذبكم بذنوبكم؟! فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه، وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ، واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ ممن خلقه الله تعالى. ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم من آمن به وبرسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ وهم من كفر، والمعنى: أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عنده ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ كلها سواء في كونها خلقاً وملكاً له ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته.

١٩ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾؛ أي: الدين؛ وحُذِفَ لِظُهورِه، أو ما كتمتم؛ وحُذِفَ لتَقَدُّم ذكره، ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى: يبذل لكم البيان، والجملة في موضع الحال؛ أي: جاءكم رسولنا مبيناً لكم. ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ متعلق بـ(جاءكم)؛ أي:

ابني الله [كما قيل لأشياع ابن الزبير]؛ أي: لاتباع عبد الله بن الزبير [الخبيبون]؛ لأنه كان يكنى أبا خبيب باسم ابيه خبيب قال الشاعر:

قَدْنِيَ مِنْ نَصرِ الخُبَيْبَيْنِ(١) قَدِي ....

[روي بلفظ التثنية] يريد: ابن الزبير وابنه، وبلفظ الجمع: يريد أبا خبيب واتباعه [أو مقربون] عطف على أشياع ابنيه [والجملة]؛ أي: جملة يبين لكم [أي:

---

(١) تكملته:

..قَدِي لَيسَ الإمامُ بالشَّحِيحِ المُلْحِدِ

البيت لأبي نخيلة حميد بن مالك الأرقط. انظر: لسان العرب، ابن منظور [١/ ٣٤١].

جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي، أو يبين حال من الضمير. ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ كراهة أن تقولوا ذلك، وتعتذروا به. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: لا تعتذروا

جاءكم على حين فتور] أشار به إلى أن تعلق على «فترة» بـ«جاءكم»، تعلق الظرفية، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وزاد غيره أنه حال من ضمير «لكم»، و«الفترة»: من فَتَر الشيء إذا سكنت حدته، وسميت المدّة التي بين الأنبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بترك الشرائع(١)، وسيأتي في كلامه بيان مدة ما بين موسى وعيسى(٢) وما بين عيسى ومحمد ﷺ.

[أو يبين] عطف على «بجاءكم» **[حال]** خبر مبتدأ محذوف؛ أي: وهو أي: «على فترة» حال **[من الضمير]** فيه؛ أي: في «يبيِّن» ومراده بالتعلق فيه: التعلق المعنوي لا اللفظي وإلّا فالحال متعلق بمحذوف واجب الحذف، ولو قال: أو حال ليكون عطفاً على متعلق، كان أولى، وأفاد إعراباً ثالث(٣) لعلى فترة. **[كراهة أن تقولوا]** أشار به إلى «أن تقولوا» في موقع المفعول له.

[﴿قَدْ جَآءَكُمْ﴾ متعلق بمحذوف] قال التفتازاني: أي: محذوف تفصح عنه الفاء، ويقيد بيان سببه كالتي تذكر بعد الأوامر والنواهي بياناً لسبب الطلب، لكن كمال حسنها وفصاحتها أن تكون مبنية على التقدير مبنية عن المحذوف بخلاف قولك: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ﴾ [الحجر: ٩٩]؛ فالعبادة حقٌّ له ولكون مبنى الفاء الفصيحة على الحذف اللازم بحيث لو ذكر لم يكن بتلك الفصاحة تختلف العبارة في تقدير المحذوف فتارة أمراً أو نهياً كما في هذه الآية، وتارة شرطاً كما في قوله تعالى: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]، وتارة معطوفاً عليه، كما في قوله: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠] وقد يصار إلى تقدير القول كما ذكر في قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩] أن هذه المفاجأة حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها حذف القول وجعل هذه الآية من ذلك القبيل(٤).

---

(١) انظر: المصباح المنير، الفيومي [٢/ ٤٦١].

(٢) عبارة: (وما بين عيسى) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٣٦٣].

(٤) انظر: روح المعاني، الألوسي [٦/ ١٠٤].

۞ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

بـ(مَا جاءَنا)! فقد جاءكم. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الإرسال تترى؛ كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ إذْ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي، وعلى الإرسال على فترة؛ كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة سنة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء - ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي -، وفي الآية امتنان عليهم؛ بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه.

﴿٢٠﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ فأرشدكم وشرفكم بهم، ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء. ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؛ أي: وجعل منكم أو فيكم، وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتى قتلوا: يحيى! وهمّوا بقتل عيسى! عليه السلام، وقيل: لما كانوا مملوكين في أيدي القبط؛ فأنقذهم الله وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سماهم ملوكاً. ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من فَلْق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، ونحوها

[أو خمسمائة وتسع وستون سنة]، قال غيره: أو خمسمائة وستون؛ وقيل: خمسمائة وأربعون؛ وقيل: أربعمائة ونيف وستون [وأربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب] هو ما في «الكشاف»[1] وغيره وقال غيرهم: أربعة أنبياء من بني إسرائيل وواحد من العرب.

[وقيل: لما كانوا مملوكين..] إلى آخره. المجاز على هذا في لفظ الملوك[2] وعلى الأول في إثبات الملك للكل وإنما هو للبعض [ونحوهما] في نسخة.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٥٣].

(٢) في نسخة [ج]: (المملوك).

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

مما آتاهم الله، وقيل: المراد بالعالمين: عالمي زمانهم.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين. وقيل: الطور وما حوله. وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن. وقيل: الشام. ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ قسمها لكم، أو كتب في اللوح أنها تكون مسكناً لكم، ولكن إن آمنتم وأطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ [المائدة: ٢٦]. ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ ولا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبابرة قيل: لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا: ليتنا متنا بمصر، تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلى مصر، أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان، وعدم الوثوق على الله تعالى. ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ ثواب الدارين، ويجوز في ﴿فَتَنقَلِبُواْ﴾ الجزم على العطف والنصب على الجواب. ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ متغلبين لا تتأتى مقاومتهم، والجبَّار فَعَّال من جبره على الأمر؛ بمعنى: أجبره، وهو الذي يجبر الناس على ما يريده ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ إذ لا طاقة لنا بهم.

﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ كالب ويوشع ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾؛ أي:

«ونحوها» وهي أَوْلى [وبعض الأردُنّ] هي بضم الدال وتشديد النون اسم نهر وكورة بالشام قاله الجوهري[(١)] [كالب] بفتح اللام وكسرها.

---

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي [٣٥/ ٨٤/ مادة: ردن].

۞ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٥﴾.

يخافون الله ويتقونه. وقيل: كانا رجلين من الجبابرة أسلما وسارا إلى موسى، فعلى هذا (الواو) لبني اسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف؛ أي: من الذين يخافهم بنو إسرائيل، ويشهد له أنه قرئ (الذين يُخَافُونَ) بالضم؛ أي: المخوفين، وعلى المعنى الأول يكون هذا من الإخافة؛ أي: من الذين يخوفون من الله بالتذكير، أو يخوفهم الوعيد. ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض. ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ باب قريتهم؛ أي: باغتوهم، وضاغطوهم في المضيق، وامنعوهم من الأصحار. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ﴾ لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم أجسامهم، ولأنهم أجسام لا قلوب فيها، ويجوز أن يكون علمهما بذلك من إخبار موسى وقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] أو مما علما من عادة الله ﷻ في نصرة رسله، وما عهدا من صنعه لموسى في قهر أعدائه. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: مؤمنين به ومصدقين بوعده.

٢٤ - ٢٥ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد. (مَّا دامُوا فِيها) بدل من (أبداً) بدل البعض. ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله، وعدم مبالاة بهما، وقيل: تقديره: اذهب أنت وربك يعينك. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ﴾ قاله شكوى بثه وحزنه إلى الله تعالى لما خالفه قومه

[باغتوهم]؛ أي: خذوهم بغتة [من الإصحار]؛ أي: من الدخول في الصحاري [عليهم] متعلق بـ«تعسر» لا بـ«الكر».

۞ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

وأيس منهم، ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران؛ وإن كانا يوافقانه لم يثق بهما لما كابد من تلوُّنِ قومه، ويجوز أن يراد بأخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه، ويحتمل نصبه عطفاً على نفسي، أو على اسم أن ورفعه عطفاً على الضمير في (لا أَمْلِكُ)، أو على محل إن واسمها، وجره عند الكوفيين عطفاً على الضمير في نفسي. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بأن تحكم لنا بما نستحقه، وتحكم عليهم بما يستحقون، أو بالتبعيد بيننا وبينهم، وتخليصنا من صحبتهم.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ فإن الأرض المقدسة. ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم. ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ عامل الظرف إما محرمة؛ فيكون التحريم موقتاً غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، ويؤيد ذلك ما روي: (أن موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقي من بني إسرائيل ففتح أريحاء، وأقام بها ما شاء الله ثم قبض، وقيل: إنه قبض في التيه، ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي، وأن الله تعالى أمره بقتال الجبابرة، فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني إسرائيل، وإما يتيهون؛ أي: يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقاً فيكون التحريم مطلقاً، وقد قيل: لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال: إنا لن ندخلها بل هلكوا في التيه، وإنما قاتل الجبابرة أولادُهم). روي: (أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء،

[ورفعه عطفاً على الضمير في ﴿لَا أَمْلِكُ﴾] مجاز زاد «الكشاف»[1] وجاز للفصل [عامل الظرف]؛ أي: هو قوله: أربعين سنة.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/٦٥٦].

۞ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمام يظلهم من الشمس، وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم، وكان طعامهم المن والسلوى، وماؤهم من الحجر الذي يحملونه، والأكثر على أن موسى وهارون كانا معهم في التيه؛ إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وزيادة في درجتهما، وعقوبة لهم، وأنهما ماتا فيه؛ مات هارون، وموسى بعده بسنة. ثم دخل يوشع أريحاء بعد ثلاثة أشهر، ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع). ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم، وبيَّن أنهم أحقاء بذلك لفسقهم.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ قابيل وهابيل، أوحى الله سبحانه وتعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر، فسخط منه قابيل؛ لأنّ توأمته كانت أجمل، فقال لهما آدم: قرِّبا قرباناً فمن أيكما قُبِلَ تزوجها، فَقُبِلَ قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته، فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل. وقيل: لم يرد بهما ابني آدم لصلبه، وأنهما رجلان من بني اسرائيل، ولذلك قال: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢]. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ صفة مصدر محذوف؛ أي: تلاوة ملتبسة بالحق، أو حال من الضمير في اتل، أو من نبأ؛ أي: ملتبساً بالصدق موافقاً لما في كتب الأولين ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ ظرف للنبأ، أو حال منه، أو بدل على حذف المضاف؛ أي: واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت، والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة أو

[روحاً لهما]؛ أي: راحة لهما [توأم الآخر]؛ أي: هو من ولد مع الآخر [فَمِنْ أَيِّكُما قَبِلَ]؛ أي: قربانَه [وفعل ما فعل]؛ أي: مِنْ قتلِهِ أخاه [وإنهما]. وفي نسخة: «وإنما هما» [أو بدل على حذف مضاف]؛ أي: ليصح كونه متلوا وإلا فمجرد الظرفية كافٍ في الإبدال لحصول الملابسة، قاله التفتازاني.

۞ ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

غيرها، كما أن الحلوان اسم ما يحلى به؛ أي: يعطى، وهو في الأصل مصدر ولذلك لم يُثَنَّ، وقيل: تقديره: إذ قرب كل واحد منهما قرباناً. قيل: كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده، وهابيل صاحب ضرع وقرب جملاً سميناً. ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ لأنه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص النية في قربانه، وقصد إلى أخس ما عنده ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾ توعده بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ولذلك ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ في جوابه؛ أي: إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني، وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره، ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً، لا في إزالة حظه؛ فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه، وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن مُتَّقٍ ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قيل: كان هابيل أقوى منه، ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله تعالى؛ لأن الدفع لم يبح بعد، أو تحرياً لما هو الأفضل قال عليه الصلاة والسلام: «**كُنْ عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل**». وإنما قال: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾ في جواب ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأساً، والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه، ولذلك أكد النفي بالباء.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ

[**وقرب حَمَلاً**] هو بحاء مهملة وبفتح الميم الواحد من الضأن، وعبارة «القاموس»: الخروف أو الجذع من أولاد الضأن فما دونه[1]. [**ولذلك قال**]؛ أي: هابيل [**لا في إزالة حظه**]؛ أي: حظ المحسود [**وإنما قال: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾** [المائدة: ٢٨] **في جواب ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾**..] إلى آخره. جواب ما يقال لم جاء الشرط للفظ

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [ص١٢٧٧].

وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة، والمعنى: إنما استسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي، وإثمك ببسطك يدك إلي، ونحوُه: «المستبان ما قالا؛ فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم». وقيل: معنى بإثمي؛ بإثم قتلي، وبإثمك الذي لم يتقبل لأجله قربانك، وكلاهما في موضع الحال؛ أي: ترجع ملتبساً بالإثمين حاملاً لهما، ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته؛ بل قصده بهذا الكلام إلى أن ذلك إن كان لا محالة واقعاً فأريد أن يكون الإثم لك لا لي، فالمراد بالذات أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه، ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته؛ وإرادة عقاب العاصي جائزة. ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع. وقرئ: (فطاوعت) على أنه فاعل بمعنى فعل، أو على أن (قَتْلَ أَخِيهِ) كأنه دعاها

الفعل، والجواب بلفظ اسم الفاعل على وصف قائم بالذات [ونحوه] مبتدأ خبره ما بعده؛ أي: ونحوه في أن البادي بالسب عليه إثم سبه ومثل إثم سبه صاحبه لأنه كان سبباً فيه.

[«المستبان ما قالا..»] إلى آخره. حديث رواه مسلم[1]. و«المستبان» مبتدأ خبره الجملة الشرطية بعدهُ ويجوز أن تكون «ما» موصولة فتكون مبتدأ خبره فعلى البادي؛ ودخلت الفاء فيه لتضمّن الشرط معنى العموم؛ و«ما» في «ما لم يعتد» مصدرية ظرفية، والمعنى: المستبان الذي قالاه استقر ضررهُ على الذي بدأ بالسب؛ مدة عدم اعتداء المظلوم؛ أي: ما دام لم يظلم ولم يتجاوز حد المكافأة فإذا جاوز استقر ضرر ما قالاه عليهما معاً.

[فالمراد بالذات أن لا يكون]؛ أي: الإثم [له لا أن يكون لأخيه]؛ أي: وإن خالفه ظاهر قوله فأريد أن يكون لك لا لي؛ ولهذا قال بالذات [على أنه فاعل بمعنى فعل]؛ أي: بالتشديد فيكون بمعنى طوعت نحو ضاعفت وضعفت.

[أو على أن قتل أخيه كأنه دعاه] عبارة «الكشاف»[2]: كأنه دعا نفسه؛ أي:

---

(١) صحيح مسلم [٤/ ٢٠٠٠/ برقم: ٢٥٨٧]. (٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٥٩].

۞ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾.

إلى الإقدام عليه فطاوعته، وله لزيادة الربط كقولك: حفظت لزيد ماله. ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ديناً ودنيا، إذ بقي مدة عمره مطروداً محزوناً. قيل: قتل هابيل؛ وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء. وقيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم.

٣١ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾ روي: (أنه لما قتله تحيّر في أمره؛ ولم يدر ما يصنع به؟ إذ كان أول ميت من بني آدم! فبعث الله غرابين فاقتتلا؛ فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه، ثم ألقاه في الحفرة. والضمير في (ليرى) لله تعالى، أو للغراب، و(كيف) حال من الضمير في (يُوارِي)، والجملة ثاني مفعولي يرى! والمراد بـ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾ جسده الميت؛ فإنه مما يستقبح أن يرى ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة جَزَع وتَحَسُّر، والألف فيها بدل من ياء المتكلم. والمعنى: يا ويلتي احضري فهذا أوانك! والويل والويلة: الهلكة ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ

كأن قتل أخيه دعا نفس القاتل [**إلى الإقدام عليه**]؛ أي: على قتله والنفس تأباه فكل من القتل والنفس كأنه يريد من صاحبه أن يطاوعه إلى أن غلب القتل النفس [**فطاوعته**] عليه. والحاصل: أن المصنف كـ«الكشاف» حاول أن فاعل في قراءة «**طاوعت**» بمعنى: فعل أو باق على معناه بالتقدير المذكور(١).

[**وله**]؛ أي: على التفسير الثاني [**لزيادة الربط**]؛ لأن المعنى عليه فامتثلت نفسه قتل أخيه، فلا يكون له إلا للزيادة بخلافه على الأول؛ لأن المعنى عليه فوسعت له نفسه قتل أخيه فلا يتم المعنى بدون له [**كقولك «حفظت لزيد ماله»**] الأصل «**حفظت مال زيد**» [**والضمير في «لِيُرِيَ»**]؛ أي: ضمير الفاعل.

---

(١) **الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٥٩].**

۞ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ لا أهتدي إلى مثل ما أهتدى إليه، وقوله: ﴿فَأُوَٰرِىَ﴾ عطف على (أَكُونَ) وليس جواب الاستفهام، إذ ليس المعنى: إن عجزت لواريت، وقرئ بالسكون على فأنا أواري، أو على تسكين المنصوب تخفيفاً ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره، وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ما قيل، وتلمذه للغراب واسوداد لونه، وتبرئ أبويه منه، إذ روي: (أنه لما قتله اسودَّ جسده، فسأله آدم عن أخيه، فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته؛ ولذلك اسودَّ جسدك، وتبرأ منه، ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك، وعدم الظفر بما فعله من أجله).

﴿٣٢﴾ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بسببه قضينا عليهم، و(أجل) في الأصل مصدر (أجل شراً) إذا جناه؛ استعمل في تعليل الجنايات كقولهم: من جراك فعلته؛ أي: من أن جررته؛ أي: جنيته، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل، و(من) ابتدائية متعلقة بـ(كتبنا)؛ أي: ابتداء الكتب ونشاؤه من أجل ذلك ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أو بغير فساد فيها؛ كالشرك أو قطع الطريق. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل، وجرأ الناس عليه، أو من حيث أن قتل الواحد

[وعدم الظفر..] إلى آخره. عطف على «التحير»، وفيه قلاقة أوجبها تقديم تعليل [الاسوداد] والتبرّي عليه [أو التقدير ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: ٣٢]]؛ أي: فعل قابيل [منْ جَرَّاك فعلته]؛ أي: من جريرتك وأجلك؛ أي: من كسبك وجنايتك

۞ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾.

وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم. ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾؛ أي: ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل، أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة؛ فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيباً عن التعرض لها، وترغيباً في المحاماة عليها. ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾؛ أي: بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية، وأرسلنا إليهم الرسل بالآيات الواضحة؛ تأكيداً للأمر وتجديداً للعهد كي يتحاموا عنها، وكثير منهم يسرفون في الأرض بالقتل ولا يبالون به، وبهذا اتصلت القصة بما قبلها، والإسراف التباعد عن حد الاعتدال في الأمر.

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: يحاربون أولياءهما؛ وهم المسلمون، جعل محاربتهم محاربتهما تعظيماً. وأصل (الحرب): السلب، والمراد به هاهنا: قطع الطريق. وقيل: المكابرة باللصوصية وإن كانت في مصر ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾؛ أي: مفسدين، ويجوز نصبه على العلة، أو المصدر؛ لأن سعيهم كان فساداً فكأنه قيل: ويفسدون في الأرض فساداً. ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾؛ أي: قصاصاً من غير صلب إن أفردوا القتل. ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾؛ أي: يصلبوا مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال، وللفقهاء خلاف في أنه يقتل ويصلب، أو يصلب حيّاً ويترك أو يطعن حتى يموت. ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى؛ إن أخذوا المال ولم يقتلوا. ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾أو ينفوا من بلد إلى بلد؛ بحيث لا يمكنون من القرار في موضع إن

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾﴾.

اقتصروا على الإخافة. وفسر أبو حنيفة النفي: بالحبس، و(أو) في الآية على هذا للتفصيل، وقيل: إنه للتخيير، والإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق. ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ ذل وفضيحة. ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أما القتل قصاصاً فإلى الأولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه، وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة؛ يدل على أنها بعد القدرة لا تسقط الحد وإن أسقطت العذاب، وأن الآية في قطاع المسلمين لأنَّ توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾؛ أي: ما يتوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي، من (وسل إلى كذا) إذا تقرب إليه، وفي الحديث: «**الوسيلة منزلة في الجنة**». ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ بالوصول إلى الله تعالى والفوز بكرامته.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من صنوف

[**وفي الحديث: «الوسيلة منزلة في الجنة»**]. رواه مسلم(١).

---

(١) صحيح مسلم [١/ ٢٨٨/ برقم: ٣٨٤].

۞ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾.

الأموال ﴿جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم. ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ و(اللام) متعلقة بمحذوف تستدعيه (لو)، إذ التقدير: لو ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وتوحيد الضمير في (به) والمذكور شيئان: إما لإجرائه مجرى اسم الإشارة في نحو قوله تعالى: ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة: ٦٨] أو لأن (الواو) في (ومثله) بمعنى: (مع). ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ﴾ جواب (لو)، و(لو) بما في حيزه خبر (إن)، والجملة تمثيل للزوم العقاب لهم، وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ تصريح بالمقصود منه، وكذلك قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ وقرئ (يُخْرَجُوا) من (أُخْرِج) وإنما قال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾ بدل (وما يخرجون) للمبالغة.

٣٨ - ٣٩ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ جملتان عند

[**والمذكور شيئان**] جملة في محل الحال [**أو لأن الواو في ومثله بمعنى مع**] لا يقال هذا يؤدي إلى أن يصير التركيب مع مثله معه؛ فلا فائدة لذكر معه لأنا نقول فائدة التوكيد مع أن التقدير ليس كالتصريح، فقد يجوز التقدير ويمتنع التصريح كقولهم: «رب شاة وسخلتها»، فإنه جائز مع تقدير «ربَّ» في المعطوف؛ وإن امتنع التصريح بها فيه إذ لا يقال: «ربَّ سخلتها» [**والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم**] تبع فيه «الكشاف»[1]، قال التفتازاني: لم يرد به الاستعارة التمثيلية؛ بل إيراد مثال وحكم يفهم منه لزوم العذاب لهم؛ أي: لم يقصد بهذا الكلام إثبات هذه الشرطية بل انتقال الذهن منه إلى هذا المعنى، وبهذا الاعتبار يقال: إنه كناية، قال: ويمكن

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٦٢].

سيبويه؛ إذ التقدير: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة؛ أي: حكمهما، وجملة عند المبرد. والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط إذ المعنى: والذي سرق والتي سرقت، وقرئ بالنصب وهو المختار في أمثاله؛ لأن الإنشاء لا يقع خبراً إلا بإضمار وتأويل. والسرقة: أخذ مال الغير في خفية، وإنما توجب القطع إذا كانت من حرز، والمأخوذ ربع دينار، أو ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**القطع في ربع دينار فصاعداً**». وللعلماء خلاف في ذلك؛ لأحاديث وردت فيه، وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح، والمراد بالأيدي: الأيمان؛ ويؤيده قراءة ابن مسعود:

تنزيله على التمثيل الاصطلاحي بأن يقال حالهم في عدم التقصي عن الجواب بمنزلة حال من يكون له أمثال ما في الأرض يحاول بها التخلص من العذاب ولا يتقبل منه ولا يخلص [إذ التقدير]؛ أي: تقدير الجملة الأولى: [فيما يتلى عليكم..] إلى آخره. والثانية: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] [لتضمنها]؛ أي: الجملة والأولى لتضمنها؛ أي: السارق والسارقة بقرينة قوله [إذا المعنى..] إلى آخره.

[وهو المختار في أمثاله]؛ أي: من وقوع خبر المبتدأ إنشاء [لأن الإنشاء لا يقع إلا خبراً، إلا بإضمار وتأويل] نحو قولك: في الآية مقول فيه «اقطعوا» سواء دخلت الفاء على الإنشاء كما في الآية أم لا، كما في «زيد اضربه» وما اختاره كالزمخشري[1] من النصب يجب حمله على ما إذا تجرد الإنشاء عن الفاء، أو لم تقتض الفاء استحقاقه للمبتدأ كـ«زيد فاضرب به» أما إذا اقتضت ذلك فالمختار الرفع كما في الآية، وكما في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ﴾ [النور: ٢] وقوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦]؛ فالقصد في الرفع مع وجود الفاء استحقاق المرفوع للخبر[2]؛ كما في الأمثلة المذكورة وفي النصب مطلقاً الاختصاص مع التوكيد كما في قوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] [«**القطع في ربع دينار فصاعداً**»]. رواه الشيخان[3].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٦٤].

(٢) انظر: الكامل في الأدب، المبرد [٢/ ١٧٦].

(٣) صحيح البخاري [٦/ ٢٤٩٢/ برقم: ٦٤٠٧]، صحيح مسلم [٣/ ١٣١١/ برقم: ١٦٨٤].

۞ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

(أيمانهما)، ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] اكتفاء بتثنية المضاف إليه، واليد اسم تمام العضو، ولذلك ذهب الخوارج إلى أن المقطع هو المَنْكِب، والجمهور على أنه الرسغ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام: (أتي بسارق فأمر بقطع يمينه منه). ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ منصوبان على المفعول له، أو المصدر، ودل على فعلهما (فاقطعوا) ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ﴿فَمَن تَابَ﴾ من السُرَّاق ﴿مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾؛ أي: بعد سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره بالتقصي عن التبعات والعزم على أن لا يعود إليها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة. وأما القطع فلا يسقط بها عند الأكثرين؛ لأن فيه حق المسروق منه.

﴿٤٠﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسّلام، أو لكل أحد. ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قدم التعذيب على المغفرة آتيا على ترتيب ما سبق، أو لأن استحقاق التعذيب مقدم، أو لأن المراد به القطع وهو في الدنيا.

[ولذلك]؛ أي: ولأجل التعبير «بإيمانهما» وليس لهما إلا «يمينان». وإن كان لهما أيد [ساغ وضع الجمع موضع المثنى]؛ أي: وضع «الأيدي» موضع «اليدين»؛ لأن المراد «الأيمان» وليس لهما إلا «يمينان» وبهذا صح تنظير ذلك بقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] [ودل على فعلهما ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟﴾]؛ أي: لأن اقطعوا في معنى جازوهما ونكلوا بهما [على ترتيب ما سبق]؛ أي: من تقديم القطع على التوبة، ففي الآية لف ونشر مرتب.

[أو لأن استحقاق التعذيب مقدم]؛ أي: على استحقاق العفو

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾.

---

(٤١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: صنيع الذين يقعون في الكفر سريعاً؛ أي: في إظهاره؛ إذا وجدوا منه فرصة. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾؛ أي: من المنافقين، والباء متعلقة بـ(قالوا) لا بـ(آمنا)، و(الواو) تحتمل الحال والعطف. ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ عطف على (مِنَ الَّذِينَ قالُوا) ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم سماعون، والضمير للفريقين، أو للذين يسارعون، ويجوز أن يكون مبتدأ، و(من الذين) خبره؛ أي: ومن اليهود قوم سماعون، واللام في للكذب، إما مزيدة للتأكيد، أو لتضمين السماع معنى القبول؛ أي: قابلون لما تفتريه الأحبار، أو للعلة والمفعول محذوف؛ أي: سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه. ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ

[والباء متعلقة بـ«قالوا» لا بـ«آمنا»]؛ أي: لفساد الثاني لفظاً ومعنى كما قاله التفتازاني [والضمير]؛ أي: في «سمّاعون» [للفريقين]؛ أي: «للذين قالوا آمنا بأفواهم وللذين هادوا» [أو للذين يسارعون] لا مغايرة بين القولين إلا باللفظ أما في المعنى فهما واحد إذ المبين عين[1] المبين [أو للتضمين] ظاهره أو مزيدة للتضمين[2]، وكذا قوله: «أو للعلة» فيه تسمح لأن اللام عليهما ليست زائدة فينبغي

---

(١) في نسخة [ب]: (غير).

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٦/ ١٣٩].

﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾؛ أي: لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك؛ تكبراً وإفراطاً في البغضاء، والمعنى على الوجهين؛ أي: مصغون لهم قابلون كلامهم، أو سماعون منك لأجلهم والإنهاء إليهم، ويجوز أن تتعلق اللام بالكذب لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد؛ أي: سماعون ليكذبوا لقوم آخرين. ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؛ أي: يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، إما لفظاً: بإهماله، أو تغيير وضعه، وإما معنى: بحمله على غير المراد، وإجرائه في غير مورده، والجملة صفة أُخْرى لـ(قوم)، أو صفة لـ(سماعون)، أو حال من الضمير فيه، أو استئناف لا موضع له، أو في موضع الرفع: خبر لمحذوف؛ أي: هم يحرفون وكذلك ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾؛ أي: إن أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم محمد بخلافه ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾؛ أي: احذروا قبول ما أفتاكم به. روي: (أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة، وكانا محصنين فكرهوا رجمهما، فأرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة؛ ليسألوا رسول الله ﷺ عنه وقالوا: إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا، فأمرهم بالرجم فأبوا عنه، فجعل ابن صوريا حكماً بينه وبينهم، وقال له: **أنشدك الله الذى لَا إِلٰه إلا هو؛ الذي فلق البحر لموسى، ورفع فوقكم الطور، وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه؛ هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟** قال: نعم! فوثبوا عليه! فقال: خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب! فأمر رسول الله ﷺ بالزانيين

أن يكون التقدير: أو هي للتضمين أو العلة. [﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]] بعد زائدة فتساوي قوله في النساء: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [٤٦].

[روي: «أن شريفاً من خيبر زنا بشريفة..»] إلى آخره. رواه البيهقي بدون من خيبر[١]. و«التحميم»: تسويد الوجه من الحُمة بالضم والتشديد وهي السواد

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي [٦/ ٦٦].

۞ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

فرجما عند باب المسجد. ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ ضلالته أو فضيحته ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فلن تستطيع له من الله شيئاً في دفعها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر، وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة. ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ هو أن بالجزية والخوف من المؤمنين. ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الخلود في النار، والضمير للذين هادوا إن استأنفت بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ﴾ وإلا فللفريقين.

﴿٤٢﴾ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرره للتأكيد. ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾؛ أي: الحرام كالرشى من سحته إذا استأصله؛ لأنه مسحوت البركة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان (كالعنق) و(العنق)، وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر. ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تخيير لرسول الله ﷺ إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض؛ ولهذا قيل: لو تحاكم كتابيان إلى القاضي لم يجب عليه الحكم، وهو قول للشافعي، والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذمياً؛ لأنا التزمنا الذب عنهم، ودفع الظلم منهم، والآية ليست في أهل الذمة، وعند أبي حنيفة: يجب مطلقاً. ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ بأن يعادوك لإعراضك عنهم؛ فإن الله يعصمك من الناس. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل الذي أَمَرَ الله بِهِ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ فيحفظهم ويعظم شأنهم.

[﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر] إذ لو أراده لوقع [وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة]؛ أي: بأنه أراد ذلك [على لفظ المصدر]؛ أي: وهو بمعنى

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به، والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم، وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع، وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم، وإن لم يكن حكم الله تعالى في زعمهم، ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ حال من (التوراة) إن رفعتها بالظرف، وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه، وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظاً كـ(موماة) و(دوداة). ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ﴾ ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم، وهو عطف على (يحكمونك) داخل في حكم التعجيب. ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم لإعراضهم عنه أولاً، وعما يوافقه ثانياً، أو بك وبه.

﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ يهدي إلى الحق. ﴿وَنُورٌۚ﴾ يكشف ما اشتبه من الأحكام. ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾؛ يعني: أنبياء بني إسرائيل، أو موسى ومن بعده؛ إن قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ،

المفعول [وتأنيثها]؛ أي: التوراة [لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم] إنما قال هذا لأن «التوراة» اسم أعجمي وتاء التأنيث إنما تكون في العربي[1] قاله التفتازاني.

[كـ«موماة»] قال الجوهري: هي المفازة والجمع الموامي، وأصلها مَوْمَوَة على «فَعْلَلَة» وهو مضاعف قُلبت واوه ألفاً؛ أي: لتحركها وانفتاح ما قبلها[2]. [ودوداة]

---

(١) الكليات، الكفومي [ص٣٨٠].
(٢) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٣٦].

وبهذه الآية تمسك القائل به. ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ صفة أجريت على النبيين مدحاً لهم، وتنويهاً بشأن المسلمين، وتعريضاً باليهود؛ وأنهم بمعزل عن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم. ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ متعلق بـ(أنزل)، أو بـ(يحكم)؛ أي: يحكمون بها في تحاكمهم، وهو يدل على أن [النبيين ـ النبيون] أنبياؤهم. ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم، عطف على النبيون ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾

قال التفتازاني: هي الأرجوحة التي يلعب بها الصبيان[(١)] **[وبهذه الآية تمسك القائل به]**؛ أي: بأن شرع من قبلنا شرع لنا، واستدل له بأنه تعالى قال إن في التوراة هدى ونوراً؛ والمراد هدى ونور في أصول الشرع وفروعه، ولو كان الحكم غير معتبر لما كان فيه هدى ونور، وضعف هذا الاستدلال بأنه يكفي في صدق كونها هدى ونوراً أن تكون هدىً ونوراً قبل النسخ.

[﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة: ٤٤] **صفة أجريت على النبيين مدحاً لهم..**] إلى آخره. تبع فيه «الكشاف»[(٢)]. قال التفتازاني: اعترض عليه بأن النبوة أعظم من الإسلام، فكيف يمدح نبي بأنه رجل مسلم؟ فالوجه أنه للتنويه شأن الصفة وللتنبيه على عظيم قدرها، حيث وصف بها عظيم كما وصف الأنبياء بالصلاح والملائكة بالإيمان فإن أوصاف الأشراف، أشراف الأوصاف وإلّا فلا خفاء في أن النزول من الأعلى إلى الأدنى قصوراً في البلاغة[(٣)]، وأطال في نقل بيان ذلك إلى أن قال: وما ذكرنا من تعظيم الوصف إنما يقتضي كونه في نفسه صفة مدح، لا أن يكون إيراده لقصد مدح الموصوف وحمل كلام المصنف على هذا المعنى؛ أي: على سبيل مدح الصفة بهم بعيداً جدّاً. قال: والجواب: أن المراد أنها صفة أجريت عليهم على طريق المدح دون التخصيص أو التوضيح لكن لا لقصد المدح ليلزم ما ذكرتم بل لقصد التعريض باليهود وأنهم براء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم[(٤)].

---

(١) انظر: المحيط في اللغة، ابن عباد [٤٧٨/٥]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٦٦٩/١].
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١٨٨/٦].
(٤) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣٩٣/٣].

۞ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

بسبب أمر الله إياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف، والراجع إلى ما محذوف و(من) للتبيين ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ رقباء لا يتركون أن يغيروا، أو شهداء يبينون ما يخفى منه؛ كما فعل ابن صوريا. ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ نهي للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم، أو مراقبة كبير. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى﴾ ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾ هو الرشوة والجاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مستهيناً به منكراً له ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره، ولذلك وصفهم بقوله: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، فكفَّرهم لإنكاره، وظلمهم بالحكم بخلافه، وفسقهم بالخروج عنه. ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث؛ باعتبار حال انضمت إلى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها، أو لطائفة؛ كما قيل: هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى.

﴿٤٥﴾ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وفرضنا على اليهود ﴿فِيهَآ﴾ في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾؛ أي: أن النفس تقتل بالنفس ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ

[بسبب أمر الله إياهم] بيان لحاصل المعنى من تعليق الحكم بالوصف لا لكون «ما» مصدرية، وإلّا لنافاه جعله «مِنْ» للتبيين المقتضى لجعله «ما» موصولة بقرينة قوله: والراجع لِـ«ما» محذوف [يداهنوا]؛ أي: يصانعوا ويلاينوا [كما قيل] راجع لقوله: «أو لطائفة» [هذه]؛ أي: آية ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] [في المسلمين..] إلى آخره. اعترض بأنه يلزم على هذا أن يكون المسلمون أسوأ حالاً من اليهود والنصارى، وأجيب بأن المسلم إذا نسب إليه الكفر حمل على

بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على (أن) وما في حيزها باعتبار المعنى، وكأنه قيل: وكتبنا عليهم النفس بالنفس، والعين بالعين، فإن الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول، أو جمل مستأنفة، ومعناها: وكذلك العين مفقوءة بالعين، والأنف مجدوعة بالأنف، والأذن مصلومة بالأذن، والسن مقلوعة بالسن، أو على أن المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله: ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾؛ وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالظرف، والجار والمجرور في فيها حال مبينة للمعنى، وقرأ نافع: (وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ) وفي (أُذْنَيه) بإسكان الذال حيث وقع. ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾؛ أي: ذات قصاص، وقرأ الكسائي أيضاً بالرفع، ووافقه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل. ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من المستحقين ﴿بِهِۦ﴾ بالقصاص؛ أي: فمن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ فالتصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ للمتصدق يكفر الله به ذنوبه. وقيل: للجاني يسقط عنه ما لزمه. وقرئ: (فهو كفارته له)؛ أي: فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ﴾ مِن القصاص وغيره. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

التغليظ والتشديد، والكافر إذا وصف بالظلم والفسق أشعر بعتوه في الكفر وتمرده فيه.

[مجذومة] بمعجمه؛ أي: مقطوعة [مصلومة]؛ أي: مستأصلة[1]. [مفصول عنه بالظرف]؛ أي: بالجار والمجرور وهو بالنفس [والجار والمجرور]؛ أي: في المعطوفات على الضمير المستكن [على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل] لا يختص هذا بقراءة الرفع بل يأتي على قراءة النصب أيضاً.

---

(١) المخصص، ابن سيده [٤/٢٦].

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾؛ أي: وأتبعناهم على آثارهم، فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه، والضمير للنبيين. ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثاني عدي إليه الفعل بالباء ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ عطف عليه وكذا قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ويجوز نصبهما على المفعول له عطفاً على محذوف أو تعليقاً به وعطف. ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ (عليه) في قراءة حمزة،

[لدلالة الجار والمجرور عليه] أشار به إلى ما قاله «الكشاف»(١) على أن آثارهم كالساد مسد المحذوف؛ لأنك إذا قفيت بزيد على أثر عمرو فقد قفيت بزيد عمراً؛ أي: جعلت زيداً متبعاً عمراً.

[﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾] عطف على قفينا فلا محل له أو على مصدقاً فمحله نصب على الحال [ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفاً على محذوف] تقديره: وآتيناه الإنجيل تفضلاً وهدىً وموعظةً؛ أي: لأجلها [أو تعليقاً به]؛ أي: بمحذوف تقديره وآتيناه الإنجيل هدى وموعظة؛ أي: لأجلهما وعلى تقدير جعلهما مفعولين لهما قال(٢): [وعطف ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧] عليه]؛ أي: على قوله هدىً وموعظة [في قراءة حمزة] بكسر لام ليحكم ونصبه وإنما ذكرت اللام في ليحكم دون هدىً وموعظة لفوات شرط نصب المفعول له فيه دونهما وهو اتحاده مع عامله فاعلاً وزماناً إذ فاعل «الحكم» «أهلٌ» وزمانه مستقبل، وفاعل «الإيتاء» «الله» وزمانه ماض، بخلافهما في «هدى وموعظة» فإنهما متحدان فيهما(٣).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٧٢].

(٢) الإنصاف، أبو البركات ابن الأنباري [١/ ٥٢]. (٣) انظر: أحكام القرآن، الجصاص [٤/ ٩٧].

۞ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وعلى الأول اللام متعلقة بمحذوف؛ أي: وآتيناه ليحكم، وقرئ: (وأن ليحكم) على أَنَّ (أَنْ) موصولة بالأمر كقولك: أمرتك بأن قم؛ أي: وأمرنا بأن ليحكم. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ عن حكمه، أو عن الإيمان؛ إن كان مستهيناً به، والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه كان مستقلاً بالشرع وحملها على (وليحكموا بما أنزل الله فيه) من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر.

﴿٤٨﴾ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من جنس الكتب المنزلة، فإن اللام الأولى للعهد، والثانية للجنس ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ورقيباً على سائر الكتب بحفظه عن التغيير، ويشهد لها بالصحة والثبات، وقرئ على بنية المفعول؛ أي: هومن عليه

[وعلى الأول]؛ أي: وهو نصبها حالاً [اللام]؛ أي: في قراءة حمزة [متعلقة بمحذوف] هو ما قدرناه آنفاً، وقد صرح به في قوله: [أي: وآتيناه]، ولو صرح به ثم كان أولى [على أن «أن» موصولة بالأمر]؛ أي: بلام الأمر مع كسرها [كقوله: «أمرتك بأن قُم»..] إلى آخره. فموضع «أن» ومدخولها من الحكم الطلبي النصب على عطفاً على الإنجيل؛ أي: «وآتيناه الإنجيل»، والحكم الطلبي [على بنية المفعول]؛ أي: على صيغته [أي: هُوْمَن عليه] فـ«مهيمناً» بفتح الميم على القراءة الشاذة[1] لا ضمير فيه، وضمير «عليه» «للكتاب» الثاني في الآية، وبكسرها على

(١) عن ابن محيصن بفتح الميم الثانية. اتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٣٥٨].

وحوفظ من التحريف، والحافظ له هو الله تعالى، أو الحفاظ في كل عصر ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: بما أنزل الله إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه، فـ(عن) صلة لـ(لا تتبع) لتضمنه معنى: لا تنحرف، أو حال من فاعله؛ أي: لا تتبع أهواءهم مائلاً عما جاءك. ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ﴾ أيها الناس ﴿شِرۡعَةٗ﴾ شريعة؛ وهي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين؛ لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية. وقرئ بفتح الشين ﴿وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ وطريقاً واضحاً في الدين؛ من: (نهج الأمر) إذا وضح. واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة. ﴿وَلَوۡ شَآءَ

القراءة المشهورة. فيه ضمير يعود إلى «الكتاب» الأول فيها وضمير «عليه» إلى «الكتاب» الثاني.

[والحافظ له]؛ أي: على الشاذة[1] **[هو الله تعالى أو الحفاظ في كل عصر]** وعلى المشهورة صناعة هو الكتاب الأول في الآية وحقيقة هو الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ومجازاً الحفاظ في كل عصر[2] **[لتضمنه معنى لا تنحرف]**؛ أي: فتقدير: «لا تتبع» لا تنحرف، لا يقال: هذا مخالف لما عليه المعوّل في التضمين من إيقاع المضمر حالاً بأن يقال: «ولا تتبع منحرفاً عما جاءك من الحق» لأنا نقول ذاك غالب لا كلي؛ وإلّا فلهم في التضمين كما قال التفتازاني: عبارات مثل أن تجعل المضمر حالاً أو بالعكس أو غير ذلك مثل «أحمد إليك فلاناً»؛ أي: «أنهي إليك حمده»؛ لأن المقصود اعتبار معنى الفعلين كيف ما ناسب المقام مع أن المصنف لم يقدر شيئاً وإنما قال لتضمن «لا يتبع» معنى «لا ينحرف» فيجوز تقدير: «لا يتبع» بـ«لا تنحرف» كما قلنا، وبـ«لا تتبع منحرفاً»، وبلا تنحرف متبعاً[3] **[وهي الطريق إلى الماء]** خص الماء بالذكر لأنه سبب الحياة البدنية فناسب التشبيه المذكور عقبه **[واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة]** وجه الدلالة كما قال التفتازاني: أن الخطاب يعم الأمم،

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (الشهادة).

(٢) الإنصاف، أبو البركات ابن الأنباري [٢١٦/١].

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤٠٣/٣].

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩)﴾.

ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل، ومفعول (لو شاء) محذوف دل عليه الجواب، وقيل: المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن، هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الإلٰهية، أم تزيغون عن الحق وتفرِّطون في العمل ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فابتدروها انتهازاً للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق، ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين. ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل، والعامل والمقصر.

(٤٩) ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ عطف على (الكتاب)؛ أي: أنزلنا

والمعنى: لكل أمة دين يخصها ولو كانت متعبدةً بشريعةٍ أُخْرَى لم يكن ذلك الاختصاص، قال: والجواب بعد تسليم دلالة الالتزام على الاختصاص منع الملازمة لجواز أن نكون متعبدين بشرائع من قبلنا مع زيادة خصوصيات في ديننا بها يكون الاختصاص[1]. انتهى.

وعلى تسليم دلالة الآية وما وافقها من الآيات على الاختصاص، لا منافاة بينها وبين الآيات الدالة على عدمه كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ وكقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ لأن هذه الآيات في أصول الدين والآيات الأول في فروعه [انتهازاً للفرصة]؛ أي: اغتناماً للتوبة.

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص [٤/ ٩٨].

إليك الكتاب والحكم، أو على الحق؛ أي: أنزلناه بالحق، وبـ(أن احكم)، ويجوز أن يكون جملة بتقدير: وأمرنا أن أحكم. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: أن يضلوك ويصرفوك عنه، و(أن) بصلته بدل من (هم) بدل الاشتمال؛ أي: احذرهم فتنتهم، أو مفعول له؛ أي: احذرهم مخافة أن يفتنوك. روي: (أن أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه! فقالوا: يا محمد! قد عرفت أنا أحبار اليهود، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى عن ذلك رسول الله ﷺ، فنزلت). ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾؛ يعني: ذنب التولي عن حكم الله تعالى، فعبر عنه بذلك تنبيهاً على أن لهم ذنوباً كثيرة، وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها، وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير، ونظيره قول لبيد: (أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حمامها) ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ لمتمردون في الكفر، ومعتدون فيه.

[روى: «أن أحبار اليهود..»] إلى آخره. رواه البيهقي(١). [وفيه]؛ أي: في التعبير عن كثرة الذنوب وعظمها بالبعض [ونظيره]؛ أي: نظير التعبير بالبعض عن العِظَم [قول لبيد:

.... أو يرتَبِطْ بعضَ النفوسِ حِمَامُها](٢)

أي: موتها، وصدره:

تَـرَّاك أمـكِـنَـةٍ إذا لـم أَرْضَـهـا ....

وقبله:

إذ لـم تـكـنْ تَـدري نَـوَارُ بـأنَّـنـي وَصَّالُ عَـقْـدِ حبـائـل جَـذَّامُـهـا

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي [٢/٤٠٩].

(٢) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد [١/١٦٢].

۞ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ﴾ الذي هو الميل والمداهنة في الحكم، والمراد بالجاهلية: الملة التي هي متابعة الهوى. وقيل: نزلت في بني قريظة والنضير؛ طلبوا رسول الله ﷺ أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى. وقرئ برفع (الحكم) على أنه مبتدأ، و(يَبْغُونَ) خبره، والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] واستضعف ذلك في غير الشعر، وقرئ: (أفحكمُ الجاهلية)؛ أي: يبغون حاكماً كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم. وقرأ ابن عامر (تبغون) بالتاء، على قل لهم: أفحكم الجاهلية تبغون. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: عندهم، واللام للبيان كما في قوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣]؛ أي: هذا الاستفهام لقوم يوقنون؛ فإنهم هم

«نوار»: محُبوبته، و«بحبايل»: جمع حبل على غير قياس، و«الجذام»: القطاع وتارك بالرفع تبعاً لوصال وجذام[1]. وقوله: «أو يرتبط» عطف على «أَرْضَها»؛ أي: ألم تدر محبوبتي أَنِّي وصَّال عقد من يحاول مودتي وقَطَّاعٌ لمن يقطع محبتي، وأنِّي جَوَّال الفيافي قطَّاع المهامه، وأَنِّي ترَّاك أمكنةً إذا لم أَرْضَها. أولم يقدّر أَنِّي أموت فيها؛ يعني: أنه يجتهد في الرحلة إذا لم تَعُقِ العوائق [الذي هو الميل والمداهنة في الحكم] بيان لحكم الجاهلية الواقع في الآية.

[طلبوا رسول الله]؛ أي: منه [من التفاضل بين القتلى]؛ أي: بين ديات بعضهم على بعض[2] [أي: عندهم] تفسير للام في قوله: لقوم مع كونها للبيان أيضاً كما ذكره بقوله: [واللام للبيان..] إلى آخره. فهو من باب استعمال اللفظ المشترك في معنييه وإنما لم تجعل اللام صلة لِـ«أحسن»؛ لأنَّ حُسْنَ حكمِ الله تعالى لا

---

(١) انظر: شرح المعلقات، الزوزني [ص١٩٢].

(٢) انظر: سنن أبي داود [٢/ ٥٧٥/ برقم: ٤٤٩٤]، سنن النسائي [٨/ ١٨/ برقم: ٤٧٣٢].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

الذين يتدبرون الأمور، ويتحققون الأشياء بأنظارهم؛ فيعلمون أن لا أحسن حكماً من الله ﷻ.

﴿٥١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إيماء على علة النهي؛ أي: فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهم في الدين، وإجماعهم على مضادتكم. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾؛ أي: ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم، وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام: **«لا تتراءى ناراهما»**،

يختص بقوم دون قوم، وجوَّزَ بعضهم تعلقها بحكمها [**فيعلمون أن لا أحسن حكماً من الله**] فيه كما قال الطيبي إشارة إلى أن الاستفهام في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ [المائدة: ٥٠] للإنكار والجملة حال مقررة لما قبلها؛ أي: «أتبغون حكم أهل الجاهلية والحال أنه لا أحسن حكماً من الله لمن له إيقان يتدبر به حكم الله ويعلم أنه لا أعدل منه»(١).

[**كما قال** ﷺ: **«لا تتراءى ناراهما»**]. روى أبو داود وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**. قالوا يا رسول الله: ولم؟ قال: **لا تراءى ناراهما»**(٢). قال ابن الأثير: الترائي تفاعل من الرؤية، يقال: «تراءى القوم»: إذا رأى بعضهم بعضاً، وإسناد الترائي إلى النار مجاز من قولهم: «داري تنظر إلى دار فلان»؛ أي: «تقابلها». يقول: ناراهما مختلفان، هذه تدعو إلى الله وهذه تدعو إلى الشيطان، فكيف يتفقان؟ وأصل «تراءى»: «تتراءى»(٣).

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٦/ ١٧٥].

(٢) سنن أبي داود [٢/ ٥٢/ برقم: ٢٦٤٥]، سنن الترمذي [٤/ ١٥٥/ برقم: ١٦٠٤].

(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٣/ ٢١٦].

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾.

أو لأن الموالين لهم كانوا منافقين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار، أو المؤمنين بموالاة أعدائهم.

٥٢ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: ابن أُبيّ وأضرابه. ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾؛ أي: في موالاتهم ومعاونتهم. ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان؛ بأن ينقلب الأمر، وتكون الدولة للكفار. روي: (أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله ﷺ: إن لي موالي من اليهود كثيراً عددهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم، وأوالي الله ورسوله، فقال ابن أُبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية موالي، فنزلت). ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين. ﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ يقطع شأفة اليهود من القتل

والمعنى: لا ينبغي لمسلم أن ينزل بالمواضع الذي إذا أوقدت فيه ناره تظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله. [أو لأن الموالي لهم كانوا منافقين] عطف على «التشديد» وضمير «كانوا» راجع إلى «أل» في الموالي وجمعه باعتبار معناها.

[يخافون أن تصيبهم دائرة] إلى آخره. فرق الراغب بين الدائرة والدولة، بأن «الدائرة»: هي الخط المحيط ثم عبّر بها عن الحادثة وإنما يقال في المكروه. والدولة في المحبوب. [روي: «أن عبادة بن الصامت..»] إلى آخره. رواه الطبري[(١)]. [يقطع] بياء تحتية فيكون فعلاً وبموحدة، فيكون اسماً [شأفة اليهود] بمعجمة وفاء: أي: أصلهم، قال الجوهري: «الشأفة»: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، يقال في المثل: «استأصل الله شأفته»؛ أي: أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكي[(٢)].

---

(١) جامع البيان، الطبري [١٠/ ٣٩٥]. (٢) الصحاح، الجوهري [٦/ ٦٩].

۝ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾.

والإجلاء، أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم ﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾؛ أي: هؤلاء المنافقون ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول ﷺ، فضلاً عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم.

٥٣ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ؛ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعاً بغير واو على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفاً على أن يأتي باعتبار المعنى، وكأنه قال: عسى أن يأتي الله بالفتح وأن يقول الذين آمنوا، أو يجعله بدلاً من اسم الله داخلاً في اسم (عسى) مغنياً عن الخبر بما تضمنه من الحدث، أو على الفتح بمعنى:

[أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين]. تفسير ثان لأمر من عنده فالأمر على هذا واحد الأوامر، وعلى ذاك واحد الأمور بمعنى الشأن. إن قرئ يقطع بالتحتية، وإن قرئ بالموحدة فالأمران بمعنى واحد الأوامر لكنهما يختلفان باختلاف المأمور به. [مما أشعر على نفاقهم] ضمن أشعر أطلع فعداه بـ«على». [عطفاً على «أن يأتي»] الأولى على «يأتي» [باعتبار المعنى] زاده على «الكشاف»[1] ليصح العطف إذ بدونه لا يصح لخلو المعطوف عن الرابط وهو عود الضمير على «الله» بخلافه في المعطوف عليه الذي هو خبر «عسى»، وباعتبار المعنى يصح العطف إذ المعنى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ [المائدة: ٥٢]. ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [المائدة: ٥٣] فتكون «عسى» تامة لإسنادها إلى «أن» ومدخولها، فلا يحتاج حينئذٍ إلى رابط، ويجوز العطف بدون زيادة ذلك بتقدير الرابط؛ أي: «ويقول الذين آمنوا به». ثم رأيت التفتازاني كغيره صرّح بذلك.

[أو يجعله بدلاً من اسم الله] عطف على «باعتبار المعنى» [مُغْنياً عن الخبر]؛ أي: خبر «عسى» [بما تضمنته من الحديث]؛ أي: الخبر لاشتمال ذلك على مسند

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٧٧].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به. ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ﴾ يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين، وتبجحاً بما منَّ الله عليهم من الإخلاص أو يقولون لليهود، فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١] وجهد الأيمان أغلظها، وهو في الأصل مصدر، ونصبه على الحال على تقدير: وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه؛ ولذلك ساغ كونها معرفة، أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ إما من جملة المقول، أو من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم، وفيه معنى التعجب؛ كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم وما أخسرهم.

﴿٥٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ قرأه على الأصل نافع وابن عامر، وهو كذلك في الإمام، والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات

ومسند إليه[1] [ولذلك]؛ أي: ولكونه أقيم مقام الفعل الذي هو بمعنى النكرة: [ساغ كونها]؛ أي: الحال [معرفة]؛ أي: لفظاً وإلّا فهو مؤول بنكرة؛ أي: «مجتهدين في إيمانهم» [لأنه بمعنى أقسموا] إذ المعنى إقسام[2] اجتهاد في اليمين.

[قرأه على الأصل]؛ أي: وهو فك الإدغام في «يرتدّ» [وهو كذلك في الإمام] تبع فيه «الكشاف»[3] ونقل غيرهما أنها في مصاحف الشام والمدينة «يرتدد» بدالين، وفي الباقية «يرتد» بدال واحدة وكل قارئ وافق مصحفه.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٤٠٨].
(٢) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (أقسموا إقسام). (٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٧٧].

التي أخبر الله عنها قبل وقوعها، وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله ﷺ ثلاث فرق: (بنو مدلج، وكان رئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي، تنبأ باليمن واستولى على بلاده، ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله ﷺ من غدها، وأخبر الرسول في تلك الليلة فَسُرَّ المسلمون، وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول). و(بنو حنيفة أصحاب مسيلمة؛ تنبأ وكتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك. فأجاب: **من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**. فحاربه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة). و(بنو أسد قوم طليحة بن خويلد، تنبأ فبعث إليه رسول الله ﷺ خالداً، فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه). وفي خلافة أبي بكر؛ (سبع: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم؛

[**ذو الحمار**] بالحاء المهملة. قال التفتازاني: كان له حِمار يقول: قف فيقف وسر فيسير، وكانت النساء، نساء أصحابه يتعطرن بروث حماره، وقيل: يعقدن روثه بخمرهن فسمّي «ذو الخمار» بالخاء المعجمة وذو هنا وفيما قبله بالواو على الحكاية [**العَنْسي**] بفتح العين وسكون النون منسوب إلى «عنس»: وهو يزيد بن مدحج بن أدد(١) [**فقتله**(٢) **الوحشي**] «ال» زائدة والمعروف «وحشي» كما عبر به «الكشاف»(٣) وغيره [**فبعث إليه رسول الله ﷺ خالداً**](٤) الصواب: فبعث إليه أبو بكر(٥).

---

(١) انظر: الأعلام، الزركلي [٥/ ١١١].
(٢) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (فقتله).
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٧٨].
(٤) دلائل النبوة، البيهقي [٥/ ٧٤].
(٥) يعني: أبو بكر بعث خالداً. انظر: الفتح السماوي [٢/ ٥٦٩/ ٤٥٥].

وكفى الله أمرهم على يده). وفي إمرة عمر: (غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام).

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قيل: هم أهل اليمن لما روي أنه ﷺ أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال: «**هم قوم هذا**». وقيل: الفرس لأنه عليه الصلاة والسلام سُئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال: «**هذا وذووه**». وقيل: الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفناء الناس. والراجع إلى (من) محذوف تقديره: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم، ومحبة الله تعالى للعباد؛ إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة، ومحبة العباد له؛ إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم، جمع ذليل لا ذلول؛ فإن جمعه: ذلل، واستعماله مع (على) إما لتضمن معنى العطف والحنو، أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم، أو للمقابلة. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ شداد متغلبين عليهم؛ من: (عَزَّه إذا غلبه)، وقرئ بالنصب على الحال. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صفة أخرى لـ(قوم)، أو حال من الضمير في (أعزة). ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ عطف على (يجاهدون) بمعنى: أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه، أو حال بمعنى:

[**جبلة بن الأيهم تَنَصَّرَ وسار إلى الشام**] الجمهور أنه مات على ردته وذكرت طائفة أنه عاد إلى الإسلام [**روي: «أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى، وقال: قوم هذا»**] رواه الطبراني[١] والحاكم وصححه[٢]. [**وقيل: الفُرْسُ لأنه عليه الصلاة والسلام: «سئل عنهم..»**] إلى آخره. رواه الترمذي[٣].

[**أو للمقابلة**]؛ أي: لمقابلة أعزة على الكافرين. [**أو حال**] الفرق بين كونه

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني [٢/ ١٠٣/ برقم: ١٣٩٢].
(٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٤٢/ برقم: ٣٢٢٠].
(٣) الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٥٧٠/ برقم: ٤٥٧].

۞ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين؛ فإنهم: يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود؛ فلا يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم، واللومة المرة من اللوم، وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان. (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف. ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ يمنحه ويوفق له ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله.

﴿٥٥﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها، وإنما قال: ﴿وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: (أولياؤكم) للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة، ولرسوله وللمؤمنين على التبع ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ صفة (للذين آمنوا) فإنه جرى مجرى الاسم، أو بدل منه، ويجوز رفعه ونصبه على المدح ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ متخشعون

حالاً وكونه معطوفاً أنه إذا جعل حالاً كان قيداً لـ«يجاهدون» فيكون تعريضاً بمن يجاهد ولم يكن حاله كذلك، ومن ثم قال: [**وحالهم خلاف حال المنافقين**] وإذا جعل عطفاً كان تتميماً لمعنى يجاهدون فيفيد المبالغة والاستيعاب [**وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان**] إذ ينتفي بانتفاء الخوف من اللومة الواحدة، خوف جميع اللومات؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم، وإذا انضم إليها تنكير فاعلها يستوعب انتفاء خوف جميع اللوام فهذا تتميم في تتميم؛ أي: «لا يخافون شيئاً من اللوم من أحد من اللوام». قاله الطيبي(١). [**للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع**] إذ التقدير: «إنما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون» [﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] **متخشعون**..] إلى آخره. فالواو عاطفة على «يقيمون» فيكون مدخولها من صلة الموصول. وخصَّ بكونه جملة اسمية اهتماماً بوصف الركوع؛

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٣/٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾.

في صلاتهم وزكاتهم، وقيل: هو حال مخصوصة بيؤتون؛ أي: يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصاً على الإحسان ومسارعه إليه، وهي نزلت في علي رضي الله تعالى عنه: (حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه). واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور، والمستحق للتصرف فيها، والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضاً خلاف الظاهر؛ وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه، وعلى هذا يكون دليلاً على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها، وأن صدقة التطوع تسمى زكاة ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومن يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾؛ أي: فإنهم الغالبون، ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على البرهان عليه؛ فكأنه قيل: ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون، وتنويهاً بذكرهم، وتعظيماً لشأنهم، وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان. وأصل (الحزب): القوم يجتمعون لأمر حَزَّ بِهِمْ.

(٥٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في: (رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما). وقد رتب

لأنه أظهر أركان الصلاة[١].

[وقيل: هو حال مخصوصة بِـ«يُؤْتُون»] فالواو للحال من فاعل «يُؤْتُون» [لأمرٍ حَزَبَهُم]؛ أي: أصابهم.

---

(١) اللباب، ابن عادل [٧/ ٣٩٧].

۞ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزواً ولعباً إيماء إلى العلة، وتنبيهاً على أنَّ مَن هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة، وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جره؛ وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب، والكفار وإن عمَّ أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم، ومن نصبه عطفه على (الذين اتخذوا) على أن النهي عن موالاة من ليس على الحق رأساً؛ سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرّفه عن الصواب كأهل الكتاب، ومن لم يكن كالمشركين. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك المناهي ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لأن الإيمان حقاً يقتضي ذلك. وقيل: إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده.

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾؛ أي: اتخذوا الصلاة، أو المنادة. وفيه دليل على أن الأذان مشروع للصلاة. روي: (أن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أحرق الله الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام؛ فتطاير شررها في البيت فأحرقه وأهله). ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزء به، والعقل يمنع منه.

[وفصل «المستهزئين»..] إلى آخره؛ أي: بينهم بما قاله، فـ«مِنْ» للبيان مع أنها للبيان أيضاً على قراءة نصب «الكفار» [و(الكفا)ر وإن عمَّ أَهْلَ الكتاب..] إلى آخره. جواب ما يقال: كيف عطف «الكفار» على «أهل الكتاب» مع شمولهم لهم؟ فيرجع ما قاله إلى أن ذلك من عطف العام على الخاص لِنُكْتَةٍ.

[وفيه دليل على أن الأذان مشروع للصلاة]؛ أي: من جهة أنه لما دل على أن اتخاذ المناداة هزأ من منكرات الشرع دل على أن المناداة المذكورة من معروفاته [روي: «أن نصرانياً..»] إلى آخره. رواه الطبري[1].

---

(١) جامع البيان، الطبري [١٠/ ٤٣٢].

۞ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿٥٩﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ هل تنكرون منا وتعيبون، يقال: (نقم منه كذا) إذا أنكره، وانتقم إذا كافأه. وقرئ: (تَنْقَمُونَ) بفتح القاف، وهي لغة. ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ الإيمان بالكتب المنزّلة كلها. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ عطف على (أَنْ آمَنَّا) وكأن المستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة؛ أي: ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في الإيمان وأنتم خارجون منه، أو كان الأصل: واعتقاد أن أكثركم فاسقون؛ فحذف المضاف، أو على (ما)؛ أي: وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون، أو على علة محذوفة، والتقدير: هل تنقمون منا إلا أن آمنا لقلة إنصافكم وفسقكم، أو نصب بإضمار فعل يدل عليه هل تنقمون؛ أي: ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون، أو رفع على الابتداء والخبر محذوف؛ أي: وفسقكم ثابت معلوم عندكم،

[﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩] **عطف على أنْ آمنا**] فمحله النصب ولما لم يصح عطفه عليه ظاهراً لأنهم لا ينقمون فسق أكثرهم قدر له ما يصححه فقال: وكان المستثنى لازم الأمرين.. إلى آخره.

[**أو كان الأصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون**]؛ أي: «لا تنقمون منا إلا إيماننا واعتقادنا أن أكثركم فاسقون» [**أو على «ما»**] فمحل «أن أكثركم» على هذا والذي بعده جر ولو قال: أو على «اسم الله» كان أولى [**أو نصب**] عطف على مقدر؛ أي: محل «أن أكثركم فاسقون» نصب بالعطف على «أن آمنا» أو نصب بإضمار فعل [**أو رفع على الابتداء**] فحصل أن محل «أكثركم فاسقون» يجوز فيه النصب والجر والرفع [**والخبر محذوف؛ أي: وفسقكم ثابت معلوم عندكم**] تبع فيه «الكشاف»[1]. قال

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٨٥].

۞ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الإنصاف. والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به؟ فقال: «﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾» إلى قوله: «﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]» فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى: لا نعلم ديناً شَرّاً من دينكم.

﴿٦٠﴾ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من ذلك المنقوم ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ جزاء ثابتاً عند الله، والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر؛ فوضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله: تَحِيَّةٌ بينهم ضرب وجيع، ونصبها على التمييز من (بشر) ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ بدل من بشر على حذف مضاف؛ أي: بِشَرٍّ من أهل ذلك من لعنه الله، أو بِشَرٍّ

التفتازاني: في جواز حذف الخبر إذا كان المبتدأ أن المفتوحة مع اسمها وخبرها محل بحث لأن علة امتناع وقوعها في أول الكلام وهو الالتباس بأن التي بمعنى لعل قائمة هنا، قال: ثم ما قدر من الخبر متأخراً عن المبتدأ إنما هو لبيان المعنى وعلى تقدير التعبير عن المبتدأ بلفظ المصدر، وإلّا فلا بد أن يقدر الخبر مقدماً؛ أي: «ثابت معلوم أنكم فاسقون» [على طريقة قوله: «تحيَّةُ بينِهِم ضَرْبٌ وَجِيْعُ»][1] قال التفتازاني: أي: في آلهتكم. وإن كان ما في الآية استعارة لطيِّ ذِكْرِ المشبّه وما في البيت تشبيهاً انتزع وجهه من التضاد على طريق التهكم لذكر الطرفين بطريق حمل أحدهما على الآخر، لكن على عكس قولك: «زيدٌ أَسَدٌ» إذ التحية مشبه به والضرب مشبه.

[بدل من ﴿بِشَرٍّ﴾ على حذف مضاف]؛ أي: قبل «ذلك» أو قبل «من» لأن

---

(١) وصدره:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لها بِخَيْلٍ

والبيت لعمرو بن معدي كرب. انظر: الكتاب، سيبويه [٣/ ٥٠].

من ذلك دين من لعنه الله، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو من لعنه الله وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته، وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات، ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت، وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام. وقيل: كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير. ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ عطف على صلة (من)، وكذا (عُبِدَ الطَّاغُوتُ) على البناء للمفعول، ورفع الطَّاغُوت، و(عُبِدَ) كظرف بمعنى: صار معبوداً، فيكون الراجع محذوفاً؛ أي: فيهم، أو بينهم، ومن قرأ (وعابد الطاغوت) أو (عَبُدَ) على أنه نعت كـ(فَطُن) و(يَقُظ)، أو عَبَدَة، أو عَبَدَ الطَّاغُوتَ؛ على أنه جمع كـ(خَدَم) أو أن أصله عبدة فحذف التاء للإضافة عطفه على القردة، ومن قرأ (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) بالجر عطفه على (من)، والمراد مِن الطاغوت: العجل، وقيل: الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم، وقيل: (مَكاناً) منصرفاً ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قصد الطريق المتوسط بين غُلُوّ

«الذين» المشار إليه غير مطابق لقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ في معنى يشترك فيه لفظ «شَرّ» فيقدر: أهل قبل ذلك، أو دين قبل مَن، ليُطابقهُ وقد بين التقديرين بقوله [أي: بِشَرٍّ مِنْ أَهل ذلك..] إلى آخره[1].

[فيكون الراجع محذوفاً؛ أي: فيهم أو بينهم] فيصير المعنى: من «لعنهُ الله» وصار الطاغوت معبوداً فيهم أو بينهم [وَمَنْ قَرَأَ: (عابدَ الطاغوت)] شرط جوابه مع ما عطف عليه قوله بعد عطفه على القردة [جعل مكانهم «شراً» ليكون أبلغ..] إلى آخره؛ لأن مكانهم إذا وصف بالشر وهو في الحقيقة بسببهم لحُلولهم فيه لزم إثباته لهم بالطريق البرهاني لأنه كناية عن ذكر الشيء بلازمه[2].

[وقيل: ﴿مَّكَانًا﴾ منصرفاً]؛ أي: معنى المكان المتصرَّف بفتح الراء

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٤١٤].

(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (يلازمه).

۞ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

النصارى وقَدْحِ اليهود، والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلى المؤمنين في الشرارة والضلال.

﴿٦١﴾ ـ ﴿٦٢﴾ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ نزلت في يهود نافقوا رسول الله ﷺ، أو في عامة المنافقين. ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾؛ أي: يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك، والجملتان حالان من فاعل (قالوا)، و(بالكفر) و(به) حالان من فاعل (دخلوا) و(خرجوا). و(قد) وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصحَّ أن يقع حالاً أفادت أيضاً ـ لما فيها من التوقع ـ أن أمارة النفاق كانت لائحة عليهم، وكان الرسول ﷺ يظنه ولذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾؛

[والمراد من صيغتي التفضيل]؛ أي: وهما شَرٌّ وأَضَلّ **[الزيادة مطلقاً..]** إلى آخره؛ أي: لأن المؤمنين لم يشاركوا الكفار في الشر والضلالة وهذا على ما فهمه من أن المفضل عليه المؤمنون وأنهم لا يتصفون بالشر والضلال مطلقاً(١)، والأوجه ما قالهُ غيره: أن صفتي التفضيل باقيتان على معنيهما والمفضل عليه طائفة من الكفار لم تتصف بجميع الصفات المذكورة من اللعن وغيره، أو المؤمنون والمراد أن مكان هؤلاء في الآخرة شر وأضل من مكان المؤمنين في الدنيا لما يلحقهم فيها من الشر والضلال الحاصل لهم بالهموم الدنيوية كسماع الأذى وغيره، أو أن ذلك ذكر على سبيل التنزل والتسليم للخصم على زعمه إلزاماً له بالحُجّة **[والجملتان حالان من فاعل قالوا..]** إلى آخره. فيه حالان مترادفان وكل منهما مشتمل على حال فيكونان متداخلتين(٢) **[وكان الرسول يظنه]**؛ أي: يظن نفاقهم ويتوقع إظهار الله ما كتموه.

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ٣١].
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٧/ ٤٢١].

۞ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

أي: من الكفر، وفيه وعيد لهم. ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: من اليهود أو المنافقين. ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾؛ أي: في الحرام، وقيل: الكذب لقوله تعالى عن قوله: ﴿الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم، أو مجاوزة الحد في المعاصي. وقيل: الْإِثْم ما يختص بهم، والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم. ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾؛ أي: الحرام خصه بالذكر للمبالغة. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لبئس شيئاً عملوه.

﴿٦٣﴾ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك؛ فإن (لولا) إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ، وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أبلغ من قوله: من حيث أن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتروٍّ وتحَرِّي إجادة؛ ولذلك ذمَّ به خواصهم، ولأن ترك الحسبة أقبح من مواقعه المعصية؛ لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها، ولا كذلك ترك الإنكار عليها، فكان جديراً بأبلغ الذمّ.

﴿٦٤﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ أي: هو ممسك يقتر بالرزق،

[و«قد» وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال]؛ أي: حال وقع مضمون العامل في الحال لا حال التكلم، و«قد» إنما يحتاج إليها هنا في الجملة الأولى لكونها جملة فعلية ماضوية دون الثاني لكونها إسمية(١) [ذم به]؛ أي: بالصنع [خواصهم] هم الربانيون والأحبار [ولأن ترك الحسبة]؛ أي: ترك الإنكار على المعصية [كان] الأولى فكان؛ أي: ترك الحسبة [جديراً]؛ أي:

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٤١٧].

وغل اليد وبسطها؛ مجاز عن البخل والجود، ولا قصد فيه إلى إثبات يد، وغَلٍّ أو بسط؛ ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله:

جَادَ الحِمَى بَسْطُ اليدينِ بِوَابل شَكَرَتْ نَدَاهُ تلاعُهُ وَوِهَادُهُ

ونظيره من المجازات المركبة: شابت لمة الليل. وقيل معناه: إنه فقير؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد، أو بالفقر والمسكنة، أو بغل الأيدي حقيقة؛ يغلون أسارى في الدنيا ومسحوبين إلى النار في الآخرة، فتكون المطابقة من حيث اللفظ، وملاحظة الأصل كقولك: سبني سب الله دابره. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ثنّى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه تعالى، وإثباتاً لغاية الجود، فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه، وتنبيهاً على منح الدنيا والآخرة، وعلى ما يعطي

حقيقاً [وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود]؛ أي: فيمن لا تصلح له الحقيقة كما نبه عليه بقوله: [ولذلك يستعمل..] إلى آخره. بخلاف قولك: «يد فلان مغلولة أو مبسوطة» فإنه كناية عن ذلك كما نبه عليه التفتازاني. [كقوله]؛ أي: الشاعر:

[جادَ الحِمَى.............................. ....]

أي: عليه [بَسْطُ اليَدينِ] بضمتين فاعل جاد [بِوابِلٍ شَكَرت نَدَاهُ تِلاعُهُ] فاعل شكرت [وَوِهادُهُ][1] بسط اليدين السحاب، و«الوابل»: المطر الشديد، و«الندى»: العطاء، و«التلاع»: جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض، و«الوهاد»: جمع وهدة وهي ما أطمأن منها [وقيل: معناه: أنه فقير] مقابل لقوله: «ممسك» [فتكون المطابقة]؛ أي: حاصلة [من حيث اللفظ]؛ أي: لفظ «مغلولة وغلت» [وملاحظة الأصل] إذ الأصل في القول الشنيع أن يقابل بالدعاء على قائله [كقولك: «سَبَّنِي سَبَّ اللهُ دَابِرَهُ»]؛ أي: قطعه إذ القصد بقوله: سب الله دابرهُ، الدعاء بالقطع على من

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٥].

للاستدراج وما يعطي للإكرام. ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ تأكيد لذلك؛ أي: هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته، لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد، ولا يجوز جعله حالاً من الهاء للفصل بينهما بالخبر؛ ولأنها مضاف إليها، ولا من (اليدين) إذ لا ضمير لهما فيه، ولا من ضميرهما لذلك. والآية نزلت في: (فنحاص بن عازوراء فإنه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمداً ﷺ، وأشرك فيه الآخرون)؛ لأنهم رضوا بقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ﴾؛ أي: هم طاغون كافرون، ويزدادون طغياناً وكفراً مما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضاً من تناول الغذاء الصالح للأصحاء ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم. ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ كلما أرادوا حرب الرسول ﷺ وإثارة شر عليه ردهم الله بأن أوقع بينهم منازعة كفَّ بها عنه شرهم، أو كلما أرادوا حرب أحد غُلِبوا؛ فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم (بختنصر) ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي، ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين. و(للحرب) صلة (أوقدوا) أو صفة (ناراً). ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

سبه[1] [**تأكيد لذلك**..] إلى آخره؛ يعني: «أن» في «ينفق كيف يشاء» تأكيداً للوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة، كما أشار إليه آخراً بقوله: ومقتضى حكمته ووجه الأول: تعميم الأحوال المستفاد من «كيف»، ووجه الثاني: التعليق بمشيئة الحكيم الذي لا يشاء إلا ما هو حكمة ومصلحة [﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]] فاعل يَزِيْدَنَّ.

[فطرس]؛ أي: بالفاء قاله الطيبي[2].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٤/ ٤٥٣].

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني [ص٢٤١].

۞ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿فَسَادًا﴾؛ أي: للفساد؛ وهو اجتهادهم في الكيد، وإثارة الحروب والفتن، وهتك المحارم. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فلا يجازيهم إلا شرًّا.

﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد ﷺ وبما جاء به. ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ ما عددنا من معاصيهم ونحوه ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها. ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وجعلناهم داخلين فيها. وفيه تنبيه على عِظَم معاصيهم وكثرة ذنوبهم، وأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله وإن جَلَّ، وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بإذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام بأحكامها. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ يعني: سائر الكتب المنزلة؛ فإنها من حيث إنهم مكلفون بالإيمان بها كالمنزل إليهم، أو القرآن ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات مّنَ السماء والأرض، أو يكثر ثمرة الأشجار وغلة الزروع، أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار؛ فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض. بيَّن بذلك أن ما كفّ عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض؛ ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم، وجعل لهم خير الدارين. ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ عادلة غير غالية ولا مقصرة، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ. وقيل: مقتصدة متوسطة في عداوته، و﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بئس ما يعملونه، وفيه معنى التعجب؛ أي: ما أسوأ عملهم؛

[وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم]؛ أي: أخذاً من الجمع في سيئاتهم [بإذاعة]؛ أي: بإشاعة [ما فيهما]؛ أي: من بعث محمد ﷺ [وفيه معنى التعجب] هو مستفاد من المقام، و«ما» في «ما يعلمون» نكرة تمييز، أو موصولة

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾.

وهو المعاندة، وتحريف الحق، والإعراض عنه، والإفراط في العداوة.

٦٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ جميع ما أنزل إليك غير مراقب أحداً ولا خائف مكروهاً. ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك. ﴿فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ فما أديت شيئاً منها؛ لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة، فإن غرض الدعوة ينتقض به، أو فكأنك ما بلغت شيئاً منها كقوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٣٢] من حيث أن كتمان البعض والكل سواء في الشفاعة واستجلاب العقاب. وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر (رِسالاتِهِ) بالجمع وكسر التاء. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ عِدَةٌ وضمان من الله ﷻ بعصمة روحه ﷺ من

فاعل «ساء» والمخصوص بالذم محذوف؛ أي: «عملهم» [﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ﴾ [المائدة: ٦٧] وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك. ﴿فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ فما أديت شيئاً منها..] إلى آخره. قرر بما قاله: جواب ما يقال: كيف جاز اتحاد الشرط والجزاء إذ معنى وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وإن لم تبلغها فما بلغتها، وقد أجاب بوجهين يمنعان الاتحاد[١].

وحاصل الأول: أنه إذا لم يبلغ جميعها لم يبلغ شيئاً منها من جهة أن كتمان البعض يضيع ما أدّى منها لعدم حصول غرض الدعوة بمنزلة من ترك بعض أركان الصلاة، وذلك في غاية الشناعة أيضاً، وحاصل الثاني: إذا لم يبلغها جميعها فكأنه لم يبلغ شيئاً منها وهو في غاية الشناعة أيضاً، وهذا كما قال النحاة: إذا اتحد الشرط والجزاء كان الجزاء للمبالغة؛ كأنه قيل: وإن لم تبلغ فقد ارتكبت أمراً عظيماً.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ٤٤].

۞ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

تعرض الأعادي وإزاحة لمعاذيره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا يمكنهم مما يريدون بك. وعن النبي ﷺ: «**بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً؛ فأوحى الله تعالى إليَّ: إن لم تبلغ رسالتي عذبتك، وضمن لي العصمة فقويت**». وعن أنس رضي الله عنه، كان رسول الله ﷺ يُحْرَس حتى نزلت، فأخرج رأسه من قبة أَدَم فقال: «**انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس**». وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما أنزل، ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد، وقصد بإنزاله إطلاعهم عليه؛ فإن من الأسرار الإلٰهية ما يحرم افشاؤه.

﴿٦٨﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئاً؛ لأنه باطل. ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لحكمه، فإن الكتب الإلٰهية بأسرها آمرة بالإيمان بمن صدقته، والمعجزة ناطقة بوجوب الطاعة

[وعن النبي ﷺ: «**بعثني الله برسالته..**»] إلى آخره. رواه إسحاق بن راهويه في «**مسنده**»[(١)]. [وعن أنس: «**كان رسول الله ﷺ يحرس..**»] إلى آخره. رواه الترمذي[(٢)] والحاكم وغيرهما[(٣)]. [فإن من الأسرار الإلٰهية ما يحرم إفشاؤه]. قال بعض العارفين: ولهذا قال تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ولم يقل ما تعرفنا به إليك [بمن صدقه المعجزة] الأفصح من صدّقته المعجزة.

---

(١) مسند إسحاق بن راهويه [١/ ٤٠٢/ برقم: ٤٤٣].

(٢) سنن الترمذي [٥/ ٢٥١/ برقم: ٣٠٤٦].

(٣) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٢٤/ برقم: ٣٢٢١]، السنن الكبرى، البيهقي [٩/ ٨/ برقم: ١٧٥٠٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

له، والمراد: إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم، فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم، وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿٦٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ سبق تفسيره في سورة (البقرة) والصابئون: رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية فيه التأخير عما في حيز (إن) والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك كقوله: (فإنِّي وَقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ) وقوله:

وَإِلا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُم ... بُغَاةٌ مَا بَقِينا فِي شِقَاق

[كقوله]؛ أي: قول ضابئ - بمعجمة وموحدة بعدها همزة - بن الحارث البرجمي[1] بجيم:

[.................................. فَإني وقَيَّاراً بها لغريبُ]

صدره:

وَمَنْ يَكُ أمسى بالمدينة رَحْلُه[2] ....

وهو كناية عن السكنى بالمدينة، و«قيار»: اسم فرس ضابئ، وقيل: اسم جمله، والشاهد في «قيار» فإنه مبتدأ حذف خبره والتقدير: «فإني بها لغريب، وقيار كذلك» [وقوله]؛ أي: قول بشر بن أبي خازم بخاء وزاي معجمتين الأسدي:

[وإلا فاعلَمُوا أنَّا وأنتم ... بُغاةٌ ما بقينا في شقاقِ][3]

---

(١) كما في نسخة [ز - ج] وفي نسخة [الأصل - ب]: (البرجي) وهو الصحيح المذكور في كتب الرجال والتاريخ. تاريخ الأمم والملوك، للطبري [٣/ ٥٥٠]. انظر: الوافي بالوفيات [ص٢٢٥٦].

(٢) الكامل في الأدب، المبرد [١/ ٢٥٣].

(٣) الكتاب، سيبويه [٢/ ١٥٦].

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، وهو كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها يتاب عليهم؛ إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، كان غيرهم أولى بذلك. ويجوز أن يكون والنصارى معطوفاً عليه، و(من آمن) خبرهما، وخبر (إن) مقدر دل عليه ما بعده كقوله:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

ولا يجوز عطفه على محل (إن) واسمها؛ فإنه مشروط بالفراغ من الخبر، إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر (إن) معاً، فيجتمع عليه عاملان، ولا على الضمير في (هادوا) لعدم التأكيد والفصل،

قبله:

إذا جُزَّت نواصي آلِ بدرٍ فَأَدُّوها وأَسْرَى في الوَثَاق[1]

وسبب قول بشر ذلك: أن قوماً من آل بدر حاربوا الفزاريين من بني لام فجزوا نواصيهم وقالوا: مننا عليكم ولم نقتلكم، فغضبت بنو فزارة لذلك فقال بشر ذلك معناه إن قد جزرتم نواصيهم فاحملوها إلينا واحملوا الأسرى معهم، وإلّا فإنا متعادون أبداً، والشاهد في «أنتم»: فإنه مبتدأ حذف خبره، والتقدير: «وإلّا فإنا بغاة وأنتم كذلك» [وهو كاعتراض..] إلى آخره. إنما كان الاعتراض لكونه جملة في أثناء الكلام لقصد التأكيد ولم يكن اعتراضاً حقيقة لتحقق العطف، قاله التفتازاني [كقوله]؛ أي: قول عمرو بن امرئ القيس الأنصاري وقيل: قيس بن الخطيم بخاء معجمة، ابن عدي الظفري شاعر جاهلي:

[نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرّأْيُ مُخْتَلِفُ][2]

الشاهد في «أنت» فإنه مبتدأ خبره «راضٍ» وخبر «نحن» محذوف دل عليه «راضٍ» [إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر «إنَّ» معاً فيجتمع عليه عاملان]؛ أي: وهما المبتدأ، وإن تبع في ذلك «الكشاف»[3]، ورد بأنه إنما يلزم ما

---

(١) انظر: بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة [١٩/ ٤].

(٢) الكتاب، سيبويه [١/ ٧٥]، ونسبه إلى قيس بن الخَطيم.

(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٩٤].

۞ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾.

ولأنه يوجب كون الصابئين هوداً. وقيل: (إن) بمعنى (نعم)، وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء. وقيل: (الصَّابِئُونَ) منصوب بالفتحة، وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في محل الرفع بالابتداء وخبره. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والجملة خبر (إن)، أو خبر المبتدأ كما مرَّ، والراجع محذوف؛ أي: من آمن منهم، أو النصب على البدل من اسم (إن) وما عطف عليه. وقرئ و(الصابئين) وهو الظاهر، و(الصابيون) بقلب الهمزة ياء، و(الصابُون) بحذفها من صبأ بإبدال الهمزة ألفاً، أو من صبوت؛ لأنهم صبوا إلى اتباع الشهوات، ولم يتبعوا شرعاً ولا عقلاً.

٧٠ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ﴾ ليذكروهم

ذكر أن لو لم ينوِ التأخير وكان المذكور خبراً عنهما، أما على نية التأخير واعتبار تقديم الخبر فيكون المذكور معمول «إنَّ» وخبر المعطوف محذوف [وذلك]؛ أي: نصبه بالفتحة [كما جوز بالياء]؛ أي: معها كما في «بنين» و«سنين» [جوز بالواو]؛ أي: معها كما هنا.

[على البدل من اسم «أنَّ» وما عُطِفَ عليه]؛ أي: أو من المعطوف عليه كما زاده الزمخشري(١) ومراده ما عطف على اسم «إنَّ» وهو «الذين هادوا والنصارى»، وبعضهم توهم أنه نفس اسم «إنَّ» فألزمه الخروج عن المراد ولو حذف الزمخشري عليه لسلم من ذلك. [﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بحذفها]؛ أي: وقرئ «والصابون» بحذف الهمزة وضم ما قبلها. قاعدته في مثل ذلك تقتضي أن تكون هذه قراءة شاذة وليس كذلك بل هي قراءة متواترة، قرأ بها نافع وأبو جعفر(٢).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٩٤].

(٢) الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٣١٧].

۞ ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾.

وليبينوا لهم أمر دينهم. ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ﴾ بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف. ﴿فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ جواب الشرط، والجملة صفة (رسلاً)، والراجع محذوف؛ أي: رسلاً منهم. وقيل: الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف، وإنما جيء بـ(يَقْتُلُونَ) موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها، واستفظاعاً للقتل، وتنبيهاً على أن ذلك من ديدنهم ماضياً ومستقبلاً، ومحافظة على رؤوس الآي.

٧١ ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾؛ أي: وحسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب (لَا تَكُونُ) بالرفع على أنّ (أن) المخففة من الثقيلة، وأصله أنه: لا تكون فتنة، فخففت (أن) وحذف ضمير الشأن وإدخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق؛ تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم، و(أنَّ) أو (أنْ) بما في حيزها ساد مسد مفعوليه. ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الدين أو

[جواب الشرط]؛ أي: وهو كلما سمّاه شرطاً لاقتضائه جواباً كالشرط وإلّا فهو ليس بشرط بل هو منصوب على الظرف لإضافته إلى «ما» المصدرية الظرفية **[والجملة]**؛ أي: الجملة الشرطية [وقيل: **الجواب محذوف دل عليه ذلك**]؛ أي: وهو «فريقاً كذّبوا»، فالتقدير: «كلما جاءهم رسول كذبوه»؛ وبعضهم قدر الجواب بما صرح به في نظير الآية من قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٨٧] فالتقدير هنا «استكبروا» [وهو]؛ أي: «فريقاً كذبوا وفريقاً تقتلون» [و«أنْ»]؛ أي: بالتخفيف على قراءة نصب «تكون» [أو «أنَّ»]؛ أي: بالتشديد في الأصل على قراءة رفعها[1].

---

(١) السبعة في القراءات، ابن مجاهد [ص٢٤٧].

۞ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾.

الدلائل والهدى. ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: ثم تابوا فتاب الله عليهم. ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ مرة أخرى. وقرئ بالضم فيهما؛ على أن الله تعالى عماهم وصمهم؛ أي: رماهم بالعمى والصمم، وهو قليل، واللغة الفاشية أعمى وأصم. ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير، أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم: أكلوني البراغيث، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: العمى والصم كثير منهم. وقيل: مبتدأ والجملة قبله خبره، وهو ضعيف؛ لأن تقديم الخبر في مثله ممتنع. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم على وفق أعمالهم.

﴿٧٢﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾؛ أي: إني عبد مربوب مثلكم؛ فاعبدوا خالقي وخالقكم ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: في عبادته، أو فيما يختص به من الصفات والأفعال. ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فإنها دار الموحدين. ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ فإنها المعدة للمشركين. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾؛ أي: وما لهم

[على أن الله عماهم وصمهم]؛ أي: على تقدير فعلين متعديين يكون «عُمُوا وصُمُّوا» بالضم مبنيين للمفعول منهما [وهو]؛ أي: مجيء «عموا وصموا» بالتضعيف [قليل]؛ أي: في اللغة [وهو ضعيف لأن تقديم الخبر في مثله ممتنع]؛ أي: لأنه فعل والفعل إذا وقع خبراً يمتنع تقديمه لالتباس ما بعده بالفاعل، ورد بأن ذلك إنما يمتنع إذا كان الفاعل مستتراً وهنا ظاهر، فإن قلت: هذا أيضاً يلتبس بالفاعل في لغة: «أكلوني البراغيث» قلت: أجيب بأنها لغة ضعيفة لا يبالى بها [كما يمنع المحرم عليه]؛ يعني: أن «حرم» في الآية استعارة تبعية من المنع

۞ ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

أحد ينصرهم من النار، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً على أنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق، وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام، وأن يكون من كلام الله تعالى نبّه به على أنهم قالوا ذلك تعظيماً لعيسى، وتقرباً إليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره.

﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾؛ أي: أحد ثلاثة، وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم؛ القائلون بالأقانيم الثلاثة، وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبتدأ جميع الموجودات إلا إلٰه، موصوف بالوحدانية، متعال عن قبول الشرك. و(من) مزيدة للاستغراق. ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ ولم يوحدوا. ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: ليمسن الذين

[يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى] قال الزمخشري(١): على معنى: «ولا ينصركم أحد» **[ويحتمل أن يكون من كلام الله نبَّه]** به. **[على أنهم قالوا ذلك]**؛ أي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ **[تعظيماً(٢) لعيسى..]** إلى آخره. هذا ويحتمل أن يكون قوله: «نبه».. إلى آخره، راجعاً إلى الاحتمال(٣).

[و«من» مزيدة للاستغراق]؛ أي: لأنها تدخل لابتداء الجنس إلى انتهائه،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٦٩٦].

(٢) كما في نسخة [ز] وهو الصحيح المطابق لتفسير البيضاوي [٢/ ٣٥٣]، وفي نسخة [ب]: (يقال)، وفي نسخة [الأصل]: (بنا لعيسى).

(٣) في نسخة [ج]: (الاحتمالين).

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

بقوا منهم على الكفر، أو ليمسن الذين كفروا من النصارى، وضعه موضع (ليمسنهم) تكريراً للشهادة على كفرهم، وتنبيهاً على أنَّ العذاب على مَن دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقَّبه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾؛ أي: أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة، ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهم ويمنحهم من فضله إن تابوا. وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم.

﴿٧٥﴾ ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾؛ أي: ما هو إلا رسول كالرسل قبله؛ خصه الله بالآيات كما خصهم بها، فإن أحيا الموتى على يده؛ فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب، وإن خلقه من غير أب؛ فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب. ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق، أو يصدقن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ ويفتقران إليه افتقار الحيوانات، بيَّن أولاً أقصى ما لهما من الكمال، ودل على أنه لا يوجب لهما ألوهية؛ لأن كثيراً من الناس يشاركهما في مثله، ثم نبّه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة، ثم

فقولك: هل من رجل، تقديره: هل من واحد هذا الجنس إلى أقصاه إلا أنه اكتفى بذكر «مِنْ» عن ذكر «إلى» لدلالتها عليها التزاماً كعكسه لا اجتماعهما في الدلالة على الغاية لأن «مِنْ» لابتداء الغاية و«إلى» لانتهائها[1] [الفاسدة]؛ أي: القابلة

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٧/ ٤٦٠].

۝ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

عجب لمن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الأدلة الظاهرة فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله، و(ثم) لتفاوت ما بين العجبين؛ أي: إن بياننا للآيات عجب، وإعراضهم عنها أعجب.

﴿٧٦﴾ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ يعني: أن عيسى وإن ملك ذلك بتمليك الله إياه لا يملكه من ذاته، ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب، وما ينفع به من الصحة والسعة؛ وإنما قال: (ما) نظراً إلى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأساً، وتنبيهاً على أنه من هذا الجنس، ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الألوهية، وإنما قدم الضر لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع. ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بالأقوال والعقائد فيجازي عليها إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

﴿٧٧﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: غلوا باطلاً فترفعوا عيسى إلى أن تدعوا له الإلٰهية، أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة. وقيل: الخطاب للنصارى خاصة. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ يعني: أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد ﷺ في شريعتهم. ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ ممن شايعهم على بدعهم

للفساد [وإنما قال: «ما»]؛ أي: دون «من» مع أن المراد من يعقل وهو عيسى [لغير رشد]؛ أي: لريبة.

[﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [المائدة: ٧٧] **شايعهم**] بكسر الياء؛ أي: تابعهم

۞ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

وضلالهم. ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن قصد السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه ﷺ لما كذبوه وبغوا عليه، وقيل: الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل، والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به الشرع.

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾؛ أي: لعنهم الله في الزبور والإنجيل على لسانهما. وقيل: (إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة). وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾؛ أي: ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾؛ أي: لا ينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله وتهيؤوا له، أو لا ينتهون عنه من قولهم: (تناهى عن الأمر وانتهى عنه) إذا امتنع. ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم.

﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾ ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ من أهل الكتاب. ﴿يَتَوَلَّوۡنَ

[أي: لا ينهى بعضهم بعضاً] أشار إلى أنه عبر عن يفعلون بـ«يتفاعلون» للمبالغة [عن معاودة منكر فعلوه..] إلى آخره. إنما احتيج إلى تقدير ما ذكره لأن التناهي عن منكر قد مضى محال [﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]]؛ أي: يفعلونه،

۞ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ يوالون المشركين بغضاً لرسول الله ﷺ وللمؤمنين. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾؛ أي: لبئس شيئاً قدموا ليردوا عليه يوم القيامة ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ هو المخصوص بالذم، والمعنى: موجب سخط الله والخلود في العذاب، أو علة الذم، والمخصوص محذوف؛ أي: لبئس شيئاً ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود. ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾؛ يعني: نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبيّنا ﷺ. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ إذ الإيمان يمنع ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن دينهم أو متمردون في نفاقهم.

﴿٨٢﴾ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ﴾ لشدة شكيمتهم، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتباع الهوى، وركونهم

والمخصوص بالذم محذوف؛ أي: فعلهم هذا [هو المخصوص بالذم]. قال أبو حيان: إنما يصح هذا الإعراب على مذهب الفراء والفارسي أن «ما» موصولة وقدمت صلته، أو على مذهب من جعل في «بئس» ضميراً و«ما» تمييزاً؛ بمعنى: شيئاً، وقدمت صفة «إما». أما على مذهب سيبويه أن «ما» اسم تام معرفة بمعنى الشيء فلا يصح ذلك بل المخصوص بالذم محذوف، وقدمت صفة «له» و«أن سخط» بدل «منه»، والتقدير: «لبئس الشيء شيء قدمته لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم»(١) [لشدة شكيمتهم] قال في «القاموس»: «الشكيمة»: الأنفة والانتصار من الظلم، ويقال: فلان شديد الشكيمة؛ أي: آنف آبي لا ينقاد [وانهماكهم]؛ أي: جدهم

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٣/ ٤٤٣].

۞ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

إلى التقليد، وبعدهم عن التحقيق، وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم. ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ للين جانبهم، ورقة قلوبهم، وقلة حرصهم على الدنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحق إذا فهموه، أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود. وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كانت من كافر.

﴿٨٣﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ عطف على (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) وهو بيان لرقة قلوبهم، وشدة خشيتهم، ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه، و(الفيض): انصباب عن امتلاء؛ فوضع موضع

ولجاجهم [﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]] إنما اسند تسميتهم نصارى إليهم دون تسمية اليهود؛ لأنهم الذين سموا أنفسهم نصارى حين قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] أو لأنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها: ناصرة[١]، وكلهم لم يكونوا ساكنين فيها وعلى التقديرين فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود يهوداً فإنها حقيقة سواء سموا بذلك لكونهم أولاد «يهوذا بن يعقوب»، أو لكونهم تابوا عن عبادة العجل بقولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أو لتحركهم في دراستهم.

[**والفيض انصباب عن امتلاء..**] إلى آخره. ذكر كالزمخشري[٢] [**لقوله تعالى**: ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣]] وجهين وكل منهما للمبالغة وإن اقتصر عليها المصنف في الأول والزمخشري في الثاني، وعبارة الزمخشري الموضحة لعبارة

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [٢/ ١٧٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٧٠٢].

۞ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

الامتلاء للمبالغة، أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (مِنْ) الأولى للابتداء، والثانية لتبيين (ما عرفوا)، أو للتبعيض بأنه بعض الحق. والمعنى: أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بذلك أو بمحمد. ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، من الذين شهدوا بأنه حق، أو بنبوته، أو من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة.

﴿٨٤﴾ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ استفهام إنكار، واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي؛ وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين، والدخول في مداخلهم، أو جواب سائل قال: لم آمنتم؟ و(لا نُؤْمِنُ) حال من الضمير، والعامل ما في اللام من معنى الفعل؛ أي: أيّ شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله؛ أي:

المصنف، معنى «تفيض من الدمع»: تمتلئ من الدمع حتى تفيض؛ لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء [**فجعلت أعينهم**] كأنها تفيض بأنفسها؛ أي: تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك: دمعت عينه دمعاً. انتهى. قال التفتازاني: يعني: أن المجاز على هذا؛ أي: الثاني في إسناد الفيض إلى العين كما في جرى النهر و«الدمع» مصدر، وعلى الأول المجاز في المسند والدمع هو عين ذلك الماء(١). [**يقولون**] مستأنف أو حال من الضمير في «أعينهم» أو في «عرفوا».

[**وهو**]؛ أي: قيام الدواعي [**أو جواب سائل**] عطف على استفهام إنكار [**حال من الضمير**]؛ أي: في «لنا» [**كانوا مثلثين**]؛ أي: قائلين بأن الآلهة ثلاثة [**أي:**

---

(١) اللباب، ابن عادل [٧/ ٤٨١].

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

بوحدانيته فإنهم كانوا مثلثين. أو بكتابه ورسوله؛ فإن الإيمان بهما إيمان به حقيقة، وذكره توطئة وتعظيماً، و(نطمع) عطف على (نؤمن) أو خبر محذوف، والواو للحال؛ أي: ونحن نطمع، والعامل فيها عامل الأولى مقيداً بها أو (نؤمن).

﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾ ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾؛ أي: عن اعتقاد، من قولك: هذا قول فلان؛ أي: معتقده. ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الذين أحسنوا النظر والعمل، أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور. والآيات الأربع روي: (أنها نزلت في النجاشي وأصحابه؛ بعث إليه الرسول ﷺ بكتابه فقرأه، ثم دعا جعفر بن أبي طالب

بوحدانيته..] إلى آخره. ظاهره: أن القولين تفسير أن لله، وتفسيره بالثاني مناف لقوله: «وذكره توطئة وتعظيماً» فالمناسب له ما ذكره غيره من أنهما تفسيران للحق [وذكره]؛ أي: الله [توطئة]؛ أي: لقوله: ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٤] [«ونطمع» عطف على «نؤمن»]؛ أي: لا على لا نؤمن كما وقع للكشاف(١) إذ العطف عليه بلا تأويل تقتضي إنكار عدم الإيمان، وإنكار الطمع وليس مراداً بل المراد إنكار عدم الطمع أيضاً [أو خبر محذوف]؛ أي: ونحن نطمع [والعامل فيها]؛ أي: في الحال الثانية [مقيداً]؛ أي: عامل الأولى [بها]؛ أي: بالأولي [أو بـ«نؤمن»] إنما قيد بذلك لأنك لو أزلت القيد وقلت: «وما لنا ونطمع» لم يكن كلاماً مناسباً لما هنا؛ لأنهم لا ينكرون الطمع مطلقاً بل الطمع في حال عدم الإيمان، والحالان على الأول مترادفان، وعلى الثاني متداخلتان.

[والآيات الأربع] هي من قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾ إلى هنا بناء على أن يقولون

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٧٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين، فأمر جعفراً أن يقرأ عليهم القرآن؛ فقرأ سورة (مريم) فبكوا، وآمنوا بالقرآن). وقيل: (نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلاً من قومه وفدوا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة (يس) فبكوا وآمنوا). ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ عطف التكذيب بآيات الله على الكفر، وهو ضرب منه؛ لأن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعاً بين الترغيب والترهيب.

﴿٨٧﴾ - ﴿٨٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: ما طاب ولذ منه؛ كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات؛ عقَّبه النهي عن الإفراط في ذلك، والاعتداء عما حد الله ﷻ بجعل الحلال حراماً فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ويجوز أن يراد به: ولا تعتدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم، فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم؛ داعية إلى القصد بينهما. روي: (أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً وبالغ في إنذارهم، فرقُّوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين، وأن لا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح، ويسيحوا في الأرض، ويجبّوا

مستأنف وهو الأشهر [روي: «أن رسول الله ﷺ وصف القيامة..»] إلى آخره. رواه الطبري(١) بمعناه وهو منتزع من أحاديث وأصله في «الصحيحين» [ويلبسوا المسوح]

---

(١) جامع البيان، الطبري [١٠/٥١٩].

۞ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾.

مذاكيرهم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «**إني لم أومر بذلك؛ إن لأنفسكم عليكم حقاً: فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا؛ فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»، فنزلت). ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾؛ أي: كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله، فيكون ﴿حَلَالًا﴾ مفعول (كلوا)، ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ حال منه تقدمت عليه؛ لأنه نكرة، ويجوز أن تكون من ابتدائية متعلقة بـ(كلوا)، ويجوز أن تكون مفعولاً وحلالاً حالاً من الموصول، أو العائد المحذوف، أو صفة لمصدر محذوف، وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

(٨٩) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما يبدو من المرء بلا قصد؛ كقول الرجل: لا والله، وبلى والله، وإليه ذهب الشافعي، وقيل: الحلف على ما يظن أنه كذلك ولم يكن، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى، و(في أيمانكم) صلة: (يؤاخذكم) أو (اللغو)؛ لأنه مصدر أو حال منه. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد

«المسوح»: جمع مسح وهو البلاس **[مذاكيرهم]** جمع ذكر على غير قياس **[ويجوز أن تكون «من» ابتدائية]** مقابل لقوله حال منه **[ويجوز أن تكون]**؛ أي: «مما» **[أو العائد]**؛ أي: أو «من» العائد **[المحذوف]**؛ أي: في «رزقكم»؛ أي: «رزقكموه» **[أو صفة]** عطف على «حالاً» **[لمصدر محذوف]**؛ أي: «أكلاً حلالاً» **[أو حال منه]**؛

والنية، والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم، أو بنكث ما عقدتم، فحذف للعلم به. قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم (عَقَدْتُمُ) بالتخفيف، وابن عامر في رواية ابن ذكوان (عاقدتم) وهو من فاعل بمعنى فعل. ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ فكفارة نكثه؛ أي: الفعلة التي تذهب إثمه وتستره، واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث، وهو عندنا خلافاً للحنفية لقوله عليه السلام: «**من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه، وليأت الذي هو خير**». ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ من أقصده في النوع أو القدر، وهو مُدٌّ لكل مسكين عندنا، ونصف صاع عند الحنفية، ومحله النصب؛ لأنه صفة مفعول محذوف تقديره: أن تطعموا عشرة مساكين طعاماً من أوسط ما تطعمون، أو الرفع على البدل (من إطعام)، وأهلون كأرضون. وقرئ «أهاليكم» بسكون الياء على لغة من يسكنها في الأحوال الثلاث كالألف، وهو جمع أهل كالليالي في جمع ليل، والأراضي في جمع أرض، وقيل جمع: أهلاة. ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على (إطعام) أو (من أوسط) إن جعل بدلاً وهو ثوب يغطي العورة. وقيل:

أي: من «يؤاخذكم»؛ أي: فاعله أو من «اللغو» فهو عطف على صلة «يؤاخذكم» [**فحذف**]؛ أي: التقدير بأحد الأمرين.

[«**من حلف على يمين..**»] إلى آخره. رواه مسلم(١). [**أو القدر**]؛ أي: المرتبة [**وأهلون كأرْضون**]؛ أي: بسكون الراء فهو مثله وزناً وجمعاً من حيث أنه جمعُ جمعِ المذكر السالم من غير اجتماع بشروطه [**كالألف**]؛ أي: فيما آخره ألف كـ«عصا» [**أو «من أوسط» أن جعل**]؛ أي: «من أوسط» [**بدلاً**]؛ أي: «من إطعام»، واعترض بأن المعطوف على البدل بدل، وإبدال «كسوتهم» من «إطعام» غلط لا يقع في التنزيل، وأجيب بالمنع بل قد وجد، ويكون المقصود الانتساب إلى ما انتسب إليه المبدل منه بجعله في حكم المنحى، وكأنه قال: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ [المائدة: ٨٩] ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [**وهو ثوب يغطي العورة**] تبع فيه «الكشاف»(٢) والموافق

---

(١) صحيح مسلم [٣/١٢٧١/برقم: ١٦٥٠]. (٢) الكشاف، الزمخشري [١/٧٠٦].

ثوب جامع، قميص أو رداء أو إزار. وقرئ بضم الكاف، وهو لغة كـ(قدوة) في قدوة، وكـ(أسوتهم) بمعنى أو كمثل ما تطعمون أهليكم؛ إسرافاً كان أو تقتيراً تواسون بينهم وبينهم إن لم تطعموهم الأوسط، والكاف في محل الرفع وتقديره: أو إطعامهم كأسوتهم. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أو إعتاق إنسان، وشرط الشافعي عنه في الأيمان قياساً على كفارة القتل، ومعنى أو إيجاب إحدى الخصال الثلاث مطلقاً، وتخيير المكلف في التعيين. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً منها. ﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ فكفارته صيام ثلاثة أيام، وشرط أبو حنيفة فيه عنه التتابع لأنه قرئ: (ثلاثة أيام متتابعات)، والشواذ ليست بحجة عندنا إذا لم تثبت كتاباً ولم ترو سُنَّة. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: المذكور. ﴿كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوٓا أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ بأن تضنوا بها، ولا تبذلوها لكل أمر، أو بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير، أو بأن تكفروها إذا حنثتم ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك البيان. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أعلام شرائعه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة التعليم، أو نعمة الواجب شكرها؛ فإن مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه.

للشافعية ما يسمى كسوة كقميص وإزار ومنديل ومقنعة [«وكإسوتهم»]؛ أي: وقرئ «كإسوتهم» [إسرافاً أو تقتيراً]؛ أي: لا تنقصوهم عن مقدار نفقة أهليكم ولكن [تواسون بينهم وبينهم]؛ أي: من المساكين والأهلين [إن لم تطعموهم الأوسط] قيد للمواساة [والكاف في محل الرفع] عطفاً على «من أوسط» أن جعل في محل رفع، فإن جُعِل في محل نصب كانت الكاف كذلك، وهذه القراءة تنفي الكسوة من الكفارة[1]، وقد أجمع على أنها إحدى الخصال الثلاث، لكن للقارئ بها أن يقول: استفيدت الكسوة من السُّنَّة.

[يسهل لكم المخرج]؛ أي: الخروج [منه]؛ أي: من إثم الحلف.

---

(١) قال العكبري: ويقرأ شاذاً «أو كأسوتهم» فالكاف في موضع رفع؛ أي: أو مثل أسوة أهليكم بالكسوة. انظر: إملاء ما منَّ به الرحمٰن، العكبري [٣/ ٨١].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿٩٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ﴾؛ أي: الأصنام التي نصبت للعبادة ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ سبق تفسيرها في أول السورة. ﴿رِجۡسٞ﴾ قذر تعاف عنه العقول، وإفراده لأنه خبر للخمر، وخبر المعطوفات محذوف، أو لمضاف محذوف كأنه قال: إنما تعاطي الخمر والميسر ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ الضمير للرجس، أو لما ذكر، أو للتعاطي. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ لكي تفلحوا بالاجتناب عنه. واعلم أنه تعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية، بأن صدر الجملة بـ(إِنَّما) وقرنهما بالأنصاب والأزلام؛ وسماهما رجساً، وجعلهما من عمل الشيطان تنبيهاً على أن الاشتغال بهما شرّ بحت أو غالب، وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سبباً يرجى منه الفلاح، ثم قرر ذلك؛ بأن بيَّن ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى:

﴿٩١﴾ ـ ﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾ وإنما خصهما بإعادة الذكر وشرح ما

[﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠]] القمار [**أو المضاف محذوف**] بالجر عطف على الخمر والتقدير؛ لأنه خبر للخمر أو للمضاف المحذوف، وهو فيما قدرة تعاطي قال أبو حيان: لا حاجة إلى هذا التقدير بل الحكم على الأربعة بأنها رجس أبلغ من هذا التقدير؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التوبة: ٢٨][(١)]. [بَحْت] بفتح الموحدة وسكون الحاء ومثناة فوقية؛ أي: خالص [أو غالب] عطف على «بحت» [وجعله]؛

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٩/٤].

۞ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾.

فيهما من الوبال تنبيهاً على أنهما المقصود بالبيان، وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**شارب الخمر كعابد الوثن**». وخص الصلاة من الذكر بالإفراد للتعظيم، والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان من حيث إنها عماده والفارق بينه وبين الكفر، ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف فقال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ إيذاناً بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية، وأن الأعذار قد انقطعت. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به. ﴿وَٱحْذَرُواْ﴾ ما نهيا عنه أو مخالفتهما. ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول ﷺ بتوليكم، فإنما عليه البلاغ وقد أدى، وإنما ضررتم به أنفسكم.

۝٩٣ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ مما لم يحرم عليهم لقوله: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: اتقوا المحرم، وثبتوا على الإيمان، والأعمال الصالحة ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ ما حرم عليهم

أي: الاجتناب [والشِّرارة] بكسر المعجمة [«**شارب الخمر كعابد الوثن**»]. رواه البزار ورواه ابن حبان بلفظ «**مُدمن الخمر كعابد الوثن**»(١) قال: ويشبه أن يكون فيمن استحلها.

[**وخص الصلاة من الذِّكر بالإفراد..**] إلى آخره. قال الطيبي: مع نقله ذلك أنه من باب قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ [يوسف: ٤] من حيث الاختصاص بالذِّكر ومن حيث التكرير؛ لأنه تكرير عن في قوله عن ذكر الله وعن الصلاة كتكرير «رأيتهم» [﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٩٣]..] إلى آخره. تعليق نفي

---

(١) مسند البزار [٢/١٩٢/برقم: ٥٠٨٥]، صحيح ابن حبان [١٢/١٦٧/برقم: ٥٣٤٧].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

بعد كالخمر ﴿وَءَامَنُوا۟﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي ﴿وَّأَحْسَنُوا۟﴾ وتحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها. روي: (أنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة: يا رسول الله! فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر! فنزلت). ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة، أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى، والإيمان بينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس، وبينه وبين الله تعالى، ولذلك بدل الإيمان بالإحسان في الكرة الثالثة إشارة إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره، أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى، أو باعتبار ما يتقي فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقياً من العقاب، والشبهات تحرزاً عن الوقوع في الحرام، وبعض المباحات تحفظاً للنفس عن الخسة، وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فلا يؤاخذهم بشيء، وفيه أن من فعل ذلك صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً.

﴿٩٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾

الجناح بهذه الأمور ليس على سبيل اشتراطها إذ عدم الجناح في تناول المباح لا يشرط بشرط بل على سبيل المدح والثناء، والدلالة على أنهم بهذه الصفة [روي: «**أنه لما نزل تحريم الخمر..**»] إلى آخره. رواه بمعناه الإمام أحمد[١] وأصله في «الصحيحين»[٢] [**الأوقات الثلاثة**]؛ أي: الماضي والحال والاستقبال التي تقع فيها الأفعال المذكورة [**ولذلك**]؛ أي: والاستعمال، الإنسان التقوى بينه وبين الله [**إلى ما قاله ﷺ في «تفسيره»**]؛ أي: تفسير الإحسان من قوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك**

---

(١) مسند أحمد [١/ ٣٠٤/ برقم: ٢٧٧٥].
(٢) صحيح البخاري [٤/ ١٦٨٨/ ٤٣٤٤]، صحيح مسلم [٣/ ١٥٧٠/ برقم: ١٩٨٠].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾.

نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم وطعناً برماحهم وهم محرمون، والتقليل والتحقير في (بشيء) للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال، فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو أشد منه. ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ﴾ ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة إيمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة إيمانه، فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فالوعيد لاحق به، فإن من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه؛ فكيف به فيما تكون النفس أميل إليه وأحرص عليه.

﴿٩٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾؛ أي: محرمون جمع

تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1]. [التي تدحض الأقدام]؛ أي: تزلقها وتزيلها، يقال: دحضت رجله: زلقت ودحضت الشمس: زالت. قاله الجوهري[2]: [وهو]؛ أي: العقاب [غائب]؛ أي: عن الخائف [منتظر]؛ أي: له [لقوة[3] إيمانه] صلة «الخائف» [ممن لا يخافه] صله يتميز.

[من لا يملك جأشه]؛ أي: روعه. قال الجوهري: جأش القلب روعه إذا

(١) صحيح البخاري [١/ ٢٧/ برقم: ٥٠]، صحيح مسلم [١/ ٣٦/ برقم: ٨].

(٢) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٢٣].

(٣) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (نفرة).

حرام كرداح وردح، ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم، وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه؛ لأنه الغالب فيه عرفاً، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «**خمس يقتلن في الحل والحرم؛ الحدأة، والغراب، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور**». وفي رواية أخرى: «**الحية**» بدل «**العقرب**»، مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ، واختلف في أن هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة، ومذبوح الوثني، أو لا فيكون كالشاة المغصوبة إذا ذبحها الغاصب ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ ذاكراً لإحرامه؛ عالماً بأنه حرام عليه قبل ما يقتله، والأكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء؛ فإن إتلاف العامد والمخطئ واحد في إيجاب الضمان؛ بل لقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ ولأن الآية نزلت فيمن تعمد؛ إذ روي: (أنه عنَّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش، فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله، فنزلت). ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ برفع (الجزاء) و(المثل)؛ قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى: فعليه، أو فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم، وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة؛ فإن متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لا يتم بها، وإنما يكون

اضطرب عند الفزع[١]. [كـ«رداح»] قال الجوهري: هي المرأة الثقيلة الأوراك[٢]. [«**خمس يقتلن في الحل والحرام..**»] إلى آخره. رواه الشيخان[٣] [**هل يلغي حكم الذبح..**] إلى آخره. الأصح عند الشافعي إلغاؤه.

[«**فطعنه**[٤] **أبو اليسر..**»] الذي في «الصحيحين»: أنه أبو قتادة[٥] [**برفع الجزاء والمثل**]؛ أي: مع تنوين جزاء [**فلا يوصف**]؛ أي: المصدر [**ما لم يتم بها**]؛ أي: بالصلة، والأولى به أي: بالمتعلق وقد وصف هنا فامتنع تعلقه به [**وإنما يكون**]؛

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ١٤٢]. (٢) الصحاح، الجوهري [١/ ١٧٥].
(٣) صحيح البخاري [٢/ ٦٤٩/ برقم: ١٧٣١]، صحيح مسلم [٢/ ٨٥٦/ برقم: ١١٩٨].
(٤) في نسخة [ب]: (فطاعنه).
(٥) صحيح البخاري [٥/ ٢٠٩١/ برقم: ٥١٧٣]، صحيح مسلم [٢/ ٨٥١/ برقم: ١١٩٦].

صفته، وقرأ الباقون على إضافة المصدر إلى المفعول، وإقحام مثل كما في قولهم: مثلي لا يقول كذا، والمعنى: فعليه أن يجزى مثل ما قتل. وقرئ: (فَجَزَاءَ مِّثْلَ مَا قَتَلَ)، بنصبهما على: فليجز جزاء، أو: فعليه أن يجزي جزاء يماثل ما قتل، وفجزاؤه مثل ما قتل، وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي، والقيمة عند أبي حنيفة وقال: يقوَّم الصيد حيث صيد؛ فإن بلغت القيمة ثمن هدي تخير؛ بين أن يهدي ما قيمته قيمته، وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بُرّ أو صاعاً من غيره، وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً، وإن لم تبلغ تخير بين الإطعام والصوم، واللفظ للأول أوفق.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ صفة (جزاء)، ويحتمل أن يكون حالاً من ضميره في خبره، أو منه إذا أضفته، أو وصفته ورفعته بخبر مقدر لـ(من) وكما أن التقويم يحتاج إلى نظر واجتهاد يحتاج إلى المماثلة في الخلقة

أي: المتعلق [صفته]؛ أي: المصدر. وردَّ ذلك بأن منع عمل المصدر الموصوف محله في المفعول الصريح، أما شبهه كالجار مما تكفيه رائحة الفعل [أو إقحام مثل]؛ أي: أو على إقحام مثل؛ أي: زيادته [و«فجزاؤه»]؛ أي: وقرئ «فجزاؤه»(١) [﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾] برفعهما.

[واللفظ للأول أوفق]؛ أي: لأن قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ حقيقة فيه وفي جعله القيمة ارتكاب المجاز مع تكلف [ويحتمل أن يكون حالاً من الضمير في خبره]؛ أي: خبر جزاء، إن قدر فعليه جزاء، ومراده بالضمير في خبره الضمير في كائن المقدر لا للضمير المجرور بعده [أو منه]؛ أي: من جزاء [إذا أضفته أو وصفته ورفعته] فيهما على الفاعلية [بخبر مقدر لـ«من»]؛ أي: في قوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ﴾ [المائدة: ٩٥] ويحتمل أن يكون حالاً منه.

أيضاً إذا قدر خبر المبتدأ محذوف؛ أي: فالواجب أو اللازم وأن يكون حالاً

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود. انظر: جامع البيان، الطبري [١٠/ ١٣].

والهيئة إليها؛ فإن الأنواع تتشابه كثيراً. وقرئ (ذُو عدل) على إرادة الجنس أو الإمام. ﴿هَدْيًا﴾ حال من الهاء في (به) أو من جزاء وإن نون لتخصصه بالصفة، أو بدل من (مثل) باعتبار محله، أو لفظه فيمن نصبه. ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وصف به (هدياً) لأن إضافته لفظية، ومعنى بلوغه الكعبة: ذبحه بالحرم والتصدق به، وقال أبو حنيفة: يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء. ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ عطف على (جزاء) إن رفعته، وإن نصبته فخبر محذوف. ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ عطف بيان، أو بدل منه، أو خبر محذوف؛ أي: هي طعام. وقرأ نافع وابن عامر (كفارةُ طَعامٍ) بالإضافة للتبيين كقولك: خاتم فضة، والمعنى عند الشافعي: أو أن يكفِّر بإطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد، فيعطي كل مسكين مُدّاً. ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ أو ما ساواه من الصوم؛ فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً، وهو في الأصل مصدر أطلق للمفعول. وقرئ بكسر العين؛ وهو ما عدل بالشيء في

منه إذا نصب أو رفع مبتدأ عند من جوز الحال منه [على إرادة الجنس]؛ أي: لا الوحدة [أو] إرادة [الإمام]؛ أي: الحاكم[1]. وفي نسخة: «أو اللام». وهو تحريف.

[إن رفعته]؛ أي[2]: [وإن نصبته فخبر محذوف]؛ أي: فكفارة خبر مبتدأ محذوف [بالإضافة للتبيين]؛ أي: لأنه تعالى لما خيّر المكلف بين الهدي والطعام والصيام حسنت الإضافة المبينة فكأنه قيل: كفارة طعام لا كفارة هدي ولا صيام [وهو]؛ أي: «العدل» بالفتح [مصدر أطلق للمفعول] الأنسب بكلام «الكشاف»[3] للفاعل لأنه قال: والفرق بينهما؛ أي: بين مفتوح العين ومكسورها أن «عَدل الشيء» ما عادله من غير جنسه، كالصوم والإطعام. و«عِدله» ما عدل به في المقدار، ومنه «عِدلا الحِمْل»؛ لأن كل واحد منهما «عِدل» بالآخر حتى اعتدلا. كأن المفتوح تسمية بالمصدر، والمكسور بمعنى المفعول به، كالذِّبح ونحوه، ونحوهما الحِمْل والحَمْل انتهى. وأشار التفتازاني إلى فرق آخر في «الحَمل» فقال: «الحَمْل»: بالفتح

---

(١) على قراءة: «ذو عدل». انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٢/ ٣٦٧].
(٢) في نسخة [ز] زيادة: (جزاء).
(٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٧١٢].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

المقدار كعدلي الحمل، وذلك إشارة إلى الطعام، و(صياماً) تمييز للعدل. ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم؛ ليذوق ثقل فعله، وسوء عاقبة هتكه حرمة الإحرام، أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله تعالى، وأصل (الوبل) الثقل؛ ومنه الطعام الوبيل ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ﴾ من قتل الصيد محرماً في الجاهلية أو قبل التحريم، أو في هذه المرة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى مثل هذا ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ﴾ فهو ينتقم الله منه، وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ممن أصر على عصيانه.

﴿٩٦﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء، وهو حلال كله لقوله ﷺ في البحر: «**هو الطَّهورُ ماؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُه**». وقال

ما في البطن وعلى الشجر، و«بالكسر»: ما على الرأس؛ أي: أو الظهر. [وذلك]؛ أي: في قوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾. [وأصل الوبل] هو بفتح الموحدة [فهو ينتقم الله منه] أشار إلى أن «ينتقم» خبر مبتدأ محذوف كما صرح به «الكشاف»(١).

قال التفتازاني: ليصح دخول الفاء؛ لأن الجزاء إذا وقع مضارعاً لم تصح الفاء ما لم يقدر المبتدأ، وكذا المنفي بـ«لا»، فما قيل: إن المضارع يجوز بدون الفاء، فلا يكون للفاء فائدة، وإذا جعلت الجملة اسمية ظهرت الفائدة مبني على ما ذكر من أن الجزاء إذا كان مضارعاً مثبتاً أو منفياً بلا فوجهان، لكنهم صرحوا بأن وجه دخول الفاء تقدير المبتدأ وجعل الجملة اسمية.

[وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح]؛ أي: من أنهما قالا: بأن الانتقام من العائد يمنع وجوب الكفارة عملاً بظاهر الآية [لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر: «هو الطَّهورُ ماؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُه»]. رواه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/ ٧١٢].

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

أبو حنيفة: لا يحل منه إلا السمك. وقيل: يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ ما قذفه أو نضب عنه. وقيل: الضمير للصيد، وطعامه أكله. ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ تمتيعاً لكم؛ نصب على الغرض. ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾؛ أي: ولسيارتكم يتزودونه قديداً. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾؛ أي: ما صيد فيه، أو الصيد فيه؛ فعلى الأول يحرم على المحرم أيضاً ما صاده الحلال وإن لم يكن له فيه مدخل، والجمهور على حله لقوله ﷺ: «**لحم الصيد حلال لكم، ما لم تصطادوه أو لم يُصَدْ لكم**». ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾؛ أي: محرمين، وقرئ بكسر الدال من: (دام يدام). ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿٩٧﴾ ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ صيّرها، وإنما سمي البيت كعبة لتكعُّبه

أبو داود(١) والترمذي وغيرهما وصححوه(٢). [﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة: ٩٦]] عطف على صيد البحر، وأحل لكم طعام البحر [ما قذفه]؛ أي: ما رماه البحر من السمك(٣) [أو نضب عنه]؛ أي: ذهب عنه [وقيل: **الضمير للصيد وطعامه أكله**]؛ فالصيد على هذا بمعنى الاصطياد والمعنى: أحل لكم اصطياد الصيد وأكل الصيد [نصب على الغرض]؛ أي: على العلة لأنه مفعول له [ما صيد فيها..] إلى آخره. القياس فيه في الموضعين كما عبر به «الكشاف»(٤).

[فعلى الأول يحرم على المحرم أيضاً..] إلى آخره. سكت عن التفريع، على الثاني؛ لأنه لا اعتراض عليه؛ لأنه معنى أو الصيد فيها أو صدتم والصيد فيها، ولا ريب أن صيد المحرم حرم عليه [«لحم الصيد حلال لكم..»] إلى آخره. رواه الحاكم وصححه(٥). [لتكعبه]؛ أي: تربعه.

---

(١) سنن أبي داود [١/ ٦٩/ برقم: ٨٣].

(٢) سنن الترمذي [١/ ١٠٠/ برقم: ٦٩]، سنن النسائي [١/ ٥٠/ برقم: ٥٩].

(٣) في نسخة [ز ـ ب] زيادة: (ميتا).

(٤) الكشاف، الزمخشري [١/ ٧١٣].

(٥) مستدرك الحاكم [١/ ٦٢١/ برقم: ١٦٥٩].

۞ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)﴾.

﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عطف بيان على جهة المدح، أو المفعول الثاني ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ انتعاشاً لهم؛ أي: سبب انتعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم، يلوذ به الخائف، ويأمن فيه الضعيف، ويربح فيه التجار، ويتوجه إليه الحجاج والعمار، أو ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم. وقرأ ابن عامر (قيماً) على أنه مصدر على فعل؛ كـ(الشبع) أعل عينه كما أعلت في فعله، ونصبه على المصدر أو الحال. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ سبق تفسيرها، والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدي فيه الحج، وهو ذو الحجة لأنه المناسب لقرنائه، وقيل: الجنس. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الجعل، أو إلى ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره. ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها؛ دليل حكمة الشارع وكمال علمه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تعميم بعد تخصيص، ومبالغة بعد إطلاق.

(٩٨) - (٩٩) ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ....

[انتعاشاً]؛ أي: ارتفاعاً ونهوضاً، في «الصحاح»: نعشه الله رفعه، وانتعش العاثر نهض من عثرته. [يلوذ]؛ أي: يلجأ [به]؛ أي: بالبيت الحرام [أو ما يقوم به] عطف على انتعاشاً [ونصبه على المصدر أو على الحال] ذكر ذلك بعد أن فسر «جعل» بمعنى «صيَّر» لكن الذي قاله أبو البقاء: إنه إن كان جعل بمعنى «صير»، فـ«قياماً» مفعول ثان أو بمعنى «خلق» فهو حال، ويمكن أن يقال ما قاله المصنف وأبو البقاء ليس بلازم بل كل منها جائز. [أعل عينه]؛ لأنه واوي فقلبت الواو ياء بالمناسبة الكسرة قبلها [كما أعل في فعله]؛ أي: وهو «قام» إذ أصله «قَوَم» فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها(١) [لمن انتهك محارمه]؛ أي: محارم الله وهو

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ١٣١].

۞ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠٠﴾.

ولمن حافظ عليها، أو لمن أصر عليه ولمن أقلع عنه. ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمر؛ أي: الرسول أتى بما أمر به من التبليغ، ولم يبق لكم عذر في التفريط. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة.

١٠٠ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها، رغب به في صالح العمل وحلال المال. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإن العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة، فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير، والخطاب لكل معتبر ولذلك قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: فاتقوه في تحري الخبيث وإن كثر، وآثروا الطيب وإن قلَّ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ راجين أن تبلغوا الفلاح. روي: (أنها نزلت في حُجَّاجِ اليمامة لما همَّ المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عنه وإن كانوا مشركين).

راجع إلى الوعيد [ولمن حافظ عليها] راجع إلى «الوعد» كما أن قوله: [أو لمن أصر عليه]؛ أي: على انتهاك محارمه راجع إلى «الوعيد» [ولمن انقلع عنه] راجع إلى الوعد [﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٩٧]]؛ أي: قياماً للناس [لقرنائه]؛ أي: الكعبة والهدي والقلائد [وقيل: الجنس]؛ أي: وقيل: المراد بالشهر الحرام: الجنس، فيشمل الأشهر الحرم الأربعة.

[بما أمر]؛ أي: الرسول وفسر الآية بقوله [أي: الرسول أتى بما أمر به..] إلى آخره. [في حُجَّاجِ اليمامة][1] اليمامة: اسم لجارية ولبلاد وهو المراد هنا. قال الجوهري: اليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، يقال:

---

(١) انظر القصة في: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٦/ ٤٣].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿١٠١﴾ - ﴿١٠٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ الشرطية وما عطف عليها صفتان لأشياء؛ والمعنى: لا تسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء إن تظهر لكم تغمكم، وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم، وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال؛ وهو أنه مما يغمهم، والعاقل لا يفعل ما يغمه. و(أشياء) اسم جمع كـ(طرفاء) غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء. وقيل: أفعلاء؛ حذفت لامه جمع لشيء على أن أصله (شيء) كـ(هَيِّن)، أو (شيِيء) كـ(صديق) فخفف. وقيل: أفعال جمع له من غير تغيير كبيت وأبيات، ويرده منع صرفه. ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ صفة أخرى؛ أي: عن

أبصر من زرقاء اليمامة، واليمامة بلاد وكان اسمها الجوّ فسمِّيت باسم هذه الجارية لكثرة ما أضيف إليها وقيل: جو اليمامة ويقال: اليمامة للقصد وللحمامة الوحشية[(١)].

[**الشرطية**]؛ أي: الأولى [**وما عطف عليها**]؛ أي: الشرطية الثانية [**وهما**]؛ أي: الشرطيتان [**وهو**]؛ أي: ما يمنع السؤال [**وأشياء اسم جمع**]؛ أي: لا جمع وإن كانت بزِنَتِه؛ لأنها غير منصرفة كما في الآية لكون همزتها الثانية للتأنيث فهو مفرد يراد به الجمع [**غير أنه قلبت لامه**]؛ أي: همزته الأولى التي هي لام الكلمة، قلباً مكانيّاً فأصل أشياء «شياء» بوزن «فعلاء» [**فجعلت**] بعد القلب [«**لفعاء**»] فلذلك كانت اسم جمع، كـ«طرفاء» و«قصباء» وهذا مذهب الخليل وسيبويه[(٢)] [**وقيل**]: أصله أشياء بهمزتين بينهما ألف بعد ياء مكسورة [**بوزن «أفعلاء» حذفت لامه**] وهي الهمزة الأولى تخفيفاً ثم فتحت الياء لمجاورة الألف فبقى بعد ذلك وزنه «أفعاء» [**وقيل**]: وزنه «**أفعال**» [**جمع له**]؛ أي: لشيء [**من غير تغيير**]؛ أي: من غير قلب وحذف.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٠٨].
(٢) الأصول في النحو، ابن السراج البغدادي [٣/ ٣٣٧].

أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها. إذ روي: (أنه لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قال سراقة بن مالك: أَكُلَّ عام؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ؛ حتى أعاد ثلاثاً فقال: «**لا! ولو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، فاتركوني ما تركتكم**»، فنزلت). أو استئناف؛ أي: عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا لمثلها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم، ويعفو عن كثير. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم ـ وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم ـ فقال: «**لا أُسْأَل عن شيء إلا أجبت**»! فقال رجل: أين أبي؟ فقال: «**في النار**»، وقال آخر: من أبي؟ فقال: «**حذافة!**» وـ كان يدعى لغيره ـ، فنزلت). ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ الضمير للمسألة التي دل عليها (تسألوا)؛ ولذلك لم يُعَدَّ بعن، أو لأشياء فحذف

[**إذ روي أنها**]؛ أي: القصة وفي نسخة: «أنه»؛ أي: الشأن [**لما نزلت** ﴿وَلِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٩٧]..] إلى آخره. رواه الطبري بمعناه، لكنه عبر بـ«رجل» بدل «سراقة»، ولا منافاة نعم ذكر «الكشاف»[١] القصة مطولة، وذكر أن راويها سراقة أو عكاشة، قال شيخنا: وهذا السياق لم أجده عن سراقة ولا عن عكاشة، وكلامه يفهم أنهما روياها بغير هذا السياق، بأن رواها أحدهما بلفظ والآخر بآخر، وهو كذلك كما صرح به بعد. [**أو استئناف**] عطف على صفة أُخْرَى.

[**وعن ابن عباس: «أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم..»**] إلى آخره. رواه بمعناه البخاري[٢] [**الضمير للمسألة**]؛ أي: فيكون في محل المصدر لا المفعول به؛ ليلزم التعدية بعن أو التأويل بحذفها واتصال مدخولها بالعامل أو بغير ذلك. قال الطيبي: واعلم أن الطلب والسؤال والاستخبار والاستفهام والاستعلام، ألفاظ متقاربة مترتب بعضها على بعض؛ فالطلب أعمها لأنه يقال فيما تسأله من غيرك وفيما تطلبه من نفسك، والسؤال لا يقال إلا فيما تطلبه من غيرك، فكل سؤال طلب ولا ينعكس، والسؤال يقال في الاستعطاء، فيقال: «سألته كذا»، وفي

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١/٦١٧].

(٢) صحيح البخاري [١/٤٧/برقم: ٩٢].

۞ ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾.

الجار. ﴿مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾ متعلق بـ(سألها) وليس صفة لـ(قوم)، فإن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة، ولا حالاً منها، ولا خبراً عنها. ﴿ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾؛ أي: بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحوداً.

١٠٣ ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍۙ﴾ ردّ وإنكار لما ابتدعه أهل الجاهلية؛ وهو أنهم إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها

الاستخبار فيقال: «سألته عن كذا»، والاستخبار استدعاء الخبر وهو أخص من السؤال فكل استخبار سؤال ولا ينعكس، والاستفهام طلب الإفهام وهو أخص من الاستخبار(١)، فإن قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] استخبار وليس باستفهام، فكل استفهام استخبار ولا ينعكس، والاستعلام طلب العلم وهو أخص من الاستفهام؛ إذ ليس كل ما يفهم يعلم بل قد يظن ويخمن، فكل استعلام استفهام ولا ينعكس.

[وليس صفة لـ«قوم» فإن ظرف الزمان..] إلى آخره. قال أبو حيان، هذا محله في ظرف الزمان المجرد من الوصف، أما إذا لم يتجرد عنه فيصح أن يكون صفة للجثة؛ أي: أو حالاً منها أو خبراً عنها، وقبل(٢) وبعد وصفان في الأصل، فإذا قلت: «جاء زيدٌ قبل عمرو»، فالمعنى: جاء في زمان قبل زمان مجيئه؛ أي: يقدم عليه(٣). ولذا صح وقوعه صلة للموصول ولو لم يلحظ فيه الوصف وكان ظرف زمان مجرداً لم يجز أن يقع صلة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١] ولا يجوز والذين اليوم. [لم يأتمروا بما سألوا]؛ أي: بالأمر الذي أمروا به في جواب أسئلتهم فإنهم كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها [نتجت]

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري [ص١٥٧ وص١٨٦].

(٢) كما في نسخة [ز] وفي بقية النسخ: (قيل) والصواب ما أثبتناه لسياق الكلام والله أعلم.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/ ٢٦].

۞ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

ذكر؛ بحروا أذنها؛ أي: شقوها، وخلوا سبيلها؛ فلا تُركب ولا تُحْلب، وكان الرجل منهم يقول: إن شفيت فناقتي سائبة؛ ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، وإن ولدتهما قالوا: وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا: قد حمى ظهره، ومعنى: ﴿مَا جَعَلَ﴾ ما شرع ووضع؛ ولذلك تعدى إلى مفعول واحد وهو البحيرة. و﴿مِنۢ﴾ مزيدة. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بتحريم ذلك ونسبته إليه. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: الحلال من الحرام، والمبيح من المحرم، أو الآمر من الناهي، ولكنهم يقلدون كبارهم؛ وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ بيان لقصور عقولهم، وانهماكهم في التقليد، وأن لا سند لهم سواه. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الواو للحال، والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل على هذه الحال؛ أي: أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين؟ والمعنى: أن الاقتداء إنما يصح بمن علم أنه عالم مهتد؛ وذلك لا يعرف إلا بالحجة فلا يكفي التقليد.

﴿١٠٥﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: احفظوها والزموا إصلاحها، والجار مع المجرور جعل اسماً لـ(إلزموا)؛ ولذلك نصب

بالبناء للمفعول [فلا يذبح لها]؛ أي: لآلهتهم [والمبيح]؛ أي: والدليل المبيح

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾.

(أنفسكم). وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين، ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**». والآية نزلت: لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم، وقيل: (كان الرجل إذا أسلم قالوا له: سفهت آباءك، فنزلت). و(لا يَضُرُّكُمْ) يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ: (لا يضيركم) والجزم على الجواب أو النهي؛ لكنه ضُمت الراء إتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة، وتنصره قراءة من قرأ: (لَا يَضُرَّكُمْ) بالفتح، و(لا يَضِرْكُم) بكسر الضاد، وضمها من: (ضاره يضيره ويضوره). ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ وعد ووعيد للفريقين، وتنبيه على أن أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره.

١٠٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾؛ أي: فيما

[وقرئ بالرفع على الابتداء]؛ أي: والخبر عليكم.

[﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ الضلال]؛ أي: ضلال غيركم [«من رأى منكراً..»] إلى آخره. رواه مسلم[1] [ويؤيده أن قرئ: ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾] صوابه «لا يضيركم» كما في «الكشاف»[2] [والجزم] عطف على الرفع [على الجواب]؛ أي: للأمر في «عليكم» [وينصره]؛ أي: الجزم [قراءة من قرأ «لا يضرَّكم» بالفتح]؛ أي: بفتح الراء وتشديدها [ولا يضركم بكسر الضاد وضمها]؛ أي: وجزم الراء المخففة [أي: فيما

---

(١) صحيح مسلم [١/٦٩/ برقم: ٤٩].

(٢) الكشاف، الزمخشري [١/٧١٨].

أمرتم شهادة بينكم، والمراد بالشهادة الإشهاد في الوصية وإضافتها إلى الظرف على الاتساع، وقرئ (شَهَادَةً) بالنصب والتنوين على: ليقم. ﴿إِذَا

أمرتم شهادة بينكم] أعرب شهادة: مبتدأ خبره محذوف، وجوز بعد أن يكون خبره اثنان على حذف مضاف، قيل: وهذه الآية وما بعدها من أشكال آي القرآن حكماً وإعراباً وتفسيراً[١].

[بالنصب والتنوين] وقرئ أيضاً بالرفع والتنوين و«بينكم» على القراءتين منصوب، و«الشهادة» في الآية على بابها أو المراد بها الوصية كما أفاد بها المصنف، وقيل: المراد بها اليمين بمعنى: يمين ما بينكم. أن يحلف اثنان. قال القرطبي: ورد لفظ الشهادة في القرآن على أنواع مختلفة: بمعنى الحضور، قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبمعنى قضى، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] وبمعنى أقرَّ، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦] وبمعنى حكم، قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦] وبمعنى حلف، قال تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ [النور: ٦] وبمعنى وصّى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦][٢]. انتهى.

والحامل على العدول عن الظاهر اتفاق الأكثرين على أنه لا نسخ في سورة المائدة؛ فلزم حمل الشهادة على اليمين أو الوصية، واثنين على وصيَّين بدليل نزول الآية فيهما والإيصاء إلى واحد وإن صحَّ إلا أنه ورد في الآية إلى اثنين للتأكد واعتضاد أحدهما بالآخر، والوصيان يحلفان إن وقع فيهما ريبةٌ، ثم إن ظهر منهما خيانة وادَّعيا تملك شيء من مال الميت كما في مورد الآية يحلف الورثة، وإنما سميت الوصية شهادة لأن من أوصى بشيء فقد أخبر عن نفسه وشهد عليها، وسميت اليمين شهادة لأنه يثبت بها الحكم كما يثبت بالشهادة.

[ليقم]؛ أي: ليقم شهادة اثنان بجعل اثنان فاعلاً ليقم وتبع في ذلك «الكشاف»[٣]. وَرُدَّ بأن حذف الفعل دون فاعله لم يجز إلا أن يشعر به ما قبله؛

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٧/ ٥٦٣].

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٦/ ٢٤٨]. (٣) الكشاف، الزمخشري [١/ ٧١٩].

حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ إذا شارفه وظهرت أماراته؛ وهو ظرف للشهادة. ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه، وفي إبداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغي أن لا يتهاون فيه، أو ظرف (حضر). ﴿ٱثْنَانِ﴾ فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف. ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾؛ أي: من أقاربكم، أو من المسلمين؛ وهما صفتان لـ(اثنان). ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ عطف على (اثنان)، ومن فسر (الغير) بأهل الذمة جعله منسوخاً؛ فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعاً. ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سافرتم فيها. ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: قاربتم الأجل. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ تقفونهما وتصبرونهما صفة لـ(آخران)، والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم؛ فإن تعذر كما في السفر فمن غيركم، أو استئناف؛ كأنه قيل: كيف نعمل إن

كرجال في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] فمن قرأ بفتح الياء؛ أي: «يسبحه رجال» أو «أن يجاب به نفي»؛ كـ«بل زيدٌ» في جواب «ما قام أحد»؛ أي: «بل قام زيدٌ»، أو استفهام كـ«زيد» في جواب «من قرأ؟»؛ أي: «قرأ زيد»، وما هنا ليس بشيء من الثلاثة.

[﴿ٱثْنَانِ﴾ [المائدة: ١٠٦] **فاعل شهادة**]؛ أي: أو يشهد مقدَّراً أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الشاهدان اثنان أو خبر شهادة كما ذكره مقيداً بقوله: [**ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف**]؛ أي: من شهادة تقديره ذو شهادة أو من اثنان تقديره شهادة اثنين، هذا كله على رفع شهادة، أما على نصبها فهو فاعل مذكور مقدر(١) كما مرّ بما فيه وجوز بعضهم كونه فاعل شهادة(٢). [**ومن فسر «الغير» بـ«أهل الذمة» جعله منسوخاً**]؛ أي: وأما من فسره بغير الأقارب من المسلمين فيتعين تفسير «ذوا عدل» بكونهما من أقاربه المسلمين [**المدلول عليه بقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾**] تقديره: «إن ارتبتم فأشهدوا آخرين» [**أو استئناف**] عطف على اعتراض

---

(١) في نسخة [ز]: (بذكر مقدر)، وفي نسخة [ج]: (بفعل مقدر)، وفي نسخة [ب]: (مذكر مقد).

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ١٥٤].

۞ ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

ارتبنا بالشاهدين؟ فقال: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ صلاة العصر؛ لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار. وقيل: أيّ صلاة كانت! ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ إن ارتاب الوارث منكم. ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ مقسم عليه، و(إن ارتبتم) اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب. والمعنى: لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضاً من الدنيا؛ أي: لا نحلف بالله كاذباً لطمع. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المقسم له قريباً منا، وجوابه أيضاً محذوف؛ أي: لا نشتري. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الشهادة التي أمرنا بإقامتها، وعن الشعبي: أنه وقف على (شهادة)، ثم ابتدأ: (آلله) بالمد على حذف حرف القسم، وتعويض حرف الاستفهام منه، وروي عنه بغيره؛ كقولهم: الله لأفعلنّ. ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾؛ أي: إن كتمنا. وقرئ (لَمِلَّاثِمين) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها.

﴿١٠٧﴾ ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فإن اطلع. ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾؛ أي: فعلاً ما أوجب إثماً كتحريف. ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ فشاهدان آخران. ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ من الذين جنى عليهم وهم الورثة. وقرأ حفص:

[وروي عنه]؛ أي: أنه قرأ **[بغيره]**؛ أي: بغير مد[1] **[من الذين جنى عليهم]**. قال التفتازاني: يشير إلى أن استحقاق الإثم عليهم كناية عن هذا المعنى، وذلك لأن

---

(١) أي: قرأ: «لَمِلَّاثِمِيْن» بإدغام نون «مِن» في لام التعريف بعد أن أدخل إليها حركة الهمزة في «آثمين» فاعتد بحركة النقل فأدغم، وهي قراءة ابن محيصن والأعمش. انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ١٧٠].

(اسْتَحَقَّ) على البناء للفاعل وهو ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾. الأوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما؛ وهو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هما الأوليان، أو خبر (آخَرانِ) أو مبتدأ خبره (آخران)، أو بدل منهما، أو من الضمير في (يقومان). وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم: (الأَوَّلِينَ) على أنه صفة (للذين)، أو بدل منه؛ أي: من الأولين الذين استحق عليهم. وقرئ (الأولين) على التثنية وانتصابه على المدح، والأولان وإعرابه إعراب (الأوليان). ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أصدق منها وأولى بأن تقبل. ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ وما تجاوزنا فيها الحق ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الواضعين الباطل موضع الحق، أو الظالمين أنفسهم إن اعتدينا.

ومعنى الآيتين: أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته، أو يوصي إليهما احتياطاً؛ فإن لم يجدهما ـ بأن كان في سفر ـ فآخران من غيرهم، ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت، فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة أو مظنة حلف؛ آخران من أولياء الميت، والحكم (منسوخ): إن كان الاثنان شاهدين؛ فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث. و(ثابت): إن كانا وصيين. وردُّ اليمين إلى الورثة؛ إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته، أو لتغيير الدعوى. إذ

معنى استحق الشيء لاق به أن ينسب إليه، والجاني للإثم المرتكب له يليق أن ينسب إليه الإثم فاستحق الإثم في معنى أرتكبه وجناه، فالذين أستحق عليهم الإثم[١]؛ أي: جنى عليهم وارتكب الذنب بالقياس إليهم هم الورثة **[أو لتغيير[٢] الدعوى]** عطف على ظهور خيانة الوصيين.

---

(١) عبارة: (المرتكب له يليق أن ينسب إليه الإثم فاستحق الإثم في معنى ارتكبه وجناه، فالذين استحق عليهم الإثم) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (لتفسير).

۞ ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

روي: (أنَّ تميماً الداري وعدي بن زيد خرجا إلى الشام للتجارة ـ وكانا حينئذ نصرانيين ـ ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص ـ وكان مسلماً ـ فلما قدموا الشام مرض بديل، فدَوَّن ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به، وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات، ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة ـ فيه ثلاثمائة مثقال منقوشاً بالذهب ـ فغيباه، فوجدا أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء، فجحدا! فترافعوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، فحلَّفهما رسول الله ﷺ بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما، ثم وجد الإناء في أيديهما فأتاهما بنو سهم في ذلك فقالا: قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقربه! فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان وحلفا واستحقاه). ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة.

﴿١٠٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الحكم الذي تقدم، أو تحليف الشاهد. ﴿أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أن ترد اليمين على المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة؛ وإنما جمع الضمير لأنه حكم يعم

[روي: «أن تميماً الداري وعدي بن بداء..»] إلى آخره. رواه الترمذي مطولاً وقال: ليس إسناد بصحيح[1]، ورواه البخاري[2] وأبو داود مختصراً[3]، وبدا بفتح الموحدة وتشديد المهملة والمد [أي: الحكم الذي تقدم]؛ أي: وهو رد اليمين على

(١) سنن الترمذي [٤/ ٥٢١/ برقم: ٢٢٥٣].

(٢) صحيح البخاري [٣/ ١٠٢٢/ برقم: ١٦٢٨]. (٣) سنن أبي داود [٤/ ٥٢١/ برقم: ٢٢٥٣].

۞ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩﴾.

الشهود كلهم. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ۗ﴾ ما توصون به سمع إجابة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: إن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوماً فاسقين ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: لا يهديهم إلى حجة، أو إلى طريق الجنة. فقوله تعالى:

١٠٩ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ ظرف له، وقيل: بدل من مفعول (واتقوا) ـ بدل الاشتمال ـ، أو مفعول (واسمعوا) على حذف المضاف؛ أي: واسمعوا خبر يوم جمعهم، أو منصوب بإضمار (اذكر). ﴿فَيَقُولُ﴾؛ أي: للرسل. ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾؛ أي: إجابةٍ أُجِبْتُم؟ على أن ﴿مَاذَآ﴾ في موضع المصدر، أو بأي شيء أجبتم؟ فحذف الجار، وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما أن سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد؛ ولذلك قالُوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآۖ﴾؛ أي: لا علم لنا بما لست تعلمه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما لا نعلم مما أضمروا في قلوبهم،

الورثة [ظرف له]؛ أي: لعدم هداية الفاسقين [بدل الاشتمال]؛ أي: من الله لما بينهما من الملابسة بغير الكلية والبعضية، بطريق اشتمال المبدل منه على البدل لا كاشتمال الظرف على المظروف؛ بل بمعنى أنه ينتقل الذهن إليه في الجملة، ويقتضيه بوجه إجمالي مثلاً إذا قيل: «اتقوا الله» يتبادر الذهن إلى أنه من أي أمر من أموره، وأي يوم من أيام أفعاله يجب الاتقاء، أيوم جمعه للرسل والأمم؟ أم غير ذلك[(١)]، نبه عليه التفتازاني.

[أو «بأي شيء أجبتم» فحذف الجار]؛ أي: وهو الباء، و«ما» استفهامية، وعلى ما قبله مصدرية كما علم من كلامه [كما أن سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد]؛

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٧/ ٥٤].

۞ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾.

وفيه التشكي منهم ورد الأمر إلى علمه بما كابدوا منهم. وقيل المعنى: لا علم لنا إلى جنب علمك، أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا، وإنما الحكم للخاتمة. وقرئ (علَّامَ) بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾؛ أي: أنت الموصوف بصفاتك المعروفة، و(علام) منصوب على الاختصاص أو النداء. وقرأ أبو بكر وحمزة (الغِيوب) بكسر الغين؛ حيث وقع.

﴿١١٠﴾ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ بدل من (يوم يجمع) وهو على طريقة: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] والمعنى: أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم، وتعديد ما أظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة، وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة. أو نصب بإضمار (اذكر). ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ قويتك. وهو ظرف لـ﴿نِعْمَتِي﴾ أو حال منه، وقرئ (آيدتك). ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾

أي: في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]. [وفيه]؛ أي: في لا علم لنا، . . إلى آخره. [التشكي]؛ أي: تشكي الأنبياء إلى ربهم في الانتقام من أعدائهم والأخبار [عنهم]؛ أي: من أعدائهم بما لقوا من سوء صنيعهم. [وهو على طريقة ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]]؛ أي: في أن الماضي أقيم مقام المضارع(١) [أو نصب] عطف على بدل من «يوم يجمع» [بروح القدس] الإضافة فيه

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/ ٣٩].

۞ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

بجبريل عليه السلام، أو بالكلام الذي يحيى به الدين أو النفس حياة أبدية، ويطهر من الآثام ويؤيده قوله: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ﴾؛ أي: كائناً في المهد وكهلاً، والمعنى: تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء، والمعنى: إلحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم، وبه استدل على أنه سينزل؛ فإنه رفع قبل أن يكتهل. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ﴾ سبق تفسيره في سورة (آل عمران). وقرأ نافع ويعقوب (طائراً)، ويحتمل الإفراد والجمع كـ(الباقر). ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾؛ يعني: اليهود حين هموا بقتله ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ظرف لـ(كففت). ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما هذا الذي جئت به إلا سحر مبين. وقرأ حمزة والكسائي إلا (ساحر) فالإشارة إلى عيسى عليه السلام.

﴿١١١﴾ - ﴿١١٢﴾ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾؛ أي: أمرتهم على ألسنة رسلي. ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ يجوز أن تكون (أن) مصدرية، وأن تكون مفسرة ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ منصوب بالذكر، أو ظرف لـ(قالوا) فيكون تنبيهاً على أن

كالإضافة في رجل صدق؛ لأن جبريل المعبر عنه بالروح ظهر في نفسه [ويؤيده]؛ أي: تفسير روح القدس بالكلام الذي يحيي به الدين أو النفس [بعد] بضم الدال وهو ساقط من نسخة، وهي أولى.

۞ ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

ادعاءهم الإخلاص مع قولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة. وقيل: هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة. وقيل المعنى: هل يطيع ربك؟ أي: هل يجيبك؟ و(استطاع) بمعنى: أطاع كـ(استجاب وأجاب). وقرأ الكسائي: (تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ)؛ أي: سؤالَ ربِّك، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارف. و(المائدة): الخوان إذا كان عليه الطعام، من: (ماد الماء يميد) إذا تحرك، أو من: (ماده) إذا أعطاه؛ كأنها تميد من تقدم إليها، ونظيره قولهم: شجرة مطعمة. ﴿قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من أمثال هذا السؤال. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بكمال قدرته وصحة نبوتي، أو صدقتم في ادعائكم الإيمان.

﴿١١٣﴾ - ﴿١١٤﴾ ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال؛ وهو أن يتمتعوا بالأكل منها. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة، أو أن الله يجيب دعوتنا ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ إذا استشهدتنا، أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر. ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لما رأى أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك، أو أنهم لا يقلعون عنه؛ فأراد إلزامهم الحجة بكمالها. ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾؛ أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه. وقيل: العيد السرور العائد، ولذلك سمي يوم العيد عيداً. وقرئ: (تكن) على جواب الأمر ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل من لنا بإعادة العامل؛ أي: عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا. روي: أنها نزلت

۞ ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾.

يوم الأحد فلذلك اتخذه النصارى عيداً. وقيل: يأكل منها أولنا وآخرنا. وقرئ: (لأولانا وأُخْرَانا) بمعنى: الأمة أو الطائفة ﴿وَءَايَةٗ﴾ عطف على (عِيداً) ﴿مِّنكَۖ﴾ صفة لها؛ أي: آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ المائدة والشكر عليها ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ أي: خير من يرزق؛ لأنه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض.

١١٥ ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ﴾ إجابة إلى سؤالكم. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم (مُنَزِّلُها) بالتشديد. ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا﴾؛ أي: تعذيباً، ويجوز أن يجعل مفعولاً به على السعة ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ الضمير للمصدر، أو للعذاب إن أريد ما يعذب به على حذف حرف الجر ﴿أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: من عالمي زمانهم، أو العالمين مطلقاً؛ فإنهم مسخوا قردة وخنازير، ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم.

روي: (أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال: اللَّهُمَّ اجعلني من الشاكرين، اللَّهُمَّ اجعلها رحمة ولا تجعلها مُثْلَة وعقوبة، ثم قام فتوضأ وصلى وبكى، ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك، تسيل دسماً، وعند

[وقيل: يأكل منها أولُنا وآخرنا] عطف على بدل، فقوله: ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ متعلق بمحذوف صفة لِـ«عيدٍ»؛ أي: يكون لنا عيداً يأكل منها فيه أولنا وآخرنا[(١)] [مثله وعقوبة] العطف للتفسير، والمراد العقوبة الغريبة. فقد قال الطيبي: المراد بـ«المثلة»: العقوبة الغريبة كالمسخ. [بلا فلوس]؛ أي: بلا قشور كالفلوس. قال

(١) اللباب، ابن عادل [٧/ ٦٠٩].

رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث؛ وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد. فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ قال: ليس منهما ولكن اخترعه الله تعالى بقدرته! كلوا ما سألتم، واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله، فقالوا: يا روح الله! لو أريتنا من هذه الآية؛ آية أخرى فقال: يا سمكة احيي بإذن الله! فاضطربت، ثم قال لها: عودي كما كنت؛ فعادت مشوية، ثم طارت المائدة، ثم عصوا بعدها فمسخوا). وقيل: كانت تأتيهم أربعين يوماً غباً يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون؛ حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها، ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره، ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبداً، ثم أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء، فاضطرب الناس لذلك؛ فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلاً). وقيل: (لما وعد الله إنزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا: لا نريد! فلم تنزل). وعن مجاهد: أن هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات. وعن بعض الصوفية: المائدة هاهنا عبارة عن حقائق المعارف؛ فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن، وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها، فقال لهم عيسى

في «القاموس»: وشيء مفلس اللون على جلده لمع كالفلوس.

[فاء الفيء]؛ أي: رجع. قال الجوهري: والفيء ما بعد الزوال من الظل(١). وإنما سمي فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب، إن هذا مثل؛ أي: قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥].. إلى آخره. فبيَّن الله تعالى أن إنزاله سهل؛ أي: بيَّنه بقوله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾؛ بمعنى: أني قادر على إنزالها، ولكن فيه؛ أي: في

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/١٤٩].

۞ ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

عليه الصلاة والسلام: إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها، فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه؛ فسأل لأجل اقتراحهم، فبيَّن الله تعالى أن إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة، فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالاً بعيداً.

﴿١١٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم، و(من دون الله) صفة لـ(إلٰهين) أو صلة (اتخذوني)، ومعنى: (دون) إما المغايرة: فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة، فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده، أو القصور: فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة، وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله ﷻ؛ وكأنه قيل: اتخذوني وأمي إلٰهين متوصلين بنا إلى الله تعالى. ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾ ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ﴾ تعلم ما أخفيه في نفسي كما

إنزالها بهذا المعنى [خطر..] إلى آخره. فلا أنزلها لكم، [أو للقصور] عطف على المغايرة قوله: [أي: أنزهك من أن يكون لك شريك] إشارة إلى أن أتخاذهما إلٰهين، تشريك لهما معك في الألوهية لا إفراد لهما بذلك إذ لا شبهة في ألوهيتك وأنت منزه عن الشركة فضلاً أن نتخذ إلٰهان دونك على ما يشعر به ظاهر العبارة، نبه عليه التفتازاني.

۞ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

تعلم ما أعلنه، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك. وقوله: ﴿فِي نَفْسِكَۚ﴾ للمشاكلة، وقيل: المراد بـ(النفس) (الذات). ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه.

﴿١١٧﴾ - ﴿١١٨﴾ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾ عطف بيان للضمير في (به)، أو بدل منه، وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقاً ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع، أو خبر مضمر أو مفعوله؛ مثل (هو) أو (أعني)، ولا يجوز إبداله من (ما أمرتني به) فإن المصدر لا يكون مفعول القول،

[**وقوله**: ﴿فِي نَفْسِكَۚ﴾ للمشاكلة] إذ لا يطلق على الله تعالى بدونها اسم النفس [**تقدير للجملتين**] هما: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦][1]. [**باعتبار مفهومه ومنطوقه**]؛ أي: منطوق ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ومفهومه لأنه يدل بمنطوقه على أنه تعالى يعلم الغيب فيكون مقرراً لقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ويدل بمفهومه على أنه لا يعلم الغيب غيره فيكون مقرر لقوله تعالى. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾ [**عطف بيان الضمير في به**]؛ أي: وإن كان من غير الغالب إذ الغالب أن عطف البيان إنما يكون في الجوامد [**أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقاً ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجح**]. رد به منع الزمخشري[2] جواز البدل معللاً له بلزوم ما ذكر. وحاصل الرد: أن جواز طرح المبدل منه ليس بلازم مطلقاً بدليل جواز: «زيد لقيت غلامه رجلاً صالحاً». وَرُدَّ أيضاً بأن المبدل منه ليس في حكم التنحية بالكلية.

---

(١) الكليات، الكفومي [ص١٣٥٣].
(٢) الكشاف، الزمخشري [١/ ٧٢٧].

ولا أن تكون أن مفسرة؛ لأن الأمر مسند إلى الله تعالى، وهو لا يقول: اعبدوا الله ربي وربكم، والقول لا يفسر بل الجملة تحكي بعده؛ إلا أن يؤول القول بالأمر؛ فكأن ما أمرتهم إلا مثل بما أمرتني به ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾. ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾؛ أي: رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه، أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ بالرفع إلى السماء لقوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ و(التوفي): أخذ الشيء وافياً، والموت نوع منه؛ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالإرشاد إلى الدلائل، والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع عليه مراقب له ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾؛ أي: إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك؛ ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه، وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك. ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب، الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب؛ فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم، فإن عذَّبتَ فعدل، وإن غفرت فَفَضل. وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بـ(أن).

[ولا أن تكون مفسرة لأن الأمر مسند إلى الله، وهو لا يقول أعبدوا الله ربي وربكم] رُدَّ بأنه يجوز أن عيسى نقل معنى كلام الله بهذه العبارة كأنه قيل: «ما قلت لهم شيئاً سوى قولك لي قل لهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [والقول لا يفسر]؛ أي: على قول الأكثر وإلَّا فقد جوز بعضهم بأن القول يفسر كما يفسر معناه[1].

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٧/ ٦٧].

۞ ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿١١٩﴾ - ﴿١٢٠﴾ ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾ وقرأ نافع: (يَوْمَ) بالنصب على أنه ظرف لـ(قال) وخبر (هذا) محذوف، أو ظرف مستقر وقع خبراً، والمعنى: هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع. وقيل: إنه خبر ولكن بني على الفتح بإضافته إلى الفعل وليس بصحيح؛ لأن المضاف إليه معرب، والمراد بالصدق: الصدق في الدنيا؛ فإن النافع ما كان حال التكليف. ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بيان النفع. ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وأمه؛ وإنما لم يقل: ﴿وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ تغليباً للعقلاء، وقال: (وَما فِيهِنَّ) اتباعاً لهم غير أولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية، وإهانة لهم، وتنبيهاً على المجانسة المنافية للألوهية؛ ولأن ما يطلق متناولاً للأجناس كلها فهو أولى بإرادة العموم. عن النبي ﷺ:

[أو ظرف مستقر] عطف على ظرف لِـ«قال» [والمعنى هذا الذي مَرَّ من كلام عيسى عليه السلام واقع ﴿يَوْمُ يَنفَعُ﴾] هذا على تقدير أن «يوم» ظرف مستقر أما على أنه ظرف لِـ«قال» فالمعنى قال الله ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٩] هذا القول واقع [وليس بصحيح لأن المضاف إليه معرب] هذا على مذهب البصريين، أما الكوفيون فيجوزون ذلك وإن كان المضاف إليه معرباً.

[وقال: ما فيهن اتباعاً لهم غير أولي العقل]؛ أي: إلحاقاً للعقلاء بغيرهم، فـ«غير» مفعول «اتباعاً»[(١)] [في غاية القصور] صفة لـ«غير أولي العقل» [وإهانة] عطف

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٢/ ١١٥].

«من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات؛ بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا».

مع تالييه على «اتباعاً» [«من قرأ سورة المائدة..»][1] إلى آخره. موضوع.



(١) الأمالي الشجرية، ابن الشجري [١/١٢٨].

سُورَةُ الأَنْعَامِ

(٦) مكية، غير ست آيات أو ثلاث آيات، من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾

وهي مائة وخمس وستون آية

۞ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أخبر بأنه تعالى حقيق بالحمد، ونبّه على أنه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد؛ ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون، وجمع السمٰوات دون الأرض وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة الآثار والحركات، وقدمها؛ لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها. ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أنشأهما، والفرق بين (خلق) و(جعل ـ الذي له مفعول واحد ـ) أن (الخلق) فيه معنى التقدير، و(الجعل) فيه معنى التضمن. ولذلك عبر عن

قوله: [لشرفها]؛ أي: قدراً وعظماً وإن كانت الأرض أشرف من حيث أنها مسكن الأنبياء [وتقدم وجودها]؛ أي: على وجود الأرض وفيه كلام ذكرته في سورة البقرة [والفرق بين «خلق» و«جعل» الذي له مفعول واحد]؛ أي: لا الذي له مفعولان وهو الذي بمعنى «صير» [أن «الخلق» فيه معنى: التقدير و«الجعل» فيه معنى: التضمين] قال التفتازاني: آخذاً من كلام «الكشاف»(١)؛ أي: جعل شيئاً في ضمن شيء بأن يحصل منه أو يصير إياه، أو ينتقل منه أو إليه، وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما، وفي الخلق معنى الإيجاد بقدر وتسوية. انتهى.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٦].

إحداث النور والظلمة بـ(الجعل) تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية، وجمع الظلمات؛ لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها، أو لأن المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى؛ والهدى واحد والضلال متعدد، وتقديمها لتقدم الإعدام على الملكات. ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية، ولم يعلم أن عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به (الجعل). ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على معنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، ويكون ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ تنبيهاً على أنه خلق هذه الأشياء أسباباً لتكونهم وتعيشهم، فمن حقه أن يحمد عليها ولا يكفر، أو على قوله: ﴿خَلَقَ﴾ على معنى: أنه خلق

و«جعل» وَرَد في القرآن على خمسة أوجه، بمعنى: «أحدث»، و«أنشأ» كما هنا وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الرعد: ٣]، وبمعنى «بعث» كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]، وبمعنى «قال» كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وبمعنى «بيّن» كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وبمعنى «صير» كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥].

[**وجمع الظلمات لكثرة أسبابها**] إذ ما من جرم إلا وله ظل، وظلّه ظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار[١]، ولا ترد الأجرام النيرة كالكواكب لأن مرجع كل نير إلى النار على ما قيل أن الكواكب أجرام نورية نارية، وأن الشهب منفصلة من نار الكواكب، فصحّ أن النور من جنس النار [**ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته**] فيعدلون على هذا من العدول، وعلى الوجه الآتي في كلامه من العدل وهو التسوية.

[**ويكون**] قوله: [﴿بِرَبِّهِمْ﴾ **تنبيهاً**] خبر يكون على [**أنه خلق هذه الأشياء..**] إلى آخره. ووجه ذلك العدول عن الضمير إلى «ربهم» المقتضى للتربية والتعيش[٢] [**أو على قوله: ﴿خَلَقَ﴾**] فيكون صلة والعطف عليها كما قال التفتازاني: ليس على

---

(١) انظر: نَكْث الهميان في نُكَتِ العميان، الصفدي [ص٩].

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي [١٢٦/٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾.

ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: استبعاد عدولهم بعد هذا البيان، و(الباء) على الأول متعلقة بـ﴿كَفَرُوا۟﴾ وصلة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ محذوفة؛ أي: يعدلون عنه ليقع الإنكار على نفس الفعل، وعلى الثاني متعلقة بـ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ والمعنى: أن الكفار يعدلون بربهم الأوثان؛ أي: يسوونها به.

﴿٢﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾؛ أي: ابتدأ خلقكم منه؛ فإنه المادة الأولى وإن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه، أو (خلق أباكم) فحذف المضاف. ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أجل الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أجل القيامة. وقيل: الأول: ما بين الخلق والموت، والثاني: ما بين الموت والبعث، فإن الأجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها. وقيل: الأول: النوم، والثاني الموت. وقيل: الأول: لمن مضى، والثاني: لمن بقي ولمن يأتي. و(أجل) نكرة خصصت بالصفة؛ ولذلك استغني عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه، ولذلك نكّر ووصف بأنه مسمى؛ أي: مثبت معيّن لا يقبل التغير، وأخبر عنه بأنه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة؛ ولأنه المقصود بيانه. ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم

قصد أنه صلة واحدة ليتوجه بأنه لا معنى لقولنا: «الحمد لله الذي عدلوا به» بل هو داخل تحت الصلة بحيث يكون المجموع صلة واحدة؛ كأنه قيل: «الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفران»، وإنما لم تحمل «ثم» على التراخي مع استقامته لكون الاستبعاد أوفق بالمقام [ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: استبعاد عدولهم]؛ أي: وعدلهم إذ الاستبعاد لا يختص بأحد الوجهين[1] [والمعنى]؛ أي: على الثاني [ولأنه المقصود بيانه] عطف على

---

(١) قال الكفومي: «ثم» هنا بمعنى التعجب. الكليات، الكفومي [ص٤٩٥].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾.

وخالق أصولهم ومحييهم إلى آجالهم؛ فإن من قدر على خلق المواد، وجمعها، وإيداع الحياة فيها، وإبقائها ما يشاء؛ كان أقدر على جمع تلك المواد وإحيائها ثانياً؛ فالآية الأولى دليل التوحيد، والثانية دليل البعث، و(الامتراء): الشك، وأصله (المري): وهو استخراج اللبن من الضرع.

﴿٣﴾ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ الضمير لله والله خبره. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ متعلق باسم (اللهُ) والمعنى: هو المستحق للعبادة فيهما لا غير؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٤] أو بقوله: ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ والجملة خبر ثان، أو هي الخبر و(اللهُ)

لـ«تعظيمه» [فالآية الأولى]؛ أي: وهي من أول السورة إلى ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ [دليل التوحيد، والثانية]؛ أي: وهي ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي﴾ إلى ﴿تَمۡتَرُونَ﴾. [دليل البعث] وتلخيص الأولى: أن إيجاد السمٰوات والأرض والظلمات والنور مقتض لإزالة الشرك وإثبات التوحيد؛ ولهذا ناسب أن يستبعد منهم الشرك، والثانية: أن إيجاد الأنفس وما عطف عليه مقتض لحصول تيقن البعث ولهذا ناسب أن يستبعد منهم الامتراء [متعلق باسم الله]؛ أي: بمعنى اسم الله، كما عبر به «الكشاف»(١)، نظراً لاشتقاقه من الألوهية؛ أي: المعبودية فصار المعنى ما ذكره بقوله متعلق باسم الله.

[والمعنى: هو المستحق للعبادة]؛ أي: أو هو المعروف باستحقاقها [فيهما]؛ أي: في السمٰوات والأرض وإنما قال باسم الله بالمعنى المذكور؛ لأنه لا يجوز تعلقه بلفظ الله؛ لأنه اسم لا صفة وبذلك علم جواب ما يقال: كيف صح الإخبار بالله عن هو الراجع إلى الله فهو كقوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري(٢)

[أو بقوله] عطف على «باسم الله».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٧].

(٢) الكامل في اللغة، المبرد [١/ ٤٠].

۞ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾.

بدل، ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك: رميت الصيد في الحرم؛ إذا كنت خارجه والصيد فيه، أو ظرف مستقر وقع خبراً، بمعنى: أنه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما، و﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ بيان وتقرير له، وليس متعلقاً بالمصدر لأن صفته لا تتقدم عليه ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من خير أو شر فيثيب عليه ويعاقب، ولعله أريد بالسر والجهر: ما يخفى وما يظهر من أحوال الأنفس وبالمكتسب أعمال الجوارح.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ (مِنْ) الأولى مزيدة

[أو ظرف مستقر] عطف على متعلق باسم الله [وقع خبراً]؛ أي: لـ«هو» [بمعنى أنه تعالى..] إلى آخره؛ أي: فمعنى كونه تعالى فيهما: أنه عالم بما فيهما على التشبيه والتمثيل. قال التفتازاني: شبهت حالة علمه بهما بحالة كونه فيهما؛ لأن العالم إذا كان في مكان كان عالماً به وبما فيه بحيث لا يخفى عليه منه شيء[1] [و﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ بيان وتقرير له]؛ أي: لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] على القول بأن «في السمٰوات» [وفي الأرض] ظرف [إما على] القول بأنه متعلق باسم الله فـ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ استئناف؛ [لأنه] لما قيل: هو المعبود فيهما اتجه أن يقال: فما شأنه مع عابديه حينئذٍ [فأجيب] بأنه يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما يكسبون فيجازيهم على أعمالهم.

[وليس]؛ أي: ﴿فِي السَّمَٰوَٰتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [متعلق المصدر]؛ أي: وهو «السر والجهر» [لأن صلته لا تتقدم]؛ أي: عليه، تبع فيه الزمخشري[2] وَرُدَّ بأن المصدر هنا ليس مقدراً بحرف مصدري وصلته حتى يمتنع تقديم معموله عليه، ويردّ أيضاً بأن المراد بالسرِّ ما يكتم وبالجهر مقابله كما جوزه المصنف بعد [وإن كانا] مصدرين في الأصل، وبأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره وعلى ذلك [فالظرف] متعلق بالمصدرين على سبيل التنازع [«من» الأولى مزيدة

---

(١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٢/١٢٨]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٧].

۞ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾.

للاستغراق والثانية للتبعيض؛ أي: ما يظهر لهم دليل قط من الأدلة أو معجزة من المعجزات، أو آية من آيات القرآن. ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين إليه ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾؛ يعني: القرآن وهو كاللازم لما قبله؛ كأنه قيل: إنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم، أو كالدليل عليه على معنى: أنهم لما أعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره، ولذلك رتب عليه بالفاء ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: سيظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم فِي الدنيا والآخرة، أَوْ عند ظهور الإسلام وارتفاع أمره.

﴿٦﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾؛ أي: من أهل زمان،

للاستغراق]؛ أي: للتنصيص عليه **[والثانية للتبعيض]**[(١)]. قال التفتازاني: في توجيهه لأن الآية الواحدة وإن استغرقت في حكم النفي فهو بعض من جميع الآيات، وحملها على التبيين كما زعم «ابن الحاجب» إنما يستقيم لو كانت النكرة في النفي بمعنى جميع الأفراد، وما قال: أنها لو كانت تبعيضية لما كانت الأولى استغراقية ممنوع لصحة قولنا: ما يأتيهم بعض من الآيات أيَّ بَعض كان.

[أي: ما يظهر لهم دليل قط] تبع فيه «الكشاف»[(٢)] وَرُدَّ بأن فيه إدخال «قط» على المضارع وليس بجيد لأنها ظرف مختص بالماضي. ويجاب بأن اختصاصُها بالماضي يعم الماضي معنى وهنا كذلك لأن «ما» للنفي. فأشبهت بقرينة المقام «لم» في قلبها المضارع للماضي **[تاركين للنظر فيه غير ملتفتين إليه]** ذكر الضمير في الموضعين باعتبار عوده إلى الدليل؛ وإلّا فالأولى بالآية تأنيثه **[وهو]**؛ أي: قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ **[في الدنيا أو الآخرة]** في نسخة: والآخرة بالواو وهي أبلغ.

---

(١) انظر: الإبهاج، السبكي [٢/ ١٠٥].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٨].

والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة. وقيل: ثمانون. وقيل: القرن أهل عصر فيه نبي أو فائق في العلم. قلت: المدة أو كثرت واشتقاقه من قرنت. ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِي﴾ جعلنا لهم فيها مكاناً وقررناهم فيها وأعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا أهل مكة ما لم نعطكم من القوة، والسعة في المال، والاستظهار في العدد والأسباب ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم﴾؛ أي: المطر أو السحاب، أو المظلة فإن مبدأ المطر منها. ﴿مِّدْرَارًا﴾؛ أي: مغزاراً. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ فعاشوا في الخصب

[**والقرن مدة أغلب أعمار الناس**] وقال غيره: مدة من الزمان وعليه، فقيل: إنها عشرة، وقيل: عشرون، وقيل: ثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: خمسون، وقيل: ستون، وقيل: سبعون، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة، وقيل: مائة وعشرون، وعلى الأول قال المصنف أنها سبعون وقيل: ثمانون [**وقيل: القرن أهل عصر..**] إلى آخره[1]. مقابل لقوله: والقرن مدى أغلب أعمار الناس؛ بل وللقول الذي حكيناه عقبه فالقرن يقال لمدة ولأهلها فيحتمل أن يكون من باب الاشتراك وأن يكون من باب الحقيقة والمجاز وهو أولى؛ لأن المجاز خيرٌ من الاشتراك وعليه فالظاهر وإليه يميل كلام المصنف أنه حقيقة في المدة مجاز في أهلها على أن إطلاقه لا يختص بما ذكر؛ بل يطلق على معانٍ أُخَر كقرن الثور، والخصلة من الشعر، وأعلى الجبل، وغيرها كما ذكره أئمة اللغة[2] [**واشتقاقهُ من قرنت**]؛ أي: «من قرنت الرجل بزمانهِ» وعبارة غيره من الاقتران والمراد بالاشتقاق الأخذ [﴿مَكَّنَّٰهُمْ﴾] صفة لِـ«قرن» وعادَ الضمير عليه جمعاً باعتبار معناهُ قاله أبو البقاء وغيره، وضعف بأن «من قرن» تمييز لكم فكم هي المحدث عنها بالإهلاك فهي المحدث عنها بالتمكين، لا ما بعدها، إذ «من قرن» جرى مجرى التبيين ولم يحدث عنه [**أو المظلة**] بضم الميم؛ أي: الغمام بآخر السحاب [**مغزاراً**]؛ أي: غزيراً [**في الخِصْب**] بالكسر نقيضه الجدب.

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، الأزهري [ص١٠٢].
(٢) انظر: الصحاح، الجوهري [٨/ ٣٧].

۞ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾.

والريف بين الأنهار والثمار ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: لم يغن ذلك عنهم شيئاً ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وأحدثنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ بدلاً منهم، والمعنى: أنه تعالى كما قدر على أن يهلك من قبلهم كعاد وثمود، وينشئ مكانهم يعمر بهم بلاده يقدر أن يفعل ذلك بكم.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ مكتوباً في ورق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فمسوه، وتخصيص (اللمس) لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا، ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا مانع، وتقييده بالأيدي لدفع التجوز؛ فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨] ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنتاً وعناداً ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلا أنزل معه ملك يعلمنا أنه نبي كقوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ جواب لقولهم، وبيان هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه، والمعنى: أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم؛ فإن سُنَّة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ بعد نزوله طرفة عين.

﴿٩﴾ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ جواب ثان: إن جعل الهاء للمطلوب، وإن جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان، فإنهم تارة يقولون: لولا أنزل عليه ملك، وتارة يقولون: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا

[والريف]: هو أرض فيها زرع وخصب قاله الجوهري[1] [ولأنه]؛ أي: اللمس [للفحص]؛ أي: عن الشيء؛ أي: البحث عنه.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٦/٥٧].

۞ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾.

لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾ [فصلت: ١٤] والمعنى: ولو جعلنا قريناً لك ملكاً يعاينونه، أو الرسول ملكاً لمثلناه رجلاً كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي، فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته، وإنما رآهم كذلك الأفراد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية، ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ جواب محذوف؛ أي: ولو جعلناه رجلاً للبسنا؛ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فيقولون: (مَا هذا إِلَّا بَشَرٌ مثلكم). وقرئ: (لَبَسْنا) بلام واحدة و(لَلبَّسْنا) بالتشديد للمبالغة.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ على ما يرى من قومه ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله، أو فنزل بهم وبال استهزائهم ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا، والفرق بينه وبين قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾ أن السير ثمة لأجل النظر ولا كذلك ها هنا، ولذلك قيل: معناه:

[«كما مثل جبريل في صورة دحيه..»] رواه النسائي وغيره[1] و«دحية» بكسر الدال وحكي فتحها [حيث أهلكوا لأجله] أشار به إلى أن قوله: ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥] من إطلاق السبب على المسبب مبالغة؛ لأن المحيط بهم هو العذاب لا المستهزأ به [والفرق بينه وبين قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ [الأنعام: ١١]. [أن السير ثمة لأجل النظر]؛ أي: فـ«السير» ثَمَّ سبب وعلة للنظر فناسب الإتيان بالفاء الدالة على السببية والعلية. [ولا كذلك هاهنا] فعبر فيه ثم، [وقيل: أن معناه]: هنا إباحة السير للتجارة وغيرها.

---

(١) سنن النسائي [٨/ ١٠١/ برقم: ٤٩٩١]، مسند أحمد [٦/ ١٤١/ برقم: ٢٥١٤٠].

۞ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

إباحة السير للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ خلقاً وملكاً، وهو سؤال تبكيت. ﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾: تقريراً لهم، وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالإنفاق، بحيث لا يمكنهم أن يذكروا غيره. ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ التزمها تفضلاً وإحساناً والمراد بالرحمة ما يعم الدارين؛ ومن ذلك الهداية إلى معرفته، والعلم بتوحيده بنصب الأدلة، وإنزال الكتب والإمهال على الكفر ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ استئناف وقسم للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر؛ أي: ليجمعنكم في القبور مبعوثين إلى يوم القيامة، فيجازيكم على شرككم. أو في يوم القيامة و(إلى) بمعنى (في). وقيل: بدل من الرحمة بدل البعض؛ فإنه من رحمته بعثه إياكم وإنعامه عليكم ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بتضييع رأس مالهم. وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم، وموضع الذين نصب على الذم أو رفع على الخبر؛ أي: أنتم الذين أو على الابتداء والخبر ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾

[وإيجاب النظر في آثار الهالكين] فناسب الإتيان(١) بـ«ثم» وقيل: لدلالتها على التباعد بين الواجب والمباح [سؤال تبكيت]؛ أي: تقريع وتعنيف(٢) [﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١٢]] الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو أو ذلك [تقريراً لهم] قال التفتازاني: أي: الجأه إلى الإقرار بأن الكل لله [وقيل: بدل من الرحمة] مقابل

---

(١) عبارة: (ثم، [وقيل أن معناه] هنا إباحة السير للتجارة وغيرها [وإيجاب النظر في آثار الهالكين] فناسب الإتيان) من نسخة [ز - ج - ب] ساقطة من [الأصل].

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [٢/ ٣٢٣].

۞ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

والفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم، فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الاصرار على الكفر والامتناع من الإيمان ﴿وَلَهُ﴾ عطف على ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من السكنى وتعديته بقي كما في قوله: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] والمعنى: ما اشتملا عليه، أو من السكون؛ أي: ما سكن فيهما، أو تحرك فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل مسموع ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء، ويجوز أن يكون وعيداً للمشركين على أقوالهم وأفعالهم.

﴿١٤﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إنكار لاتخاذ غير الله ولياً لا لاتخاذ الولي. فلذلك قدم؛ وأولى الهمزة، والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلى الشرك ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما، وعن ابن عباس: ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا

لقوله استئناف [عطف على «لله»] يحتمل أنه من عطف المفرد على المفرد أعني: الخبر على الخبر والمبتدأ على المبتدأ، وأن يكون من عطف الجملة على الجملة وإن كان المبتدأ في الأولى محذوفاً والأول هو الظاهر والغرض أن يدخل هذا تحت «قل» ليكون احتجاجاً ثانياً على المشركين.

[فلذلك قدمّ وأولى الهمزة] تحريره أن تقديم المفعول أفاد الاختصاص وإيلاؤه حرف الاستفهام أفاد رجوع الإنكار إليه لا إلى الفعل[1] [لأنه]؛ أي: الإنكار بما ذكر [رد لمن دعاه]؛ أي: دعا رسول الله ﷺ [إلى الشرك] فناسب تفسير الولي

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٧/ ١١٠].

۞ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

فطرتها؛ أي: ابتدأتها. وجره على الصفة لله؛ فإنه بمعنى الماضي ولذلك قرئ: (فطر) وقرئ بالرفع والنصب على المدح. ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ يَرزق ولا يُرزق، وتخصيص الطعام لشدة الحاجة إليه. وقرئ (ولا يَطْعَم) بفتح الياء وبعكس الأول على أن الضمير لغير الله، والمعنى: كيف أشرك بمن هو فاطر السمٰوات والأرض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية، وببنائهما للفاعل على أن الثاني من أطعم بمعنى استطعم، أو على معنى: أنه يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأنَّ النبي ﷺ سابق أمته في الدين ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وقيل لي: ولا تكونَنَّ، ويجوز عطفه على: قل.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ مبالغة

بالمعبود [فإنه بمعنى: **الماضي**] أشار إلى أن الإضافة في «فاطر السمٰوات» ليست لفظية بل معنوية ليصح جعله صفة «لله».

[يرزق ولا يُرزق]؛ يعني: ليس المعنى خصوص الطعم بل مطلق النفع تعبيراً عن كل الشيء بمعظمه وبعكس الأول؛ أي: **[وبعكس الأول]**؛ أي: بعكس الوجه الأول وهو بناء «يُطعَم» للمفعول «ولا يُطعِم» للفاعل **[على أن الضمير لغير الله]** صح جعلُه لغير الله مع أن منه الأصنام وهي لا تطعم تغليباً للذي يطعم كالمسيح على غيره[1] **[وببنائها]**؛ أي: وقرئ **[أول من أسلم]**؛ أي: لله من هذهِ الأمة، أو استسلم لأمره أو أخلص **[وقيل لي ولا تكونن]** قال التفتازاني عطف على أمرت لظهور أنه لا يصح عطف لا تكونن على أكون إذ لا وجه للالتفات ولا معنى لقولك: أمرت أن لا تكونن.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ٢٥٤].

۞ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾.

أخرى في قطع أطماعهم، وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب، والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة. ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يصرف العذاب عنه. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم: (يَصْرِفْ) عَلَى أن الضمير فيه لله. وقد قرئ بإظهاره والمفعول به محذوف، أو (يومئذ) بحذف المضاف. ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ نجاه، وأنعم عليه. ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الصرف أو الرحمة.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ ببلية كمرض وفقر. ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ فلا قادر على كشفه. ﴿إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ بنعمة كصحة وغنى. ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادراً على حفظه وإدامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره وتدبيره. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بالعباد وخفايا أحوالهم.

﴿١٩﴾ ﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ نزلت حين قالت قريش: (يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى؟ فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة!

[وجوابه محذوف دل عليه الجملة] تقديره: «إن عصيت ربي استحقيت العذاب العظيم» **[أو يومئذٍ بحذف المضاف]**؛ أي: عذاب يومئذٍ **[﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾** [الأنعام: ١٩]..**] إلى آخره**[١]؛ أي: قل لهم: أي شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك،

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٧/ ١١١].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله؟!). والشيء يقع على كل موجود، وقد سبق القول فيه في سورة (البقرة). ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: الله أكبر شهادة، ثم ابتدأ ﴿شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾؛ أي: هو شهيد، ويجوز أن يكون ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ هو الجواب؛ لأنه تعالى إذا كان الشهيد كان أكبر شيء شهادة ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن، واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة. ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ عطف على ضمير المخاطبين؛ أي: لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر، أو من الثقلين، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن بلغه إلى يوم القيامة. وفيه دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم، وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه. ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ﴾ تقرير لهم مع إنكار واستبعاد. ﴿قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ﴾ بما تشهدون. ﴿قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾؛ أي: بل أشهد أن لا إله إلا هو. ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾؛ يعني: الأصنام.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يعرفون رسول الله ﷺ بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل. ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ بحلاهم.

وإلّا فقل: الله أكبر شهادة! [ويجوز أن يكون «الله شهيد» هو الجواب] فيشبه كما قال التفتازاني: في أسلوب الحكيم كأنه قيل معلوم أن الله هو الأكبر شهادة لأن الكلام الأنسب بالمقام هو الإخبار بأن الله شهيد لي لينتج مع قولنا الله أكبر شهادة أن الأكبر شهادة شهيد لي.

[﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢٠]] مبتدأ وخبره وكذا قوله:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الكتاب والمشركين. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحراً. وإنما ذكر (أو) وهم وقد جمعوا بين الأمرين تنبيهاً على أن كلّاً منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس. ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن. ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فضلاً عمن لا أحد أظلم منه.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ منصوب بمضمر تهويلاً للأمر. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾؛ أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله، وقرأ يعقوب (يحشر) ويقول بالياء. ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: تزعمونهم شركاء، فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ، ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها، ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾؛ أي: كفرهم، والمراد عاقبته وقيل: معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها؛ من: (فتنت الذهب) إذا خلصته. وقيل: جوابهم؛ وإنما سماه فتنة لأنه كذب، أو لأنهم قصدوا به الخلاص. وقرأ ابن كثير وابن عامر

[﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾]، وقيل: «الذين خسروا» نعت لِـ«للذين آتيناهم الكتاب»، وقيل: خبر مبتدأ محذوف، وقيل: هو منصوب على الذم [منصوب بمضمر]؛ أي: متأخر عنه وتقديره: ويوم نحشرهم يكون كيت وكيت وعللّ حذفه بقوله: [تهويلاً للأمر] ويجوز نصبه بمحذوف مُتقدم؛ أي: واذكر يوم نحشرهم وعليه فيوم مفعول به وعلى الأول ظرف [وإنما سماه]؛ أي: جوابهم [أو لأنهم قصدوا به الخلاص]؛ أي: مع أنه كذب.

۞ ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

وحفص: (لَمْ تكن) بالتاء (وفِتْنَتُهُمْ) بالرفع على أنها الاسم، ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عنه بالتاء؛ والنصب على أن الاسم (أَنْ قالُوا)، والتأنيث للخبر كقولهم: من كانت أمك، والباقون بالياء والنصب: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة، كما يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. وقد أيقنوا بالخلود. وقيل معناه: ما كنا مشركين عند أنفسنا، وهو لا يوافق قوله.

﴿٢٤﴾ ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: بنفي الشرك عنها، وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم، ونظير ذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨] وقرأ حمزة والكسائي: (ربَّنا) بالنصب على النداء أو المدح ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الشركاء.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تتلو القرآن، والمراد: (أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم، اجتمعوا فسمعوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فقالوا للنضر: ما يقول؟ فقال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول؛ إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم؟!). ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية جمع كنان وهو ما يستر

[وحمله]؛ أي: حمل انظر.. إلى آخره[1] [على كذبهم في الدنيا تعسف]؛ أي: أخذ على غير الطريق [يخل بالنظم]؛ لأن الآية لا تدل على ذلك بوجه لأنها في شأن حشرهم وأمرهم في الآخرة لا في الدنيا.

[والذي جعلها]؛ أي: الكعبة[2].

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٨/٤٨].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/١٥].

۞ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

الشيء. ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفقهوه. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنع من استماعه، وقد مرَّ تحقيق ذلك في أول سورة (البقرة). ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾؛ أي: بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم جاءوك يجادلونك، وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها، والجملة إذا وجوابه وهو ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فإن جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب، و(يجادلونك) حال لمجيئهم، ويجوز أن تكون الجارّة، و(إذا جاءوك) في موضع الجر، و(يجادلونك) جواب (ويقول) تفسير له، و(الأساطير): الأباطيل؛ جمع أسطورة، أو اسطارة، أو أسطار؛ جمع سطر، وأصله (السطر) بمعنى (الخط).

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: ينهون الناس عن القرآن، أو الرسول والإيمان به ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بأنفسهم، أو ينهون عن التعرض

[والجملة]؛ أي: هنا [هي إذا وجوابه]؛ أي: مع ما بينهما [وهو]؛ أي: جواب «إذا» فإن جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية [التكذيب] تعليل لقوله: «بلغ تكذيبهم الآيات..» إلى آخره. والخرافات جمع خرافة. قال التفتازاني: قيل أصل الخرافة: ما اخترف من الفواكه من الشجر، ثم جعل اسماً لما يُتلهى به من الأحاديث، وفي «المستقصى»: أنه رجل من خزاعة استهوته الجن فرجع إلى قومه وكان يُحدثهم بالأباطيل، وكانت العرب إذا سمعت ما لا أصل له قالت: حديث خرافة ثم كثر حتى قيل للأباطيل: خرافات[1].

[ويجوز أن تكون الجارَّة و﴿إِذَا جَآءُوكَ﴾ في موضع الجر] هو مبني على أن إذا

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري [١/ ٣٦١].

۞ ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

لرسول الله ﷺ وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ وما يهلكون بذلك ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أن ضرره لا يتعداهم إلى غيرهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ جوابه محذوف؛ أي: لو تراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها، أو يطلعون عليها، أو يدخلونها؛ فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمراً شنيعاً. وقرئ: (وُقِفُواْ) على البناء للفاعل من وقف عليها وقوفاً. ﴿فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمنياً للرجوع إلى الدنيا. ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ استئناف كلام منهم على وجه الإثبات كقولهم: دعني ولا أعود؛ أي: وأنا لا أعود تركتني، أو لم تتركني، أو عطف على (نرد)، أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد، ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار (أن) بعد (الواو) إجراء لها مجرى الفاء. وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف، ونصب الثاني على الجواب.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني، والمعنى: أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من

ليس بلازم الظرفية [على وجه الإثبات]؛ أي: دون التمني فهو ليس عطفاً على «نرد» ليدخل تحت التمني، ويكون المعنى: «ليتنا لا نكذب» بل عطف على التمني عطف إخبار على أنشأ وهو جائز ونبّه بقوله: [أو عطف على ﴿نُرَدُّ﴾ أو حال من الضمير فيه] على أنه يجوز أن يكون عطفاً على «نرد» على معنى تمني مجموع الأمرين الردّ وعدم التكذيب وأن يكون حالاً من ضمير «نرد»، وهو ظاهر[1] [على الجواب بإضمار «أن» بعد الواو إجراء لها مجرى الفاء] رُدَّ بأن نصب الفعل بعد الواو ليس

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ٢٨١].

۞ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾.

نفاقهم، أو قبائح أعمالهم؛ فتمنوا ذلك ضجراً لا عزماً على أنهم لو ردوا لآمنوا. ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾؛ أي: إلى الدنيا بعد الوقوف والظهور. ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما وعدوا به من أنفسهم. (وَقالُوا) عطف على (لعادوا)، أو على (إنهم لكاذبون) أو على (نُهوا)، أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا. ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ الضمير للحياة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ، وقيل معناه: وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه، أو عرفوه حق التعريف. ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ كأنه جواب قائل قال: ماذا قال ربهم حينئذ؟ والهمزة للتقريع على التكذيب، والإشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب. ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ إقرار مؤكد باليمين لانجلاء الأمر غاية الجلاء. ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم أو ببدله. ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ﴾ إذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ غاية لكذبوا لا لخسر؛ لأن خسرانهم لا غاية له. ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ونصبها على الحال، أو المصدر فإنها نوع من المجيء. ﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا﴾؛ أي: تعالي فهذا أوانك. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قصرنا ﴿فِيهَا﴾ في الحياة الدنيا أضمرت وإن لم يجر ذكرها للعلم

على جهة الجواب؛ لأن الواو لا تقعُ جواب الشَّرط؛ وإنما هي واو مع تعطف ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها. [مجاز]؛ أي: قوله: ﴿وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٠] مجاز [عن الحبس] لاستحالته حقيقة [وإن لم يجز ذكرها]؛ أي: في هذا المقال

۞ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

بها، أو في الساعة؛ يعني: في شأنها والإيمان بها. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ﴾ تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس شيئا يزرونه وزرهم.

﴿٣٢﴾ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ﴾؛ أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية. وهو جواب لقولهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧]. ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ﴾ تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو. وقرأ ابن عامر (ولدار الآخرة). ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي الأمرين خير. وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به، أو تغليب الحاضرين على الغائبين.

﴿٣٣﴾ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ﴾ معنى (قد): زيادة الفعل وكثرته كما في قوله: (وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهْ) والهاء في أنه للشأن.

وبالنسبة إلى هؤلاء القائلين وأما قوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩][1]، فمقال آخر وقوم آخرون [معنى قد: **زيادة الفعل وكثرته**]؛ أي: زيادة متعلقات علمه تعالى وإلّا فعلمهُ لا يقبل التكثير، قاله المحققون. [**كما في قوله**]؛ أي: قول زهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

[............................ **ولكنَّهُ قد يُهْلِكُ المالَ نائِلُه**]

---

(١) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمٰن، العكبري [١/ ٢٣٩].

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وقرئ (لَيُحْزِنُكَ) من أحزن. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في الحقيقة. وقرأ نافع والكسائي: (لَا يُكْذِبُوْنَكَ) من أكذبه إذا وجده كاذباً، أو نسبه إلى الكذب. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها، فوضع (الظالمين) موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم، أو جحدوا لتمرنهم على الظلم، و(الباء) لتضمين الجحود معنى التكذيب. روي: (أن أبا جهل كان يقول: ما نكذبك! وإنك عندنا لصادق؛ وإنما نكذب ما جئتنا به، فنزلت).

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ، وفيه دليل على أن قوله: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] ليس لنفي تكذيبه مطلقاً. ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾ على تكذيبهم وإيذائهم فتأسَّ بهم واصبر ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ فيه إيماء بوعد النصر للصابرين ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لمواعيده من

صدره:

أَخَا ثقةٍ لا يُهلِكُ الخمرُ مالَهُ ....

وبعدهُ:

تـراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأنَّكَ تُعطيهِ الذي أَنْتَ سائِلُه[1]

والشاهد في «قد» لدلالتها على زيادة إهلاك المال للسائلين وكثرته، وأراد بمدحه بالبيت أن وجودهُ ذاتي ليس مما يحدث بالسكر [وقرئ: «**لَيُحْزِنُكَ**»: من أحزن] قضية عادية إنه قراءة شاذة وليس كذلك فقد قرأ بها نافع [روى: «**أن أبا جهل كان يقول: ما نكذبك..**»] إلى آخره. رواه الترمذي[2] والحاكم وصححه[3]

---

(١) انظر القصيدة في: الشعر والشعراء، ابن قتيبة [ص٢٣].

(٢) سنن الترمذي [٥/ ٢٦١/ برقم: ٣٠٦٤]. (٣) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٤٥/ برقم: ٣٢٣٠].

۞ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات [الصافات: ١٧١]. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: من قصصهم وما كابدوا من قومهم.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ عظم وشق ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك وعن الإيمان بما جئت به. ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ منفذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض فتطلع لهم آية، أو مصعداً تصعد به إلى السماء فتنزل منها آية، و(في الأرض) صفة لـ(نفقاً) و(في السماء) صفة لـ(سلَّما)، ويجوز أن يكونا متعلقين بـ(تبتغي)، أو حالين من المستكن، وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره: فافعل، والجملة جواب الأول، والمقصود: بيان حرصه البالغ على إسلام قومه، وأنه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾؛ أي: ولو شاء الله جمعهم عَلَى الهدى لوفقهم للإيمان حتى يؤمنوا؛ ولكن لم تتعلق به مشيئته، فلا تتهالك عليه. والمعتزلة أوَّلوه بأنه لو شاء لجمعهم على الهدى؛ بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بالحرص

[﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ [الأنعام: ٣٥]] إنما أتى فيه بلفظ كان ليبقى الشرط على المضيّ ولا ينقلب مستقبلاً؛ لِـ«إن» كان لقوة دلالته على المضي لا بقلبه كلمة «إن» إلى الاستقبال بخلاف سائر الأفعال. قاله التفتازاني [الشرط الثاني]؛ أي: وهو ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾.

[والجملة جواب الأول]؛ أي: وهو: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الأنعام: ٣٥] [والمعتزلة أوَّلوه بأنه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة][(١)] هذا محذوف من نسخة. ولو قال مثبتوه والمعتزلة:

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٠].

۞ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ
لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا
فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

على ما لا يكون، والجزع في مواطن الصبر؛ فإن ذلك من دأب الجهلة.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ إنما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون. ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيعلمهم حيث لا ينفعهم الإيمان ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: آية بما اقترحوه، أو آية أُخرى سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عناداً ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ مما اقترحوه، أو آية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل، أو آية إن جحدوها هلكوا. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله قادر على إنزالها، يستجلب عليهم البلاء، وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره. وقرأ ابن كثير: (يُنْزِلَ) بالتخفيف والمعنى واحد.

﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تدب على وجهها. ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ وقرئ بالرفع على المحل ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ في الهواء، وصفه به قطعاً لمجاز السرعة ونحوها، وقرئ (وَلا طائِرٍ) بالرفع على المحل. ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾

«أولوا لو شاء الله كان أوفق»، والمعنى: أن إسناد مشيئة الجمع إلى الله ظاهر في أن الله هو المهدي والمضل، والمعتزلة لما قالوا: إنه بفعل العبد، احتاجوا إلى التأويل.

[تَدِبُّ] بكسر المهملة أي: تمشي. [في الهوى] صوابه في الهواء فإنه ممدود إذ المراد به هنا ما بين السماء والأرض، وأما المقصور فهوى النفس وليس مراداً [قطعاً لمجاز السرعة]؛ أي: دفعاً له.

۝ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ٣٩﴾.

محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها، والمقصود من ذلك: الدلالة على كمال قدرته، وشمول علمه وسعة تدبيره، ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية. وجمع الأمم للحمل على المعنى. ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾؛ يعني: اللوح المحفوظ؛ فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل ودقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد. أو القرآن؛ فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلاً أو مجملاً، و(من) مزيدة و(شيء) في موضع المصدر لا المفعول به، فإن (فَرَّط) لا يتعدى بنفسه، وقد عُدِّي بـ(في) إلى الكتاب. وقرئ: (مَا فَرَطْنَا) بالتخفيف. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾؛ يعني: الأمم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي: (أنه يأخذ للجماء من القرناء). وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (حشرها موتها).

٣٩ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ﴾ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته، وكمال علمه، وعظم قدرته؛ سماعاً تتأثر به نفوسهم. ﴿وَبُكۡمٌ﴾ لا ينطقون بالحق. ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ خبر ثالث؛ أي: خابطون في ظلمات الكفر، أو في ظلمة الجهل، وظلمة العناد، وظلمة التقليد، ويجوز أن يكون حالاً من المستكن في الخبر. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ من يشأ الله

[روى: «أنه يأخذ للجماء من القرناء..»] رواه الشيخان[1] [خابطون] بخاء معجمة وبموحدة من خبط الرجل إذا طرح نفسه حيث كان لينام، فمعنى خبطهم أنفسهم في ظلمات الكفر: أنهم غافلون عن تأملها والتفكير فيها، وظلمات كفرهم حربهم، وضرب الجزية عليهم، وتخليدهم في العذاب ونحوها.

---

(١) صحيح مسلم [٤/١٩٩٧/ برقم: ٢٥٨٢].

۞ ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾.

إضلاله يضلله، وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ استفهام تعجيب، والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب؛ لأنك تقول: أرأيتك زيداً ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولاً كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل، وللزم في الآية أن يقال: (أرأيتموكم) بل الفعل معلق، أو المفعول محذوف تقديره: أرأيتكم آلهتكم تنفعكم إذ تدعونها، وقرأ نافع: (أرأيتكم، وأرأيت، وأرأيتم، وأفرأيتم، وأفرأيت) إذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء، والكسائي يحذفها أصلاً، والباقون يحققونها، وحمزة إذا وقف وافق نافعاً ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ كما أتى من قبلكم. ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ

[**وهو دليل واضح لنا على المعتزلة**] في قولنا: أن الهدى والضلال ليس إلا من الله خلافاً لقولهم أنهما من العبد كما مر آنفاً [**أكد به الضمير**]؛ أي: الذي هو التاء [**للتأكيد**] لا فائدة له لعلمهِ مَنْ أكَد [**وللذم في الآية أن يقال: أأريتموكم**]؛ أي: لأنه لو كان مفعولاً ظهرت فيه علامة التثنية والجمع والتأنيث في التاء فكنت تقول: «أرأيتما» كما تقول: «أرأيتموكم»، «أرايتكُن»[١].

[**لعديت الفعل**]؛ أي: وهو هنا رأى، لا أرى؛ لأن همزتهُ للاستفهام لا للنقل [**بل الفعل معلق**]؛ أي: بالاستفهام المقدر، تقديره: «أرأيتكم من تدعون إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة»، [**أو المفعول محذوف**] مراده بالمفعول الجنس وإلّا فحقهُ أن يقول: والمفعولان محذوفان [**تقديره: أرأيتكم ألهتكم..**] إلى آخره. فـ«آلهتكم» مفعول أول و«تنفعكم» مفعول ثان، بمعنى أنه ساد مسده.

[**بتسهيل الهمزة**]؛ أي: بتسهيلها بين بين أو بقلبها ألفاً [﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٥/ ١٦٧].

۞ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

ٱلسَّاعَةُ﴾ وهو لها ويدل عليه ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ وهو تبكيت لهم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن الأصنام آلهة، وجوابه محذوف؛ أي: فادعوه. ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع، وتقديم المفعول لإفادة التخصيص. ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: ما تدعونه إلى كشفه ﴿إِن شَآءَ﴾؛ أي: يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره، أو: وتنسونه من شدة الأمر وهوله.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: (قَبْلَكَ)، وَ(من) زائدة. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾؛ أي: فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ بالشدة والفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ والضرّ والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ معناه: نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ استدراك على المعنى

[الأنعام: ٤٠]] شرط حذف جوابه وتقديره فمن تدعون[١] [معناه نفي تضرعهم]. قال الزمخشري: كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسُنا ولكنه جاء بـ«لولا» ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم[٢]. قال التفتازاني: في توجيه أفادهُ «لولا ذلك»؛ لأن «لولا» تفيد اللوم والتنديم، و«ذلك» إنما يجب إذا لم يكن له في ترك الفعل عذر وعنه مانع.

(١) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمٰن، العكبري [١/ ٢٤٢].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٣].

۞ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وبيان للصارف لهم عن التضرع؛ وأنه: لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ من البأساء والضراء ولم يتعظوا به. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أنواع النعم مراوحة عليهم واستدراجاً بين نوبتي الضراء والسراء، وامتحاناً لهم بالشدة والرخاء إلزاماً للحجة وإزاحة للعلة، أو مكراً بهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**مُكِرَ بالقوم ورب الكعبة**». وقرأ ابن عامر (فَتَّحْنَا) بالتشديد في جميع القرآن، ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في (الأعراف). ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟﴾ أعجبوا ﴿بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ من النعم ولم يزيدوا غير البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه. ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ متحسرون آيسون. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً إذا تبعه. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على إهلاكهم فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم، نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها.

[مراوحة عليهم..] إلى آخره. المراوحة بالراء والحاء المهملتين العمل بأحد العملين مَرَّة وبالآخر أُخرَى؛ مِنْ راوح بين رجليه إذا قام على أحدهما مَرَّة وعلى الأُخرَى مَرَّة قاله الجوهري[1] [أو مكراً] عطف على مراوحة.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٩٥].

۞ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٤٦﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ﴾ أصمكم وأعماكم. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بأن يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم ﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾؛ أي: بذاك، أو بما أخذ وختم عليه، أو بأحد هذه المذكورات. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب، وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين. ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عنها، وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها. ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ من غير مقدمة. ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ يتقدمها أمارة تؤذن بحلوله. وقيل: ليلاً أو نهاراً. وقرئ: (بَغْتَةً وْجَهْرَةً). ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾؛ أي: ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه، وقرئ (يَهْلك) بفتح الياء.

[أي: بذاك] يريد أن ضمير «به» عائد إلى السمع والأبصار والقلوب بتأويل اسم الإشارة وإفراد اسم الإشارة بتأويل المذكور [﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الأنعام: ٤٦]] كيف منصوبة بـ«نصرف» على التشبيه بالحال أو بالظرف وهي معلقة لـ«انظر» [وَقُرِيء «بَغْتَه وَجهرةً»]؛ أي: بالفتح(١).

[هلاكُ سخطٍ وتعذيب]. قيد بذلك ليستقيم الحصر إذ غير الظالم أيضاً يهلك لكن لا سخطاً وتعذيباً بل إثابة ورفع درجة [ولذلك]؛ أي: ولكون الاستفهام بمعنى

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٤].

۞ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ المؤمنين بالجنة. ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ الكافرين بالنار، ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم. ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوات الثواب ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ جعل العذاب ماساً لهم كأنه الطالب للوصول إليهم، واستغنى بتعريفه عن التوصيف. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿٥١﴾ ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ مقدوراته، أو خزائن رزقه. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما لم يوح إلي! ولم ينصب عليه دليل، وهو من جملة المقول. ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾؛

النفي [ليقترح عليهم] الاقتراح الارتجال وهو ابتداء الشيء من غير تهيئة، قبل ذلك يقال اقترحت عليه شيئاً، سألته إياه من غير رويَّة، قاله الجوهري[1] [ويتلهى بهم] يقال: «تلهى به»؛ أي: لَعِبَ واستسخر.

[جعل العذاب ماسّاً لهم..] إلى آخره؛ أي: كأنُه حي يفعل بهم ما يُريد من الآلام، وعليه فجعله من قَبيل الإحياء استعارة بالكناية فأسند إليه المسّ [واستغنى بتعريفه]؛ أي: بتعريف العذاب [عن التوصيف]؛ أي: بنحو «يمسّهم عذابٌ شديد» [﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]] استدل به على أن الملائكة أفضل من

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٦٩].

۞ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

أي: من جنس الملائكة، أو أقدر على ما يقدرون عليه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ تبرأ عن دعوى الألوهية والملكية، وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردّاً لاستبعادهم دعواه، وجزمهم على فساد مدعاه. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثل للضال والمهتدي، أو الجاهل والعالم، أو مدعي المستحيل كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة. ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتهتدوا، أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل، أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ الضمير لما يوحى إلي ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ هم المؤمنون المفرطون في العمل، أو المجوزون للحشر مؤمناً كان أو كافراً مقراً به أو متردداً فيه؛ فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته. ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من (يحشروا) فإن المخوف هو الحشر على هذه الحال. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لكي يتقوا.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ بعد ما أمره بإنذار

الأنبياء؛ لأن معنى الكلام لا أدعي منزلة أقوى من منزلتي ولولا أن الملائكة أفضل لم يصح ذلك. وأجيب بأنه إنما قال ذلك تواضعاً واعترافاً بالعبودية حتى لا يُعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح، وبأن المراد بما قاله نفي قدرته عن أفعال لا يقوى عليها إلا الملائكة، وذلك لا يدل على أنهم أفضل من الأنبياء(١).

[أي: من جنس الملائكة] قدر ذلك لأن البشر يستحيل أن يكون ملكاً ولا يستحيل أن يكون من جنسه بمعنى أنه مماثل له [مثال الضال والمهتدي..] إلى آخره. كلامه تبعاً للكشاف كالصريح في أن في تفسير قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ ثلاثة أوجه وإن قوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ مفسر على كل وجه بما يناسبه وقد ذكره على سبيل اللف والنشر المرتب وإن ذَكَرَهُ «الكشاف» غير مرتب(٢) [ينجع]؛

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢/ ٢٠٥]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٦].

غير المتقين ليتقوا؛ أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش. روي: أنهم قالوا: لو طردت هؤلاء الأعبد ـ يعنون: فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان ـ. جلسنا إليك وحادثناك فقال: «**ما أنا بطارد المؤمنين**»! قالوا: فأقمهم عنا إذا جئناك! قال: «**نعم**». وروي: (أن عمر رضي الله عنه قال له: لو فعلت حتى تنظر إلى ماذا يصيرون! فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب؛ فنزلت). والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام، وقيل: صلاتا الصبح والعصر. وقرأ ابن عامر (بالغدوة) هنا وفي (الكهف). ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ حال من (يدعون)؛ أي: يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيهاً على أنه ملاك الأمر. ورتب النهي عليه؛ إشعاراً بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ أي: ليس عليك حساب إيمانهم؛ فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعاً في إيمانهم لو آمنوا، أو ليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين؛ فإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون، وطعنوا في دينهم، فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك، كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم. وقيل: ما عليك من حساب رزقهم؛ أي: من فقرهم. وقيل: الضمير للمشركين، والمعنى: لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم؛ بحيث تطرد المؤمنين طمعاً فيه. ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ فتبعدهم، وهو

أي: يؤثر [روي: «**أنهم قالوا: لو طردتَ هؤلاء الأَعْبُد..**»] إلى آخره. رواه البيهقي وغيره بمعناه[(١)] [روى: «**أن عمر..**»] إلى آخر، رواه البيهقي وغيره أيضاً[(٢)].

[**فدعا بالصحيفة**] قبله في بعض طرق الحديث، قال: فاكتب بذلك كتاباً

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٧/ ٣٣٤/ برقم: ١٠٤٩١]، صحيح مسلم [٤/ ١٨٧٨/ برقم: ٢٤١٣].

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٧/ ٣٣٤/ برقم: ١٠٤٩١]، المعجم الكبير، الطبراني [٤/ ٧٥/ برقم: ٣٦٩٣].

﴿٥٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جواب النهي، ويجوز عطفه على (فتطردهم) على وجه التسبب وفيه نظر.

﴿٥٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ومثل ذلك الفتن، وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا ﴿فَتَنَّا﴾؛ أي: ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين؛ فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾؛ أي: أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا، ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء؟! وهو إنكار لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ﴾. و(اللام) للعاقبة، أو للتعليل على أن فتنا متضمن معنى (خذلنا) ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه، وبمن لا يقع منه فيخذله.

[﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] **جواب النهي**]؛ أي: وهو: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ﴾ [**وفيه نظر**]؛ أي: من حيث أنه إذا عطف على «فتطردهم» يكون جواباً للنفي وليس كذلك إذ لا معنى لقولك: ما عليك من حسابهم فتكون من الظالمين، وهذا دفعه المجوز لعطفه على «فتطردهم» بقوله على وجه التسبب؛ أي: تسبب كونه ظالماً عن طردهم، فالعطف على «فتطردهم» من حيث أنه سبب لا من حيث أنه جواب النفي فسقط النظر[(١)].

[أو للتعليل..] إلى آخره. فالقول المذكور مسبب عن الفَتْنِ الذي كان للمشركين بالمسلمين، فإن قُلت: إذا كان مسبباً عنه فكيف جُعل مشبهاً والفَتْنُ مشبهاً به؟ قلنا: ليس القصد هنا إلى مشبه ومشبه به بل هو مثل قولك: «ضربته كذلك»؛ أي: هذا الضرب المخصوص. [**على أن «فَتَنَّا» متضمن معنى خذلنا**] عدل إليه عن

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/ ١١٠].

۞ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم، وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة، وأمره بأن يبدأ بالتسليم، أو يبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم، إيذاناً بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل، ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد، ويعزَّ ولا يذل، ويبشَّر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة. وقيل: (إن قوماً جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً عظاماً! فلم يَرُدّ عليهم شيئاً، فانصرفوا، فنزلت). ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ استئناف بتفسير الرحمة. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح؛ على البدل منها. ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال؛ أي: من عمل ذنباً جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد، كعمر رضي الله عنه فيما أشار إليه، أو ملتبساً بفعل الجهالة؛ فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل. ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد العمل أو السوء ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بالتدارك

قول «الكشاف»[1]: ومعنى فتنا خذلنا المحتاج إلى تأويله بالمعنى المراد منه المعلل بقوله، ليقولوا لئلا ينافي ما مرَّ من أن معناه «ابتلينا».

[وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح]؛ أي: بفتح «أن». **[على البدل منها]**؛ أي: من الرحمة **[أي: من عمل ذنباً جاهلاً..]** إلى آخره. قال الطيبي: فالجهالة على الأول حقيقة وعلى الثاني مجاز وقوله كعمر فيما أشار إليه؛ أي: من

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٢٨].

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

والعزم على أن لا يعود إليه ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فتحه من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ، أو خبر؛ أي: فأمره، أو فله غفرانه.

﴿٥٥﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التفصيل الواضح. ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قرأ نافع بالتاء ونصب (السبيل) على معنى: ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلاً منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل، وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى: و(لتبين سبيلهم)، والباقون بالياء، وبالرفع على تذكير (السبيل) فإنه يذكر ويؤنث، ويجوز أن يعطف على علة مقدرة؛ أي: نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين.

﴿٥٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ صُرِفتُ وزُجِرْتُ بما نصب لي من الأدلة، وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عن

إجابه الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة[1] [مثل ذلك التفصيل الواضح] نبه به على أن ذلك في الآية إشارة إلى ما مرّ من أحوال الطوائف الأربع الأولى المطبوع على قلوبهم وَهُم مَنْ في آية: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٣٩] والثانية المرجو إسلامهم وَهُم مَنْ في آية: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١] والثالثة المطيعون، وَهُم مَنْ في آية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] والرابعة على التفسير الثاني الداخلة في الإسلام، لكنهم لا يحفظون حدودهُ وَهُمْ مَنْ في آية: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٥٤].

---

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي [٢/ ٤١٢].

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

عبادة ما تدعون مِن دُونِ الله، أو ما تدعونها آلهة؛ أي: تسمونها ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ تأكيد لقطع أطماعهم، وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم، وبيان لمبدأ ضلالهم، وأن ما هم عليه هوىً وليس بهدىً، وتنبيه لمن تحرّى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلد. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾؛ أي: إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: وما أنا في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم، وفيه تعريض بأنهم كذلك.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بيَّن ما لا يجوز اتباعه. و(البينة): الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل. وقيل: المراد بها القرآن والوحي، أو الحجج العقلية أو ما يعمها. ﴿مِّن رَّبِّي﴾ من معرفته؛ وأنه لا معبود سواه، ويجوز أن يكون صفة لـ(بينة). ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ الضمير لـ(ربي)؛ أي: كذبتم به حيث أشركتم به غيره، أو للبينة باعتبار المعنى ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾؛ يعني: العذاب الذي استعجلوه بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في تعجيل العذاب وتأخيره. ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: القضاء الحق، أو يصنع الحق ويدبره؛ من قولهم: قضى الدرع إذا صنعها، فيما يقضي من تعجيل وتأخير، وأصل (القضاء): الفصل بتمام الأمر، وأصل (الحكم): المنع فكأنه منع الباطل. وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم: (يَقُصُّ) مِنْ: قصَّ الأَثَرَ، أو قَصَّ الخَبَر. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ القاضين. ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي﴾؛

[ويجوز أن يكون صفة لـ«بينة»]، بجعلها بمعنى: حجة، وأما على الأول فهو

۞ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

أي: في قدرتي ومكنتي. ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب. ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۗ﴾ لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي، وانقطع ما بيني وبينكم. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في معنى الاستدراك؛ كأنه قال: ولكن الأمر إلى الله، وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم.

﴿٥٩﴾ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خزائنه جمع مفتح بفتح الميم، وهو المخزن، أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع: (مِفتح) بالكسر للميم؛ وهو المفتاح، ويؤيده أنه قرئ (مفاتيح) والمعنى: أنه المتوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها. ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم؛ فيظهرها على ما اقتضته حكمته، وتعلقت به مشيئته، وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ﴾ عطف للأخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ

متعلق بها بجعلها بمعنى: بيان [والمعنى: أنه المتوصَّل] بفتح الصاد؛ أي: المتوصَّل به تعالى أو بكسرها على ما هو ظاهر كلامه وعليه جرى «الكشاف»[1] [أو ما يتوصل به إلى المغيبات] عطف على «خزائنه». [مستعار من «المفاتح»]؛ أي: استعارة بالكناية تشبهاً للغيب بالأشياء المستوثق منها بالأقفال وإثبات المفاتح تخييلية كأظفار المنية وفي التفسير الأول استعارة مكنية أيضاً حيث جعل للغيب مخازن أودعها إياه، وهي عندهُ فلا يطلع على الغيب غيره[2].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٠].

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي [٧/ ١٧٠].

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾.

ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ﴾ معطوفات على ورقة، وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ بدل من الاستثناء الأول بدل الكل؛ على أن (الكتاب المبين) علم الله، أو بدل الاشتمال إن أريد به (اللوح)، وقرئت بالرفع للعطف على محل (ورقة)، أو رفعاً على الابتداء والخبر ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾.

٦٠ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ ينيمكم فيه ويراقبكم، استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهم من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز؛ فإن أصله قبض الشيء بتمامه. ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ كسبتم فيه، خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جرياً على المعتاد ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ﴾ يوقظكم، أطلق البعث ترشيحاً للتوفي فِيهِ في النهار. ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ﴾ ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه. وقيل: الآية خطاب للكفرة، والمعنى: أنكم ملقون كالجيف بالليل، وكاسبون للآثام بالنهار؛ وأنه تعالى مطلع على أعمالكم، يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار؛ ليقضي الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى

[﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩] **بدل من الاستثناء الأول**]؛ أي: وهو إلا يعلمها تبع فيه أبا البقاء ولم يرتضيه التفتازاني وإنما قال بعد نقله قول الزمخشري[١] أنه كالتكرير لقوله: ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾؛ يعني: من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فهو صفة للمذكورات كما أن ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ صفة لـ﴿وَرَقَةٍ﴾ قال: وأما ما يقال أنه تأكيد للاستثناء الأول أو بدل منه، وأنه ليس استثناء من إلا يعلمها للزوم كونه نفياً من الإثبات لكون ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ إثباتاً من النفي فمما لا ينبغي أن يصغى إليه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣١].

۞ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

وجزائهم على أعمالهم، ثم إليه مرجعكم بالحساب، ثم ينبئكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحفظ أعمالكم؛ وهم الكرام الكاتبون، والحكمة فيه: أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي، وأن العبد إذا وثق بلطف سيده، واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه. وقرأ حمزة (تَوَفّاه) بالألف ممالة. ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ بالتواني والتأخير. وقرئ بالتخفيف، والمعنى: لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة ونقصان. ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى حكمه وجزائه ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ الذي يتولى أمرهم ﴿ٱلْحَقِّ ۚ﴾ العدل الذي لا يحكم إلا بالحق، وقرئ بالنصب على المدح. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومئذ لا حكم لغيره فيه ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب.

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ من شدائدهما، استعيرت الظلمة للشدة؛ لمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار، فقيل لليوم الشديد: يوم مظلم، ويوم ذو كواكب، أو من الخسف في البرّ والغرق في البحر. وقرأ يعقوب (يُنْجِيكُمْ) بالتخفيف والمعنى واحد ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ معلنين ومسرين، أو إعلاناً وإسراراً؛ وقرئ (خِفْيَةً) بالكسر. ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ على إرادة القول؛ أي: تقولون: لئن

۞ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾.

أنجيتنا. وقرأ الكوفيون (لئن أنجانا) ليوافق قوله: ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ وهذه إشارة إلى الظلمة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ تعودون إلى الشرك ولا توفون بالعهد، وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيهاً على أن من أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأساً.

﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما فعل بقوم نوح، ولوط، وأصحاب الفيل. ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما أغرق فرعون، وخسف بقارون. وقيل: من فوقكم أكابركم وحكامكم، ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يخلطكم فرقاً متحزبين على أهواء شتى، فينشب القتال بينكم قال:

وَكَتِيبَةٌ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ حَتَّى إِذَا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقاتل بعضكم بعضاً. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ

المحصل [يخلطكم فرقاً] معنى خلطهم: إنشاء القتال بينهم فيختلطوا في ملاحم القتال [قال]؛ أي: الحماسي:

[وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ حَتى إذا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدي][(١)]

«الكتيبة» بمثناة الجيش؛ أي: وَرُبَّ جيشٍ خلطتُه بجيشٍ فلما اختلطا نفضت يدي؛ أي: تركتهما وشأنهما. قال الطيبي: وفي البيت كنايات، أحدها: أنه مهياج للحروب، وثانيها: نفض يده، فإنه كناية على أنه خلَّاهم والفتنة، وثالثهما: فإنه فتان

---

(١) البيت للشاعر الفَرَّار السلمي وهو مخضرم وبه سمي «الفَرَّار». انظر: الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري [ص١٢].

۞ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ بالوعد والوعيد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾؛ أي: بالعذاب أو بالقرآن. ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الواقع لا محالة أو الصدق. ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ؛ وُكِلَ إليَّ أمرُكم فأمنعكم من التكذيب، أو أجازيكم ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [ص: ٦٥] والله الحفيظ.

﴿٦٧﴾ - ﴿٦٨﴾ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾ خبر؛ يريد به إما العذاب، أو الإيعاد به. ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار ووقوع. ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند وقوعه في الدنيا والآخرة. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تجالسهم وقم عنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ أعاد الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي. وقرأ ابن عامر (يُنْسِيَنَّكَ) بالتشديد. ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بعد أن تذكره ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: معهم، فوضع الظاهر موضعه دلالة على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

﴿٦٩﴾ ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وما يلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم. ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ شيء مما يحاسبون عليه. من قبائح أعمالهم وأقوالهم ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح، ويظهروا كراهتها، وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على: ولكن عليهم

جبان[1] [﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام: ٦٦]]؛ أي: المعاندون أو الكافرون [وإمَّا] فيه إدغام

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، المرزوقي [١/ ٥٦].

۞ ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

ذكرى، ولا يجوز عطفه على محل (من شيء)؛ لأن (من حسابهم) يأباه، ولا على (شيء) لذلك؛ ولأن (من) لا تزاد في الإثبات. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم، ويحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون، والمعنى: لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم. روي: (أن المسلمين قالوا: لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن؛ لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، ونطوف! فنزلت).

﴿٧٠﴾ ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾؛ أي: بنوا أمر دينهم

نون «إنّ» الشرطية في «ما» الزائدة [ولا يجوز عطفه على محل ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ لأن ﴿مِّنْ حِسَابِهِم﴾ يأباه]؛ أي: لأنه حال «من شيء» قُدّم عليه فصار قيداً لعامل فإذا عطف «ذكرى» على محل «من شيء» عطف المفرد على المفرد كانت جهة القيد معتبرة فيه[(١)].

[ويؤول] المعنى: إلى أن عليك من حسابهم ذكرى، وذكرى ليس من حسابهم[(٢)] واعترِض بأنه لا يلزم من وصف المعطوف عليه بشيء وصف المعطوف به، وأُجيب [بأن ذاك] في عطف الجملة على الجملة نحو: «ما جاءني رجل من العرب ولكن امرأة»، فلا يبعد كون المرأة من غير العرب، وأما في عطف المفردات فملتزم نحو: «ما جاءني يوم الجمعة»، أو في الدار، أو راكباً، أو «من هذا القوم رجل ولكن امرأة»، فيلزم أن يكون مجيء المرأة في يوم الجمعة وفي الدار بصفة الركوب، وتكون هي من ذلك القوم.

[ولا تنثلم بمجالستهم] بمثلثة؛ أي: ولا تنصدع أنت بمجالستك لهم [﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠]؛ أي: بنو أمر دينهم..] إلى آخره. لإخفاء أنه لا دين

---

(١) انظر: الأصول في النحو، ابن السراج [٢/٦٧].

(٢) عبارة: (وذكرى ليس من حسابهم) مثبتة نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

على التشهي، وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً وآجلاً؛ كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب، أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعباً ولهواً؛ حيث سخروا به، أو جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب. والمعنى: أعرض عنهم ولا تُبَالِ بأفعالهم وأقوالهم. ويجوز أن يكون تهديداً لهم كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] ومن جعله منسوخاً بآية السيف حمله على الأمر بالكف عنها وترك التعرض لهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى أنكروا البعث. ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مخافة أن تسلم إلى الهلاك وترهن بسوء عملها. وأصل (الأبسال والبسل): المنع، ومنه أسد باسل؛ لأن فريسته لا تفلت منه، و(الباسل): الشجاع لامتناعه من قرنه، وهذا بَسْلٌ عليك؛ أي: حرام. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها العذاب. ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ وإن تُفْدَ كلَّ فداء؛ و(العدل): الفدية لأنها تعادل المفدي، وها هنا الفداء، و(كُلَّ) نصب على المصدرية ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ الفعل مسند إلى (منها) لا

للمشركين من الأديان المشروعة، وقد أضيف لهم دين وأخبر بأنهم اتخذوه لعباً ولهواً فذكر لذلك ثلاث معان:

[الأول]: أنهم اتخذوا ما يشتهونه؛ كعبادة الأصنام ونحوها ديناً لهم.

[الثاني]: أنهم اتخذوا دينهم الذي كلَّفوهُ وهو دين الإسلام لعباً ولهواً حيث سَخِروا به.

[الثالث]: أن المراد بدينهم: العيد الذي جعُل ميقات عبادتهم(١).

[ويجوز أن يكون]؛ أي: المعنى في قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾. [مخافة أن تسلم إلى الهلاك..] إلى آخره. بيّن به أن البَسْلَ يقال للإمساك إلى الهلاك وللمنع وللشجاعة وللحرام وكلها مأخوذة من صحاح الجوهري(٢).

[وهاهنا الفداء]؛ أي: والمراد بالعدل هنا الفداء [الفعل مسند إلى «منها» لا

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٣/١٣].

(٢) الصحاح، الجوهري [٤٣/١].

۞ ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)﴾.

إلى ضميره بخلاف قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] فإنه المفدى به. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾؛ أي: أسلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة. ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ تأكيد وتفصيل لذلك، والمعنى: هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم، ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم.

(٧١) ﴿قُلْ أَنَدْعُوا﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ ونرجع إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام. ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه، استفعال من: (هوى يهوي هوياً): إذا ذهب. وقرأ حمزة (استهواه) بألف ممالة، ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل ﴿وَنُرَدُّ﴾؛ أي: مشبهين الذي استهوته، أو على المصدر؛ أي: رداً مثل رد الذي استهوته. ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيراً ضالاً عن الطريق. ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ لهذا المستهوى رفقة. ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ إلى أن يهدوه الطريق المستقيم، أو إلى الطريق المستقيم، وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر.

إلى ضميره]؛ أي: ضمير «العدل»؛ لأنه مصدر وليس بمأخوذ [بخلاف قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]]؛ أي: فإن الفعل مسند إلى «العدل» [فإنه المفدى به] وهذا التقدير ممكن في الآية الأولى لكنه خلاف الظاهر لعدم ذكر «العدل» فيها(١) [لذلك]؛ أي: لقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ٣٧٦].

۞ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿ٱئْتِنَا﴾ يقولون له: ائتنا. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحده وما عداه ضلال. ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ من جملة المقول عطف على (إن هدى الله)، واللام لتعليل الأمر؛ أي: أمرنا بذلك لنسلم. وقيل: هي بمعنى الباء، وقيل: هي زائدة.

﴿٧٢﴾ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ عطف على (لنسلم)؛ أي: للإسلام ولإقامة الصلاة، أو على موقعه كأنه قيل: وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا الصلاة. روي: (أن عبد الرحمٰن بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان، فنزلت). وعلى هذا كان أمر الرسول ﷺ بهذا القول إجابة عن الصديق تعظيماً لشأنه، وإظهاراً للاتحاد الذي كان بينهما. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿٧٣﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ قائماً بالحق. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ جملة اسمية، قدم فيها الخبر؛ أي: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ يوم يقول؛ كقولك: القتال يوم الجمعة، والمعنى: أنه الخالق للسمٰوات والأرضين وقوله الحق نافذ في الكائنات. وقيل: (يوم) منصوب بالعطف على (السمٰوات) أو الهاء في (واتقوه)، أو بمحذوف دل عليه (بالحق). و(قوله الحق) مبتدأ وخبر، أو فاعل (يكون) على معنى: وحين

[يقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾]؛ أي: فلا يجيبهم فيهلك [عطف على ﴿لِنُسْلِمَ﴾] الأولى على «نسلم» وهو مرادهُ بقرينة تفسيره بما بعدهُ [والمعنى: أنه الخالق..] إلى آخره. بيان للمعنى لا للإعراب [وقيل «يوم» منصوب..] إلى آخره. مقابل لجعله خبر للمبتدأ [أو بمحذوف] عطف على بالعطف؛ أي: أو منصوب بمحذوف [أو فاعل يكون]؛ أي: بمعنى فيوجد قوله الحق وعليه فتكون تامة وقوله: [على معنى «وحين

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول لقوله الحق ـ أي: لقضائه ـ كن فيكون، والمراد به حين يكون الأشياء ويحدثها، أو حين تقوم القيامة؛ فيكون التكوين حشر الأموات وإحياءها. ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: هو عالم الغيب. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ كالفذلكة للآية.

﴿٧٤﴾ ـ ﴿٧٥﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو عطف بيان (لأبيه)، وفي كتب التواريخ أن اسمه (تارح)، فقيل: هما علمان له كإسرائيل ويعقوب، وقيل: العلم (تارح) و(آزر) وصفٌ؛ معناه: الشيخ أو المعوج، ولعل منع صرفه لأنه أعجمي حمل على موازنه، أو نعت مشتق من (الآزر) أو (الوزر)، والأقرب أنه علم أعجمي على فاعل كـ(عابر) و(شالخ)، وقيل: اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادتها، أو أطلق عليه بحذف المضاف. وقيل: المراد به الصنم، ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده؛ أي: أتعبد آزر ثم قال: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تفسيراً وتقريراً. ويدل عليه أنه قرئ (إزراً

يقول لقوله الحق»؛ أي: لقضائه كن فيكون] تفسير معنى.

[**وفي كتب التاريخ أن اسمه تارَح**] هو بتاء فوقيه وبفتح الراء وبحاء مهملة[١] و[**المُعْوجّ**] بضم الميم وسكون المهملة وتشديد الجيم. [**حمل على موازنه**]؛ أي: وهو أفعل كـ«آدم» فمنع صرفة للعجمة والتعريف [**أو نعت مشتق..**] إلى آخره. فهو عربي ومنع صرفه للتعريف ووزن الفعل والآزر القوة والظهر ومنه ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣١]؛ أي: ظهري والوزر الإثم والثقل [**وقيل: اسم صنم**]؛ أي: لا اسم أبي إبراهيم [**أو أطلق عليه بحذف المضاف**] تقديره «عابد آزر».

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير [١/ ١٦٣].

۞ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾.

تتخذ أصناماً) بفتح همزة آزر وكسرها؛ وهو اسم صنم. وقرأ يعقوب بالضم على النداء؛ وهو يدل على أنه علم. ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ ظاهر الضلالة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ومثل هذا التبصير نبصره، وهو حكاية حال ماضية. وقرئ: (تُري) بالتاء ورفع (الملكوت)؛ ومعناه: تبصره دلائل الربوبية ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ربوبيتها وملكها. وقيل: عجائبها وبدائعها، والملكوت أعظم الملك، والتاء فيه للمبالغة. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾؛ أي: ليستدل وليكون، أو فعلنا ذلك ليكون.

﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ تفصيل وبيان لذلك.

[بفتح همزة آزر وكسرها] أوضح منه قول «الكشاف»: بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة[١] [وهو اسم صنم] زاد «الكشاف»: ومعناه: أتعبد آزر على الإنكار؟ ثم قال: «تتخذ أصناماً آلهة» تثبيتاً لذلك وتقريراً، وهو داخل في حكم الإنكار؛ لأنه كالبيان له[٢]. انتهى.

وبعضه عُلم من كلام المصنف قبل [ومثل هذا التبصير تبصرة] بيّن به أن الإشارة بذلك إلى هذهِ الإرادة لا إلى شيء آخر يشبه به هذهِ كما في نظائره، وأورد بدل الإرادة التبصير تصحيحاً لتذكر اسم الإشارة وتنبيهاً على أنه من رؤية البصر لكن استعيرت لنظر البصيرة[٣]؛ لأن الملكوت بمعنى الربوبية والإلٰهية ليس بما يبصر حسّاً نبه على ذلك التفتازاني.

[ومعناه: تبصرة دلائل الربوبية] بيّن به تصحيح تأنيث يرى حيث جعل ملكوت السمٰوات بمعنى دلائل الربوبية [تفصيل وبيان لذلك]؛ أي: لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٨]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٨].
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٣/ ٣٥].

وقيل: عطف على (قال إبراهيم) و(كذلك نري) اعتراض؛ فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب، فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، وجن عليه الليل ستره بظلامه، والكواكب كان الزهرة أو المشتري، وقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على سبيل الوضع؛ فإن المستدل على فساد قول؛ يحكيه على ما يقوله الخصم، ثم يكر عليه بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال، وإنما قاله زمان مراهقته وأول أوان بلوغه. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾؛ أي: غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ فضلاً عن عبادتهم؛ فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية. ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ مبتدئاً في الطلوع ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ

إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: ٧٥] كما عبّر به غيرهما.. إلى آخره. [عطف على ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾] تبع فيه الزمخشري(١) والأوْلى على «إذ قال إبراهيم» كما عبّر به غيرهما [فإن أباه وقومه..] إلى آخره. تعليل لعطف ما ذكر على «قال إبراهيم» مع جعل ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ﴾ اعتراضاً [على سبيل الوضع]؛ أي: الموافقة للخصم والتنزل معه لتعطفه بالحجة كما نبه عليه بقوله.

[فإن المستدل على فساد قول يحكيه..] إلى آخره. [أو على وجه النظر والاستدلال] عطف على قوله: «على سبيل الوضع»، وحاصل الأول: أنه إرشاد لقومه إلى طريق النظر والاستدلال وتنبيه لهم على الخطأ، والثاني: أنه إرشاد واستدلال لنفسه، قال الزمخشري: والأول أظهر، لقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٧] وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨](٢). قال التفتازاني: بياناً له ورد للثاني؛ لأن قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يدل على أنه كان عارفاً بأن له ربّاً يستحق العبادة ومنه الهداية، وأن قومه على الضلال ويشعر بأن محاجتهُ كانت مع منكر مبالغ في الإنكار حيث احتيج إلى القسم فإن اللام في «لئن» موطئة، وفي «لأكونن» جواب قسم وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ صريح في أن الكلام مع القوم، وحمله على حصول اليقين من الدليل خلاف الظاهر [بالأستار]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٣٨].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٣٩].

۞ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق، فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه؛ إرشاداً لقومه وتنبيهاً لهم على أن القمر أيضاً لتغير حاله لا يصلح للألوهية، وأن من اتخذه إلٰهاً فهو ضال.

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ ذكَّر اسم الإشارة لتذكير الخبر، وصيانة للرب عن شبهة التأنيث. ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ كبَّره استدلالاً أو إظهاراً لشبهة الخصم. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها، ومخصص يخصصها بما تختص به؛ ثم لما تبرأ منها توجه إلى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أنه أيضاً انتقال لتعدد دلالته، ولأنه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال.

﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾ ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ وخاصموه في التوحيد ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ في وحدانيته. وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون. ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ إلى توحيده. ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: لا أخاف معبوداتكم في وقت؛

بفتح الهمزة جمع سَتر. [لتعدد دلالته]؛ أي: لأن غيبوبته تكون في وقتها المعتاد، وقد

۞ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

لأنها لا تضر بنفسها ولا تنفع ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ أن يصيبني بمكروه من جهتها، ولعله جواب لتخويفهم إياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ كأنه علة الاستثناء؛ أي: أحاط به علماً فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يتعلق به ضر ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف؛ لأنه إشراك للمصنوع بالصانع، وتسوية بين المقدور العاجز والقادر والضار والنافع ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ ما لم ينزل بإشراكه كتاباً، أو لم ينصب عليه دليلاً ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾؛ أي: الموحدون أو المشركون، وإنما لم يقل: أيُّنا، أنا أَمْ أنتم؟ احترازاً من تزكية نفسه. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحق أن يخاف منه.

﴿٨٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ استئناف منه، أو من الله بالجواب عما استفهم عنه، والمراد بالظلم ها هنا: الشرك لما روي: أن الآية لمّا نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس ما تظنون! إنما هو ما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]». وليس الإيمان به؛ أن تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الإشراك به. وقيل: المعصية.

تكون قبله بحيلولة سحاب بخلاف طلوعه. [روي: «**أن الآية لما نزلت..**»] إلى آخره. رواه الشيخان وغيرهما(١) [وقيل: **المعصية**] مقابل لقوله: والمراد بالظلم هنا الشرك

---

(١) صحيح البخاري [١/ ٢١/برقم: ٣٢]، صحيح مسلم [١/ ١٤/برقم: ١٢٤]، مسند أحمد [١/ ٣٧٨/برقم: ٣٥٨٩].

۞ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿٨٣﴾ ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الأنعام: ٧٦] إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] أو من قوله: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ [الأنعام: ٨٠] إليه. ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه إليها أو علمناه إياها. ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ متعلق بـ(حُجَّتُنا) إن جعل خبر (تلك)، وبمحذوف إن جعل بدله؛ أي: آتيناها إبراهيم حجة على قومه. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في العلم والحكمة. وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في رفعه وخفضه. ﴿عَلِيمٌ﴾ بحال من يرفعه واستعداده له.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ أي: كلاً منهما. ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ من قبل إبراهيم، عد هداه نعمة على إبراهيم من حيث إنه أبوه، وشرف الوالد يتعدى إلى الولد. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير

[أو من قوله: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ [الأنعام: ٨٠] إليه]؛ أي: إلى قوله(١): ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] [متعلق بحجتنا أن جُعل]؛ أي: حجتنا [خبر تلك وبمحذوف أن جعل بدله]؛ أي: أن جعل حجتنا بدلاً من تلك وآتيناها هو الخبر على الثاني، وخبر ثاني على الأول ولا يتعين تعلقه بمحذوف على الثاني بل يجوز تعليقه بحجتنا وعلى تعلقه بمحذوف هو حال من ضمير «آتيناها».

[وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين](٢) فمن نّشاء مفعول ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ٨٣]. قال التفتازاني: نصب على المصدر أو الظرف أو التمييز إن جوزنا

---

(١) في نسخة [ز ـ ب]: (قومه).
(٢) جعلوا المرفوع درجات هو الإنسان. انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه [١/٤٣٦].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾.

لإبراهيم؛ إذ الكلام فيه. وقيل: لنوح لأنه أقرب، ولأن يونس ولوطاً ليسا من ذرية إبراهيم، فلو كان لإبراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها، والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحاً. ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ أيوب بن أموص من أسباط عيص بن إسحاق. ﴿وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا إبراهيم؛ برفع درجاته، وكثر أولاده، والنبوة فيهم. ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ هو ابن مريم، وفي ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت. ﴿وَإِلْيَاسَۖ﴾ قيل: هو إدريس جد نوح؛ فيكون البيان مخصوصاً بمن في الآية الأولى. وقيل: هو من أسباط هارون أخي موسى. ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح؛ وهو الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي.

﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو اليسع بن أخطوب. وقرأ حمزة والكسائي (واللّيْسَع) وعلى القراءتين؛ هو علم أعجمي أدخل عليه (اللام) كما أدخل على (اليزيد) في قوله:

رَأَيْتُ الوَلِيْدَ بن اليزيد مُبَارَكا ... شَدِيداً بِأَعْبَاءِ الخِلَافَةِ كَاهِلُهُ

تقديمه. [ولأن يونس ولوطاً ليسا من ذرية إبراهيم] أُجيب عنه بأن يونس من ذرية إبراهيم وأنه كان من الأسباط في زمن شعيباً، ولما كان لوطاً ابن أخيه وآمن به وهاجر معه أمكن أن يجعل من الذرية على سبيل التغليب. [كما أدخل اليزيد]؛ أي: عليه [في قوله]؛ أي: قول الرماح بن أبرد من قصيدة مدح بها الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان:

[رَأَيْتُ الوَلِيْد بن اليَزيد مُباركاً ... شَدِيداً بأعْبَاء الخلافة كَاهِله][1]

---

(١) انظر: معاني القرآن، الفراء [٤/١٠٦].

۞ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿وَيُونُسَ﴾ هو يونس بن متى. ﴿وَلُوطٗاۚ﴾ هو ابن هاران أخي إبراهيم. ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بالنبوة، وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق. ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ﴾ عطف على ﴿وَكُلّٗا﴾ أو ﴿وَنُوحًا﴾؛ أي: فضلنا كلّاً منهم، أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم؛ فإن منهم من لم يكن نبيّاً ولا مهدياً. ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ﴾ عطف على (فَضَّلْنا) أو (هَدَيْنا) ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ تكرير لبيان ما هدوا إليه.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما دانوا به. ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ دليل على أنه متفضل بالهداية. ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾؛ أي: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلوِّ شأنهم. ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

اليزيد يرفعه تشديداً والأعباء جمع عبء بالكسر وهو الحمل والكاهل وما بين الكتفين، والشاهد في «اليزيد» حيث أُدخل على يزيد «ال» وفي البيت استعارة تنزيل المعقول منزلة المحسوس ويصح أن يكون استعارة بالكناية حيث شبهُ فيه الخلافة الشاقة بالجسم الذي يثقل حمله وأثبت لها الأعباء تخييلاً وذكر شديداً ترشيحاً.

[ابن أخي إبراهيم] خبر ثان لهو فهو صفة لـ«لوط» لا لـ«هاران»(١)؛ لأن «هاران» أخو إبراهيم لا ابن أخيه(٢) [أي: فضلنا كلاً منهم]؛ أي: وبعض هؤلاء ليكون بياناً لعطف من آبائهم على «كلا» [أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم] الأنسب بقوله: «أو نوحاً» أن نقول: «أو هدينا نوحاً» وبعض هؤلاء [فإن منهم..] إلى آخره.

---

(١) في البيضاوي: «هاران». انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٢/ ٤٢٧].
(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير [١/ ١٤٠].

۞ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾.

لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها. ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يريد به الجنس. ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ الحكمة أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحق. ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ والرسالة. ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾؛ أي: بهذه الثلاثة. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ يعني: قريشاً. ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾؛ أي: بمراعاتها ﴿قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ وهم الأنبياء المذكورون ومتابعوهم. وقيل: هم الأنصار وأصحاب النبي ﷺ، أو كل من آمن به، أو الفُرْس. وقيل: الملائكة.

٩٠ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ يريد الأنبياء المتقدم ذكرهم. ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ فاختص طريقهم بالاقتداء، والمراد بـ(هداهم): ما توافقوا عليه من التوحيد، وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها؛ فإنها ليست هدى مضافاً إلى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعاً. فليس فيه دليل على أنه عليه السلام متعبد بشرع من قبله، والهاء في ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ للوقف، ومن أثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف،

بيّن به وبما قبله أن «من» تبعيضية [أي: بمراعاتها]؛ أي: الثلاثة [وقيل: **الملائكة**] عدل إليه عن قوله: أو الملائكة لأنهم من غير جنس من قبلهم [**فاختص طريقتهم بالاقتداء**] بنصب طريقتهم بـ«اختص»؛ أي: اجعله منفرداً بها بمعنى اجعل الاقتداء مقصوراً عليها(١). قال التفتازاني: فإن قيل الواجب في الاعتقادات وأصول الدين هو اتباع الدليل من العقل والسمع فلا يجوز سيّما للنبي أن يقلد غيره، فما معنى أمره بالاقتداء بهداهم؟ قلنا: معناه الأخذ به لا من حيث أنه طريقتهم بل من حيث أنه طريق العقل والشرع ففيه تعظيم لهم وتنبيه على أن طريقتهم هي الحق الموافق لدليل العقل والسمع.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٣/٥٦].

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

ويحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي، وأشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان؛ على أنها كناية المصدر، ويكسر الهاء بغير إشباع برواية هشام. ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على التبليغ أو القرآن. ﴿أَجْرًا﴾ جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين، وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه ﴿إِنْ هُوَ﴾؛ أي: التبليغ، أو القرآن، أو الغرض ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ إلا تذكيراً وموعظة لهم.

﴿٩١﴾ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على العباد. ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل، وذلك من عظائم رحمته، وجلائل نعمته، أو في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة، والقائلون هم اليهود، قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن بدليل نقض كلامهم، وإلزامهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وقراءة الجمهور بالتاء، وإنما قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو حملاً على: قالوا وما قدروا، وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها؛ بإبداء بعض ما انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة، وإخفاء بعض لا يشتهونه. روي: أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول ﷺ بقوله: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحَبْرَ السمين؟!**» قال: نعم،

[أو في السخط] عطف على «في الرحمة»، والغرض منهما بيان أن «ما قدروا الله حق قدره» يحتمل أن يكون صفة لعطف وصفه قهر [روي: «أن مالك بن الصيف..»]

۞ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

قال: **«فأنت الحبر السمين»**. وقيل: هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة؛ لأنه كان من المشهورات الذائعة عندهم، ولذلك كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧] ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ على لسان محمد ﷺ. ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ زيادة على ما في التوراة وبياناً لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]. وقيل: الخطاب لمن آمن من قريش ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أنزله الله، أو الله أنزله. أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأن الجواب متعين لا يمكن غيره، وتنبيهاً على أنهم بهتوا بحيث إنهم لا يقدرون على الجواب. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ في أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجة. ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال من (هم) الأول، والظرف صلة (ذرهم) أو (يلعبون)، أو حال من مفعوله، أو فاعل (يلعبون) أو من (هم) الثاني والظرف متصل بالأول.

﴿٩٢﴾ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير الفائدة والنفع ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ يعني: التوراة أو الكتب التي قبله. ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ عطف على ما دل

إلى آخره. رواه الطبري[1]. والحبر بالفتح والكسر وهو أفصح العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه قاله الجوهري[2] [وقيل: هم المشركون] مقابل لقوله: والقائلون هم اليهود [وقيل: **الخطاب لمن آمن**] من قريش مقابل لما أفهمه كلامه وصرحّ به «الكشاف»[3] من أن الخطاب لليهود.

[أو حال من مفعوله]؛ يعني: مفعول من «ذرهم» وهو هم الأول

---

(١) جامع البيان، الطبري [١١/ ٥٢١]. (٢) الصحاح، الجوهري [٣/ ٤٣٣].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٨].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)﴾.

عليه (مبارك)؛ أي: للبركات و(لتنذر) أو علة لمحذوف؛ أي: ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه، وإنما سميت مكة بذلك؛ لأنها قِبْلَة أهل القرى ومحجُّهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأناً. وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها، أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس. وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء؛ أي: (ليُنذر) الكتاب. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل المشرق والغرب ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب ـ والضمير يحتملهما ـ، ويحافظ على الطاعة. وتخصيص الصلاة؛ لأنها عماد الدين وعلم الإيمان.

(٩٣) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنه بعثه نبيّاً كمسيلمة والأسود العنسي، أو اختلق عليه أحكاماً كعمرو بن لحي ومتابعيه. ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كعبد الله بن سعد بن أبي سرح: (كان يكتب لرسول الله ﷺ، فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] فلما بلغ قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قال عبد الله: فتبارك الله أحسن الخالقين! ـ تعجباً من تفصيل خلق الإنسان ـ فقال عليه السلام: «**اكتبها فكذلك نزلت**»؛ فشك عبد الله وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه! ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال). ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ كالذين قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه؛ أي: ولو ترى الظالمين. ﴿فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ شدائده

[والضمير]؛ أي: في «به» [يحتملهما]؛ أي: النبي والكتاب بتنزيل الضمير منزلة اسم

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

من غمره الماء إذا غشيه. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ يقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظ أو بالعذاب. ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾؛ أي: يقولون لهم: أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظاً وتعنيفاً عليهم، أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا. ﴿الْيَوْمَ﴾ يريدون وقت الإماتة، أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية له. ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾؛ أي: الهوان يريدون العذاب المتضمن لشدة وإهانة، وإضافته إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ كادعاء الولد والشريك له، ودعوى النبوة والوحي كاذبا. ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون.

﴿٩٤﴾ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للحساب والجزاء. ﴿فُرَادَىٰ﴾ منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا، أو عن الأعوان والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم، وهو جمع فرد، والألف للتأنيث كـ(كُسَالى). وقرئ (فُرَادْ) كـ(رُخَال) و(فَرَادْ) كـ(ثلاث) و(فَرْدَى) كـ(سكرى). ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بدل منه؛ أي: على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد، أو حال ثانية؛ إن جوز التعدد فيها، أو حال من الضمير في (فُرادى)؛

الإشارة [**كالمتقاضي المِلَظّ**]؛ أي: الملازم لغريمه لا يفارقه [**وقرئ فراداً**]؛ أي: بالتنوين [**كرُخال**] بضم الراء وكسرها جمع رَخِل بكسر الخاء وهو الأنثى من ولد الضأن والذكر حَمَل قاله الجوهري[1] [**أو الحال**] عطف على بدل [**ثانية**] بالنصب حال، وأوضح منه أو حال ثانية؛ أي: «كما» حال ثانية بالنسبة إلى «فرادى» فإنها حال أولى كما أشار إليها بقوله قبل «متفردين».

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/٢٤٨].

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

أي: مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلاً بهما، أو صفة مصدر ﴿جِئْتُمُونَا﴾؛ أي: مجيئنا كما خلقناكم. ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ما قدمتم منه شيئاً ولم تحتملوا نقيراً ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾؛ أي: شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم. ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: تقطع وصلكم وتشتت جمعكم، والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل. وقيل: هو الظرف أسند إليه الفعل اتساعاً؛ والمعنى: وقع التقطع بينكم، ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه، أو أقيم مقام موصوفة وأصله: (لقد تقطع ما بينكم)، وقد قرئ به. ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ ضاع وبطل. ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنها شفعاؤكم، أو أن لا بعث ولا جزاء.

﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالنبات والشجر. وقيل: المراد به

[أي: مشبهين ابتداء خلقكم] من أشبه؛ أي: أنتم في حال مجيئكم إلينا كأنتم في حال ابتداء خلقنا لكم [غُرْلاً]؛ أي: غير مختونين [بهما] بالضم قاله الجوهري(١) وغيره؛ أي: ليس معهم شيء [والمعنى: وقع التقطع بينكم] أراد أن الفعل المبني للفاعل اللازم أسند إلى ضمير مصدره بمعنى: وقع التقطع [على إضمار الفاعل]؛ أي: وهو «الوصل» [لدلالة ما قبله عليه]؛ أي: وهو «شركاء»؛ لأن الشركة تشعر بالوصل والمعنى: لقد تقطع الوصل بينكم.

[أو أقيم]؛ أي: بينكم. [مقام موصوفه] والمعنى: لقد تقطع وصل بينكم كما أشار إليه بقوله: [وأصله لقد تقطع ما بينكم] إذ المعنى: وصل بينكم(٢)

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٧٧].

(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٨/ ٩٦].

۞ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

الشقاق الذي في الحنطة والنواة ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ مما لا ينمو كالنطف والحب ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ﴾ ومخرج ذلك من الحيوان والنبات، ذكره بلفظ الاسم حملاً على فالق الحب فإن قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ واقع موقع البيان له ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عنه إلى غيره.

﴿٩٦﴾ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ شاقُّ عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو عن بياض النهار، أو شاق ظلمة الإصباح ـ وهو الغبش الذي يليه ـ، و(الإصباح) في الأصل مصدر (أصبح) إذا دخل في الصباح، سمي به الصبح. وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ (فَالِقَ) بالنصب على المدح.

[**ومخرج ذلك**]؛ أي: «الميت» وهو ما لا ينمو مما ذُكِر [ذَكَرَه]؛ أي: مخرج الميت من الحي [**بلفظ الاسم حملاً على** ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾]؛ أي: وعلى «فالق الإصباح وجاعل الليل» وإنما عدل إلى المضارع في ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ للدلالة على تصوير ذلك واستحضاره وَلِوُقوعِهِ موقع البيان لما قبله كما أشار إليه بقوله: [**فإن قوله**: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾..] إلى آخره. وإخراج الحي من الميت أولى في الوجود وأعظم في القدرة من إخراج الميت من الحي؛ لأن العناية به أتم فلذلك جعل بياناً لما قبله دون إخراج الميت من الحي(١) فمخرج الميت من الحي وإن كان معطوفاً في الظاهر على يخرج الحي من الميت فهو في الحقيقة معطوف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ كما استحسنه التفتازاني [﴿فَأَنَّىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]]؛ أي: فكيف [**أو شاق ظلمة الإصباح وهو الغبش الذي يليه**]؛ أي: شاقها عن ظلمة الليل

---

(١) روح المعاني، الألوسي [٧/ ٢٢٧].

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه؛ من (سكن إليه) إذا اطمأن إليه استئناساً به، أو يسكن فيه الخلق من قوله: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧] ونصبه بفعل دل عليه (جاعل)، لا به، فإنه في معنى الماضي. ويدل عليه قراءة الكوفيين ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ حملاً على معنى المعطوف عليه، فإن (فالق) بمعنى (فلق) ولذلك قرئ به، أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة، وعلى هذا يجوز أن يكون ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ عطفاً على محل (الليل)، ويشهد له قراءتهما بالجر، والأحسن نصبهما بـ(جعل) مقدراً. وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف؛ أي: مجعولان. ﴿حُسْبَانًا﴾؛ أي: على أدوار مختلفة تحسب بهما الأوقات، ويكونان علمي الحسبان، وهو مصدر (حَسَبَ) بالفتح، كما أن (الحِسبان) بالكسر مصدر (حَسِبَ). وقيل: جمع (حساب) كـ(شهاب وشهبان). ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى جعلهما حسباناً؛ أي: ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما، والأنفع من التداوير الممكنة لهما.

﴿٩٧﴾ - ﴿٩٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ خلقها لكم ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى

[أو به]؛ أي: بـ«جاعل» [على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة] تبع فيه الزمخشري(١) واعترض بأنه نص في ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] على أنه حينئذٍ يكون بمنزلة الماضي فتكون إضافته محضة، وأجيب بأنه إذا كان بمعنى الاستمرار فبالنظر إلى الماضي بجعل إضافته محضة كما في ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٧].

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في ظلمات الليل في البر والبحر، وإضافتها إليهما للملابسة، أو في مشتبهات الطرق، وسماها ظلمات على الاستعارة، وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله: ﴿لَكُمُ﴾. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ بيّناها فصلاً فصلاً. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المنتفعون به. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السلام. ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾؛ أي: فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض، واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض، أو موضع استقرار واستيداع، وقرأ ابن كثير والبصريان: بكسر القاف على أنه اسم فاعل، والمستودع اسم مفعول؛ أي: فمنكم قارٌّ ومنكم مستودع؛ لأن الاستقرار منا دون الاستيداع ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ذكر مع ذكر النجوم (يعلمون)؛ لأن أمرها ظاهر، ومع ذكر تخليق بني آدم (يفقهون)؛ لأن إنشاءهم من نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر.

﴿٩٩﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مَاء من السحاب، أو من جانب

وبالنظر إلى الحال والاستقبال يكون إضافته لفظية كما في «وجَاعَلَ اللَّيْل سَكَناً» ليلاً يلزم مخالفة الظاهر بقطع ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] عن الوصفية إلى البدلية ويجعل سكناً منصوباً بفعل محذوف.

[وإضافتها]؛ أي: الظلمات [إليهما]؛ أي: إلى البر والبحر [وسماها]؛ أي: مشبهات الطرق [وهو]؛ أي: الاهتداء بالنجوم [أو موضع استقرار واستيداع] أشار به إلى أن مستقرّاً ومستودعاً اسما مكانين وبما قبله إلى أنهما مصدران [لأن الاستقرار مِنَّا دون الاستيداع]؛ لأن الاستقرار في الأصلاب أو فوق الأرض لا صنع للعبد فيه

السماء. ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على تلوين الخطاب ﴿بِهِۦ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت كل صنف من النبات؛ والمعنى: إظهار القدرة في إنبات الأنواع المفننة بماء واحد كما في قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات أو الماء ﴿خَضِرًا﴾ شيئاً أخضر، يقال: (أخضر) كـ(أعور وعور)، وهو الخارج من الحبة المتشعب ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ وهو السنبل ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾؛ أي: وأخرجنا من النخل نخلاً من طلعها قنوان، ويجوز أن يكون من النخل خبر (قنوان)، و(من طلعها) بدل منه، والمعنى: وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الأعذاق، جمع (قِنْو) كـ(صِنْوَان) جمع (صِنْو). وقرئ بضم القاف كـ(ذئب وذؤبان)، وبفتحها على أنه اسم جمع؛ إذ ليس (فعلان) من أبنية الجمع. ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة من المتناول، أو ملتفة قريب بعضها من بعض، وإنما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها. ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على (نبات كل شيء). وقرأ بالرفع على الابتداء؛ أي: ولكم، أو ثم جنات، أو من الكرم جنات، ولا يجوز عطفه على (قِنْوانٌ)؛ إذ العنب لا يخرج من النخل. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ أيضاً عطف على (نبات)

بخلاف الاستيداع في الأرحام أو تحت الأرض وضمير منا لله[(١)] [﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ [الأنعام: ٩٩] **على تلوين الخطاب**]؛ أي: تلوين الكلام حيث لم يقل فأخرج على وفق أنزل ويعبّر عن التلوين بالالتفات [**المفننة**] في نسخة المختلفة.

[﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ **نبت كل صنف من النبات**] لما كان المضاف غير المضاف إليه عبّر عن النبات الذي هو الساق بالنبات الذي هو الثمرة، وجعل كل شيء عبارة عن النبات[(٢)] [**ومن طلعها بدل منه**]؛ أي: من خبر قنوان [**وإنما اقتصر على ذكرها عن مقابلها**]؛ أي: وهو بعيد [**وزيادة النعمة فيها**] بيّن به حكمة تخصيص دانية بالذكر

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/ ١٥٠].
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ٤٥١].

۞ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

أو نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم. ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ حال من (الرمان)، أو من الجميع؛ أي: بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه؛ في الهيئة والقدر واللون والطعم. ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾؛ أي: ثمر كل واحد من ذلك. وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم، وهو جمع (ثمرة) كـ(خشبة وخشب)، أو ثمار كـ(كتاب وكتب). ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ إذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلاً لا يكاد ينتفع به. ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ وإلى حال نضجه، أو إلى نضيجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذة، وهو في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت. وقيل: جمع (يانع) كـ(تاجر وتجر). وقرئ بالضم وهو لغة فيه (ويانعه). ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده، فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع المفننة من أصل واحد، ونقلها من حال إلى حال لا يكون إلا بإحداث قادر يعلم تفاصيلها، ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه، أو ضد يعانده، ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾؛ أي: الملائكة بأن عبدوهم وقالوا: الملائكة بنات الله. وسماهم جناً لاجتنانهم؛ تحقيراً لشأنهم، أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى، أو عبدوا الأوثان بتسويلهم

[ضئيلاً]؛ أي: ضعيفاً [حال نضجة] هو بفتح النون وضمها إدراكه [وهو في الأصل مصدر ينعت الثمر].

قال الجوهري: ينع الثمر يينع وينع، نيعاً، وينعا، وينوعاً إذا نضج(١) [وقرئ بالضم]؛ أي: بضم الياء [بتسويلهم]؛ أي: بتزيين الشياطين لهم

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٣٠١].

وتحريضهم، أو قالوا: الله خالق الخير وكل نافع، والشيطان: خالق الشر وكل ضار؛ كما هو رأي الثنوية. ومفعولا: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ و(الجن) بدل من (شُرَكاءَ) أو (شُرَكاءَ الجن) و(لِلَّهِ) متعلق بـ(شُرَكاءَ)، أو حال منه، وقرئ: (الْجِنُّ) بالرفع؛ كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الجن، وبالجر على الإضافة للتبيين. ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ حال بتقدير (قد)، والمعنى: وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن، وليس من ﴿يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]. وقرئ: ﴿وَخَلْقَهُمْ﴾ عطفاً على ﴿الْجِنَّ﴾؛ أي: وما يخلقونه من الأصنام، أو على شركاء؛ أي: وجعلوا له اختلافهم للإفك حيث نسبوه إليه. ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ افتعلوا وافتروا له. وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير. وقرئ (وحرفوا)؛ أي: وزوروا. ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت العرب: الملائكة بنات الله. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلاً، وهو في موضع الحال من الواو، أو المصدر؛ أي: خرقاً بغير علم. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وهو أن له شريكاً أو ولداً.

[أو قالوا] عطف على «عَبدَوا» [كما هو رأي الثنوية][(١)]. قال التفتازاني: فإن قيل: أليس هذا قول المعتزلة بعينه قلنا: لا! فإن المراد بكل ضار ما يعمّ الأعيان الضارة كالحيات والأفاعي والمعتزلة لا يقولون بذلك.

[و(الجنّ) بدل من (شركاء)] اعتُرِض بأنه لا يحل محله بعد تنحيتهُ ولو كان بدلاً منه لكان التقدير: «وجعلوا لله الجن» وليس له كثير معنى، وَرُد بأن ذلك لا يلزم في كل بدل، وبأن المبدل ليس في حكم التنحية بالكلية كما مرّ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ١١٧].

[وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن]؛ أي: علموا أن الله هو الخالق لهم دون الجن [أي: وما يخلقونه]؛ أي: يختلقونه [حيث نسبوه إليه]؛ أي: نسبوا

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٧/ ٥٣].

۞ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾.

---

(١٠١) ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، أو إلى الظرف كقولهم: ثبت الغدر بمعنى: أنه عديم النظير فيهما، وقيل معناه: المبدع وقد سبق الكلام فيه، ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف، أو على الابتداء وخبره ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ﴾؛ أي: من أين؟ أو كيف يكون له ولد؟ ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ يكون منها الولد. وقرئ بالياء للفصل، أو لأن الاسم ضمير الله، أو ضمير الشأن. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ لا تخفى عليه خافية، وإنما لم يقل به لتطرق التخصيص إلى الأول، وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه: (الأول): أنه من مبدعاته السمٰوات والأرضون، وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها؛ فهو أولى بأن يتعالى عنها، (والثاني): أن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين، والله تعالى منزه عن المجانسة. (والثالث): أن الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له بوجهين: الأول: أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه. والثاني: أنه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالإجماع.

اختلاقهم إليه تعالى **[أو إلى الظرف]**؛ أي: بديع في السمٰوات والأرض **[كقولهم: ثبت الغدر]**؛ أي: ثبت في غدره؛ أي: في الحرب(١)، وأشار بما قاله إلى أن الإضافة فيما ذُكر حقيقة بمعنى «في» ثم بيّن وجه الظرفية في بديع السمٰوات والأرض بقوله: **[بمعنى عديم النظر فيهما]** إشارة إلى أن كونه تعالى بديع فيهما لا يستلزم كونه تعالى فيهما **[وقرئ بالياء للفصل]**؛ أي: بله بين تكن وصاحبة(٢) **[مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة]**؛ أي: لكونها مخلوقة.

---

(١) انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري [١٢/١٣].

(٢) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني [ص٩٩].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿١٠٢﴾ - ﴿١٠٣﴾ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارة إلى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أخبار مترادفة، ويجوز أن يكون البعض بدلاً أو صفة، والبعض خبراً. ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ حكم مسبب عن مضمونها؛ فإن من استجمع هذه الصفات استحق العبادة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾؛ أي: وهو مع تلك الصفات متولي أموركم فَكِلُوها إليه، وتوسلوا بعبادته إلى إنجاح مآربكم، ورقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها. ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾؛ أي: لا تحيط به ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ جمع (بصر) وهي حاسة النظر، وقد يقال للعين من حيث إنها محلها، واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف؛ لأنه ليس الإدراك مطلق الرؤية، ولا النفي في الآية عاماً في الأوقات؛ فلعله مخصوص ببعض الحالات، ولا في الأشخاص؛ فإنه في قوة قولنا: لا كل بصر يدركه؛ مع أن النفي لا يوجب الامتناع. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ يحيط علمه بها. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فيدرك ما لا تدركه الأبصار كالأبصار، ويجوز أن يكون من باب اللف؛ أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون (اللطيف) مستعاراً من مقابل (الكثيف) لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها.

[وإنما لم يقل به]؛ أي: بدل بكل شيء مع أن الضمير راجع إلى كل شيء [لتطرق التخصيص إلى الأول] دون الثاني، فلو قال به لأوهم دخول التطرق إلى الثاني أيضاً وهو ممتنع [ويجوز أن يكون البعض بدلاً أو صفة]؛ أي: في غير الله؛ لأن الله أول وليس بصفة [فيدرك ما لا تدركه الأبصار كالأبصار]؛ أي: فإنها لا تدرك نفسها والله يُدركها [ويجوز أن يكون]؛ أي: قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] مع ما قبله [من باب اللف] والنشر المرتب.

۞ ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿١٠٤﴾ - ﴿١٠٥﴾ ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (البصائر) جمع البصيرة؛ وهي للنفس كالبصر للبدن، سميت بها الدلالة لأنها تجلي لها الحق وتبصرها به. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾؛ أي: أبصر الحق وآمن به ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر لأن نفعه لها ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عن الحق وضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وباله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ وإنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم؛ يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها، وهذا كلام ورد على لسان الرسول ﷺ. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ ومثل ذلك التصريف نصرف، وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو: نقل الشيء من حال إلى حال. ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾؛ أي: وليقولوا: درست! صرفنا. و(اللام) لام العاقبة، و(الدرس): القراءة والتعليم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (دَارَسْتَ)؛ أي: دارست أهل الكتاب وذاكرتهم، وابن عامر ويعقوب (دَرَسَت) من الدُّرُوس؛ أي: قَدِمَت هذه الآيات وعفت؛ كقولهم: أساطير الأولين. وقرئ (دَرُسَتْ) بضم الراء مبالغة

[وهي للنفس كالبصر للبدن]؛ أي: هي كما في «الكشاف»[(١)] نور للقلب كالعين للبدن [لأنها]؛ أي: الدلالة [تجلى]؛ أي: تظهر وتكشف [لها]؛ أي: لنفس [والله هو الحفيظ] أشار به إلى أن تقديم الضمير وإيلاؤه حرف النفي في الآية للحصر [صرفنا] بيّن به العامل فيما قبله أي: «وصرفنا الآيات ليقولوا درست»[(٢)]، وتعبير «الكشاف»[(٣)] بقوله: نصرفها أوضح وأنسب بالآية [وعفت]؛ أي: درست.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٢].
(٢) كما في نسخة [ز - ج]، وفي نسخة [الأصل - ب]: (دارست).
(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٢].

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

في (دُرِسَتْ)، و(درست) على البناء للمفعول بمعنى: قرئت، أو عفت ودارست بمعنى: درست، أو دارست اليهود محمداً؛ وجاز إضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة، ودرسن؛ أي: عفون، ودرس؛ أي: درس محمد، ودراسات؛ أي: قديمات، أو ذوات درس؛ كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ (اللام) على أصله؛ لأن التبيين مقصود التصريف، والضمير للآيات باعتبار المعنى، أو للقرآن؛ وإن لم يذكر لكونه معلوماً أو للمصدر. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المنتفعون به.

﴿١٠٦﴾ - ﴿١٠٧﴾ ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ بالتدين به. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض أكد به إيجاب الاتباع، أو حال مؤكدة (من ربك) بمعنى: منفرداً في الألوهية. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ولا تحتفل بأهوائهم ولا تلتفت

[**ودرست على البناء للمفعول ـ بمعنى: قرئت، أو عفيت**]. قال التفتازاني: جاء كل من درس وعفى لازماً ومتعدياً بالمعنيين [**واللام على أصله**]؛ أي: من أنه حقيقة يوضحه قول «الكشاف»: فإنه قلت: أي: فرق بين اللامين[1] في ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ [الأنعام: ١٠٥]، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾؟ قلت: الفرق بينهما أن الأول مجاز والثانية حقيقة؛ لأن الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست[2]، لكن لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين، شبه به فسيق مساقه [**والضمير**]؛ أي: ضمير المفعول في لنبيّنه [**أو للمصدر**]؛ أي: المفهوم من نصرف؛ أي: نبيِّن التصريف، أو المفهوم من لنبيِّن؛ أي: نبيِّن التبيينَ [**أكد به إيجاب الاتباع**]؛ أي: لما في كلمة التوحيد من التمسك بحبل الله والاعتصام به والإعراض عما سواه[3] [**أو حال مؤكدة**]؛ أي: بناء على جواز تأكيد الجملة الفعلية بالأسمية وهو نادر [**ولا تحتفل بأقوالهم**]؛ أي: لا تبال بها.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٢]. (٢) في نسخة [ز]: (درست).
(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٧/ ٤٨١].

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ
زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟
بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ
أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

إلى آرائهم، ومن جعله منسوخاً بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ توحيدهم وعدم إشراكهم ﴿مَآ أَشْرَكُوا۟ۗ﴾ وهو دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر، وأن مراده واجب الوقوع. ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾ رقيباً ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تقوم بأمورهم.

﴿١٠٨﴾ ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ تجاوزاً عن الحق إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به. وقرأ يعقوب (عُدُوّاً) يقال: عدا فلان عُدُوّاً وعدواً وعداءً وعدواناً. روي: (أنه ﷺ كان يطعن في آلهتهم، فقالوا: لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلٰهك، فنزلت). وقيل: (كان المسلمون يسبونها فنهوا؛ لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى). وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها؛ فإن ما يؤدي إلى الشر شر. ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً وتخذيلاً، ويجوز تخصيص العمل بالشر، وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم، والمشبه به تزيين سب الله لهم. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة عليه.

﴿١٠٩﴾ ـ ﴿١١٠﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مصدر في موقع الحال، والداعي

[والمشبه به تزيين سبب الله لهم]؛ أي: والمشبه تزيين الشر لهم

لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام في طلب الآيات، واستحقار ما رأوا منها. ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء، وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يدريكم؟ استفهام إنكار ﴿أَنَّهَآ﴾؛ أي: أن الآية المقترحة ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا تدرون أنهم لا يؤمنون، أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب، وفيه تنبيه على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، وقيل: (لا) مزيدة، وقيل: (أن) بمعنى (لعل) إذ قرئ (لعلها) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب (إنها) بالكسر؛ كأنه قال: وما يشعركم ما يكون منهم؟ ثم أخبرهم بما علم منهم، والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعاً في إيمانهم، فنزلت. وقيل: للمشركين؛ إذ قرأ ابن عامر وحمزة

[أي: لا تدرون أنهم لا يؤمنون] إشارة إلى أن المفعول الثاني ليشعركم قولهُ: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]؛ أي: وما يشعركم عدم إيمانهم إذا جاءتهم الآية [أنكر السبب] وهو الدراية بإيمانهم [مبالغة في نفي المسبب] وهو إيمانهم[١] [وفيه تنبيه على أنه تعالى..] إلى آخره. ذكر فيه لـ«لا» والخطاب للمؤمنين مع فتح أن ثلاثة أوجه أصالتها وزيادتها وأنها بمعنى لعل. قال التفتازاني: في بيانها مبتدئاً بالأولى ولما كان مقتضى ظاهر الكلام أن يقال وما يدريكم: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حتى يطمعون في إيمانهم ويَتَمنَّوْن مجيء الآية، أجاب بأن الاستفهام للإنكار بمعنى نفي علمهم بما هو الواقع لا بما هو مدّعاهم؛ يعني: أن الواقع هو أنهم لا يؤمنون على تقدير الآية «كما لم يؤمنوا به أول مرة»، لكن لم يعلمكم بذلك نَّبي، وإنما يعلمه أنا لا غيري فلا تتمنوا مجيء الآية، وقيل أن معنى لعل؛ أي: ما يشعركم بحقيقة الحال لعلَّهم لا يؤمنون على تقدير الآية فلا تطمعوا في إيمانهم، وقيل: «لا» مزيدة ووجهه ظاهر[٢]. انتهى.

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٣٩٦/٨].

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١١٩/١٣].

۞ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾.

(لا تؤمنون) بالتاء، وقرئ (وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم) فيكون إنكاراً لهم على حلفهم؛ أي: وما يشعرهم أن قلوبهم حينئذٍ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها. ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ عطف على (لا يؤمنون)؛ أي: وما يشعركم أنّا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه، وأبصارهم فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون بها. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بما أنزل من الآيات. ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين. وقرئ: (وَيُقَلِّبُ) و(يذرهم) على الغيبة، و(تُقَلَّب) على البناء للمفعول والإسناد إلى الأفئدة.

﴿١١١﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ كما اقترحوا فقالوا: لولا أنزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢] و(قبلا) جمع (قبيل) بمعنى: (كفيل)؛ أي: كفلاء بما بشروا به وأنذروا به، أو جمع (قبيل) الذي هو جمع (قبيلة) بمعنى: جماعات، أو مصدر بمعنى: (مقابلة) كـ(قبلا) وهو قراءة نافع وابن عامر، وهو على الوجوه: حال من (كل) وإنما جاز ذلك لعمومه. ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ لما سبق عليهم القضاء بالكفر. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء من أعم الأحوال؛ أي: لا يؤمنون في حال إلا حال مشيئة الله تعالى إيمانهم، وقيل: منقطع؛ وهو حجة واضحة على المعتزلة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون، ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم، أو

[ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم]؛ أي: لا إليهم؛ لأن بعضهم معاند [مع أن مطلق الجهل يعمهم] فيشمل المعاند.

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

لكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعاً في إيمانهم.

﴿١١٢﴾ - ﴿١١٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾؛ أي: كما جعلنا لك عدواً جعلنا لكل نبي سبقك عدواً، وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه. ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ مردة الفريقين، وهو بدل من (عدواً)، أو أول مفعولي (جَعَلْنا) و(عَدُوّاً) مفعوله الثاني، ولكل متعلق به أو حال منه. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، أو بعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض. ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ الأباطيل المموهة منه من زخرفه إذا زينه. ﴿غُرُورًا﴾ مفعول له أو مصدر في موقع الحال. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ إيمانهم. ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: ما فعلوا ذلك؛ يعني: معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف، ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور، وهو أيضاً دليل على المعتزلة. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وكفرهم. ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ إن جعل علة، أو متعلق بمحذوف؛ أي: وليكون ذلك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾. والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا: (اللام) لام العاقبة، أو (لام القسم) كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو

[أو متعلق بمحذوف]؛ أي: فعلوا ذلك كما قدره ابن عادل وغيره وقدّرهُ المصنف كـ«الكشاف» بجعلنا في قوله: أي: وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوّاً[1] [والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا: اللام لام العاقبة]؛ أي: بمعنى أن الله لم يجعل

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٥٦].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

لام الأمر وضعفه ظاهر، والصغو: الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه. ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ وليكتسبوا. ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

﴿١١٤﴾ ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ على إرادة القول؛ أي: قل لهم يا محمد: أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل؟ و(غير) مفعول ﴿أَبْتَغِي﴾ و﴿حَكَمًا﴾ حال منه ويحتمل عكسه، و(حَكَماً) أبلغ من حاكم، ولذلك لا يوصف به غير العادل. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن المعجز. ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيناً فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس. وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقريره مغنٍ عن سائر الآيات. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله، يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم، وإنما وصف جميعهم بالعلم؛ لأن أكثرهم يعلمون، ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل. وقيل: المراد مؤمنون أهل الكتاب. وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم (مُنَزَّلٌ) بالتشديد. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ في أنهم يعلمون ذلك، أو في أنه منزل لجحود أكثرهم

الشياطين أعداء للأنبياء ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣] لكن لما حصل الصَّغْوُ بهذا الجعل كما يحصل الغرض من الشيء شبه به فاستعمل فيه اللام وكذا في ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ [أو لام الأمر وضعفه أظهر][(١)]؛ أي: لأنه لم يجزم [والضمير]؛ أي: في إليه.

---

(١) انظر: الوجيز في تحرير الكتاب العزيز، ابن عطية [٢/٣٩٦].

۞ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

وكفرهم به؛ فيكون من باب التهييج كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أو خطاب الرسول ﷺ لخطاب الأمة. وقيل: الخطاب لكل أحد على معنى: أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه.

﴿١١٥﴾ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار والمواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأقضية والأحكام. ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له. ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل، أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعاً ذائعاً ـ كما فعل بالتوراة ـ على أن المراد بها القرآن، فيكون ضماناً لها من الله تعالى بالحفظ كقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها. وقرأ الكوفيون ويعقوب (كَلِمَةُ رَبِّكَ)؛ أي: ما تكلم به، أو القرآن. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يضمرون فلا يهملهم.

﴿١١٦﴾ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: أكثر الناس؛ يريد الكفار، أو الجهال، أو أتباع الهوى. وقيل: الأرض: أرض مكة. ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن الطريق الموصل إليه؛ فإن الضال في غالب

[فيكون من باب التهييج..] إلى آخره. شبه بالامتراء التهييج؛ أي: التحريض على الأمر ولما كان ظاهر الكلام النهي عن الامتراء في حقيقة القرآن وهو لا يتصور من النَّبي فلا فائدة من النهي عنه، أجاب عنه أنه من باب التهيج، وبأن الخطاب للنبي كالخطاب لأمته؛ بمعنى: أن الخطاب له والمراد أمته وبأن الخطاب لكل أحد.

[ونصبها يحتمل التمييز والحال]؛ أي: من ربك أو من الكلمة على الإسناد

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

الأمر لا يأمر إلا بما فيه ضلال. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق، أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة؛ فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون على الله فيما ينسبون إليه؛ كاتخاذ الولد، وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه، وتحليل الميتة وتحريم البحائر، أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين.

﴿١١٧﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: أعلم بالفريقين، و(مَنْ) موصولة، أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه (أعلم) لا به فإن أفعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك، أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر (يَضِلُّ) والجملة معلق عنها الفعل المقدر. وقرئ (مَن يُضِلُّ)؛ أي: يضله الله، فتكون (من) منصوبة بالفعل المقدر، أو مجرورة بإضافة (أعلم) إليه؛ أي: أعلم المضلين؛ من قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦] أو من: (أضللته) إذا وجدته ضالاً، والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها، ولزومه، وكونه بالذات لا بالغير.

﴿١١٨﴾ ـ ﴿١١٩﴾ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام، والمعنى: كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره، أو مات حتف أنفه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله، واجتناب

المجازي [وحقيقته]؛ أي: الخرص(١).

(١) في نسخة [ز ـ ب]: (الحرص) وفي نسخة [ج]: (الحرض).

۞ ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

ما حرمه ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله، وما يمنعكم عنه؟! ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مما لم يحرم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (فُصِّلَ) على البناء للمفعول، ونافع ويعقوب وحفص (حَرَّمَ) على البناء للفاعل. ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرم عليكم؛ فإنه أيضاً حلال حال الضرورة. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بتحليل الحرام وتحريم الحلال. قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح. ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بتشبيههم من غير تعلق بدليل يفيد العلم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بالمجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢١﴾ ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ ما يعلن وما يسر، أو ما بالجوارح وما بالقلب. وقيل: الزنى في الحوانيت واتخاذ الأخدان. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ

[﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩] **مما حرم عليكم**] تبع فيه «الكشاف»(١). قال التفتازاني: ظاهر تقديره أن «ما» موصولة فلا يستقيم سوى أن تجعل الاستثناء منقطعاً، ولك أن تجعله استثناء من ضمير «حرم» و«ما» مصدريه في معنى المدة؛ أي: الأشياء التي حرمت عليكم إلا وقت الاضطرار إليها أي: فيكون الاستثناء متصلاً وفيما قاله نظر.

[﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠]] عطف على «كُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» [**أو ما بالجوارح**]؛ أي: أو ما يعمل بالجوارح من الذنوب

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٥٧].

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً أو نسياناً، وإليه ذهب داود وعن أحمد مثله، وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليها**». وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان. وأولوه بالميتة، أو بما ذكر اسم غيره عليه لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ فإن الفسق: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]، والضمير لـ(ما)، ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه (ولا تأكلوا). ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ ليوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله؟! وهو يؤيد التأويل بالميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال ما حرم ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فإن من ترك طاعة الله تعالى إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك، وإنما حسن حذف الفاء فيه؛ لأن الشرط بلفظ الماضي.

﴿١٢٢﴾ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾

[**وقال مالك والشافعي بخلافه**]. قال التفتازاني: ذكر صاحب الانتصاف وهو مالكي أن مالكاً يوافق أبا حنيفة [«**ذبيحة المسلم حلال**..»] إلى آخره. رواه عبد بن حميد عن راشد بن سعد مرسلاً[1] [**وأوله**]؛ أي: أبو حنيفة، وفي نسخة: وأولوه: أي: مالك والشافعي وأبو حنيفة، لكن التأويل بما ذكرهُ إنما يتم على مذهب الشافعي حيث لم يفرق بين العمد والنسيان [**والضمير لـ«ما»**]؛ أي: بتقدير مضاف أي: وإن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه أو يجعل ما لم يذكر نفس الفسق مبالغة نحو: «رجلُ عدل».

[**وإنما حسن حذف الفاء؛ لأن الشرط بلفظ الماضي**] تبع فيه أبا البقاء وَرُدَّ بأنه توهم أن جواب الشرط هو الجملة وليس بشيء؛ لأنها إنما هي جواب قسم مقدر قبل الشرط فسدّت مسد جوابه، والفاء لا تدخل جواب القسم[2] [﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٢]]. قال التفتازاني: **الظاهر أن من كان ميتاً ومن مثله في الظلمات من قبيل**

---

(١) انظر: مسند الحارث [١/٤٧٨/ برقم: ٤١٠]. (٢) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٥/ ٢١].

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

مثل به من هداه الله وأنقذه من الضلال، وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء، فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل. وقرأ نافع ويعقوب (مَيِّتاً) على الأصل. ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ صفته، وهو مبتدأ خبره ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ﴾ وقوله: ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في (مَثَلُه) للفصل، وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال. ﴿زُيِّنَ﴾ كما زين للمؤمنين إيمانهم ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ والآية نزلت في حمزة وأبي جهل، وقيل: في عمر أو عمار وأبي جهل.

﴿١٢٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾؛ أي: كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها، و﴿جَعَلْنَا﴾؛ بمعنى: صيرنا، ومفعولاه ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ على تقديم المفعول الثاني، أو ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ﴾ و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدل، ويجوز أن يكون مضافاً إليه إن فسر (الجعل) بالتمكين، وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة؛ ولذلك قرئ (أكبر مجرميها)، وتخصيص الأكابر؛ لأنهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله يحيق بهم. ﴿يَشْعُرُونَ﴾ ذلك.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: كفار قريش لما روي: أن أبا جهل قال: زاحمنا بني عبد مناف

الاستعارة التمثيلية إذ لا ذكر لمشبه صريحاً ولا دلالة بحيث ينافي الاستعارة، وهذا كما تقول في الاستعارة الإفرادية: «أيكون الأسد كالثعلب»؛ أي: «الشجاع كالمحتال».

[ومفعولاه..] إلى آخره. قال التفتازاني بعد نقلهِ هذا والذي يقتضيه النظر

۞ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: مِنَّا نبي يوحي إليه! والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال؛ وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها، وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه. وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم (رِسالَتَهُ) ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾ ذل وحقارة بعد كِبْرِهِم. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة، وقيل: تقديره: من عند الله. ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ بسبب مكرهم، أو جزاء على مكرهم.

﴿١٢٥﴾ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان

الصائب والتأمل الصادق أن ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] مفعول أول و﴿لِيَمْكُرُوا۟﴾ هو الثاني. انتهى. لكن القولان الأولان ردّاً بأن أفعل التفضيل لا يجمع إلا مع آل أو الإضافة وهو على القولين خال عنهما [**استئناف للرد عليهم**]؛ أي: في قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] [**وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها**] تبع فيه الزمخشري(١). قال التفتازاني: هذا يشعر بأن تعلق حيث بأعلم تعلق المفعول به، وفيه إعمال أفعل التفضيل في المفعول به وإخراج حيث عن الظرفية وقضية كلامه أن أفعل التفضيل تعمل في المفعول به، وصرح غيرهُ بخلافه(٢) وأنه إنما ينصب بما دل عليه أعلم وتقديره يعلم، وإنما أخرجت حيث عن الظرفية هنا؛ لأن المعنى يصير أنه أعلم في هذا المكان، ومعلوم أنه علمه تعالى لا يختص بمكان ولا غيره.

[**كبرهم**]؛ أي: عظمهم [﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾] متعلق بـ«يصيب» أو بـ«صَغَار»؛ لأنه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٠].

(٢) عبارة (بخلافه) من نسخة [ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

۞ ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٧)﴾.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فيتسع له ويفسح فيه مجاله، وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه، وإليه أشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال: «**نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح**» فقالوا: هل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «**نعم! الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله**». ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان. وقرأ ابن كثير (ضِيْقاً) بالتخفيف، ونافع وأبو بكر عن عاصم (حَرِجاً) بالكسر؛ أي: شديد الضيق، والباقون بالفتح وصفاً بالمصدر. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه؛ فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة، ونبّه به على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود. وقيل معناه: كأنما يتصاعد إلى السماء نبواً عن الحق وتباعداً في الهرب منه، وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به، وقرأ ابن كثير (يَصْعَدُ) وأبو بكر عن عاصم (يَصَّاعد) بمعنى: يتصاعد. ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق. ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يجعل العذاب أو الخذلان عليهم، فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل.

(١٢٦) ـ (١٢٧) ﴿وَهَٰذَا﴾ إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن، أو إلى الإسلام، أو إلى ما سبق من التوفيق والخذلان. ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ الطريق الذي ارتضاه، أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته. ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج

مصدراً أو بمحذوف يجعله صفة «صغار» [وإليه أشار ﷺ..] إلى آخره. رواه بمعناه

۞ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

فيه، أو عادلاً مطرداً، وهو حال مؤكدة؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر هو الله تعالى، وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه، وأنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم. ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ دار الله؛ أضاف الجنة إلى نفسه تعظيماً لها، أو دار السلامة من المكاره، أو دارٌ تَحِيَّتُهُم فيها سلام. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۖ﴾ في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ مواليهم أو ناصرهم. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولى إيصاله إليهم.

﴿١٢٨﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ نصب بإضمار (اذكر) أو (نقول)، والضمير لمن يحشر من الثقلين. وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب (يَحْشُرُهُمْ) بالياء. ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾؛ يعني: الشياطين. ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾؛ أي: من إغوائهم وإضلالهم، أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم

الحاكم[١] والبيهقي[٢] [بسبب أعمالهم..] إلى آخره؛ يعني: أن كان الولي بمعنى المحب أو الناصر فالباء للسببية، وإن كان بمعنى متولي الأمر ومتصرفه فللملابسة على حذف مضاف وهو الجزاء [نصب بإضمار اذكر أو نقول]؛ أي: نصب بمحذوف هو اذكر أو تقول: [من الثقلين]؛ أي: وغيرهم كما في «الكشاف» اعترافهم[٣]

(١) مستدرك الحاكم [٣٤٦/٤/ برقم: ٧٨٦٣].

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٣٥٢/٧/ برقم: ١٠٥٥٢].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٦١/٢].

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

فحشروا معكم؛ كقولهم: استكثر الأمير من الجنود. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الذين أطاعوهم. ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها، والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم. وقيل: استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف، واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم يقدرون على إجارتهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ﴾؛ أي: البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان، واتّباع الهوى، وتكذيب البعث، وتحسر على حالهم. ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ منزلكم، أو ذات مثواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال، والعامل فيها (مثواكم) إن جعل مصدراً، ومعنى الإضافة إن جعل مكاناً ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير، وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ قبل الدخول! كأنه قيل: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ أبداً إلا ما أمهلكم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله. ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال الثقلين وأحوالهم.

﴿١٢٩﴾ - ﴿١٣٠﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ نكل بعضهم إلى بعض، أو نجعل بعضهم يتولى بعضاً فيغويهم، أو أولياء بعض وقرناءهم في العذاب؛ كما كانوا في الدنيا. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ الرسل من الإنس خاصة، لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك؛ ونظيره ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] والمرجان يخرج مِنَ المِلحِ دون العذب،

[اعترافهم]؛ أي: الإنس [بأنهم]؛ أي: الجن [والمرجان يخرج مِنَ المَلحِ دون العذب] الأولى قول غيره: اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان مِنَ المَلحِ، وهو ما دل عليه كلامه

۞ ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾.

وتعلق بظاهره قوم وقالوا: بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم. وقيل: الرسل من الجن رسل الرسل إليهم كقوله تعالى: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ﴾؛ يعني: يوم القيامة. قالوا جواباً: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ﴾ بالجرم والعصيان؛ وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم، فإنهم اغتروا بالحياة الدنيا واللذات المخدجة، وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد؛ تحذير للسامعين من مثل حالهم.

(١٣١) ـ (١٣٢) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى إرسال الرسل، وهو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك. ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة؛ أي: الأمر ذلك لانتفاء كون ربك، أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى؛ بسبب ظلم فعلوه، أو ملتبسين بظلم، أو ظالماً وهم غافلون لم ينبهوا برسل أو بدل من (ذلك). ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلفين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ مراتب ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ﴾ من أعمالهم، أو من جزائها، أو من أجلها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فيخفى عليه عمل، أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب. وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة.

في تفسير سورة الرحمٰن [واللذات المخدجة]؛ أي: الناقصة [أو بدل] عطف على

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

---

(١٣٣) - (١٣٤) ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن العباد والعبادة. ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ يترحم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم على المعاصي، وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه؛ بل لترحمه على العباد، وتأسيس لما بعده وهو قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ أي: ما به إليكم حاجة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها العصاة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: قرناً بعد قرن، لكنه أبقاكم ترحماً عليكم. ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث وأحواله ﴿لَأَتٍ﴾ لكائن لا محالة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ طالبكم به.

(١٣٥) ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على غاية تمكنكم واستطاعتكم، يقال: مكن مكانة؛ إذا تمكن أبلغ التمكن، أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها؛ من قولهم: (مكان ومكانة) كـ(مقام ومقامة). وقرأ أبو بكر عن عاصم (مكاناتكم) بالجمع في كل القرآن، وهو أمر تهديد، والمعنى: اثبتوا على كفركم وعداوتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام، والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عليه؛ فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه،

تعليل الحكم [على غاية تمكنكم..] إلى آخره[1]؛ أي: بأن تكون المكانة على حقيقة معناها المصدري أو على ناحيتكم وجهتكم بأن يكون مجازاً عن التي بمعنى المكان [كأن المُهَدِّد] بكسر الدال [يريد تعذيبه]؛ أي: (المُهَدَّد) بفتحها [مجمعاً عليه] صفة محذوف أي: تعذيباً مجمعاً عليه.

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/ ١٨٠].

۞ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

وتسجيل بأن المهدد لا يتأتى منه إلا الشر؛ كالمأمور به الذي لا يقدر أن ينقضي عنه ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ﴾ إن جعل (مَنْ) استفهامية بمعنى: أيُّنا تَكُونُ لَهُ العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار. فمحلها الرفع، وفعل (العلم) معلق عنه وإن جعلت خبرية فالنصب بـ(تَعْلَمُونَ)؛ أي: فسوف تعرفون الذي تَكُونُ لَهُ عاقبة الدار، وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب، وتنبيه على وثوق المنذر بأنه مُحِقّ. وقرأ حمزة والكسائي (يَكُونُ) بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وضع الظالمين موضع الكافرين؛ لأنه أعم، وأكثر فائدة.

﴿١٣٦﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟﴾؛ أي: مشركو العرب ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ

[وتسجيل] عطف على «مبالغة» [بأن المهدد لا يأتي منه إلا الشر كالمأمور به]؛ أي: بالشر ومراده بذلك ما عبّر به «الكشاف» من قوله: وطريقة هذا الأمر طريقة قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ﴾ [فصلت: ٤٠] وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا الشر، فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتعصى عنه ويعمل بخلافه [وفعل العلم معلق عنه]؛ أي: عن «من»؛ أي: عن العمل فيه [وفيه]؛ أي: في قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٥] إلى آخره.

[مع الإنذار إنصاف في المقال]؛ أي: حيث ذكر العملين بطريق واحد حيث قال: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ﴾؛ أي: على مكانتي [وحسن الأدب]؛ أي: حيث لم يخاشن في الكلام ولم يصرح بالعذاب ومع هذا «فسوف يعلمون» وعيد شديد، ويدل على أن المنذِر واثق بأن العاقبة الحسنة له لا لهم؛ يعني: أني عالم بذلك اليوم وأنتم غداً ستعلمونه.

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ روي: (أنهم كانوا يعينون ـ شيئاً من حرث ونتاج ـ لله، ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين، وشيئاً منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها، ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حباً لآلهتهم. وفي قوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ تنبيه على فرط جهالتهم؛ فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر على شيء، ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له، وفي قوله: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به. وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين؛ وهو لغة فيه، وقد جاء فيه أيضاً الكسر كالود والود. ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

﴿١٣٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد ونحرهم لآلهتهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجن أو من السدنة، وهو فاعل (زَيَّنَ). وقرأ ابن عامر: (زُيِّنَ) على البناء للمفعول الذي هو القتل، ونصب (الأولاد) وجر (الشركاء) بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله، وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر

[سدنتها]؛ أي: خدمتها ومفرده سادن؛ أي: خادم [وقرأ الكسائي بالضم][(1)]؛ أي: بضم الزاي في «بزُعمهم»، والياء فيه متعلقة بـ«قالوا»، أو بما تعلق به «لله» من نحو مستقر [وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر] تبع فيه

---

(١) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٤٤٦].

كقوله:

فَـــزَجَـــجْـــتُـــهَـــا بِـــمِـــزَجَّـــةٍ زَجَّ الـــقَـــلُـــوصَ أَبِـــي مَـــزَادَه

وقرئ بالبناء للمفعول وجرِّ (أولادهم) ورفع (شركاؤهم) بإضمار فعل دلَّ عليه ﴿زَيَّنَ﴾. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغواء. ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل، أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به، واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين، والعاقبة

الزمخشري(١) وقد أنكره عليه جمع بأن القراءة المذكورة صحيحه متواترة، وتركيبها صحيح في العربية فلا يجوز الطعن فيها ولا في ناقلها. قال التفتازاني: وهذا على عادته يطعن في تواتر القراءات السبع، ويسند الخطأ تارة إليهم كما هنا، وتارة إلى الرواة عنهم، وكلاهما خطأ؛ لأن القراءات متواترة وكذا الروايات عنهم، وأطال في بيان ذلك. وقال ابن مالك في شرح كافيته: إضافة المصدر إلى الفاعل مفصولاً بينهما بمفعول المصدر جائزة في الاختيار إذ لا محذور فيها(٢)، مع أن الفاعل كجزء من عاملة فلا يضر فصله [كقوله:

فَزَجَجْتُها................................. ....](٣)

أي: الكتيبة؛ أي: دفعتها [متمكناً] وفي نسخة: «بِمزَجَّة»: بكسر الميم، الرمح القصير كالمزراق [**زَجَّ القلوصِ أبي مُزَادَه**] الشاهد فيه أنه أضاف المصدر وهو زج إلى فاعله أبي مزادة، وفصله بينهما بالمفعول وهو القلوص، والقلوص الشابة من النوق(٤) [**ورفع شركائهم بإضمار فعل دل عليه زين**] المبني للمفعول تقديره زينه شركاؤهم.

[**واللام**]؛ أي: في ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٤].

(٢) شرح الكافية، ابن مالك [١/ ٨٩].

(٣) البيت:

«فـــزَجَـــجْـــتُـــهـــا بـــمِـــزَجَّـــة زجَّ الـــقَـــلـــوصَ أبـــي مـــزاده»

المفصل في صناعة الإعراب، الزمخشري [ص٣٠].

(٤) انظر: الخصائص، ابن جني [٢/ ٤٠٦].

۞ ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

إن كان من السدنة. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ ما فعل المشركون ما زين لهم، أو الشركاء التزيين، أو الفريقان جميع ذلك. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ افتراءهم، أو ما يفترونه من الإفك.

﴿١٣٨﴾ ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ﴾ إشارة إلى ما جعل لآلهتهم. ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام، فعل بمعنى مفعول؛ كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى. وقرئ (حُجْرٍ) بالضم، و(حِرْج)؛ أي: مضيق. ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يعنون: خدم الأوثان، والرجال دون النساء. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير حجة. ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾؛ يعني: البحائر والسوائب والحوامي. ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها، وقيل: لا يحجون على ظهورها ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ نصب على المصدر؛ لأن ما قالوه تقول على الله تعالى، والجار متعلق بـ(قالوا) أو بمحذوف هو صفة له، أو على الحال، أو على المفعول

[إشارة إلى ما جعل لآلهتهم]؛ أي: وهو الثلاثة الآتية أنعام وحرث ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٣٨] [وقرئ حجر بالضم]؛ أي: بضم الحاء وبفتحها أيضاً مع سكون الجيم فيهما وبضمهما معاً [وحرْج]؛ أي: بكسر الحاء وإسكان الراء مقدمة على الجيم(١) [أي: مضيق] وقيل: هو مقلوب حِجْر؛ أي: قلباً مكانياً فهو بمعناه [أو بمحذوف هو]؛ أي: الجار [صفةً له]؛ أي: للمحذوف والتقدير «قولاً كائناً عليه» [أو على الحال] عطف على قوله: «على المصدر».

---

(١) قرأ الحسن وقتادة «حُجُر» بضم الجيم، وقرأ ابن عباس «حِرْج» براء قبل الجيم. انظر: جامع البيان، الطبري [١٢/١٤١ ـ ١٤٢].

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾.

له، والجار متعلق به أو بالمحذوف. ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ بسببه أو بدله.

﴿١٣٩﴾ ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يعنون: أجنة البحائر والسوائب. ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ﴾ حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حيّاً لقوله: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ﴾ فالذكور والإناث فيه سواء، وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في (تكن) بالتاء، وخالفه هو وابن كثير في (مَيْتَةً) فنصب كغيرهم، أو التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر، أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص. وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر (لِذُكُورِنا)، أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في (لذكورنا)، ولا من الذكور لأنها لا تتقدم على العامل المعنوي، ولا على صاحبها

[وتأنيث الخالصة] الأولى وتأنيث خالصة[1] [ولذلك]؛ أي: ولكون ما في معنى الأجنة [وخالفه]؛ أي: ابن عامر [هو]؛ أي: عاصم [وابن كثير] بالنصب عطفاً على ضمير خالفه؛ أي: وخالف عاصم ابن عامر وابن كثير [في ميتة فنصب] هاء [كغيرهم]؛ أي: غير هؤلاء الثلاثة، والحاصل: أن في ذلك أربع قراءات؛ حيث قرأ ابن عامر «وإن تكن ميتة» بالتأنيث والرفع، وعاصم في رواية أبي بكر بالتأنيث والنصب، وابن كثير بالتذكير والرفع، والباقون بالتذكير والنصب، ووافق أبو جعفر ابن عامر لكن بتشديد ياء «ميّتة» هنا، مع أن نسخ المتن هنا مختلفة وفي كلها قلق[2] [أو التاء فيه للمبالغة] عطف على قوله: «وتأنيث الخالصة للمعنى».

---

(١) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/٧٦].
(٢) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/٤٤٧].

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾.

المجرور. وقرئ (خالص) بالرفع والنصب، و(خالِصَةٌ) بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه بدل من (ما)، أو مبتدأ ثان، والمراد به: ما كان حياً، والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة ما يعم الذَّكَر والأنثى فغلب الذَّكَر. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾؛ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ٦٢] ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا﴾ يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر. وقرأ ابن كثير وابن عامر (قَتَّلُوا) بالتشديد بمعنى التكثير ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هُم، ويجوز نصبه على الحال، أو المصدر. ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من البحائر ونحوها. ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ يحتمل الوجوه المذكورة في مثله. ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق والصواب.

﴿١٤١﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ من الكروم. ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مرفوعات على ما يحملها. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ ملقيات على وجه الأرض. وقيل: المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه، وغير معروشات ما نبت في الجبال

[ما غرسه الناس فعرشوه] عبارة «الكشاف»: ما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه[(١)].

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٨].

۞ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

والبراري. ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية، والضمير للزرع، والباقي مقيس عليه، أو للنخل و(الزرع) داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه، أو للجميع على تقدير أكل ذلك، أو كل واحد منهما، و(مختلفاً) حالاً مقدرة؛ لأنه لم يكن ذلك عند الإنشاء. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ﴾ يتشابه بعض أفرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها. ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ من ثمر كل واحد من ذلك. ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ وإن لم يدرك ولم يينع بعد. وقيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ﴾ يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة؛ لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية. وقيل: الزكاة، والآية مدنية، والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء، وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية. وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي (حِصادِهِ) بكسر الحاء؛ وهو لغة فيه. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ﴾ في التصدق كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ لا يرتضي فعلهم.

﴿١٤٢﴾ - ﴿١٤٣﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ﴾ عطف على (جنات)؛ أي: وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال، وما يفرش للذبح، أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره. وقيل: الكبار الصالحة للحمل، والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ كلوا مما أحل لكم منه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ في التحليل والتحريم من عند أنفسكم ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهرة العداوة. ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ﴾ بدل

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾.

من (حمولة وفرشاً)، أو مفعول (كلوا)، ولا تتبعوا معترض بينهما، أو فعل دل عليه، أو حال من (ما) بمعنى مختلفة أو متعددة، و(الزوج): ما معه آخر من جنسه يزاوجه، وقد يقال لمجموعهما، والمراد الأول. ﴿وَمِنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ زوجين اثنين الكبش والنعجة، وهو بدل من (ثمانية)، وقرئ (اثنان) على الابتداء. ﴿ٱلضَّأۡنِ﴾ اسم جنس كالإبل، وجمعه (ضئين)، أو جمع (ضائن) كـ(تاجر وتجر). وقرئ بفتح الهمزة، وهو لغة فيه. ﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ التيس والعنز، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح؛ وهو جمع (ماعز) كـ(صاحب وصحب) و(حارس وحرس)، وقرئ (المعزى). ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ ذَكَر الضأن وذَكَر المعز. ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ أم أنثييهما، ونصب (الذكرين) و(الأنثيين) بـ(حرم) ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾ أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى، والمعنى: أن يحرم الله من جنس الغنم شيئاً ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾ بأمرٍ معلوم يدل على أن الله تعالى حرم شيئاً من ذلك ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوى التحريم عليه.

١٤٤ ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾ كما سبق، والمعنى: إنكار أن الله حرم شيئاً من الأجناس الأربعة ذكراً كان أو أنثى، أو ما تحمل إناثها رداً عليهم؛

[أو فعل] عطف على «كلوا» [دل عليه]؛ أي: دل عليه «كلوا» [وهو بدل من ثمانية] قال التفتازاني: والظاهر أن «من الضأن» بدل «من الأنعام»، و«اثنين» بدل من «حمولة وفرشاً» أو من «ثمانية أزواج» إن جوزنا للبدل بدلاً [والمعنى: إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة..] إلى آخره؛ يعني: أن المقصود إنكار نفس

۞ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾.

فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة، وإناثها تارة أخرى، وأولادها كيف كانت تارة؛ زاعمين أن الله حرمها. ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ بل أكنتم حاضرين. ﴿إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي؛ فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع. ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم، والمراد كبراؤهم المقررون لذلك، أو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك. ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(١٤٥) ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾؛ أي: في القرآن، أو فيما أوحي إليَّ مطلقاً؛ وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى ﴿مُحَرَّمًا﴾ طعاماً محرماً ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ إلا أن يكون الطعام ميتة، وقرأ ابن كثير وحمزة (تكون) بالتاء لتأنيث الخبر، وقرأ ابن عامر بالياء، ورفع (مَيْتَة) على أنَّ (كان) هي التامّة، وقوله: ﴿أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا﴾

التحريم لكنه أورده في صورة إنكار المفعول ليطابق ما كانوا يدعونه من التفصيل في المفعول والترديد فيه فيكون الإنكار بطريق برهاني من جهة أنه لا بد للفعل من متعلق، فإذا نفى جميع متعلقاته اللازمة له لزم نفيه؛ لأن انتفاء اللازم مستلزم لانتفاء الملزوم(١).

[طعاماً محرماً]؛ أي: ما حرمتموه كما زادهُ «الكشاف»(٢) ليستقيم الكلام إذ ليس نفي المحرم على عمومه ولا على ما يبقى بعد استثناء المذكورة لوجود محرمات

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٣/١٧٨].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٧١].

۞ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

عطف على (أن) مع ما في حيزه؛ أي: إلا وجود ميتة أو دماً مسفوحاً؛ أي: مصبوباً كالدم في العروق لا كالكبد والطحال. ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة، أو خبيث مخبث ﴿أَوۡ فِسۡقًا﴾ عطف على (لحم خنزير). وما بينهما اعتراض للتعليل. ﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ صفة له موضحة؛ وإنما سمي ما ذبح على اسم الصنم (فسقاً)؛ لتوغله في الفسق، ويجوز أن يكون (فسقاً) مفعولاً له لـ(أُهِلَّ) وهو عطف على (يكون)، والمستكن فيه راجع إلى ما رجع إليه المستكن في (يكون). ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء من ذلك ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ على مضطر مثله ﴿وَلَا عَادٖ﴾ قدر الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لا يؤاخذه، والآية محكمة؛ لأنها تدل على أنه لم يجد فيما أوحي إلى تلك الغاية محرماً غير هذه، وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد، ولا على حل الأشياء غيرها إلا مع الاستصحاب.

﴿١٤٦﴾ - ﴿١٤٧﴾ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾ كل ما له إصبع؛ كالإبل والسباع والطيور. وقيل: كل ذي مخلب وحافر، وسمي الحافر ظفراً مجازاً، ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم. ﴿وَمِنَ

أُخَر. [عطف على أن مع ما في حيزه]؛ أي: أو على «ميتة» [عطفٌ على (لحم خنزير)] الأولى على «أن يكون» أو على «ميتة». [ولا على «حِلّ» إلا مع الاستصحاب]؛ أي: ولا يصح الاستدلال بها على حل شيء بدون استصحاب الأصل [﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [الأنعام: ١٤٦]]؛ أي: اليهود [ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم]؛

﴿ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الثروب وشحوم الكلى. والإضافة لزيادة الربط. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ إلا ما علقت بظهورهما ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء؛ جمع (حاوية)، أو (حاوياء) كـ(قاصعاء وقواصع)، أو (حوية) كـ(سفينة وسفائن). وقيل: هو عطف على (شحومهما) و(أو) بمعنى (الواو). ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو شحم الإلية لاتصالها بالعصعص. ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم أو الجزاء. ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في الإخبار أو الوعد والوعيد.

(١٤٧) ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ يمهلكم على

أي: على اليهود لا تخصيصه بهم إذ غيرهم يشاركونهم فيه، وقوله: «عن الظلم» أخذهُ من قوله بعد: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أو من قوله في النساء: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] [الثروب] قال الجوهري: «الثروب»: هو شحم قد غشّى الكرش والأمعاء رقيق[(١)] [والإضافة]؛ أي: في قوله: ﴿شُحُومَهُمَآ﴾ [لزيادة الربط]؛ أي: لا للربط فإنه حاصل بدون الإضافة مثل: ومن البقر والغنم حرمنا عليهم الشحوم؛ لأن من يتعلق بهذا الفعل، وأما فيمن يجعل ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ﴾ عطفاً على ﴿ذِى ظُفُرٍ﴾ و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ تبييناً للمحرم منهما، فالإضافة للربط المحتاج إليه قاله التفتازاني.

[وقيل: هو عطف على «شحومها» وأو بمعنى الواو] ظاهره أن «أو» على الأول باقية على معناها وهو كذلك، واعتُرِض بأنه ينبغي أن يكون بمعنى الواو أيضاً؛ لأن المخرج من حكم التحريم الثلاثة لا أحدهما فقط، وأجيب بأن الاستثناء من الإثبات نفي، و«أو» في النفي تفيد العموم لكونه بمنزلة النكرة في سياق النفي، فيصير المعنى لم يحرم واحداً من الثلاثة لا على التعيين، وذلك ينفي المجموع ضرورة وهو معنى إباحة الكل[(٢)].

قال التفتازاني: وفيه نظر؛ لأن الاستثناء إنما يفيد نفي الحكم عن المستثنى

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٢٧].

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٨/ ٨٣].

۞ ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾.

التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يهمل. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ حين ينزل، أو ذو رحمة واسعة على المطيعين، وذو بأس شديد على المجرمين؛ فأقام مقامه ولا يرد بأسه؛ لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب بهم، لا يمكن رده عنهم.

١٤٨ ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ إخبار عن مستقبل، ووقوع مخبره يدل على إعجازه. ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ﴾؛ أي: لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاه كقوله: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] لما

بمنزلة قولك: انتفى التحريم عن هذا وذاك، والعموم إنما يوجبه نفي الحكم عن هذا وذاك بمنزلة قولك: «انتفى تحريم هذا وذاك»، والحاصل: أن النكرة إذا تعلقت بالمنفي عمت ضرورة أن نفي إيجاب المبهم لا يتحقق إلا بنفي الكل، وإما إذا تعلقت بالنفي كما في قولنا: الأمي من لا يحسن من الفاتحة حرفاً؛ فلا يفيد سوى تعلق النفي بفرد مبهم، وهذا ما يقال أن «أو» في النفي قد يكون لنفي أحد الأمرين فتعم. أو لأحد على التعيين فلا تعم(١) وأطال في بيان ذلك.

[أو ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾]. أشار إلى أن المراد على هذا القول بالآية الأولى المطيعون، وبالثانية المجرمون، وعلى الأول المراد بهما المجرمون فقط(٢) **[فأقام مقامه]**؛ أي: مقام البأس الشديد قوله: [﴿وَلَا يُرَدُّ﴾..] إلى آخره. **[أي: لو شاء خلاف ذلك «مشيئة ارتضاء»..]** إلى آخره؛ أي: لولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المُجْبِرَة بعينه. قال التفتازاني: أي: في أن كل كائن بمشيئة الله لكن الكفرة يحتجون بذلك على حقيقة الإشراك وتحريم الحلال وسائر ما يرتكبون من القبائح

---

(١) انظر: شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، المحبوبي البخاري [١/ ٢٠٦].
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٨/ ٤٧٦].

فعلنا نحن ولا آباؤنا، أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله؛ لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة، ويؤيده ذلك قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: مثل هذا التكذيب لك في أن الله تعالى منع من الشرك، ولم يحرم ما حرموه ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الرسل، وعطف (آباؤنا) على الضمير في (أشركنا) من غير تأكيد للفصل بـ(لا). ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم. ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم. ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ فتظهروه لنا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ ما تتبعون في ذلك إلا الظن ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ تكذبون على الله، وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيّما في الأصول، ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه.

وكونها ليس بمعصية لموافقتها للمشيئة المساوية لمعنى الأمر على ما هو مذهب القدرية من عدم التفرقة بين المأمور والمراد، وإن كلما هو مراد الله فليس هو بمعصية منهي عنها[1]؛ وأهل السُّنَّة وإن اعتقدوا أن الكل بمشيئة الله لكنهم يعتقدون أن الشرك وجميع القبائح معصية ومخالفة للأمر، يلحقها العذاب بحكم الوعيد والعفو عن البعض بحكم الوعد، فهم في ذلك يصدقون الله فيما دل عليه العقل والشرع من امتناع أن يكون أكثر ما يجري في ملكهِ على خلاف ما يشاء، والكفرة يكذبونه في لحوق الوعيد على بعض ما هو بمشيئة الله، ويزعمون أن الكفر والمعاصي إذا كانت بإرادة الله لم يكن عليها عذاب البتة، ولم تكن مخالفة للأمر؛ بل ربما كانت مرضية عنده[2]. قال: وحاصل الكلام في هذا المقام ما قال الإمام وهو: أن في كلام المشركين مقدمتين، إحداهما: أن الكفر بمشيئة الله، والثانية: أنه يلزم منه اندفاع دعوة النبي ﷺ وما ورد من الذم والتوبيخ إنما هو على الثانية؛ أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله أن يشاء من الكافر الكفر ويأمره بالإيمان ويعذبه على الكفر ويبعث الأنبياء دعاة إلى دار السلامة وإن كان لا يهدي إلا من يشاء.

[إذ الآية فيه]؛ أي: فيما يعارضه قاطع.

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص [٤/ ١٩٤].

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير، تقي الدين الفتوحي المعروف بابن النجار [١/ ٣٢٣].

۞ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

﴿١٤٩﴾ - ﴿١٥٠﴾ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبات، أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه؛ وهي من (الحجِّ) بمعنى: (القصد)؛ كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه. ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالتوفيق لها والحمل عليها، ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين. ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ أحضروهم، وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز، وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم، وأصله عند البصريين: (ها لم) من: (لم) إذا قصد، حذفت الألف لتقدير السكون في اللام؛ فإنه الأصل، وعند الكوفيين: (هل أم) فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام، وهو بعيد؛ لأن (هل) لا تدخل الأمر، ويكون متعدياً كما في الآية، ولازماً كقوله: (هلم إلينا). ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾؛ يعني: قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة، ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم، وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم؛ ولذلك قيد الشهداء بالإضافة، ووصفهم بما يقتضي العهد بهم ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدقهم فيه، وبيِّن لهم فساده فإن تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ من وضع المظهر موضع المضمر؛ للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير، وأن متبع الحجة لا يكون إلا مصدقاً

[وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم] سكت عن التثنية؛ لأنه أراد بالجمع ما يعم المثنى [فإن تسليمهُ موافقة لهم في الشهادة] ربما يشعر بأن «لا يشهد» مستعار بمعنى «لا تسلم»[1] استعارة تبعية. وقيل: مجاز من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم؛ لأن

---

(١) انظر: مدارك الترتيل وحقائق التأويل، النسفي [٢/ ٣٧].

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

بها ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ كعبدة الأوثان. ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يجعلون له عديلاً.

﴿١٥١﴾ ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أمر من: (التعالي) وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل؛ فاتسع فيه بالتعميم. ﴿أَتْلُ﴾ أقرأ. ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ منصوب بـ(أتل) و(ما) تحتمل الخبرية والمصدرية، ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بـ(حرم)، والجملة مفعول (أَتْلُ)؛ لأنه بمعنى: أتل أي شيء حرم ربكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ(حَرَّمَ) أو (أَتْلُ). ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ﴾؛ أي: لا تشركوا به ليصح عطف الأمر عليه، ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بـ(مَا حَرَّمَ)، فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها، ومن جعل (أن) ناصبة فمحلها

«الشهادة» من لوازم «التسليم» وقيل: كناية، وقيل: مشاكلة [أي: لا تشركوا] عبّر بأي إشارة إلى أنَّ «أنْ» مفسرة لا مصدرية [ليصح عطف الأمر]؛ أي: الآتي بعد الصادق بالظاهر والمقدر [عليه]؛ أي: على «لا تشركوا».

[ولا يمنعهُ]؛ أي: عطف الأمر عليه[1] [تعليق الفعل] وهو أقل [المفسر] بأن [بما حرم] متعلق بـ«تعليق» لا بـ«المفسر» ثم ما ذكر من أن أقل متعلق بما حرم بتقدير أن «ما» استفهامية، رُدَّ بأن الاستفهام إنما يعلق أفعال القلوب وما حمل عليها، ولما كان عطف الأمر على النهي غير صحيح ظاهراً لتغاير مفاديهما[2]، مع أن المقصود اتحادهما في التحريم ليكونا مفسرين للمحرم بين صحته بقوله: [فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها] وهي النواهي بناء على أن الأمر بالشيء

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/ ٢٠٤].

(٢) انظر: روح البيان، الألوسي [٨/ ٥٨].

(١٥٢) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾.

النصب بـ(عليكم) على أنه للإغراء، أو البدل من (مَا) أو من عائده المحذوف على أن (لا) زائدة، والجر بتقدير اللام، أو الرفع على تقدير: المتلو أن لا تشركوا، أو المحرم أن تشركوا. ﴿شَيْئًا﴾ يحتمل المصدر والمفعول. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ أي: وأحسنوا بهما إحساناً، وضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ من أجل فقر ومن خشيته؛ كقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] منع لموجبية ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاج عليه. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ كبائر الذنوب أو الزنى. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ بدل منه وهو مثل قوله: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقود، وقتل المرتد، ورجم المحصن. ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما ذكر مفصلاً. ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ بحفظه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ترشدون؛ فإن كمال العقل هو الرشد.

(١٥٢) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: بالفعلة التي

نهيٌ عن ضدهِ أو مستلزم له [على أنها]؛ أي: عليكم [من أجل فقر ومن خشية] أشار بالأول إلى ما هنا، وبالثاني إلى ما في آية الخشية لما اشتهر من أن الإملاق هنا موجود بالفعل؛ لأن الخطاب مع الفقراء ولذا قدمهم بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وثم غير موجود؛ لأن الخطاب فيه للأغنياء ولذا قدم رزق أولادهم فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] أو أشار بهما معاً إلى ما هنا ويكون الخطاب للفقراء والأغنياء، الأول للأول والثاني للثاني، أولهما باعتبار الخشية والمراد بهما «خشية الإملاق» وهنا «خشية زيادة»[١].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الأصفهاني [٣/١٨٣].

۞ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ حتى يصير بالغاً، وهو جمع (شدة) كـ(نعمة وأنعم)، أو (شد) كـ(صر وأصر) وقيل: مفرد كـ(آنك). ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل والتسوية. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لا ما يسعها ولا يعسر عليها، وذكره عقيب الأمر معناه: أن إيفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكومة ونحوها ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المعقول له أو عليه من ذوي قرابتكم ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾؛ يعني: ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون به، وقرأ حمزة وحفص والكسائي (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالتاء، والباقون بتشديدها.

﴿١٥٣﴾ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة. وقرأ حمزة والكسائي (إنَّ) بالكسر على الاستئناف، وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف. وقرأ الباقون بها مشددة بتقدير اللام على أنه علة لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ وقرأ ابن عامر (صِراطِيَ) بفتح الياء، وقرئ (وهذا صراطي)، (وهذا صراط ربكم)، (وهذا

[كـ«آنك»] بهمزة فمدة من الآنك وهو الأَسْرُب، وفي الحديث: «**من أستمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك**»[1] وأفْعُلٌ من أبنية الجمع ولم يجئ عليه الواحد إلا آنك وآشد قاله الجوهري[2] **[وذكره عقيب الأمر]** الأكثرُ لغةً «عَقِب» بلا ياء **[بتقدير اللام على أنه علةٌ لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾** [الأنعام: ١٥٣]**]** والتقدير: ولأن ﴿هَٰذَا صِرَٰطِي

---

(١) ذم الملاهي، ابن عساكر [ص٣٨/ برقم: ٨].
(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي [ص٢٠].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾.

صراط ربك). ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الأديان المختلفة، أو الطرق التابعة للهوى؛ فإن مقتضى الحجة واحد، ومقتضى الهوى متعدد؛ لاختلاف الطبائع والعادات. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ فتفرقكم وتزيلكم. ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الاتباع ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الضلال والتفرق عن الحق.

١٥٤ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ عطف على ﴿وَصَّىٰكُم﴾، و(ثم) للتراخي في الإخبار، أو للتفاوت في الرتبة؛ كأنه قيل: ذلكم وصاكم به قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أنَّا ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾. ﴿تَمَامًا﴾ للكرامة والنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ على كل من أحسن القيام به، ويؤيده أن قرئ (على الذين أحسنوا) أو (على الذي أحسن تبليغه) وهو موسى، أو (تماماً على ما أحسنه)؛ أي: أجاده من العلم والتشريع أي زيادة على علمه إتماماً

مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالواو استئنافية، والفاء زائدة على رأي، ويجوز أن تكون علة لـ«اتبعوه». الدال عليه «فاتبعوه»، فالفاء أصلية [﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]]؛ أي: التوراة: [و«ثم» للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة] قال الطيبي: يمكن الجمع بينهما إذ لا منافاة بين الاعتبارين(١).

[للكرامة والنعمة] في محل المفعول به لِـ«تماماً» [على الذي] متعلق بـ«تماماً» [على كل من أحسن القيام به..] إلى آخره. أشار به إلى أن «الذي أحسن» إمَّا للجنس أو للعهد والمعهود، أما «موسى» ففاعل «أحسن» ضمير يعود إلى «الذي»، ومفعوله محذوف؛ أي: أحسن الطاعة، وأمّا العلم والشرائع التي أحسنها موسى ففاعل «أحسن»، ضمير «موسى» ومفعوله محذوف وهو العائد إلى الموصول [وهو

---

(١) انظر: مغني اللبيب، ابن هشام [ص١٦٠].

۞ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

له. وقرئ بالرفع؛ على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: (على الذي هو أحسن) أو على الوجه الذي هو أحسن ما يكون عليه الكتب. ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاج اليه في الدين، وهو عطف على (تماماً)، ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ لعل بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بلقائه للجزاء.

﴿١٥٥﴾ ـ ﴿١٥٦﴾ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾؛ يعني: القرآن ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير النفع. ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه. ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ كراهة أن تقولوا؛ علة لـ(أنزله). ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ اليهود والنصارى، ولعل الاختصاص في (إنَّما) لأن الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم ﴿وَإِن كُنَّا﴾ (إنْ) هي المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان؛ أي: وإنه كنا ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم، ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ لا ندري ما هي، أو لا نعرف مثلها.

﴿١٥٧﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا۟﴾ عطف على الأول. ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا؛ ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون. ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن

عطف على «تماماً»]؛ أي: وكذا «هدى ورحمة» **[ونصبهما]**؛ أي: تماماً وتفصيلاً مع نصب «هدى ورحمة»(١) **[وثقابة أفهامنا]** بمثلثة ثم قاف ثم موحدة، و«المِثْقَب»:

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٨/ ١٠٦].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿رَبِّكُمْ﴾ حجة واضحة تعرفونها ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن تأمل فيه وعمل به ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بعد أن عرف صحتها، أو تمكن من معرفتها ﴿وَصَدَفَ﴾ أعرض أو صد. ﴿عَنْهَا﴾ فضل وأضل. ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ شدته ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ بإعراضهم أو صَدِّهِم.

﴿١٥٨﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظرون؛ يعني: أهل مكة، وهم ما كانوا منتظرين لذلك، ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين. ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ملائكة الموت أو العذاب. وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي (النحل). ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾؛ أي: أمره بالعذاب، أو كل آية؛ يعني: آيات القيامة والعذاب والهلاك الكلي لقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؛ يعني: أشراط الساعة، وعن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله عنهما: (كنا نتذاكر الساعة؛ إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ما تتذاكرون؟**» قلنا: نتذاكر الساعة! قال: «**إنها لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب،**

بكسر الميم، العالم الفطن، وروي بالفاء بدل الموحدة، يقال: غلام ثَقِفٌ لَقِف؛ أي: ذو فطنة وذكاء [**لمن تأمل فيه وعمل به**] ذكر الضمير باعتبار المعنى؛ أي: «الكتاب» وإلا فالمناسب لمن تأمل فيها وعمل بها؛ أي: «البينة» [«**وعن حذيفة:..**»] إلى آخره. رواه من طريق حذيفة[١] مسلم[٢].

---

(١) حذيفة بن أسيد الغفاري. انظر: الحاشية التالية.

(٢) صحيح مسلم [٤/ ٢٢٢٥/ برقم: ٢٩٠١].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، وناراً تخرج من عدن». ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ كالمحتضر إذ صار الأمر عياناً، والإيمان برهاني. وقرئ (تنفع) بالتاء؛ لإضافة (الإيمان) إلى ضمير المؤنث. ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة (نفساً). ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ عطف على (آمَنَتْ) والمعنى: أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها، أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيراً، وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل، وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم، وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين؛ على معنى لا ينفع نفساً خلت عنهما إيمانها، والعطف على (لم تكن) بمعنى: لا ينفع نفساً إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت فيه خيراً. ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وعيد لهم؛ أي: انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنا منتظرون له، وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل.

﴿١٥٩﴾ - ﴿١٦٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض،

[وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد] أُجيب عن التمسك بذلك من باب اللف التقديري؛ أي: لف الكلامين وجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً وبلاغة بأن التقدير: «لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان» ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فيه فيوافق الأدلة الشاهدة بأن مجرد الإيمان ينفع، وأجاب عنهُ المصنف بنحو ذلك حيث قال: [وللمعتبر]؛ أي: الإيمان المجرد.

[تخصيص هذا الحكم بذاك اليوم، وحمل الترديد]؛ أي: في الآية [على اشتراط النفع بأحد الأمرين]؛ أي: المذكورين فيها [على معنى ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا﴾..] إلى آخره. [أحد الثلاثة] هي قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.. إلى آخره.

۞ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

أو افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كُلُّها في الهاوية إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كُلُّها في الهاوية إلا واحدة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كُلُّها في الهاوية إلا واحدة**». وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم (فارقوا)؛ أي: باينوا. ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فِرَقاً تُشَيِّعُ كُلُّ فرقة إماماً. ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ﴾؛ أي: في شيء من السؤال عنهم وعن تفرقهم، أو عن عقابهم، أو أنت بريء منهم. وقيل: هو نهي عن التعرض لهم، وهو منسوخ بآية السيف. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يتولى جزاءهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ بالعقاب ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ﴾؛ أي: عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله تعالى. وقرأ يعقوب (عشرةٌ) بالتنوين، و(أمثالُها) بالرفع على الوصف. وهذا أقل ما وعد من الأضعاف! وقد جاء الوعد بسبعين، وبسبعمائة، وبغيرِ حساب؛ ولذلك قيل: المراد بالعشر الكثرة دون العدد. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ قضية للعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب.

﴿١٦١﴾ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بالوحي والإرشاد إلى ما نصب من الحجج. ﴿دِينًا﴾ بدل من محل (إلى صراط) إذ المعنى: هداني صراطاً كقوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢٠] أو مفعول فعل مضمر

[قال ﷺ: «**افترقت اليهود..**»] إلى آخره. رواه أبو داود(١) والترمذي(٢) والحاكم(٣) وَصَحَّحَاهُ. [**تشيع كل فرقة منها إماماً**]؛ أي: تقيمه وتتبعه.

---

(١) سنن أبي داود [٢/٦٠٨/ برقم: ٤٥٩٦]. (٢) سنن الترمذي [٥/٢٥/ برقم: ٢٦٤٠].
(٣) مستدرك الحاكم [١/٤٧/ برقم: ١٠].

۞ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

دل عليه الملفوظ. ﴿قِيَمًا﴾ (فَيْعِل) من: (قام) كـ(سيد) من (ساد) وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة، والمستقيم باعتبار الصيغة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (قِيَماً) على أنه مصدر نعت به، وكان قياسه (قِوَماً) كـ(عوض)، فاعل لإعلال فعله كـ(القيام). ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان لـ(دينا). ﴿حَنِيفًا﴾ حال من (إبراهيم). ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عطف عليه.

﴿١٦٢﴾ ـ ﴿١٦٣﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي كلها، أو قُرْباني أو حَجِّي. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ وما أنا عليه في حياتي، وأموت عليه من الإيمان والطاعة، أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات؛ كالوصية والتدبير، أو الحياة والممات أنفسهما. وقرأ نافع (مَحْيَايْ) بإسكان الياء إجراء للوصل مجرى الوقف. ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ خالصة له لا أشرك فيها غيراً. ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ القول والإخلاص. ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته.

﴿١٦٤﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ فأشركه في عبادتي؛ وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام إلى عبادة آلهتهم. ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ حال في موضع العلة للإنكار والدليل له؛ أي: وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية. ﴿وَلَا تَكْسِبُ

[والمستقيم]؛ أي: أبلغ من القيّم [باعتبار الصيغة]؛ أي: لأن صيغته أكثر حروفاً [عطف بيان لـ«دِيْنَا»]؛ أي: وإن فرق بينهما بأن المِلَّة[1] لا تضاف إلا إلى النبي الذي يسند إليه، والدين لا تختص إضافته بذلك [والدليل] عطف على توقع[2] العلةّ [له]؛

---

(١) في نسخة [ج]: (المسئلة). (٢) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (موقع).

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ فلا ينفعني في ابتغاء رب سواه ما أنتم عليه من ذلك ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ جواب عن قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بتبيين الرشد من الغي، وتمييز المحق من المبطل.

﴿١٦٥﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضاً، أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها؛ على أن الخطاب عام. أو خلفاء الأمم السابقة على أن الخطاب للمؤمنين. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في الشرف والغنى. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الجاه والمال ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لأن ما هو آت قريب، أو لأنه يسرع إذا أراده. ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وصف العقاب ولم يضفه إلى نفسه، ووصف ذاته بالمغفرة وضم إليه الوصف بالرحمة، وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة؛ تنبيهاً على أنه تعالى غفور بالذات، معاقب بالعرض، كثير الرحمة مبالغ فيها، قليل العقوبة مسامح فيها. عن رسول الله ﷺ: «**أنزلت عليَّ سورة (الأنعام) جملة واحدة، يُشَيِّعُها سبعون ألف ملك؛ لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد، فمن قرأ (الأنعام) صلّى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك؛ بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة**».

أي: للإنكار [في ابتغاء ربٍّ غيره] بِجَرِّ «غير» صفة لـ«رَبّ» [«**أنزلت علي سورة الأنعام..**»] إلى قولهُ: «**بالتسبيح والتحميد**» رواه الطبراني[(١)] وما بعدهُ موضوع[(٢)] وقوله: [لهم زَجَل] هو بفتح الزاي والجيم؛ أي: قوة.

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني [٦/ ٢٩٢/ برقم: ٦٤٤٧].

(٢) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٦٢٩/ برقم: ٥١١].

سُورَةُ الأَعْرَافِ

(٧) مكية، غير ثمان آيات

۞ ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾.

من قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الأعراف: ١٧١]، محكمة كلها. وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وآيها مائتان وخمس أو ست آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

۝١ - ۝٢ ﴿الٓمٓصٓ﴾ سبق الكلام في مثله. ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو كتاب، أو خبر (المص) والمراد به السورة أو القرآن. ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ صفته. ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: شك؛ فإن الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه؛ مخافة أن تكذب فيه، أو تقصر في القيام بحقه، وتوجيه النهي إليه للمبالغة كقولهم: لا أرينك ههنا. والفاء تحتمل العطف والجواب؛ فكأنه قيل: إذا أنزل إليك لتنذر به فلا يحرج

قوله: **[والمراد به]**؛ أي: الكتاب **[فإن الشاك حرج الصدر]**؛ أي: أطلق الحرج وأريد به الشك الذي هو لازمه فيكون كناية **[أو ضيق قلب]** عطف على «شك» **[وتوجيه النهي إليه]**؛ أي: إلى الحرج **[للمبالغة]**؛ أي: لأن الحرج منهي والمراد النهي عنه **[كقوله: «لا أرينك ههنا»]**؛ أي: في كون كل منهما كناية وهي ذكره اللازم وإرادة الملزوم فالنهي هنا عدم كون المخاطب في حرج[1]، وقد عبر عنه بعدم كون الحرج في صدره وفي «لا أرينك ههنا» عدم كون المخاطب في هذا

---

(١) الكليات، الكفومي [ص١٦٣٤].

۞ ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

صدرك. ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ متعلق بـ(أنزل) أو بـ(لا يكن)؛ لأنه إذا أيقن أنه من عند الله جسر على الإنذار، وكذا إذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه. ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يحتمل النصب بإضمار فعلها؛ أي: لتنذر به ولتذكر ذكرى فإنها بمعنى التذكير، والجر عطفاً على محل (لتنذر) والرفع عطفاً على ﴿كِتَٰبٌ﴾ أو خبر المحذوف.

﴿٣﴾ ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يعم القرآن والسُّنَّة لقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٣، ٤]. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ يضلونكم منَ الجن والإنس. وقيل: الضمير في (مِنْ دُونِهِ) لـ(ما أُنْزِلَ)؛ أي: ولا تتبعوا من دون دين الله أولياء. وقرئ (ولا تبتغوا). ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً تذكرون؛ حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره، و(مَا) مزيدة لتأكيد القلة وإن جعلت مصدرية لم ينتصب (قَلِيلاً) بـ(تَذَكَّرُونَ). وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (تَذَكَّرُونَ) بحذف التاء، وابن عامر (تَتَذَكَّرون) على أن الخطاب بعد مع النبي ﷺ.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ كثيراً من القرى. ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ أردنا إهلاك أهلها، أو أهلكناها بالخذلان. ﴿فَجَآءَهَا﴾ فجاء أهلها. ﴿بَأۡسُنَا﴾ عذابنا. ﴿بَيَٰتًا﴾ بائتين كقوم لوط؛ مصدر وقع موقع الحال. ﴿أَوۡ هُمۡ

المكان وقد عبر عنه بعدم رؤية المتكلم إياه فيه [لأنه إذا تيقن..] إلى آخره. تعليل لتعلق «لتنذر» بـ«لا يكن».

[﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾]؛ أي: مِنْ دون الربِّ **[وإن جعل «ما» مصدرية لم ينتصب «قليلا يتذكرون»]**؛ أي: لأن ما بعد المصدر لا يعمل فيما قبله **[فإنها]**؛ أي: والواو

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾.

قَآئِلُونَ﴾ عطف عليه؛ أي: قائلين نصف النهار كقوم شعيب، وإنما حذفت واو الحال استثقالاً لاجتماع حرفي عطف، فإنها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فإنه غير فصيح. وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب، ولذلك خص الوقتين ولأنهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع. ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: دعاؤهم واستغاثتهم، أو ما كانوا يدعونه من دينهم. ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسراً عليهم.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل. ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عما أجيبوا به، والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم، والمنفي في قوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] سؤال استعلام، أو الأول في موقف الحساب؛ وهذا عند حصولهم على العقوبة. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرسل حين يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، أو على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه. ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بظواهرهم وبواطنهم، أو بمعلومنا منهم. ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم.

الحال [واو عطف]؛ أي: في الأصل كما صرح به «الكشاف»[(١)] وأفاده قول المصنف: [استعيرت للوصل] فقوله: قيل «لاجتماع حرفي عطف» اعتبر في واو العطف فيه الأصل [لا اكتفاءً] عطف على «استثقالاً» [وفي التعبيرين]؛ أي: بياتاً وما بعده.

[خص الوقتين]؛ أي: بالذكر [وبطلانه] عطف على «ظلمهم»؛ أي: وببطلان ما كانوا عليه [أو الأول] في نسخة: «بدل أراد» وهو تصحيف.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٨٤].

۞ ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿وَالْوَزْنُ﴾؛ أي: القضاء، أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء. والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان، ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمَعْدلة وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم. ويؤيده ما روي: «**أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سِجِلاًّ؛ كل سِجِلٍّ مدَّ البصر، فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة، فتوضع السجلات في كَفَّة والبطاقة في كَفَّة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**». وقيل: توزن الأشخاص لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إنه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**». ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبر المبتدأ الذي هو الوزن. ﴿الْحَقُّ﴾ صفته، أو خبر محذوف ومعناه: العدل السوي. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ حسناته، أو ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات، وتعدد الوزن فهو جمع موزون أو ميزان. ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالنجاة والثواب. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها، واقتراف ما عرضها للعذاب. ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ فيكذبون بدل التصديق.

[ينظر إليها]؛ أي: إلى الميزان ولسانه وكفتيه [روي: «أن الرجل يؤتى به إلى الميزان»] إلى آخره. رواه بمعناه الترمذي[١] وابن حبان وغيرهما[٢]، والبطاقة رقعة صغيرة تجعل في طَيِّ الثوب يكتب فيها ثمنه؛ أي: الثوب.

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٢٤/ برقم: ٢٦٣٩].

(٢) صحيح ابن حبان [١/ ٤٦١/ برقم: ٢٢٥]، مستدرك الحاكم [١/ ٤٦/ برقم: ٩].

۞ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ
ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن
طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ أسباباً تعيشون بها، جمع معيشة. وعن نافع أنه همزة؛ تشبيهاً بما الياء فيه زائدة كصحائف. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيما صنعت إليكم. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾؛ أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه. نَزَّل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره، أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ وقيل: (ثمَّ) لتأخير الإخبار. ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ممن سجد لآدم.

﴿١٢﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾؛ أي: أن تسجد، و(لا) صلة، مثلُها في ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩]، مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه، ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود. وقيل: الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه؛ ....

[روي عنه ﷺ أنه قال: «ليأتي العظيم السمين..»] إلى آخره. رواه الشيخان[1] [وعن نافع أنه همزة..] إلى آخره. وهو شاذ [وقيل: ثم قلنا لتأخير الأخبار]؛ أي: ثم للترتيب الإخباري لا الوجودي بناء على أن قوله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ مقارن للخلق والتصوير [ولا صلة]؛ أي: زائدة إلا إذا حمل ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ على «ما حَمَلَك» [وقيل: الممنوع عن الشيء هو المضطر إلى خلافه] مثلاً الممنوع عن الزنا مضطر إلى تركه، فهنا الملائكة ممنوعون عن ترك السجود لآدم فهم مضطرون إلى السجود له.

---

(١) صحيح البخاري [٤/١٧٥٩/ برقم: ٤٤٥٢]، صحيح مسلم [٤/٢١٤٧/ برقم: ٢٧٨٥].

فكأنه قيل: ما اضطرك إلى ألا تسجد. ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور. ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاداً لأن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله؛ كأنه قال: المانع أني خير منه، ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول، فكيف يحسن أن يؤمر به. فهو الذي سن التكبّر وقال بالحسن والقبح العقليين أولاً. ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ تعليل لفضله عليه، وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]؛ أي: بغير واسطة، وباعتبار الصورة كما نبّه عليه بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] وباعتبار الغاية وهو ملاكه، ولذلك أمر الملائكة بسجوده لمّا بيّن لهم

[فكأنه قيل] على وجه الإنكار: [ما اضطرك إلى أن لا تسجد][(١)] وهذا قريب من تضمين «مَنَعك»: «حَمَلك» كما مَرّ، فإن قلت: ما منعك.. إلى آخره. فيه كلام الله لإبليس وعكسه ومثل ذلك تعظيم! ولهذا عظم الله شرف موسى بقوله: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، و﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، قلنا: إنما كلم الله إبليس بواسطة بعض الملائكة أو كلمه على وجه الإهانة بدليل قوله: ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ وكلم بعض الأنبياء على وجه الإكرام بدليل قوله لموسى: «وأنا اخترتك»، و«اصطفيتك[(٢)] لنفسي»[(٣)].

[دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور] الأول مسلّم، ويجاب عن الثاني بأن الفور حصل بما دل عليه الأمر هنا بقرينة وهي الامتنان بآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] [جواب من حيث المعنى]؛ أي: لا من حيث الحقيقة إذ الجواب الحقيقي منعني كذا وكذا، وأما قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ فجواب «أيُّكما خير» والمعنى: منعني من السجود فضلي عليه، فالجواب بذلك من الأسلوب الأحمق كقول نمرود: (أنا أحيي وأميت)، قاله الطيبي.

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٨/ ١٣٨]. (٢) في نسخة [ج]: (اصطنعتك).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٤/ ٣٠].

۞ ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

أنه أعلم منهم، وأنَّ له خواص ليست لغيره، والآية دليل الكون والفساد، وأن الشياطين أجسام كائنة، ولعل إضافة خلق الإنسان إلى الطين، والشيطان إلى النار؛ باعتبار الجزء الغالب. ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ من السماء أو الجنة. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فما يصح. ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وتعصي فإنها مكان الخاشع والمطيع. وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة، وأنه ﷻ إنما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عِصيانه. ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ ممن أهانه الله لتكبره، قال عليه السلام: **«من تواضع رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله»**.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أمهلني إلى يوم القيامة فلا تمتني، أو لا تعجل عقوبتي. ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ يقتضي الإجابة إلى ما سأله ظاهراً؛ لكنه محمول على ما جاء مقيداً بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨] وهو النفخة الأولى، أو وقت يعلمه الله انتهاء أجله فيه، وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾؛ أي: بعد أن أمهلتني لاجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني بسبب إغوائك إياي بواسطتهم؛ تسمية، أو حملاً

[دليل الكون والفساد]؛ أي: الوجود والعدم [**ولعل إضافة خلق الإنسان إلى الطين والشيطان إلى النار باعتبار الجزء الغالب**] وإلَّا فَكُلٌّ منهما مركب من العناصر الأربعة[١]

[**«من تواضع لله رفعه الله..»**] إلى آخره. رواه البيهقي[٢] وهو ساقط من نسخ.

[**بسبب إغوائك إياي**] أشار به إلى أن الباء في «فبما» للسببية [**تسمية..**] إلى

---

(١) العناصر الأربعة هي: النار والهواء والنار والأرض. التقريب لحد المنطق، ابن حزم [ص٧٧].

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٦/ ٢٧٦/ برقم: ٨١٤٠].

على الغي، أو تكليفاً بما غويت لأجله. والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بـ(أقعدن)؛ فإن اللام تصد عنه، وقيل: الباء للقسم: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ ترصداً لهم كما يقعد القاطع للسابلة ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ طريق الإسلام. ونصبه على الظرف كقوله: (كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ) وقيل: تقديره على صراطك؛ كقولهم: (ضرب زيد الظهر والبطن). ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾؛ أي: من جميع الجهات الأربع. مثل قصده إياهم بالتسويل والإضلال من أي وجه يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع، ولذلك لم يقل ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦]. وقيل: لم يقل: (من فوقهم) لأن الرحمة تنزل منه، ولم يقل: (من تحتهم) لأن الإتيان منه يوحش الناس. وعن ابن عباس: (من بين أيديهم من قبل الآخرة، ومن خلفهم من قبل الدنيا، وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم). ويحتمل أن يقال: من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه، ومن خلفهم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ولا يقدرون، وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم. وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف

آخره. بيان لعموم الطرق المذكورة بقوله: «بأي طريق يمكنني» والمعنى: لأجتهدن في إغوائهم بأن إغوائهم بحيث يُسَمَّو غاوين لارتكابهم الغيّ، أو بأن أحملهم على الغَيّ؛ أي: أزينه لهم، أو بأن أكلفهم؛ أي: ألزمهم بفعل ما غويت لأجله وهو المعصية [**كقوله**]؛ أي: كقول ساعدة ابن جُؤَيَّة في وصفه الرمح:

[لَدْن.................................. ....]

أي: ليّن [**يهز**(١) **الكف يَعْسِلُ مَتْنُهُ**]؛ أي: يضطرب متن الرمح [فيه]؛ أي: في «الكفّ» والأَوْلى «فيها»؛ لأن تأنيثها هو المشهور [**كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ**](٢)؛

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (لر) وفي نسخة [ج]: (بهذا). والصحيح في البيت: (يهَزّ) هكذا ورد في كتب الأدب.

(٢) الكتاب، سيبويه [١/ ٢١٤].

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم وإلى الأخيرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم، ونظيره قولهم: جلست عن يمينه. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾ مطيعين، وإنما قاله ظناً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠] لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدداً ومبدأ الخير واحداً؛ وهو الملك الملهم، وقيل: سمعه من الملائكة.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ مذءوماً من ذأمه إذا ذمَّه. وقرئ (مَذُوْماً) كـ(مَسُوْل) في [مسؤول] أو كـ(مكول) في مكيل، من ذامه يذيمه ذيما. ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً. ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط. وقرئ (لِمَنْ) بكسر اللام على أنه خبر (لأملأن) على معنى: لمن تبعك هذا الوعيد، أو علة لـ(أخرج) و(لأملأن) جواب قسم محذوف، ومعنى منكم؛ منك ومنهم، فغلب المخاطب. ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ﴾؛ أي: وقلنا يا آدم. ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ

أي: كما اضطرب الثعلب في الطريق **[لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدداً ومبدأ الخير واحداً]**؛ أي: نظر إلى الظاهر أن مبدأ الشر الشيطان والنفس والهوى، ومبدأ الخير الملك الملهم.

[سادّ مسدّ جواب الشرط]؛ أي: وهو من تبعك **[على معنى: لمن تبعك هذا الوعيد]** أشار به إلى ما صرح به غيره من أن المبتدأ المخبر عنه بقوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ محذوف دلّ عليه ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ فسقط ما قيل: «لأملأن» جواب قسم محذوف[١]، فلا محل له من الإعراب فلا يصح جعله مبتدأ لاستلزامه أن له محلاً منه **[أي: وقلنا يا آدم]** قدّر

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٢٩/٢٣].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وقرئ (هذي) وهو الأصل لتصغيره على ذيّا، والهاء بدل من الياء. ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم، و(تكونا) يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب.

﴿٢٠﴾ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: فعل الوسوسة لأجلهما، وهي في الأصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي. وقد سبق في سورة (البقرة) كيفية وسوسته. ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما، واللام للعاقبة أو للغرض؛ على أنه أراد أيضاً بوسوسته أن يسوءهما بانكشاف عورتهما، ولذلك عبر عنها بالسوءة. وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة، وعند الزوج من غير حاجة؛ قبيح مستهجن في الطباع. ﴿مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ ما غطي عنهما من عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر، وإنما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في (أُوَيْصِل) تصغير (واصل) لأن الثانية مدة، وقرئ (سواتهما) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو، وبقلبها واواً وإدغام الواو الساكنة فيها.

«قلنا» ليعلم بأن هذه القصة معطوفة على قوله: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ **[ويكونا يحتمل الجزم على العطف]**؛ أي: عطفه على ﴿تَقْرَبَا﴾ **[والنصب على الجواب]**؛ أي: جواب النهي **[ولذلك عبر عنهما]**؛ أي: عن «عورتيهما» المفهومين من إضافة العورة إلى المثنى.

[قبيح مستهجن في الطباع] بمعنى: أن «القبيح»: مذموم غير ملائم للعقول السليمة، ومثل هذا لا يتوقف على الشرع قطعاً إلا بمعنى أنه مذموم للعقول في حكم الله تعالى، فإنه يتوقف على الشرع عندنا دون المعتزلة[1].

---

(١) انظر: الأصول، الفخر الرازي [٧/ ٣٦].

۞ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ إلَّا كراهة أن تكونا. ﴿مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة، واستدل به على فضل الملائكة على الأنبياء، وجوابه: أنه كان من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب؛ وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضاً ما للملائكة من الكمالات الفطرية، والاستغناء عن الأطعمة والأشربة، وذلك لا يدل على فضلهم مطلقاً.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾؛ أي: أقسم لهما على ذلك، وأخرجه على زنة (المفاعلة) للمبالغة. وقيل: أقسما له بالقبول. وقيل: أقسما عليه بالله أنه لمن الناصحين؟ فأقسم لهما؛ فجعل ذلك مقاسمة. ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة، نبَّه به على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة، فإن التدلية والإدلاء: إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل. ﴿بِغُرُورٍۚ﴾ بما غرهما به من القسم؛ فإنهما ظنَّا أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، أو ملتبسين بغرور. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾؛ أي: فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية، فتهافت عنهما لباسهما، وظهرت لهما عوراتهما. واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكَرْم أو غيرهما، وأنَّ اللباس كان نوراً أو حلة أو ظفراً. ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾ أخذا يرقعان، ويلزقان ورقة فوق ورقة. ﴿عَلَيۡهِمَا مِن

[وجوابه أن كان من المعلوم..] إلى آخره. أجيب عنه أيضاً بأنه لا يلزم من اعتقاد إبليس ذلك أن يكون الأمر على ما اعتقده ووسوس به! بل هو كاذب فيه، ولم يقره الله عليه بل أشار إلى كذبه بقوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ﴾ [فتهافت]؛ أي: تساقط

۞ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ قيل: كان ورق التين، وقرئ (يُخْصِفَانِ) من أخصف؛ أي: يخصفان أنفسهما، و(يُخَصِّفَان) من خصف، و(يَخِصِّفَان) أصله يختصفان.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ عتاب على مخالفة النهي، وتوبيخ على الاغترار بقول العدو. وفيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ أضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج من الجنة. ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ دليل على أن الصغائر معاقب عليها إن لم تغفر. وقالت المعتزلة: لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر؛ ولذلك قالوا: إنما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات. ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ﴾ الخطاب لآدم وحواء وذريتهما، أو لهما ولإبليس. كرر الأمر له تبعاً ليعلم أنهم قرناء أبداً، وأخبر عما قال لهم متفرقاً. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال؛ أي: معتادين. ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار؛ أي: موضع استقرار. ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ وتمتع. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى أن تقضى آجالكم.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ للجزاء، وقرأ

[وَيَخِصِّفان]؛ أي: بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد [والأصل يختصفان] أدغمت الياء بعد قلبها صاداً في الصاد ثم أتبعت الخاء للصاد في حركتها(١) [ليعلم أنهم قُرنا أبداً]؛ أي: في العداوة المفهومة مما بعده [أو أخبر] عطف على «كرّر».

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [١/ ٣٢٧].

۞ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾.

حمزة والكسائي وابن ذكوان (وَمِنْها تُخْرَجُونَ)، وفي (الزخرف) (كَذلِكَ تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾؛ أي: خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]. ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ التي قصد الشيطان إبداءها، ويغنيكم عن خصف الورق. روي: (أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنزلت). ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من الشيطان، وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم. ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ ولباساً تتجملون به، والريش الجمال. وقيل: مالاً، ومنه تريش الرجل إذا تموّل. وقرئ (رياشاً) وهو جمع ريش كشعب وشعاب. ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ خشية الله. وقيل: الإيمان، وقيل: السمت الحسن، وقيل: لباس الحرب؛ ورفعه بالابتداء وخبره: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ أو خير، و(ذلك) صفته؛ كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه خير. وقرأ نافع وابن عامر والكسائي (وَلِباسَ التَّقْوى) بالنصب عطفاً على (لِباساً). ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إنزال اللباس. ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرفون نعمته، أو يتعظون فيتورعون عن القبائح.

٢٧ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ لا يمحننكم بأن يمنعكم دخول

[روي: «أن العرب..»] إلى آخره. رواه بمعناه مسلم[1] [مقدمة لذلك]؛ أي:

---

(١) صحيح مسلم [٢/ ٨٩٣/ برقم: ١٢١٩].

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

الجنة بإغوائكم. ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها، والنهي في اللفظ للشيطان، والمعنى: نهيهم عن اتباعه والافتتان به. ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ حال من ﴿أَبَوَيْكُم﴾ أو من فاعل ﴿أَخْرَجَ﴾ وإسناد النزع إليه للتسبب. ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته، و(قبيله) جنوده، ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما أوجدنا بينهم من التناسب، أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم، وحملهم على ما سولوا لهم. والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية.

﴿٢٨﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً﴾ فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم، وكشف العورة في الطواف. ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا واحتجوا

لقوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ إلى آخره. [كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها] يريد أن قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ وضع موضع كما «محن أبويكم» وضعاً للسبب موضع المسبب؛ أي: أوقعه في المحن والبلاء بسبب الإخراج [لا يقتضي امتناع رؤيتهم]؛ بل تقييده بقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ أي: من الجهة التي يكونون فيها على أصل خلقتهم من الأجسام اللطيفة يقتضي جواز رؤيتهم في غير تلك الجهة، والحق جواز رؤيتهم حتى من تلك الجهة كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة(١)، وتكون الآية مخصوصة بها فيكونون مزينين في بعض الأحيان لبعض الناس دون بعض(٢).

[والآية]؛ أي: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ إلخ [مقصود القصة]؛ أي: قصة آدم

---

(١) مثل قصة أبي هريرة مع الشيطان في حفظ زكاة رمضان، وهي في الصحيح. انظر: صحيح البخاري [٢/ ٨١٢/ برقم: ٢١٨٧].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٧/ ١٨٦].

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

بأمرين؛ تقليد الآباء والافتراء على الله، فأعرض عن الأول لظهور فساده، ورد الثاني بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ لأن عادته ﷻ جرت على الأمر بمحاسن الأفعال، والحث على مكارم الخصال. ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلاً عقلي، فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم. وقيل: هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها: لم فعلتم؟ فقالوا: وجدنا عليها آباءنا. فقيل: ومن أين أخذ آباؤكم؟ فقالوا: الله أمرنا بها. وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقاً. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل؛ وهو الوسط من كل أمر المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط. ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها، أو أقيموها نحو القبلة. ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في كل وقت سجود، أو مكانه وهو الصلاة، أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم.

[فإن المراد بالفاحشة] [ما ينفر عنه الطبع السليم..] إلى آخره؛ أي: لا ما هو مذموم للعقل في حكم الله تعالى والعقل بحكم الأول لا بالثاني خلافاً للمعتزلة [وقيل: هما جواباً لسؤالين] مقابل لقوله: «لأن عادته جرت..» إلى آخره. [في كل وقت سجود أو مكانه] أشار بالأول إلى أن مسجداً في الآية اسم زمان السجود وبالثاني إلى أنه اسم مكانه وبقي إلى أنها المرادة بعند [وهو]؛ أي: السجود.

[أو في أي مسجد] عطف على في كل وقت سجود ومكانه فالمسجد على

۞ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وَٱدۡعُوهُ﴾ واعبدوه. ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾؛ أي: الطاعة فإن إليه مصيركم. ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾ كما أنشأكم ابتداء. ﴿تَعُودُونَ﴾ بإعادته فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة، وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريراً لإمكانها والقدرة عليها. وقيل: كما بدأكم من التراب تعودون إليه. وقيل: كما بدأكم حفاة عراة غرلاً تعودون. وقيل: كما بدأكم مؤمناً وكافراً يعيدكم. ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بأن وفقهم للإيمان. ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ﴾ بمقتضى القضاء السابق. وانتصابه بفعل يفسره ما بعده؛ أي: وخذل فريقاً. ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تعليل لخذلانهم، أو تحقيق لضلالهم. ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم، وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر.

﴿٣١﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ ثيابكم لمواراة عورتكم. ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ لطواف أو صلاة، ومن السُّنَّة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة. ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ما طاب لكم. روي: (أن بني عامر في أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً؛ يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به، فنزلت). ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ بتحريم الحلال، أو بالتعدي إلى الحرام، أو بإفراط الطعام والشره عليه. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (كُل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سَرَفٌ ومَخِيْلَة). وقال علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطب في نصف آية فقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾؛ أي: لا يرتضي فعلهم.

﴿٣٢﴾ ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به. ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من النبات كالقطن والكتان، والحيوان كالحرير والصوف،

۞ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

والمعادن كالدروع. وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ المستلذات من المآكل والمشارب. وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة؛ لأن الاستفهام في (من) للإنكار. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع. ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم، وانتصابها على الحال. وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ ما تزايد قبحه، وقيل: ما يتعلق بالفروج. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جهرها وسرها. ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ وما يوجب الإثم؛ تعميم بعد تخصيص، وقيل: شرب الخمر. ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾ الظلم، أو الكبر؛ أفرده بالذكر للمبالغة. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي مؤكد له معنى. ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ تهكم بالمشركين، وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان. ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالإلحاد في صفاته، والافتراء عليه كقولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة، أو وقت لنزول العذاب بهم؛ وهو وعيد لأهل مكة. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ انقرضت مدتهم، أو حان وقتهم. ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت، أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول.

هذا واحد المساجد المعروفة بقرينة آخر كلامه بخلافه على الأول كما مرّ

[وانتصابها على الحال]؛ أي: من ضمير ما تعلق به «للذين» أو «في الحياة الدنيا»؛ أي: وهو «ثابتة» في الأول و«ثابتة» أو «آمنوا» في الثاني [اقصر وقت]

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(٣٥) - (٣٦) ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ شرط ذكره بحرف الشك؛ للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما ظنه أهل التعليم، وضمت إليها (ما) لتأكيد معنى الشرط، ولذلك أكد فعلها بالنون، وجوابه: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ والمعنى: فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم، والذين كذبوا بآياتنا منكم، وإدخال (الفاء) في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد.

(٣٧) ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ من تقوّل على الله ما لم يقله، أو كذَّب ما قاله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ مما كتب لهم من الأرزاق والآجال. وقيل: الكتاب اللوح المحفوظ؛ أي: مما أثبت لهم فيه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾؛ أي: يتوفون أرواحهم، وهو حال من الرسل، و(حتى) غاية لنيلهم؛ وهي التي يبتدأ بعدها الكلام. ﴿قَالُوٓاْ﴾ جواب (إذا) ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها، و(ما) وصلت بـ(أين) في خط المصحف، وحقها الفصل؛ لأنها موصولة. ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ غابوا عنا.

يريد أن تقدير الساعة ليس للتحديد بل للتمثيل بأقصر وقت إذ لا يتصور ثم تقديم ولا تأخير [وإدخال الفاء في الخبر الأول دون الثاني]؛ يعني: في خبر المبتدأ الأول دون خبر الثاني [أين الآلهة الذين كنتم تعبدونها] الأنسب «التي» ليطابق ضمير «تعبدونها» [لأنها موصولة]؛ أي: موصول إسمي.

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿٣٩﴾ ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟﴾؛ أي: قال الله تعالى لهم يوم القيامة، أو أحد من الملائكة. ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾؛ أي: كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم يوم القيامة. ﴿فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؛ يعني: كفار الأمم الماضية عن النوعين. فِي النَّارِ متعلق بـ(ادخلوا). ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾؛ أي: في النار. ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي ضلت بالاقتداء بها. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾؛ أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار. ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ دخولاً، أو منزلة؛ وهم الأتباع. ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾؛ أي: لأجل أولاهم؛ إذ الخطاب مع الله لا معهم. ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ سنُّوا لنا الضلال فاقتدينا بهم ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ مضاعفاً؛ لأنهم ضلوا وأضلوا. ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أما القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم. ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكم أو ما لكل فريق. وقرأ عاصم بالياء على الانفصال. ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا كلامهم على جواب الله (لِأُخْراهُمْ) ....

[بالياء على الانفصال]؛ أي: انفصال كل أمة(١) عن الأخرى المناسب ذلك للغيبة [على جواب الله لأُخْرَاهُم]؛ أي: وهو قوله: «لِكُلٍّ ضِعْفٌ».

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (آية).

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

ورتبوه عليه؛ أي: فقد ثبت أن لا فضل لَكُمْ علينا وإنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب. ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ من قول القادة، أو من قول الله للفريقين.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾؛ أي: عن الإيمان بها. ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم أو لأرواحهم، كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة. والتاء في (تفتح) لتأنيث الأبواب، والتشديد لكثرتها، وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء؛ لأن التأنيث غير حقيقي، والفعل مقدم. وقرئ على البناء للفاعل. ونصب الأبواب بالتاء على أن الفعل للآيات، وبالياء لأن الفعل لله. ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾؛ أي: حتى يدخل ما هو مَثَلٌ في عِظَمِ الجُرْم ـ وهو البعير ـ فيما هو مَثَلٌ في ضيق المسلك ـ وهو ثقبة الإبرة ـ، وذلك مما لا يكون فكذا ما يتوقف عليه. وقرئ (الجُمَّل) كالقُمَّل، و(الجُمَل) كالنُغَر، و(الجُمْل) كالقُفْل، و(الجُمُل) كالنُصُب، والجَمْل كالحبل؛ وهو الحبل الغليظ من القنّب، وقيل: حبل السفينة. و(سم) بالضم والكسر، وفي سم المخيط؛ وهو والخياط ما يخاط

[ورتبوا عليه]؛ أي: قولهم: «فذوقوا العذاب» [وسمّ بالضم والكسر]؛ أي: والفتح أيضاً لكن المشهور الضم والفتح وعليهما اقتصر الجوهري[1] والفتح أفصح كما نبّه عليه النووي [وفي سمّ]؛ أي: وقرّي: «في سمّ» [المخيط]؛ أي: بكسر

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/٢٥٦].

۞ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَرُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

به كالحزام والمحزم. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الجزاء الفظيع. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾. ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش. ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية، والتنوين فيه للبدل عن الإعلال عند سيبويه، وللصرف عند غيره، وقرئ (غَوَاشٌ) على إلغاء المحذوف. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّلِمِينَ﴾ عبّر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى؛ إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الأوصاف الذميمة، وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيهاً على أنه أعظم الإجرام.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾ على عادته ﷻ في أن يشفع الوعيد بالوعد، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم. وقرئ (لا تكلف نفس). ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾؛ أي: نخرج من قلوبهم أسباب الغل، أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد. وعن عليٍّ كرم الله وجهه: (إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم). ﴿تَجْرِي مِن

الميم وسكون الخاء [والتنوين فيه للبدل عن الإعلال]؛ أي: عوض عن الياء التي هي حرف علّة، وقيل: عن حركتها [وللصرف عند غيره]؛ أي: لزوال صيغة فواعل بصيرورته على زنة «فِعَالٍ» كـ«قِذَالٍ».

[وقرئ غواشٌ]؛ أي: بالرفع [على إلغاء المحذوف] وهو الياء(1)

---

(١) انظر: إعراب ما منَّ به الرحمٰن، العكبري [١/ ١٦٠].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ زيادة في لذتهم وسرورهم. ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ لما جزاؤه هذا. ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ لولا هداية الله وتوفيقه، واللام لتأكيد النفي وجواب (لَوْلَا) محذوف دل عليه ما قبله. وقرأ ابن عامر (ما كنا) بغير واو على أنها مبينة للأولى. ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ فاهتدينا بإرشادهم. يقولون ذلك اغتباطاً وتبجحاً بأن ما علموه يقيناً في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة. ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ إذا رأوها من بعيد، أو بعد دخولها والمنادى له بالذات. ﴿أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: أعطيتموها بسبب أعمالكم، وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة، أو خبر و(الجنة) صفة (تلكم) و(أنْ) في المواقع الخمسة هي المخففة، أو المفسرة لأن المناداة والتأذين من القول.

﴿٤٤﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ إنما قالوه تبجحاً بحالهم، وشماتة بأصحاب النار، وتحسيراً لهم، وإنما لم يقل ما وعدكم كما قال: ﴿مَّا وَعَدَنَا﴾ لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعده بهم؛ كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة. ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ وقرأ الكسائي بكسر العين؛ وهما لغتان. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ قيل: هو صاحب الصُوْر. ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ بين الفريقين. ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقرأ ابن كثير في رواية للبزي وابن عامر وحمزة والكسائي (أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ) بالتشديد والنصب. وقرئ (إن) بالكسر على إرادة القول، أو إجراء (أذَّن) مجرى (قال).

[واللام]؛ أي: في «لنهتدي» [دل عليه ما قبله]؛ أي: وهو «ما كنا لنهتدي» وتقديره: «لولا هداية الله لنا موجودة لشقينا أو ما كنا مهتدين» [وهو]؛ أي: «أورثتموها بما

۞ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صفة للظالمين مقررة، أو ذم مرفوع أو منصوب. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ زيغاً وميلاً عما هو عليه، والعِوج بالكسر في المعاني والأعيان ما لم تكن منتصبة، وبالفتح ما كان في المنتصبة؛ كالحائط والرمح. ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ﴾؛ أي: بين الفريقين كقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ أو بين الجنة والنار ليمنع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ وعلى أعراف الحجاب؛ أي: على أعاليه، وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس، وقيل: (العرف) ما ارتفع من الشيء فإنه يكون لظهوره أعرف من غيره. ﴿رِجَالٌ﴾ طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، وقيل: قوم علت درجاتهم كالأنبياء، أو الشهداء، أو خيار المؤمنين وعلمائهم، أو ملائكة يرون في صورة الرجال. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا﴾ من أهل الجنة والنار. ﴿بِسِيمَىٰهُمْۚ﴾ بعلامتهم التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده، فعلى من سام إبله إذا أرسلها في المرعى معلمة، أو من وسم على القلب كالجاه من الوجه، وإنما يعرفون ذلك بالإلهام أو تعليم الملائكة. ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ﴾؛ أي: إذا نظروا إليهم سلموا عليهم. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ حال من (الواو) على الوجه الأول، ....

كنتم تعملون» [أو من وسم، على القَلْب]؛ أي: القلب المكاني، وهو تقديم حرف على آخر [لم يدخلوها] حال من واو نادوا [«وهم يطمعون» حال من الواو]؛ أي: من واو «يدخلوها» [على الوجه الأول]؛ أي: وهو أن الرجال القائمين على الأعراف طائفة من الموحدين قصّروا في العمل(١).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري [١٢/ ٤٥٣].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾.

ومن (أصحاب) على الوجه الثاني. ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟﴾ تعوّذاً بالله. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: في النار.

(٤٨) ـ (٤٩) ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ من رؤساء الكفرة. ﴿قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ كثرتكم أو جمعكم المال. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحق، أو على الخلق. وقرئ (تستكثرون) من الكثرة. ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تتمة قولهم للرجال، والإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا، ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾؛ أي: فالتفتوا إلى أصحاب الجنة وقالوا لهم: (ادخلوا) وهو أوفق للوجوه الأخيرة، أو فقيل لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة بفضل الله ﷻ؛ بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين، وعرفوهم، وقالوا لهم ما قالوا، وقيل: لما عيروا أصحاب النار؛ أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة! فقال الله ﷻ أو بعض الملائكة: أهؤلاء الذين أقسمتم. وقرئ (أَدْخِلُوا) و(دخلوا) على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولاً لهم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾.

(٥٠) ـ (٥١) ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾؛

[ومن الأصحاب على الوجوه]؛ أي: المذكورة بعد الأول [وإذا صرفت أبصارهم]؛ أي: أبصار أصحاب الأعراف [أي: فالتفتوا]؛ أي: أصحاب الأعراف [إلى أصحاب الجنة]؛ أي: وهم المقسم عليهم [وهو أوفق للوجوه الأخيرة]؛ أي: لا لأولها [أي: فقيل لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة بفضل الله..] إلى آخره. تأمل

أي: صبوه، وهو دليل على أن الجنة فوق النار. ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة، أو من الطعام كقوله: (علفتها تبناً وماء بارداً). ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ كتحريم البَحِيْرَة والتصدية والمُكَاء حول البيت، واللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به. ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار. ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ

هذا مع ما قبله فإنه يقتضي أن القائل غير أصحاب الأعراف والمقول لهم أصحابه، وما قبله يقتضي عكس ذلك والخلاص من ذلك أن يقال ما قيل به القائل والمقول له أصحاب الأعراف بمعنى أن بعضهم قال ذلك لبعضهم، ويكون ما قاله من باب إطلاق الكل على البعض مجازاً، والمراد بالبعض القائل أصحاب الأعراف بغير الوجه الأول وبالمقول لهم أصحابه بالوجه الأول، ولعل هذا مراده بقوله: «وهو أوفق للوجوه الأخيرة»، هذا والأقرب ما قيل: «القائل غير أصحاب الأعراف من قبَل الله تعالى، والمقول له أصحاب الأعراف»[1].

[من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة]؛ أي: لأن الإفاضة ملائمة للماء وسائر المائعات، فحملت إفاضة الماء على إفاضة جميع المائعات [أو من الطعام] الشامل للمشروب والمأكول يتضمن أفيضوا ألقوا [كقوله:

عَـلَـفْـتُـهـا تِـبْـنـاً ومَـاءً بَـارداً ....]

تمامه:

.... حـتـى غَـدَتْ هَـمَّـالَـةً

أي: فائضة عَينَاها[2] [يفعل بهم فعل الناسين] أراد أن ننساهم تمثيل؛ لأنه

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/٢٤٨].

(٢) البيت لبعض بني أسد يصف فرسه:

«عـلـفـتـهـا تِـبْـنِـاً ومـاءاً بـارداً حـتـى غـدت هـمَّـالـةً عـيـنـاهـا»

انظر: معاني القرآن، الفراء [١/٩].

۞ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له. ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وكما كانوا منكرين أنها من عند الله.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيّنا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيماً، وفيه دليل على أنه تعالى عالم بعلم، أو مشتملاً على علم؛ فيكون حالاً من المفعول. وقرئ (فضلناه)؛ أي: على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك. ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حال من الهاء. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون. ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ إلا ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد. ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوه ترك الناسي. ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: قد تبين أنهم جاءوا بالحق. ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ اليوم. ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نرد إلى الدنيا. وقرئ بالنصب عطفاً على (فَيَشْفَعُوا)، أو لأن (أَوْ) بمعنى (إلى أن)، فعلى الأول: المسؤول أحد الأمرين الشفاعة أو ردهم إلى الدنيا، وعلى الثاني: أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين، أو لأمر واحد وهو الرد. ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ جواب الاستفهام الثاني، وقرئ بالرفع؛ أي: فنحن نعمل. ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بصرف أعمارهم في الكفر. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم.

متعالٍ أن ينسى؛ لكنه شبَّه معاملته مع هؤلاء المتكبرين هي بمعاملة من ينسى عبده من الخير فلا يلتفت إليه مع أن النسيان يأتي بمعنى الترك كما سلكه بعد في تفسير

۞ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

---

(٥٤) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: في ستة أوقات كقوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١٦] أو في مقدار ستة أيام، فإن المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذ، وفي خلق الأشياء مدرجاً مع القدرة على إيجادها دفعة دليل للاختيار، واعتبار للنظار، وحث على التأني في الأمور. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استوى أمره، أو استولى، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى: أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن، و(العرش): الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه، أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل: الملك. ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ بنصب ﴿ٱلَّيْلَ﴾ ورفع ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي (الرعد) للدلالة على التكرير. ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء، والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثاً، أو المفعول بمعنى محثوثاً. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السمٰوات ونصب مسخرات

قوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ [الأعراف: ٥٣][١] [أو لأن اللفظ يحتملهما] بأن يكون المعنى أنه يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل.

---

(١) جامع البيان، الطبري [١/٣٦٨].

۞ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

على الحال. وقرأ ابن عامر كُلَّها بالرفع على الابتداء والخبر. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فإنه الموجد والمتصرف. ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تعالى بالوحدانية في الألوهية، وتعظم بالتفرد في الربوبية. وتحقيق الآية والله أعلم، إن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فبيّن لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله ﷻ؛ لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم؛ فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾، وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة، ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال، وأشار إليه بقوله: و﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]؛ أي: ما في جهة السفل، ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولاً، وتصويرها ثانياً كما قال تعالى بعد قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ﴾ [فصلت: ٩، ١٠]؛ أي: مع اليومين الأولين؛ لقوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤] ثم لمّا تمّ له عَالَمُ الملك عمد إلى تدبيره؛ كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة، فدبر الأمر مِنَ السماء إِلَى الأرض بتحريك الأفلاك، وتسيير الكواكب، وتكوير الليالي والأيام، ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال:

﴿٥٥﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾؛ أي: ذوي تضرع وخفية؛

[وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية] عطفه بالواو وإشارة إلى أن خلق الأرض لم يتعين تأخره عن خلق السماء فيوافق ما مرّ من تحريره في «سورة البقرة» [ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة]؛ أي: وهي النبات والحيوان والمعدن [مع اليومين الأولين]؛

فإن الإخفاء دليل الإخلاص. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره، نبّه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء، والصعود إلى السماء. وقيل: هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه. وعن النبي ﷺ: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وَحَسْبُ المرءِ أن يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل؛ ثم قرأ:** ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾». ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي. ﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ ببعث الأنبياء وشرع الأحكام. ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم، وطمع في إجابته تفضلاً وإحساناً لفرط رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به إلى الإجابة، وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم، أو لأنه صفة محذوف؛ أي: أمر قريب، أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول، أو الذي هو مصدر كالنقيض، أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره.

أي: اللذين خلق فيهما السماوات [**سيكون قوم يعتدون في الدعاء..**] إلى آخره. أبو يعلى[(١)] في «مسنده» من حديث سعد وقال في آخره لا أدري قوله: «وبحسبك أن يقول..» إلخ من قول سعد أو من قول النبي ﷺ وروى صدره أبو داود[(٢)] وابن حبان وغيرهما[(٣)] [**لأن الرحمة بمعنى الرحم**]؛ أي: بضم الراء قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١] [**أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره**] حيث يجب التأنيث في الأول فيقال فيه فلانة قريبة مني؛ أي: في النسب، ويجوز في الثاني فيقال فيه فلانة قريبة، وقريب مني؛ أي: في المكان وهذا تبع فيه الفراء، وخطأه الزجاج بأن سبيل المذكر والمؤنث أن يجريا على أفعالهما؛ أي: فيجب التأنيث هنا

---

(١) مسند أبي يعلى [٢/ ٧١/ برقم: ٧١٥].

(٢) سنن أبي داود [١/ ٤٦٦/ برقم: ١٤٨٠].

(٣) صحيح ابن حبان [١٥/ ١٦٦/ برقم: ٦٧٦٣]، مسند أحمد [١/ ١٧٢/ برقم: ١٤٨٣].

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (الريح) على الوحدة. ﴿بُشْرًۢا﴾ جمع نشور بمعنى ناشر، وقرأ ابن عامر (نُشْراً) بالتخفيف حيث وقع، وحمزة والكسائي (نَشْراً) بفتح النون حيث وقع؛ على أنه مصدر في موضع الحال بمعنى: ناشرات، أو مفعول مطلق؛ فإن الإرسال والنشر متقاربان. وعاصم (بُشْراً) وهو تخفيف (بُشُّر) جمع (بشير) وقد قرئ به، (وبَشْراً) بفتح الباء مصدر بشره بمعنى: باشرات، أو للبشارة وبشرى. ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ قدام رحمته؛ يعني: المطر فإن الصبا تثير السحاب، والشمال تجمِّعُه، والجنوب تُدرُّه، والدَّبُور تفرقه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾؛ أي: حملت، واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء يستقله. ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالماء جمعه لأن السحاب جمع بمعنى السحائب. ﴿سُقْنَٰهُ﴾؛ أي: السحاب وإفراد الضمير باعتبار اللفظ. ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لأجله أو لإحيائه أو لسقيه. وقرئ: (مَيْت). ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ ويحتمل فيه عود الضمير إلى (الْماءَ)، وإذا كان للبَلَدِ فالباء للإلصاق في الأول، وللظرفية في الثاني، وإذا كان لغيره فهي للسببية فيهما. ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ من كل أنواعها. ﴿كَذَٰلِكَ

مطلقاً التأنيث جائز في المحلين[1].

[لأن السحاب جمع]؛ أي: جمع سحابة [وإذا كان]؛ أي: الضمير في الموضعين [للبلد فالباء للإلصاق في الأول]؛ أي: من الموضعين [وإذا كان]؛ أي: الضمير [لغيره]؛ أي: غير البلد من المذكورات بعده.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٤/ ٢٥٥].

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا
كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ
ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠)﴾.

نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات، أو إلى إحياء البلد الميت؛ أي: كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات، نخرج الموتى من الأجداث ونحييها بِرَدِّ النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن من قَدِرَ على ذلك قَدِرَ على هذا.

(٥٨) ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الأرض الكريمة التربة. ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بمشيئته وتيسيره، عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه؛ لأنه أوقعه في مقابلة. ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾؛ أي: كالحرة والسبخة. ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قليلاً عديم النفع، ونصبه على الحال وتقدير الكلام: والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكداً؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستترا وقرئ (يُخْرَج)؛ أي: يخرجه البلد فيكون (إِلَّا نَكِداً) مفعولاً، و(نَكِداً) على المصدر؛ أي: ذا نكد، و(نَكْداً) بالإسكان للتخفيف. ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نرددها ونكررها. ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها، ولمن لم يرفع إليها رأساً ولم يتأثر بها.

(٥٩) ـ (٦٠) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ جواب قسم محذوف، ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع (قد) لأنها مظنة التوقع، فإن المخاطب إذا

[وتطريتها] بالتاء الفوقية من «التطرية»: يقال: طريت الثوب إذا لينته بالماء [في مقابلة والذي خبث] بإضافة مقابلة إلى «والذي خبث».

۞ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

سمعها توقع وقوع ما صدر بها. ونوح بن لمك بن متوشلح بن إدريس أول نبي بعده، بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين. ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اعبدوه وحده لقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وقرأ الكسائي (غيرِه) بالكسر نعتاً، أو بدلاً على اللفظ؛ حيث وقع إذا كان قبل (إله) (من) التي تخفض. وقرئ بالنصب على الاستثناء. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن لم تؤمنوا، وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته. واليوم يوم القيامة، أو يوم نزول الطوفان. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ زوال عن الحق.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾؛ أي: شيء من الضلال؟ بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به. ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استدراك باعتبار ما يلزمه؛ وهو كونه على هدى، كأنه قال:

[رُواء] بضم الراء؛ أي: منظراً [أي: **شيء من الضلال**] أخذه من التاء في ضلالة، وأشار به مع معونة المقام إلى نفي سائر الضلالات، وهذا هو حكمة العدول عن الضلال إلى الضلالة، وإن كانا في الأصل بمعنى واحد كالملال والملالة، فضلالة للمرة وظاهر أن نفيها في مقام الإنكار أبلغ من نفي الضلال المحتمل للجنس أو الكمال[1].

[**استدراك باعتبار ما يلزمه**] جواب ما يقال: «لكن» حقها أن تتوسط بين كلامين متقابلين نفياً وإيجاباً فأين هذا المعنى في الآية! وجوابه: أن التقابل حاصل من حيث المعنى؛ لأن معنى قوله: «إني رسول من رب العالمين» أني على الهدى وهو ما أشار إليه بقوله: «باعتبار ما يلزمه»؛ أي: «كونه رسولاً، وهو كونه على هدى»

---

(١) انظر: البرهان، الزركشي [٥/ ٤٠٤].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

ولكني على هدى في الغاية؛ لأني رسول من الله. ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ صفات لـ(رسول) أو استئناف، ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولاً. وقرأ أبو عمرو ﴿أُبْلِغُكُمْ﴾ بالتخفيف، وجمع الرسالات؛ لاختلاف أوقاتها، أو لتنوع معانيها؛ كالعقائد والمواعظ والأحكام، أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله؛ كصحف شيث وإدريس. وزيادة اللام في (لكم) للدلالة على إمحاض النصح لهم، وفي (أعلم من الله) تقريراً لما أوعدهم به؛ فإن معناه: أعلم من قدرته وشدة بطشه، أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها.

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف على محذوف؛ أي: أكذّبتم وعجبتم. ﴿إِن جَاءَكُمْ﴾ مِنْ أَنْ جَاءَكم. ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ رسالة أو موعظة. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ على لسان رجل. ﴿مِّنكُمْ﴾ من جملتكم أو من جنسكم، فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]. ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ عاقبة الكفر والمعاصي. ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ منهما بسبب الإنذار. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى، وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب، والترحم من الله تفضل، وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وَهُم مَنْ آمن به؛ وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. وقيل: تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به. ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ متعلق بـ(معه) أو بـ(أنجيناه)، أو حال من الموصول أو من الضمير في (معه). ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عُمْيُ القلوب غير مستبصرين، وأصله: عميين، فخفف وقرئ

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

(عَامِين) والأول أبلغ لدلالته على الثبات.

﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ عطف على (نوحاً إلى قومه)، ﴿هُودًا﴾ عطف بيان لـ(أخاهم)، والمراد به الواحد منهم، كقولهم: (يا أخا العرب) للواحد منهم، فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وقيل: هود بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ابن عم أبي عاد، وإنما جعل منهم؛ لأنهم أفهم لقوله، وأعرف بحاله، وأرغب في اقتفائه. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ استأنف به ولم يعطف؛ كأنه جواب سائل قال: فما قال لهم حين أرسل؟ وكذلك جوابهم. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله، وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح؛ ولذلك قال: (أفلا تتقون) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ إذ كان مِنْ أشرافهم مَنْ آمن به كمرثد بن سعد. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين قومك. ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿٦٧﴾ - ﴿٦٩﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

إلى آخره[(١)] [والأول أبلغ]؛ لأنه صفة مشبهة والثاني اسم فاعل [وكذلك جوابهم] وهو قوله بعدُ: «قال الملأ».

[وكأن قومه كانوا أقرب]؛ أي: إلى الدين [من قوم نوح] تمهيداً لما بعده،

---

(١) روح المعاني، الألوسي [٨/ ١٥١].

﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ﴾ سبق تفسيره. وفي إجابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة، وهكذا ينبغي لكل ناصح، وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين. وقرأ أبو عمرو (أُبْلِغُكم) في الموضعين في هذه السورة وفي (الأحقاف) مخففاً. ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾؛ أي: في مساكنهم، أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً؛ فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى بحر عُمان. خوَّفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه. ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ﴾ قامة وقوة. ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ

وجواب ما يقال: لم وصف ملأ قوم هود بالكفر دون ملأ قوم نوح؟ وجوابه: أنه وصفهم به في قوم هود ليمتاز الذين كفروا من الذين آمنوا منهم، كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [المؤمنون: ٢٤] فإنه وارد في قوم نوح ويجاب: بأن ما ذكر مناسبة لا يشترط فيها الاطراد ووصفهم بالكفر للبيان لا للتقييد(١) [للأمرين]؛ أي: بالنصح والأمانة [وقرأ أبو عمرو «أبلغكم» في الموضعين في هذه السورة وفي الأحقاف مخففاً](٢) ساقط من نسخ مع أن في بعضه مع ما مرّ في تفسير آية: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢] تكراراً.

[إلى شحر عُمَان] هو بفتح الشين المعجمة وكسرها وبالحاء المهملة ساحل البحر بين عُمَان(٣) وعدن قاله الجوهري(٤).

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٢٥].

(٢) اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، الدمياطي [ص٤٠٠].

(٣) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (عمار).

(٤) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٢/ ١١٠].

۞ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.

ٱللَّهِ﴾ تعميم بعد تخصيص. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح.

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والأعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكاً في التقليد وحباً لما أَلِفوه، ومعنى المجيء في ﴿أَجِئۡتَنَا﴾: إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه، أو من السماء على التهكم، أو القصد على المجاز كقولهم: ذهب يسبُّني. ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه. ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم﴾ قد وجب وحق عليكم، أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع، ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ﴾ عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب. ﴿وَغَضَبٌۖ﴾ إرادة انتقام. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾؛ أي: في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الإلٰهية؛ لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل، وأنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو بنصب حجة، بيَّن أن منتهى حجتهم وسندهم أن الأصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى، وإسناد الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله إظهاراً لغاية جهالتهم وفرط

[قد وجب أو حق عليكم] أشار إلى أن استعمال وقوع الرجس عليهم مجاز عن وجوب العذاب أو كونه حقّاً لازماً لهم من إطلاق السبب على المسبب قاله الطيبي [أو أنزل عليكم] أشار إلى أن في وقع استعارة تبعية بأن شبه تعلق الرجس والغضب بهم بوقوع جسم من علو فاستعار للتعليق لفظ الوقوع ثم اشتق منه وقع

۞ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

غباوتهم، واستدل به على أن الاسم هو المسمى، وأن اللغات توقيفية؛ إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والإبطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزِّل الله بها سلطاناً، وضعفهما ظاهر. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ لما وضح الحق وأنتم مصرون على العناد نزول العذاب بكم. ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ في الدين. ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ عليهم. ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: استأصلناهم. ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ تعريض بمن آمن منهم، وتنبيه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الإيمان. روي أنهم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم هوداً فكذبوه، وازدادوا عتوّاً؛ فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم، وكان الناس حينئذٍ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله الفَرَج، فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم، وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر، فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم، وكانوا أخواله وأصهاره، فلبثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان ـ قينتان له ـ، فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيى أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم، فعلّم القينتين:

[وضعفهما]؛ أي: وضعف دليلي أن الاسم هو المسمى وأن اللغات توقيفية.

[ظاهر]؛ أي: لأن «سميتموها» معناه: سميتم بها أشياء ليست في الحقيقة مسميات لأنكم تسمونها آلهة تعبد، ومعنى الإلٰهية فيها معدوم محال وجوده فهو كقوله: «ما تدعون من دونه من شيء»؛ فالإنكار عليهم في الحقيقة إنما وقع باتخاذهم المسميات آلهة يعبدونها لا بمجرد أسمائها.

۞ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

أَلَا يَا قِيلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِم ... لَعَلَّ اللَّه يَسْقِينَا الغَمَامَا

فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إن عَادا ... قَد امْسوا مَا يُبينُونَ الكَلَاما

حتى غنَّتا به؛ فأزعجهم ذلك؛ فقال مرثد: والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم! فقالوا لمعاوية: احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة؛ فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا! ثم دخلوا مكة فقال قيل: اللَّهُمَّ اسق عاداً ما كنت تسقيهم؛ فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مناد من السماء: يا قيل! اختر لنفسك ولقومك. فقال: اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء، فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، ونجا هود والمؤمنون معه، فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر

[الجرادتان] فيه تغليب إذ اسم إحداهما وردة والأُخرَى جرادة [قينتان] قال الجوهري[١] «القينة»: الأمَة مغنية كانت أو غير مغنية:

[ألا يا قيلُ ويحك قم فهينم ....][٢]

إلى آخر البيتين. قال الجوهري: الهينمة الصوت الخفي[٣] والبت: النشرة، فمعنى هينم في البيت: أخفى الدعاء، والغمام هنا المطر [وادي المغيث] بالمثلثة

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/٤٧].

(٢) البيت:

«ألا يا قَيْلُ ويحك قُمْ فَهَيْنِم ... لعلَّ اللَّه يصبحُنا غماما»

الفاخر، المفضل بن سلمة بن عاصم [ص٢٣].

(٣) انظر: الاشتقاق، ابن دريد [ص١١١].

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥)﴾.

ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح. وقيل: سموا به لقلة مائهم من الثمو وهو الماء القليل. وقرئ مصروفاً بتأويل الحي أو باعتبار الأصل، وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى. ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي، وقوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ استئناف لبيانها، و(آية) نصب على الحال والعامل فيها معنى الإشارة، و(لكم) بيان لمن هي له آية، ويجوز أن تكون ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ بدلاً أو عطف بيان، و(لكم) خبراً عاملاً في (آيَةً)، وإضافة الناقة إلى الله لتعظيمها؛ ولأنها جاءت من عند الله بلا وسائط وأسباب معهودة، ولذلك كانت آية. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ العشب. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ نهى عن المسّ الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى؛ مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جواب للنهي.

(٧٤) - (٧٥) ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الحِجْر. ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾؛ أي: تبنون في

[**أو باعتبار الأصل**]؛ أي: وهو انه اسم لأبيهم الأكبر وللماء القليل [**وكانت مساكنهم الحِجْر**] بكسر الحاء موضع [**بين الحجاز والشام**][1] إلى آخره.

---

(١) انظر: النسبة إلى المواضع والبلدان، جمال الدين الحِمْيَري [١/ ٢٢٥].

۞ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾.

سهولها، أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللَّبِن والآجُرّ. ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ وقرئ (تَنْحَتُون) بالفتح، و(تَنْحَاتُون) بالإشباع، وانتصاب (بُيُوتاً) على الحال المقدرة أو المفعول على أن التقدير: بيوتاً من الجبال، أو تنحتون بمعنى: تتخذون ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾. ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾؛ أي: عن الإيمان. ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾؛ أي: للذين استضعفوهم واستذلوهم. ﴿لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ بدل من الذين استضعفوا بدل الكل إن كان الضمير لقومه، وبدل البعض إن كان للذين. وقرأ ابن عامر وقال: (الملو) بالواو. ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ قالوه على الاستهزاء. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيهاً على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي، وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر؛ فلذلك قال:

٧٦ - ٧٧ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ على وجه المقابلة، ووضعوا ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ موضع ﴿أُرۡسِلَ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ٧٥] ردّاً لما جعلوه معلوماً مسلماً. ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ فنحروها. أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة، أو لأنه كان برضاهم. ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ واستكبروا عن امتثاله، وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله: ﴿فَذَرُوهَا﴾

[وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر] في تحقق إيمان من آمن به وكفر من كفر به [فلذلك]؛ أي: فلكون الكلام في تحقق ما ذكر [ردّ]؛ أي: من الكفار [لما جعلوه]؛ أي: المؤمنين.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

[الأعراف: ٧٣]. ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ خامدين، ميّتين. روي: (أنهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا، وعمروا أعماراً طوالاً لا تفي بها الأبنية، فنحتوا البيوت من الجبال، وكانوا في خصب وسعة؛ فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم صالحاً من أشرافهم فأنذرهم، فسألوه آية! فقال: أيَّةَ آيةٍ تريدون؟ قالوا: اخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلٰهك وندعو آلهتنا؛ فمن استجيب له اتُّبع، فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم، ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة يقال لها: الكاتبة، وقال له: أَخْرِجْ من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبْرَاء فإن فعلت صدقناك، فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن؟ فقالوا: نعم! فصلى، ودعا ربه؛ فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون، ثم نتجت ولداً مثلها في العِظَم فآمن به جندع في جماعة، ومنع الباقين من الإيمان ذؤاب بن عمرو، والخباب صاحب أوثانهم، ورباب بن صمعر كاهنهم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر، وترد الماء غبّاً؛ فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها، ثم تتفحج فيحلبون ما

[﴿جَٰثِمِينَ﴾]؛ أي: باركين على الركب مبيتين [ناقة مخترجة]؛ أي: مستخرجة على صورة البعير[1] [جوفاء وبراء]؛ أي: ذات جوف ووبر [فتمخضت الصخرة]؛ أي: تحركت للولادة [فانصدعت]؛ أي: انشقت [عَشْرَاء] هي التي أتى عليها من يوم أرسل فيها الفحل عشرة أشهر [ثم تَتفحَّج] بتقديم الحاء المهملة على الجيم قال

---

(١) العين، الفراهيدي [٢/١١٧].

۞ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم، فيشربون ويدخرون، وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه، وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار، فعقروها واقتسموا لحمها، فرقي سقبها جبلاً اسمه قارة فرغا ثلاثاً، فقال صالح لهم: ادركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه إذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها، فقال لهم صالح: تصبح وجوهكم غداً مصفرة، وبعد غد محمرة، واليوم الثالث مسودة، ثم يصبحكم العذاب، فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين، ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع؛ فأتتهم صيحة من السماء، فتقطعت قلوبهم فهلكوا. ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين، ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر، وقال: «**إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً**». أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم.

﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾ ﴿وَلُوطًا﴾؛ أي: وأرسلنا لوطاً. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وقت قوله لهم، أو واذكر لوطاً، و(إذ) بدل منه. ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح. ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

الجوهري: التفحج مثل التفسخ، وهو أن يفرج بين رجليه(١).

[**وكانت تَصِيف**]؛ أي: تقيم زمن الصيف [**وتَشتوا**]؛ أي: تقيم زمن الشتاء [**فرقي**] بكسر القاف [**سَقَبها**] بفتح السين والقاف؛ أي: ولدها الذكر [**انْفَجَّت**]

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٣٥].

۞ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

ما فعلها قبلكم أحد قط. والباء للتعدية، و(مِنْ) الأولى لتأكيد النفي والاستغراق، والثانية للتبعيض. والجملة استئناف مقررة للإنكار كأنه وبخهم أولاً بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ. ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ بيان لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ، وقرأ نافع وحفص (إِنَّكُم) على الإخبار المستأنف، وشهوة مفعول له، أو مصدر وقع موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة، وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع، لا قضاء الوطر. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها؛ وهي اعتياد الإسراف في كل شيء، أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم، أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه؛ بل أنتم قوم عادتكم الإسراف.

﴿٨٢﴾ ـ ﴿٨٤﴾ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾؛ أي: ما جاءوا بما يكون جواباً عن كلامه، ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم، والاستهزاء بهم فقالوا: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ أي: من الفواحش. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾؛ أي: من آمن به. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ استثناء من (أهله) فإنها كانت تسرّ الكفر. ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا، والتذكير لتغليب الذكور. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾؛ أي: نوعاً من المطر عجيباً وهو مبين بقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

بتشديد الجيم؛ أي: انفتحت [**والثانية للتبعيض**]؛ أي: فيكون بدلاً من محل «من

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ روي: أن لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل بالأردن؛ فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة، فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا. وقيل: خسف بالمقيمين منهم، وأمطرت الحجارة على مسافريهم.

﴿٨٥﴾ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾؛ أي: وأرسلنا إليهم، وهم أولاد مدين بن إبراهيم شعيب وَإِلى بن ميكائيل بن يشخر بن مدين، وكان يقال له: خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد المعجزة التي كانت له، وليس في القرآن أنها ما هي، وما روي من محاربة عصا موسى عليه الصلاة والسلام التنين وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع

أحد»؛ أي: «ما سبقكم بها بعض العالمين»؛ أي: أنتم تفردتم بذلك **[بالأردن]** بضم الهمزة والدال وتشديد النون نهر وكورة بأعلى الشام **[سَدوم]** قال التفتازاني: بفتح السين قرية قوم لوط والدال معجمة في رواية الأزهري من إعجام الذال صوبه صاحب «القاموس» وغلط الجوهري[1] في قوله: إنها مهملة.

[شعيب بن ميكيل] مفعول «أرسلنا إليهم اثنين» وما بينهما اعتراض **[وكان يقال له]**؛ أي: لشعيب **[وما روي من محاربة عصا موسى التنين]** حين دفع إليه شعيب غنمه ومن **[ولادة الغنم التي دفعها إليه الدّرع]** بوزن «الصرد»: وهي الغنم التي

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ٢٥٢].

خاصة وكانت الموعودة له من أولادها، ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع فمتأخر عن هذه المقاولة، ويحتمل أن تكون كرامة لموسى أو إرهاصاً لنبوته. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾؛ أي: آلة الكيل على الإضمار، أو إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش؛ لقوله: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ كما قال في سورة (هود): ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٥] أو الكيل ووزن الميزان، ويجوز أن يكون الميزان مصدراً كالميعاد. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم، وإنما قال: ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾ للتعميم تنبيهاً على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير. وقيل: كانوا

أوائلها سواد وآخرها بياض[1] [**خاصة وكانت**]؛ أي: الدرع [**الموعودة من أولادها**]؛ أي: الغنم [و] من [**وقوع عصا آدم على يده**]؛ أي: شعيب [**في المرات السبع**] حال كون الثلاثة المذكورة [**متأخرة عن هذه المقاولة**] الواقعة بين شعيب وقومه [**يحتمل**] خبر ما روي [**أن يكون كرامة لموسى أو إرهاصاً لنبوته**] والإرهاص علامات تظهر قبل النبوة[2] واعلم أن ظاهر قوله: «وما روي..» إلى آخره. أنه جواب ما يقال أن الأمور الثلاثة معجزة لشعيب مروية في غير القرآن، فأجاب بأنها وإن كانت مروية في غيره ليست بمعجزة لشعيب لاحتمال كونها كرامة لموسى وإرهاصاً لنبوته، والظاهر أنه لم يرد بذلك جواب ما ذكر وإنما أراد الرد على الزمخشري في قوله بعد ذكره أن شعيباً لا معجزة له في القرآن! ومن معجزاته؛ يعني: في غير القرآن ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات؛ لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبئ موسى فلزم من كلامه أن هذه معجزات لشعيب في غير القرآن فرد عليه البيضاوي بأنها لا يتعين أن تكون معجزة لشعيب[3] لاحتمال كونها كرامات لموسى أو إرهاصاً لنبوته.

---

(١) العين، الفراهيدي [١/ ١٩٤]. (٢) التعريفات، الجرجاني [ص٣١].

(٣) عبارة (معجزات لشعيب في غير القرآن فرد عليه البيضاوي بأنها لا يتعين أن تكون معجزة لشعيب) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من [الأصل].

۞ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والحيف. ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ﴾ بعد ما أصلح أمرها وأهلها؛ الأنبياء وأتباعهم بالشرائع، أو أصلحوا فيها، والإضافة إليها كالإضافة في ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه، ومعنى الخيرية؛ إما الزيادة مطلقاً، أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال.

﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ بكل طريق من طرق الدين كالشيطان، وصراط الحق وإن كان واحداً لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام، وكانوا إذا رأوا واحداً يسعى في شيء منها منعوه. وقيل: كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيباً: إنه كذاب فلا يَفْتِنَنَّكَ

[أو أصلحوا]؛ أي: الأنبياء وأتباعهم، والفرق بين القولين أن الإضافة في الأول على حذف مضاف؛ أي: إصلاح أمر الأرض بخلاف الثاني وإليه أشار بقوله: **[والإضافة إليها كالإضافة في مثل:** ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٢]] بمعنى الإصلاح واقع فيها فالمعنى كما قال التفتازاني: على الظرفية. وإلا فالتحقيق أنه من إضافة المصدر إلى الفاعل حيث جعل الأرض مصلحة على الإسناد المجازي كما جعل الليل والنهار ماكرين **[ومعنى الخيرية أما الزيادة مطلقاً]**؛ أي: الزيادة الحاصلة من أفعل التفضيل وهو خير.

[وحسن الأحدوثة] هي ما يتحدث به قاله الجوهري(١).

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/١١٧].

۞ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

عن دينك، ويوعدون لمن آمن به. وقيل: كانوا يقطعون الطريق. ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بياناً لكل صراط، ودلالة على عظم ما يصدون عنه، وتقبيحاً لما كانوا عليه أو الإيمان بالله. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾؛ أي: بالله، أو بكل صراط على الأول، ومن مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال: وتصدونهم، وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ﴾ وتطلبون لسبيل الله عوجاً بإلقاء الشبه، أو وصفها للناس بأنها معوجة. ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ عَدَدُكُمْ أو عُدَدُكُمْ. ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالبركة في النسل أو المال. ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ من الأمم قبلكم واعتبروا بهم. ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟﴾ فتربصوا. ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ﴾؛ أي: بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين، فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾؛ أي: ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر، وشعيب عليه السلام لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقاً، لكن غلبوا الجماعة على

[أو الإيمان] عطف على «الذي قعدوا عليه» [لكن غَلَّبُوا الجماعة..] إلى آخره.

۞ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم، وعلى ذلك أجرى الجواب في قوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ﴾؛ أي: كيف نعود فيها ونحن كارهون لها، أو أتعيدوننا في حال كراهتنا. ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قد اختلقنا عليه. ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ شرط جوابه محذوف؛ دليله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا﴾ وهو بمعنى المستقبل لأنه لم يقع، لكنه جُعِل كالواقع للمبالغة، وأدخل عليه (قد) لتقريبه من الحال؛ أي: قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم أن لله تعالى نداً، وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه باطل، وما أنتم عليه حق. وقيل: إنه جواب قسم، وتقديره: والله لقد افترينا. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ وما يصح لنا. ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ خذلاننا وارتدادنا، وفيه دليل على أن الكفر بمشيئته. وقيل: أراد به حسم أطماعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون. ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾؛ أي: أحاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون مِنّا ومنكم. ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبتنا على الإيمان ويخلصنا من الأشرار. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ احكم بيننا وبينهم، والفتاح القاضي، والفتاحة الحكومة. أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم، ويتميز المحق من المبطل؛ من فتح المشكل إذا بيّنه. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ على المعنيين.

﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ وتركتم دينكم. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ لاستبدالكم ضلالة بهداكم، أو لفوات ما

فإطلاق «العود» على ما ذكر مجاز، وجرى بعضهم على أنه حقيقة؛ لأن «عاد» يستعمل بمعنى صار كما يستعمل بمعنى «رجع» فلا يستلزم الرجوع إلى حالة سابقة بل هو انتقال من حالة سابقة إلى حالة مستأنفة [على المعنيين]؛ أي: في «افتح» هل هو

۞ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

يحصل لكم بالبخس والتطفيف؛ وهو ساد مسدّ جواب الشرط والقسم الموطأ باللام. ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة وفي سورة (الحجر): ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] ولعلها كانت من مباديها. ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾؛ أي: في مدينتهم.

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾؛ أي: استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل. ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ديناً ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا؛ فإنهم الرابحون في الدارين. وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين. ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال: ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم، أو قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم. والمعنى: لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار، وبذلت وُسْعي في النصح والإشفاق؛ فلم تصدقوا قولي! فكيف آسى عليكم؟! وقرئ (إيسى) بإمالتين.

بمعنى «احكم» أو «أظهر»[(١)] [ولعلها]؛ أي: الصيحة [كانت من مبادئها]؛ أي: الرجفة فهما متغايران. وقال السعد التفتازاني: أن الرجفة وهي في الأصل الزلزلة مجاز عن الصيحة التي يفضي إليها فعلى ما قال هما متحدان [والمغنى] بالغين المعجمة مأخوذ من يَغْنوا [المنزل]؛ أي: كأن لم ينزلوا في منزلهم [واستأنف الجملتين]؛ أي: حيث لم يأت فيهما بعاطف [أو قاله اعتذاراً] عطف على «قاله تأسفاً».

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [٨٨/١].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ بالبؤس والضر. ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ حتى يتضرعوا ويتذللوا. ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾؛ أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة؛ ابتلاء لهم بالأمرين. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ كثروا عَدداً وعُدداً، يقال: عفا النبات إذا كثر، ومنه إعفاء اللحى. ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كفراناً لنعمة الله ونسياناً لذكره واعتقاداً بأنه من عادة الدهر؛ يعاقب في الناس بين الضراء والسراء، وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزول العذاب.

﴿٩٦﴾ - ﴿٩٧﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ يعني: القرى المدلول عليها بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ [الأعراف: ٩٤] وقيل: مكة وما حولها. ﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ مكان كفرهم وعصيانهم. ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لوسعنا عليهم الخير، ويسرناه لهم من كل جانب، وقيل: المراد المطر والنبات. وقرأ ابن عامر (لَفَتَّحْنا) بالتشديد. ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرسل. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ عطف على قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥] وما بينهما اعتراض، والمعنى: أَبَعْدَ ذلك أَمِنَ أهل القرى. ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ تبييتاً، أو وقت بيات، أو مبيتاً، أو مبيتين، وهو في الأصل مصدر بمعنى:

[ومنه إعفاء اللحية] بضم اللام وكسرها جمع لحية بكسرها ومنه قوله ﷺ:

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

البيتوتة، ويجيء بمعنى: التبييت؛ كالسلام بمعنى: التسليم. ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ حال من ضمير (هم) البارز، أو المستتر في (بياتا).

﴿٩٨﴾ ـ ﴿٩٩﴾ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (أَوْ) بالسكون على الترديد. ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ ضحوة النهار، وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يلهون من فرط الغفلة، أو يشتغلون بما لا ينفعهم. ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ تقرير لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٧] و﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استعارة لاستدراج العبد وأخذه ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣]. ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار.

﴿١٠٠﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾؛ أي: يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم، وإنما عدي (يهد) باللام لأنه بمعنى: يبين. ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم، وهو فاعل (يهدِ)، ومن قرأه بالنون جعله مفعولاً. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عطف على ما دل عليه (أو لم يهد)؛ أي: يغفلون عن

«وأعفوا اللحى»[1]؛ أي: وفروها وأكثروا شعرها [**ويجيء بمعنى التبييت**] لا حاجة إليه بعد قوله: «تبيتا» سوى الإيضاح بقوله [**كالسلام**..] إلى آخره. [**وهو**]؛ أي: أن لو نشاء [**ومن قرأه**]؛ أي: يهد [**جعله**]؛ أي: لو نشاء [**مفعولاً**]؛ أي: لـ«يهد»

---

(١) صحيح البخاري [٥/٢٢٠٩/برقم: ٥٥٥٣]، صحيح مسلم [١/٢٢٢/برقم: ٢٥٩].

۞ ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

الهداية. أو منقطع عنه بمعنى: ونحن نطبع، ولا يجوز عطفه على (أصبناهم) على أنه بمعنى: (وطبعنا) لأنه في سياقه جواب (لو) لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار.

﴿١٠١﴾ - ﴿١٠٢﴾ ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ يعني: قرى الأمم المار ذكرهم. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ حال إن جعل (الْقُرى) خبراً وتكون إفادته بالتقييد بها، وخبر إن جعلت صفة، ويجوز أن يكونا خبرين، و(مِنْ) للتبعيض؛ أي: نقص بعض أنبائها، ولها أنباء غيرها لا نقصها. ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات. ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيئهم بها. ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب، أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولاً حين جاءتهم الرسل، ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة، و(اللام) لتأكيد النفي، والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على

[لأنه في سياقه جواب «لو»..] إلى آخره. المعنى أنَّ عطف «نطبع» على «أصاب» يقضي إلى نفي الطبع والمراد إثباته.

[بما كذبوه]؛ أي: من آيات الله كما صرح به «الكشاف»(١) **[أو «فما كانوا ليؤمنوا»..]** إلى آخره. اشترك المتعاطفات في أن «ما» موصولة واقعة على «الآيات» فيهما، وافترقا بأن الباء في الأول: للتعدية، والتكذيب واقع على الآيات وتكذيبهم لها قبل مجيء الرسل، وفي الثاني: الباء للسببية والتكذيب واقع على الرسل وتكذيبهم لهم حال مجيئهم **[والدلالة]** بالجر عطف على تأكيد النفي وهو في المعنى

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٢٨].

۞ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٠٣﴾.

الكفر والطبع على قلوبهم. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنُذُر. ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ لأكثر الناس، والآية اعتراض، أو لأكثر الأمم المذكورين. ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ من وفاء عهد، فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج، أو ما عهدوا إليه حين كانوا في ضر ومخافة؛ مثل ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]. ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾؛ أي: عَلِمْنَاهم. من: وجدت زيداً ذا الحفاظ؛ لدخول (إن) المخففة و(اللام) الفارقة، وذلك لا يجوز إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما، وعند الكوفيين (إن) للنفي، و(اللام) بمعنى: (إلا).

۝١٠٣ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ الضمير للرسل في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ [الأعراف: ١٠١] أو للأمم. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾؛ يعني: المعجزات. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها، ولهذا المعنى وضع (ظلموا) موضع (كفروا). و(فرعون): لقب لمن ملك مصر؛ ككسرى لمن ملك فارس، وكان اسمه: (قابوس)، وقيل: الوليد بن مصعب بن الريان. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

عطف تفسير [فلا يكبر[1] شكيمتهم]؛ أي: نفسهم الآبية قال الجوهري: فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أَنِفاً أَبيّاً، وفلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد[2].

[والآية اعتراض]؛ أي: إن كان الضمير للناس، وإن كان للأمم المذكورين فهو من تتمة الكلام السابق قاله التفتازاني [من وجدت زيداً ذا الحِفاظ] قال

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (تلين).
(٢) الصحاح، الجوهري [٧/ ٢٦٤].

۞ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥﴾.

---

١٠٤ - ١٠٥ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إليك، وقوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة، وإنما لم يذكره لدلالة قوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٠٣] عليه، وكان أصله (حَقِيقٌ عَليّ أنْ لا أَقُولَ) كما قرأ نافع؛ فقلب لأمن الإلباس كقوله: (وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بالضَيَاطِرَةِ الحُمْرِ). أو لأن ما لزمك فقد لزمته،

الجوهري: يقال: إنه لذو حفاظ إذا كانت له أنفة[١] أو حمية. [وإنما لم يذكره]؛ أي: «التكذيب» [وكان أصله: «حقيق على أن لا أقول» كما قرأه نافع فَقُلِبَ]؛ أي: الكلام إذ الأصل: «قول الحق حقيق عليَّ» بالتشديد فقلب إلى «حقيق عليَّ أن لا أقول على الله إلا الحق» [كقوله]؛ أي: قول خداش بن زهير:

[.................. وتشقى الرماحُ بالضَّياطِرَةِ الحمر]

الأصل: «وتشقى الضياطرة[٢] بالرماح» ووجه التشبيه بينه وبين الآية جعل كلام مكان آخر، صدره:

وتلحق خيل لا هوادة بينها ....

و«الهوادة»: الصلح، و«الميل»: الرجل الضخم لا غنى عنده، و«الحمر»: العجم؛ لأن الشقرة غلبت عليهم[٣] [ولأن ما لزمك فقد لزمته] عطف من حيث المعنى على جملة وكان أصله: «حقيق على..» إلى آخره، والحاصل: أن صحة هذه القراءة إما للقلب أو لأن ما لزمك فقد لزمته؛ أي: فلما كان قول الحق حقيق

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/٣٢٦].
(٢) **الضَّيْطَار**: الجبان العظيم الخَلْق الذي لا يحسن حمل السلاح. وقيل: الضيطار: الغليظ العظيم الخلْق، وعلى هذا ينقلب المعنى فيصبح: تشقى الشجعان بالرماح؛ لأنهم لا يجيدون التحرز منها. انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس [٢/١٠٢]، المخصص، ابن سيده [١/١٨٨].
(٣) المخصص، ابن سيده [١/١٨٨].

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

أو للإغراق في الوصف بالصدق، والمعنى: أنه حق واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به، أو ضَمَّن حقيق معنى: حريص، أو وضع (على) مكان (الباء) لإفادة التمكن؛ كقولهم: رميت على القوس وجئت على حال حسنة، ويؤيده قراءة أُبَيّ بالباء. وقرئ (حَقيقٌ أَنْ لا أقولَ) بدون (على). ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم، وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال.

﴿١٠٦﴾ ـ ﴿١٠٨﴾ ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ من عند من أرسلك. ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الدعوى. ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان؛ وهو الحية العظيمة. روي: (أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعرَ؛ فاغراً فاه، بينَ لحييه ثمانون ذراعاً، وضع لَحْيَهُ الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر، ثم توجه نحو فرعون فهرب منه، وأحدث، وانهزم الناس مزدحمين، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، وصاح فرعون: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه؛ وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذه، فعاد عصاً. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه، أو من تحت إبطه.

عليه كان هو حقيقاً على قول الحق؛ أي: لازماً له [أو للإغراق]؛ أي: للاستيعاب [في الوصف بالصدق]؛ أي: بأن يفرق[1] موسى صلوات الله عليه في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام الذي كذبه فيه فرعون.

[فاغراً فاه]؛ أي: فاتحه.

---

(١) في نسخة [ز]: (يعرف)، وفي نسخة [ج]: (يغرق).

۞ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾؛ أي: بيضاء بياضاً خارجاً عن العادة يجتمع عليها النظارة، أو بيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء في جبلّتها. روي: (أنه عليه السلام كان آدم شديد الأدمة، فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه، ثم نزعها؛ فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس).

﴿١٠٩﴾ ـ ﴿١١٢﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ قيل: قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره، فحكيَ عنه في سورة الشعراء، وعنهم ها هنا. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أن نفعل. ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به إلى فرعون، و(الإرجاء): التأخير؛ أي: أَخِّر أمره، وأصلهُ (أرجئه) كما قرأ أبو عمرو، وأبو بكر، ويعقوب؛ مِنْ (أرجأت)، وكذلك (أَرْجِئْهُو) على قراءة ابن كثير على الأصل في الضمير، و(أَرْجِهِي) من (أرجيت) كما قرأ نافع في رواية ورش

[وأصله «أرجيه»..] إلى آخره. ذكر في هذه الكلمة ست قراءات ثلاث بالهمز وثلاث بدونه[1]، وقوله: «وكذلك ارجيه» على قراءة ابن كثير؛ أي: وهشام، وقوله: وحفص، الصواب تركه؛ لأن عاصماً يقرأ بذلك من طريقته، وقوله: فلتشبيه المتصل بالمنفصل، أراد بالمنفصل واو «وأخاه» لانفصالها عن «جه» وبالمتصل نحو لام «إبل» لاتصالها بما قبلها وعليه فقوله: «وجع جه كإبل» عطف تفسير لما قبله، وفي ذلك مع القلاقة قصور؛ إذ كان حقه أن يقول: وجعل «جه» مع الواو كإبل، وقوله: وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان هو الصواب، وفي نسخ حذف: «برواية ابن

---

(١) الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٨٤].

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾.

وإسماعيل والكسائي، وأما قراءته في رواية قالون (أَرْجِهِ) بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها، وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص (أَرْجِهْ) بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل، وجعل (جه) كـ(إبْل) في إسكان وسطه، وأما قراءة ابن عامر (أرجئهِ) بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة؛ فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة، أو ياء ساكنة، ووجهه؛ أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها. وقرأ حمزة والكسائي (بِكُلِّ سَحَّار) فيه وفي (يونس)؛ ويؤيده اتفاقهم عليه في (الشعراء).

١١٣ ـ ١١٤ ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ﴾ بعد ما أرسل الشرط في طلبهم. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ استأنف به كأنه جواب سائل قال: ما قالوا إذ جاؤوا؟ وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم (إنَّ لَنا لَأَجْراً) على الإخبار وإيجاب الأجر؛ كأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم. ﴿قَالَ نَعَمۡ﴾ إنّ لكم لأجراً. ﴿وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ عطف على ما سد مسده ﴿نَعَمۡ﴾ وزيادة على الجواب لتحريضهم.

١١٥ ـ ١١٦ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ خيّروا موسى مراعاة للأدب أو إظهاراً للجلادة، ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ، وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل؛ فلذلك: ﴿قَالَ أَلۡقُواْۖ﴾ إكراماً وتسامحاً، أو

ذكوان»، وهو مناسب لحذف هشام فيما مرّ[1] [بعدما أرسل الشُّرَط] بضمِّ الشين

---

(١) انظر بسط المسألة في: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٧٢].

۞ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

ازدراء بهم ووثوقاً على شأنه. ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه. ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وأرهبوهم إرهاباً شديداً؛ كأنهم طلبوا رهبتهم. ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في فَنِّهِ. روي: (أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً، وخشباً طوالاً كأنها حيات؛ ملأت الوادي، وركب بعضها بعضاً).

﴿١١٧﴾ - ﴿١١٩﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ﴾ فألقاها فصارت حية. ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: ما يُزَوِّرُونَه مِنَ الإِفك، وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، وهي مع الفعل بمعنى المفعول. روي: (أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها؛ أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمعٌ عظيم، ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت، فقالت السحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعِصِيُّنا. وقرأ حفص عن عاصم (تَلْقَفُ) ههنا وفي (طه) و(الشعراء). ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ فثبت لظهور أمره. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر والمعارضة. ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ صاروا أذلاء مبهوتين، أو رجعوا إلى المدينة أذلاء مقهورين؛ والضمير لِـ(فرعون وقومه).

﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢٢﴾ ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لله؛ جعلهم ملقين على وجوههم

وفَتْحِ الراء: طائفةٌ من أعوان الولاة قاله في «القاموس»[١] [وتعريف الخبر] عطف على «تعيين النظم» [كأنهم طلبوا رهبتهم]؛ أي: خوفهم منهم بسحر عظيم في باب السحر [وهي مع الفعل بمعنى المفعول]؛ أي: المأفوك [فثبت]؛ أي: الحق استعير

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [ص٨٦٩].

۞ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

تنبيهاً على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك، أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى، وينقلب الأمر عليه، أو مبالغة في سرعة خرورهم وشدته. ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون.

﴿١٢٣﴾ - ﴿١٢٤﴾ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ بالله أو بموسى؛ والاستفهام فيه للإنكار. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب، وهشام؛ بتحقيق الهمزتين على الأصل. وقرأ حفص (آمَنْتُمْ بِهِ) على الإخبار، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ إن هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى. ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل أن تخرجوا للميعاد. ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ﴾؛ يعني: القبط، وتَخْلُص لكم ولبني إسرائيل. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما فعلتم! وهو تهديد مجمل تفصيله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم

للثبوت الواقع مبالغة؛ لأنه في مقابله بطل والباطل زائل [بهزمهم]؛ أي: غلبهم [أو أن الله] عطف على «أن الحق».

[حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى] الباء الأولى للمعية [أو مبالغة] عطف على «تنبيهاً» وهو تمثيل شبه حالهم في سرعة الجزور وشدته بحال من ألقى [وقرأ حفص «أمنتم» على الإخبار][1]؛ أي: توبيخاً لهم كما في الاستفهام؛ لأن الجملة إذا ألقيت إلى من هو عالم بها تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام وهو هنا التوبيخ.

---

(١) الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ١٧٠].

۞ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ من كل شق طَرَفاً. ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم، وتنكيلاً لأمثالكم. قيل: إنه أول من سنَّ ذلك فشرعه الله للقُطَّاع تعظيماً لجرمهم؛ ولذلك سماه محاربة الله ورسوله؛ ولكن على التعاقب لفرط رحمته.

﴿١٢٥﴾ ـ ﴿١٢٦﴾ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ بالموت لا محالة؛ فلا نبالي بوعيدك، أو إنا منقلبون إلى ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك؛ كأنهم استطابوه شغفاً على لقاء الله، أو مصيرنا ومصيرك إلى ربنا فيحكم بيننا. ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ وما تنكر منا. ﴿إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ﴾ وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلباً لمرضاتك، ثم فزعوا إلى الله ﷻ فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا﴾ أَفِض علينا صبراً يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام؛ وهو الصبر على وعيد فرعون. ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام. وقيل: إنه فعل بهم ما أوعدهم به، وقيل: إنه لم يقدر عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

﴿١٢٧﴾ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك. ﴿وَيَذَرَكَ﴾ عطف على (يفسدوا)، أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة:

[افِضْ علينا صبراً..] إلى آخره. أشار بالأول: إلى أن في «افْرِغ» استعارة تصريحية تبعية(١) والقرينة «صبر»؛ لأن الصبر لا يستعمل فيه الإفراغ، وبالثاني: إلى

---

(١) عبارة (تصريحية تبعية) من نسخة [ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

۞ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

أَلَمْ أَكُ جَارَكُم وَيَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ المَوَدَّةُ وَالإِخَاءُ

على معنى: أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه إياك. وقرئ بالرفع على أنه عطف على (أنذر)، أو استئناف، أو حال. وقرئ بالسكون؛ كأنه قيل: يفسدوا ويذرك، كقوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ ومعبوداتك، قيل: كان يعبد الكواكب. وقيل: صنع لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرباً إليه، ولذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقرئ (إلَهَتَك)؛ أي: عبادتك. ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة، ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده. وقرأ ابن كثير ونافع (سَنَقْتُلُ) بالتخفيف. ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا.

﴿١٢٨﴾ - ﴿١٢٩﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ لما سمعوا قول

أن في «صبر» استعارة أصلية مكنية وفي «افْرِغْ» استعارة تمثيلية [أو استئناف أو حال]؛ أي: بتقدير وهو يدرك فعلى الاستئناف تكون الجملة معترضة، وعلى الثاني تكون مقررة للمعنى.

[وقرئ بالسكون كأنه قيل: ..] إلى آخره. تبع فيه «الكشاف»[1] قال التفتازاني: يريد أنه من قبيل العطف على التوهم؛ فإن جواب الاستفهام كثيراً ما يكون بالجزم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٣٤].

۞ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
(١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾.

فرعون وتضجروا منه تسكيناً لهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبت في الأمر. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من إهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له، وقرئ (والعاقبةَ) بالنصب عطف على اسم (إن)، و(اللام) في (الأَرْضَ) تحتمل العهد والجنس. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: بنو إسرائيل. ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بالرسالة بقتل الأبناء ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادته. ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ تصريحاً بما كنى عنه أولاً لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك، ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم. وقد روي: (أن مصر إنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيرى ما تعملون من شكر وكفران، وطاعة وعصيان؛ فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم.

(١٣٠) ـ (١٣١) ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالجدوب لقلة الأمطار

وترك الفاء، فكأنه هنا كذلك فعطف عليه «يدرك» بالجزم، كما جعل «فأصَّدَّقَ» بالنصب في جواب التخصيص منزلاً منزلة «أَصَّدَّق» بالجزم فعطف عليه «وأكن» [تضجروا منه] حال؛ أي: «متضجرين منه» [تسكيناً لهم] تعليل لـ«قال..» إلخ [﴿قَالُوا أُوذِينَا﴾] إلخ، لم يقولوه نفرة عن مجيء موسى[١] بالرسالة إليهم بل استكشافاً عن وعده لهم بزوال المضار الحاصلة لهم من فرعون وقومه حيث لم تزل إلى الآن فبيَّن لهم أن ما وعدهم به ليس فَوْرِيّاً[٢] [بما كنى عنه أولاً]؛ أي: بقوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [ولعله أتى بفعل الطمع]؛ أي: وهو «عسى»

---

(١) كما في نسخة [ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (شيء).
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [٩/ ٢٧٣].

۞ ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

والمياه، والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به، ثم اشتق منها؛ فقيل: (أسنت القوم) إذا قحطوا. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بكثرة العاهات. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لكي يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا، أو ترقَّ قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده. ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ من الخصب والسعة. ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ لأجلنا ونحن مستحقوها. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء. ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ يتشاءموا بهم ويقولوا: ما أصابتنا إلا بشؤمهم! وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة، فإن الشدائد ترقق القلوب، وتذلل العرائك، وتزيل التماسك؛ سيما بعد مشاهدة الآيات، وَهُمْ لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتواً وانهماكاً في الغي، وإنما عَرَّف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق؛ لكثرة وقوعها، وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات، ونَكَّرَ السيئة وأتى بها مع حرف الشك؛ لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سبب خيرهم وشرهم عنده؛ وهو حكمه ومشيئته، أو سبب شؤمهم عند الله؛ وهو أعمالهم المكتوبة عنده، فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم. وقرئ (إنما طيرهم) وهو اسم الجمع، وقيل: هو جمع. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من الله، أو من شؤم أعمالهم.

﴿١٣٢﴾ - ﴿١٣٣﴾ ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا﴾ أصلها (ما) الشرطية ضمت إليها (ما)

[وتذلل العرائك]؛ أي: تلين الطبائع [أي: سبب خيرهم وشرهم..] إلى آخره. ذكر فيه وجهين بناهما على معنيين «للطائر» فإنه يقال للحظ والنصيب خيراً إذا كان أو شرّاً وللتشاؤم؛ فاستعمل المعنى الأول في الوجه الأول والثاني في الثاني.

[أصله «ما» الشرطية..] إلى آخره. ذكر فيه وجهين وهو مركب على كل منهما

المزيدة للتأكيد، ثم قلبت ألفها هاء استثقالاً للتكرير. وقيل: مركبة من (مه) الذي يصوت به الكاف و(ما) الجزائية، ومحلها الرفع على الابتداء، أو النصب بفعل يفسره. ﴿تَأۡتِنَا بِهِۦ﴾؛ أي: أيما شيء تحضرنا تأتنا به. ﴿مِنۡ ءَايَةٖ﴾ بيان لـ(مهما)، وإنما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم؛ ولذلك قالوا: ﴿لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا، والضمير في (به) و(بها) لـ(مهما) ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ، وأنثه بعده باعتبار المعنى. ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل. وقيل: الجُدَري، وقيل: الموتان، وقيل: الطاعون. ﴿وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ﴾ قيل: هو كبار القِرْدان، وقيل: أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها. ﴿وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ روي: (أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته، ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم، وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة، وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها، ودام ذلك عليهم أسبوعاً! فقالوا لموسى: ادع لنا

والمعتمد الذي جرى عليه ابن هشام وغيره أنه بسيط؛ لأن دعوى التركيب لم يقم عليها دليل، ووزنه «فعلى»، وألفه للإلحاق أو للتأنيث، وقوله: الذي يصوت به الكافُ - أي: عن الشيء - أن معنى «مه» اكفف[1] [**والضمير في «به» و«بها» لـ«مهما»**] وفي نسخ لما وهو تصحيف [**ذكره**]؛ أي: الضمير [**قبل التبيين**]؛ أي: بـ﴿مِنۡ ءَايَةٖ﴾ [**وأنثه بعده**]؛ أي: بعد التبيين [**باعتبار المعنى**] الواقع في التبيين وهو «آية» [**وقيل: الجدَري**] هو بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما قروح في البدن تنفط وتفتح[2].

[**وقيل: المَوَتَان**] هو بالضم موت في الماشية [**كبار القِردان**] هو بكسر القاف جمع قراد [**إلى تراقيهم**]؛ أي: عظام الحلق.

---

(١) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري [١/ ٤٢٦].

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [١/ ٤٦٢].

۞ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك؛ فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا! فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم، ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانياً فدعا وخرج إلى الصحراء، وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها؛ فلم يؤمنوا، فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد، وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها، ففزعوا إليه فرفع عنهم؛ فقالوا: قد تحققنا الآن أنك ساحر! ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه، وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي، وأفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا، فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود، ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماً حتى كان يجتمع القبطي مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دماً وما يلي الإسرائيلي ماء، ويمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير دماً في فيه. وقيل: سلط الله عليهم الرعاف). ﴿ءَايَٰتٍ﴾ نصب على الحال. ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات، لا يُشْكِل على عاقل أنها آيات الله ونقمته عليهم، أو مفصلات لامتحان أحوالهم؛ إذ كان بين كل اثنتين منها شهر، وكان امتداد كل واحدة أسبوعاً، وقيل: (إن موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل). ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان. ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿١٣٤﴾ - ﴿١٣٥﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾؛ يعني: العذاب المفصل، أو الطاعون الذي أرسله الله عليهم بعد ذلك. ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا

۞ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

عَهِدَ عِندَكَ﴾ بعهده عندك وهو النبوة، أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك، وهو صلة لِـ(ادع) أو حال من الضمير فيه بمعنى: ادع الله متوسلاً إليه بما عهد عندك، أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك، أو قسم مجاب بقوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾ إلى حد من الزمان هم بالغوه؛ فمعذبون فيه أو مهلكون، وهو وقت الغرق أو الموت. وقيل: إلى أجل عينوه لإيمانهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ جواب (لما)؛ أي: فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فيه.

﴿١٣٦﴾ - ﴿١٣٧﴾ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فأردنا الانتقام منهم. ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: البحر الذي لا يدرك قعره، وقيل: لجته. ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

[بعهده عندك وهو النبوة] سميت النبوة عهداً؛ لأن الله عهد أن يكرم النبي، وهو عهد بأن يستقل بأعبائها أو لأن فيها كلفة واختصاصاً كما بين المتعاهدين، أو لأن لها حقوقاً تحفظ كما يحفظ العهد، أو لأنها بمنزلة عهد ومنشور يكتب للولاة(١) [﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾]؛ أي: واستمر كشفه لِيَفِيَا بما قاله [فأجواء النكث]؛ أي: زمانه أو مكانه.

[فأردنا الانتقام منهم]. قال التفتازاني: إنما قدر (أَرَدْنَا)؛ لأن ما يعقبه الإغراق

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس [٤/١٦٧].

۞ ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾؛ أي: كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها. وقيل: الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾. ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم. ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾؛ يعني: أرض الشام ومصر ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها. ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب وسعة العيش. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ [القصص: ٥] إلى قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦] وقرئ (كلماتُ رَبِّك) لتعدد المواعيد ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بسبب صبرهم على الشدائد. ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ وخرَّبنا. ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من القصور والعمارات. ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ من الجنات، أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان، وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفي (النحل) (يَعْرُشون) بالضم. وهذا آخر قصة فرعون وقومه.

﴿١٣٨﴾ وقوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ وَمَا بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن مَنَّ الله عليهم بالنعم الجسام، وأراهم من الآيات العظام؛ تسلية لرسول الله ﷺ مما رأى منهم، وإيقاظاً للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم. روي: (أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكراً). ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ فمروا عليهم. ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها، قيل: كانت

هو إرادة الانتقام لا هو بعينه، فإن الإغراق عين الانتقام ومنهم من يجعل الفاء لمجرد التفسير كقوله: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] [وقيل: الضمير]؛ أي:

۞ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٤٠﴾.

تماثيل بَقَرْ؛ وذلك أول شأن العجل، والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم. وقيل: من لَخْم، وقرأ حمزة والكسائي (يَعْكِفُونَ) بالكسر. ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ مثالاً نعبده. ﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ يعبدونها، و(ما) كافة للكاف. ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ وصفهم بالجهل المطلق، وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل.

۝١٣٩ - ۝١٤٠ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى القوم، ﴿مُتَبَّرٞ﴾ مكسّر مدمَّر. ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ﴾؛ يعني: أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضاً ﴿وَبَٰطِلٞ﴾ مضمحل. ﴿مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى، وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع (هؤُلاءِ) اسم (إِنَّ) والإخبار عما هم فيه بالتبار، وعما فعلوا بالبطلان، وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبراً لأن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة، وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيراً، وتحذيراً عما طلبوا. ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ أطلب لكم معبوداً. ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم، وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم لما لم

ضمير «عنها» **[عن العقل]** متعلق بـ«بعد ما صدر منهم» **[وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبراً لأن]** تبع فيه «الكشاف»(١) نظراً للمعنى المناسب للمقام المقتضي للحصر إذ المعنى متبر لا ثابت وباطل لا حق، وهذا إنما يستفاد من تقديم الخبر على المبتدأ فرجح ذلك على جعل (مُتَبَّرٌ) و(باطِلٌ) خبري (إنَّ)، وما بعدهما فاعل بهما؛ لاعتماده على المسند إليه **[﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾]**؛ أي: على جميع

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٨٤].

۞ ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

يستحقوه تفضلاً بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته.

﴿١٤١﴾ - ﴿١٤٢﴾ ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ واذكروا صنيع الله معكم في هذا الوقت. وقرأ ابن عامر (أنْجاكم). ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ استئناف لبيان ما أنجاهم منه، أو حال من (المخاطبين)، أو من (آل فرعون)، أو منهما. ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ بدل منه مبين. ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة. ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة، وقرأ أبو عمرو ويعقوب (وَوَعَدْنا). ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة. ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ بالغاً أربعين. روي: (أنه ﷺ وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل ربه فأمره الله بصوم ثلاثين، فلما أتم أنكر خلوف فِيْهِ فَتَسَوَّكَ، فقالت الملائكة: كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك؛ فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشراً). وقيل: أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة؛ ثم أنزل الله التوراة عليه في العشر وكلمه فيها. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كن خليفتي

من سواكم من عالمي زمانكم إلا ما يخصه العقل من الأنبياء والملائكة [بدل منه] في من ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾.

[﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا﴾]؛ أي: المواعدة أو الثلاثين [بالفاء ﴿أَرْبَعِينَ﴾] يريد أربعين حال[1] [سأل ربه]؛ أي: الكتاب [وقيل أمره..] إلى آخره. قابل لقوله فأمره بصوم

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/١٠٦].

۞ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

فيهم. ﴿وَأَصْلِحْ﴾ ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحاً. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه.

﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ لوقتنا الذي وقتناه، و(اللام) للاختصاص؛ أي: اختص مجيئه بميقاتنا. و﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ من غير وسط كما يكلم الملائكة، وفيما روي: (أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين). ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك، أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك. وهو دليل على أن رؤيته جائزة في الجملة؛ لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال، وخصوصاً ما يقتضي الجهل بالله؛ ولذلك ردَّه بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ دون لن أري، أو لن أريك، أو لن تنظر إليَّ، تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد، وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم، ويزيح شبهتهم؛ كما فعل بهم حين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾

ثلاثين إلى آخره، ففي الثاني أمر الله موسى بالتخلي للعبادة دون الأول **[أرني نفسك]** بأن تمكنني من رؤيتك جواب ما يقال الرؤية مسببة عن النظر؛ لأن تقلب الحدقة نحو الشيء التماسا لرؤيته وهي الإدراك بالباصرة فكيف قيل: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ **[وجعل السؤال تبكيت لقومه الذين قالوا أرنا الله جهرة]**؛ أي: لتقريعهم وتعنيفهم لا لجواز الرؤية لكونها ممتنعة **[خطأ]** لما ذكره بقوله: **[إذ لو كانت الرؤية..]** إلى آخره.

[الأعراف: ١٣٨] ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأً؛ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبداً، وأن لا يراه غيره أصلاً؛ فضلاً عن أن يدل على استحالتها، ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية. ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه، وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن، والجبل قيل: هو جبل زبير. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره. وقيل: أعطى له حياة ورؤية حتى رآه. ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ مدكوكاً مفتتاً، والدكُّ والدقُّ أخوان كالشكّ والشّق، وقرأ حمزة والكسائي (دَكَّاء)؛ أي: أرضاً مستوية؛ ومنه: (ناقة دكاء) التي لا سنام لها. وقرئ (دُكّاً)؛ أي: قطعاً جمع دكاء. ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشياً عليه من هول ما رأى. ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ﴾ تعظيماً لما رأى: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من الجراءة والإقدام على السؤال من غير إذن. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مرَّ تفسيره. وقيل معناه: أنا أول من آمن بأنك لا تُرَى في الدنيا.

[﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾] إنما قال: «لن تراني» دون «لن تنظر إلي» مع أنه المطابق لقوله: أنظر إليك؛ لأن الرؤية هي المقصودة والنظر مقدمتها وقد يحصل دونها إذ النظر تقليب الحدقة نحو الشيء التماساً لرؤيته والرؤية هو الإدراك بالباصرة بعد النظر فهي مسببة عنه، وأما المطابقة في الاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ فواضحة [ولا تتبع] عطف على «بجهلهم».

[وقيل: جبل زبير] بفتح الزاي والإضافة فيه بيانية لقول الجوهري: الزَّبِيْر اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام(١) [ظهر له]؛ أي: الجبل.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور [٤/ ٣١٥].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

﴿١٤٤﴾ - ﴿١٤٥﴾ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتك. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: الموجودين في زمانك، وهارون وإن كان نبيّاً كان مأموراً باتباعه، ولم يكن كليماً ولا صاحب شرع. ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾؛ يعني: أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع (برسالتي). ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ وبتكليمي إياك. ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ أعطيتك من الرسالة. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على النعمة فيه. روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة، وإعطاء التوراة كان يوم النحر. ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مما يحتاجون إليه من أمر الدين. ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ بدل من الجار والمجرور؛ أي: وكتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام. واختلف في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة، وكانت من زمرد أو زبرجد، أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام؛ فقطعها بيده وشقها بأصابعه، وكان فيها التوراة أو غيرها، ﴿فَخُذۡهَا﴾ على إضمار القول عطفاً على (كتبنا) أو بدل من قوله: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾، والهاء للألواح أو لكل شيء؛ فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات. ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجد وعزيمة. ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾؛ أي: بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار، والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]

[من زُمُرُّذ] بذال معجمة وضم بقية الحروف، وعن «الأزهري»: فتح الراء كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار والاقتصاص تبع فيه «الكشاف»[1]. قال التفتازاني: هذا ينافي ما تقرر من أن المكتوب على بني إسرائيل هو القصاص قطعاً،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/١٤٩].

۞ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.

أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره، ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقاً لا بالإضافة، وهو المأمور به كقولهم: الصيف أحرّ من الشتاء. ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها، أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا، أو دارهم في الآخرة وهي جهنم. وقرئ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ بمعنى: سأبين لكم من أوريت الزند و(سَأُوْرِثُكم)، ويؤيده قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿١٤٦﴾ - ﴿١٤٧﴾ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ المنصوبة في الآفاق والأنفس. ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. وقيل: سأصرفهم عن إبطالها؛ وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ صلة (يتكبرون)؛ أي: يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل، أو حال من فاعله. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ منزلَة أو معجزة. ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لعنادهم واختلال عقلهم

والجواب: أنه مثال للحسن والأحسن لا لكونه في التوراة بعيد جدّاً. **[الصيف أحرّ من الشتاء]** هو في حرّه أبلغ من الشتاء في برده فكذا هنا المأمور به أبلغ في الحسن من النهي عنه في القبح وما قاله في الحرّ هو بالنظر إلى غالب أيام الشتاء وإلا ففي بعضها حرّ فبالنظر إليه أفعل التفضيل باق على بابه(١).

[كما فعل فرعون] من طغيانه على موسى **[فعاد]**؛ أي: فعل فرعون **[عليه بإصلائها]**؛ أي: بالإيمان **[أو بإهلاكهم]**؛ أي: فرعون وقومه.

---

(١) حاشية الصبان، الأشموني [ص١٢٥٧].

۞ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول. ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ لاستيلاء الشيطنة عليهم. وقرأ حمزة والكسائي (الرَّشَدِ) بفتحتين، وقرئ (الرَّشَاد) وثلاثتها لغات كالسُّقْم والسَّقَم والسِّقَام، ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات، ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر؛ أي: سأصرف ذلك الصرف بسببهما. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: ولقائهم الدار الآخرة، أو ما وعد الله في الدار الآخرة. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ لا ينتفعون بها. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء أعمالهم.

﴿١٤٨﴾ - ﴿١٤٩﴾ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِۦ﴾ من بعد ذهابه للميقات. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر، وإضافتها إليهم؛ لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم. وهو جمع حَلْي؛ كـ(ثَدْي وثُدِيّ). وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالإتباع كـ(دُلِيّ) ويعقوب على الإفراد. ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ بَدَناً ذا لحم ودَم، أو جسداً من الذهب خالياً من

[وهو]؛ أي: انهماكهم في ذلك [يؤيد الوجه الأول]؛ أي: وهو أن «الصرف» الطبع على قلوبهم[١] [أي: ولقائهم الدار الآخرة وما وعد الله في الآخرة] أشار بالأول: إلى أن إضافة لقاء إلى الآخرة من إضافة المصدر إلى المفعول به، وبالثاني: إلى أنها من إضافته إلى الظرف بتنزيله منزلة المفعول به كما في ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾] عطف على ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ عطف قصة

---

(١) انظر: معاني القرآن، النحاس [٣/ ٧٨].

الروح، ونصبه على البدل. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ صوت البقر. روي: (أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيّاً). وقيل: (صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوّت). وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه إلٰهاً. وقرئ (جُؤَار)؛ أي: صياح. ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ﴾ تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر، والمعنى: ألم يروا حين اتخذوه إلٰهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر. ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ تكرير للذم؛ أي: اتخذوه إلٰهاً. ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم. ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن اشتداد ندمهم؛ فإن النادم المتحسر يعضّ يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها. وقرئ (سَقَطَ) على بناء الفعل للفاعل بمعنى: وقع العض فيها. وقيل معناه: سقط الندم في أنفسهم. ﴿وَرَأَوْاْ﴾ وعلموا. ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ باتخاذ العجل. ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بإنزال التوبة. ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالتجاوز عن الخطيئة. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء، و(رَبَّنا) على النداء.

[على قصة «من بعده من حليهم»] الجاران متعلقان بـ«اتخذ» وجاز ذلك مع اتحادهما لفظاً لاختلافهما معنى؛ لأن الأول لابتداء الغاية والثاني للتبعيض، ويجوز تعلق الثاني بمحذوف على أنه حال من «عجلاً» لكونه صفة له تقدمت عليه[(١)].

[واضعين الأشياء] أل للاستغراق؛ أي: واضعين كل شيء [في غير موضعه] ولهذا رتب عليه قوله [فلم يكن اتخاذ العجل بدعائهم]؛ أي: بخصوصه [كناية عنهن اشتد بذمهم][(٢)] وفي نسخ: كناية من أن اشتد بذمهم ولا معنى له وجعله كـ«الكشاف»[(٣)] كناية لا مجاز العدم المانع عن الحقيقة [وربنا على النداء]؛ أي:

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٩/ ٣١٥].

(٢) في نسخة [ج]: (كناية عن من اشتد بذمه) وفي نسخة [ب]: (كناية عن لمن اشتد ندمهم) لاكناية من عن اشتد بذمهم).

(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٥١].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

﴿١٥٠﴾ - ﴿١٥١﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ شديد الغضب وقيل: حزيناً. ﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ فعلتم بعدي؛ حيث عبدتم العجل ـ والخطاب للعَبَدَة ـ، أو أقمتم مقامي فلم تَكُفُّوا العَبَدة ـ والخطاب لهارون والمؤمنين معه ـ، و(ما) نكرة موصوفة تفسر المستكن في (بئس)، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم، ومعنى (من بعدي): من بعد انطلاقي، أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد، والتنزيه، والحمل عليه، والكف عما ينافيه. ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ أتركتموه غير تامّ؛ كأنه ضمن (عَجِلَ) معنى (سَبَقَ) فَعُدِّيَ تعديته، أو أَعَجِلْتُم وعدَ ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي، وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم. ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين. روي: (أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها؛ وكان فيها تفصيل كل شيء،

فيكون منصوباً [و«ما» **نكرة موصوفة تفسر المستكن في «بئس»**]؛ أي: هي مفسرة لفاعل «بئس» لا فاعل «بيس»؛ لأن فاعلها يلزم أن يكون مضمراً مفسراً بالنكرة، أو مظهراً معرفاً باللام أو بالإضافة.

[**اتركتموه غير تام..**] إلى آخره. ذكر العجل من حيث التعدية وجهين أحدهما يتعدى بـ«عن»، يقال: «عجل عن الأمر» لكن ضمنه معنى «سبق» فعداه تعديته، والثاني يتعدى بنفسه يقال: «عجلت الشيء سبقته» فقوله: «أو أعجلتم وعد ربكم» قائم مقام أمر ربكم واختصر الزمخشري على الوجه الأول والمراد بأمر ربكم مأموره [**فرفع ستة أسباعها**]؛ أي: ستة أسباع ما فيها، لا ستة أسباعها نفسها لقوله بعد:

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾.

وبقي سُبُع كان فيه المواعظ والأحكام. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بشعر رأسه. ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ توهماً بأنه قصر في كَفِّهم، وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين، وكان حمولاً ليناً؛ ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل. ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ ذكر الأم ليرققه عليه ـ وكانا من أب وأم ـ. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم هنا وفي (طه) (يا ابنَ أُمِّ) بالكسر، وأصله: يا ابن أمي؛ فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً كالمنادى المضاف إلى الياء، والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله، أو تشبيهاً بخمسة عشر. ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى: بذلتُ وسْعِي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي. ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة، أو نسبة التقصير. ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ بما صنعت بأخي. ﴿وَلِأَخِى﴾ إن فَرَّطَ في كفِّهم؛ ضمه إلى نفسه في الاستغفار ترضية له، ودفعاً للشماتة عنه. ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعام علينا. ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا.

﴿١٥٢﴾ ـ ﴿١٥٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم. ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهي خروجهم من ديارهم. وقيل: الجزية. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ على الله، ولا فرية أعظم من فريتهم؛ وهي قولهم: هذا إلٰهكم وإلٰه موسى، ولعله لم يَفْتَرِ مثلَها أحَدٌ قبلهم ولا بعدهم. ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿ثُمَّ تَابُواْ

«وأخذ الألواح» [﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾] قال الجوهري: «الشَّمَاتَةُ»: الفرح ببلية

۞ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾.

مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ من بعد السيئات. ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ من بعد التوبة. ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل، وكثر كجرائم بني إسرائيل.

(١٥٤) ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن؛ وقد قرئ به. ﴿عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ باعتذار هارون، أو بتوبتهم، وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة؛ من حيث أنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به، والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت. وقرئ (سُكِّتَ) و(أُسْكِتَ) على أن المسكت هو الله أو أخوه، أو الذين تابوا. ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ التي ألقاها. ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ وفيما نسخ فيها؛ أي: كتب، فعلة بمعنى مفعول كالخطبة، وقيل: فيما نسخ منها؛ أي: من الألواح المنكسرة. ﴿هُدٗى﴾ بيان للحق. ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ إرشاد إلى الصلاح والخير. ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير، أو حذف المفعول واللام للتعليل، والتقدير: يرهبون معاصي الله لِرَبِّهِم.

(١٥٥) ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾؛ أي: من قومه؛ فحذف الجار وأوصل الفعل

العدو(١) [وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة..] إلى آخره. أشار إلى أن في قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ استعارتين استعارة بالكناية في الغضب عن الشخص

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٤٥].

إليه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ روي: (أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل؛ فاختار من كل سبط ستة، فزاد اثنان فقال: ليتخلف منكم رجلان، فتشاجروا، فقال: إنَّ لِمَنْ قَعَدَ أَجْرَ مَنْ خرج، فقعد كالب ويوشع، وذهب مع الباقين، فلما دنوا من الجبل غشيه غمام، فدخل موسى بهم الغمام، وخروا سجداً، فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه، ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأخذتهم الرجفة؛ أي: الصاعقة، أو رجفة الجبل فصعقوا منها. ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه، قبل أن يرى ما رأى، أو بسبب آخر، أو عنى به: أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرهما؛ فترحمت عليهم بالإنقاذ منها؛ فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يَبْعُد من عميم إحسانك. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية، وكان ذلك ـ قاله بعضهم ـ. وقيل: المراد بما فعل السفهاء: عبادة العجل. والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا؛ حتى كادت تَبِيْنُ مفاصلُهم، وأشرفوا على الهلاك، فخاف عليهم موسى؛ فبكى ودعا، فكشفها الله عنهم. ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية، أو أوجدت في العجل خواراً فزاغوا به. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ ضلاله بالتجاوز عن حده، أو باتباع المخايل. ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ هداه، فيقوى بها إيمانه. ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ القائم بأمرنا. ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ بمغفرة ما قارفنا. ﴿وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة.

الناطق، واستعارة تصريحية أو تخييلية في السكوت عن ظفر موسى وسكون هيجانه وغليانه(١).

[بمغفرة ما قارفنا] الباء تفسيرية لـ«اغفر» لنا؛ أي: بأن تغفر لنا ما قارفنا من

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي [ص١٧١].

۝ ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

﴿١٥٦﴾ ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة. ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ الجنة. ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ تبنا إليك؛ من (هاد يهود): إذا رجع. وقرئ بالكسر من (هاد يهيده): إذا أماله، ويحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول بمعنى: أملنا أنفسنا، وأملنا إليك، ويجوز أن يكون المضموم أيضاً مبنياً للمفعول منه على لغة من يقول: عود المريض. ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ تعذيبه. ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فسأثبتها في الآخرة، أو فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي. ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ خصها بالذِّكْر لإنافتها؛ ولأنها كانت أشق عليهم. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلا يكفرون بشيء منها.

﴿١٥٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ﴾ مبتدأ خبره (يأمرهم)، أو خبر مبتدأ تقديره: هم الذين، أو بدل من (الذين يتقون) بدل البعض أو الكل، والمراد: من آمن منهم بمحمد ﷺ؛ وإنما سماه رسولاً بالإضافة إلى الله تعالى، ونبيّاً بالإضافة إلى العباد. ﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته. ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ

الذنوب [خاصة منكم] من متعلقة بـ«خاصة» فهي ابتدائية أو بمحذوف؛ أي: خاصة بالمؤمنين منكم فهي بيانية [لأنافتها]؛ أي: لارتفاع ذكرها بلفظها وبنفعها المتعدي

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ اسماً وصفة. ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما حرم عليهم كالشحوم. ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة، وأصل (الإصر): الثقل الذي يأصر صاحبه؛ أي: يحبسه من الحراك لثقله. وقرأ ابن عامر (آصَارَهُم). ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ وعظموه بالتقوية. وقرئ بالتخفيف؛ وأصله المنع، ومنه التعزير. ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ لي. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾؛ أي: مع نبوته؛ يعني: القرآن، وإنما سماه نوراً؛ لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره، أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها، ويجوز أن يكون (معه) متعلقاً بـ(اتبعوا)؛ أي: واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي؛ فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب والسُّنَّة. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالرحمة الأبدية، ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام.

﴿١٥٨﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ الخطاب عام، كان

[**وتحقق عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة**] أشار إلى أن الإصر والأغلال تمثيل لثقل تكليفهم وصعوبته كاشتراط قتل أنفسهم في صحة توبتهم وكتعيّن القصاص في العمد والخطأ وغيره مما ذكره بعد(١).

[**من الحراك**]؛ أي: الحركة [**يعني**]؛ أي: بالنور [**القرآن**] فمعه حال من ضمير «أنزل» [**ويجوز أن يكون معه متعلقاً بـ«اتبعوا»**]؛ أي: فيكون ظرفاً له

---

(١) انظر: أحكام القرآن، القاضي ابن العربي [٤/ ٢٥].

۞ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا

رسول الله ﷺ مبعوثاً إلى كافة الثقلين، وسائر الرسل إلى أقوامهم. ﴿جَمِيعًا﴾ حال من إليكم. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ صفة لله؛ وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذي أضيف إليه لأنه كالمتقدم عليه، أو مدح منصوب أو مرفوع، أو مبتدأ خبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهو على الوجوه الأُوَل: بيان لما قبله؛ فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره، وفي: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية. ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل مِنْ كُتُبِهِ ووحيه. وقرئ (وكَلِمَتَه) على إرادة الجنس أو القرآن، أو عيسى تعريضاً لليهود، وتنبيهاً على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه، وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة؛ لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له. ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيهاً على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة.

﴿١٥٩﴾ - ﴿١٦٠﴾ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾؛ يعني: من بني إسرائيل. ﴿أُمَّةٌ

[وأن حيل بينهما]؛ أي: بين الصفة والموصوف [بما هو متعلق المضاف]؛ أي: وهو رسول [إليه]؛ أي: إلى الله والمتعلق هو إليكم جميعاً [لأنه]؛ أي: المتعلق [كالمتقدم عليه]؛ أي: على لفظ «الله» [وهو]؛ أي: «لا إله إلا هو» [على الوجوه الأول بيان لما قبله]؛ أي: وهو قوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ وزاد «الكشاف»[1] على البيان البدل؛ أي: بدل اشتمال. قال التفتازاني: ولا تنافي بينهما ولم يجعل عطف بيان لتغاير المدلولين ولأنه ليس لمجرد الإيضاح والتفسير [أثر الأمرين]؛ أي: الإيمان والاتباع.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٥٧].

عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق. ﴿وَبِهِۦ﴾ وبالحق. ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينهم في الحكم، والمراد بها: الثابتون على الإيمان، القائمون بالحق من أهل زمانه، أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم على ما هو عادة القرآن؛ تنبيهاً على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر. وقيل: مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: قوم وراء الصين رآهم رسول الله ﷺ ليلة المعراج فآمنوا به. ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾؛ أي: قوم موسى وصيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض. ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ مفعول ثان لـ(قطع)؛ فإنه متضمن معنى: صيّر، أو حال وتأنيثه للحمل على الأُمَّة أو القطعة. ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه ولذلك جمع، أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتي عشرة أسباط؛ وكأنه قيل: اثنتي عشرة قبيلة. وقرئ بكسر الشين وإسكانها. ﴿أُمَمًا﴾ على الأول بدل بعد بدل، أو نعت (أسباط)، وعلى الثاني بدل من (أسباط). ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التيه. ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾؛ أي: فضرب فانبجست، وحذفه للإيماء على أن موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال، وأن ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط. ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا

[والمراد بها]؛ أي: بالأمة [اتبع ذكرهم]؛ أي: ذكر المرتابين الكافرين من بني إسرائيل [ذكر أضدادهم] هم الذين آمنوا منهم [وقيل: مؤمنوا أهل الكتاب] هو مع ما بعده مقابل لقوله: «والمراد بها الثابتون على الإيمان» إلى آخره. [وإسكانها] صوابه «وفتحها» إذ إسكانها ليس بشاذ بل هو المشهور(١) [وعلى الثاني بدل من أسباطاً]؛ أي: لا نعت له إذ به يصير «أسباطاً» غير مميز لاحتياجه

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٤٠٩].

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢) وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ
الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ
لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)﴾.

عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ ليقيهم حرَّ الشمس. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا﴾؛ أي: وقلنا لهم: كُلُوا ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ سبق تفسيره في سورة (البقرة).

(١٦١) - (١٦٢) ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بإضمار (اذكر)، والقرية: بيت المقدس. ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ مثل ما في سورة (البقرة) معنًى، غير أن قوله: ﴿فَكُلُوا﴾ [البقرة: ٥٨] فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها، ولم يتعرض له ههنا اكتفاءً بِذِكْرِهِ ثَمَّةَ، أو بدلالة الحال عليه، وأما تقديم قوله: (قولوا) على (وادخلوا) فلا أثر له في المعنى؛ لأنه لم يوجب الترتيب، وكذا الواو العاطفة بينهما. ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وعد بالغفران والزيادة عليه بالإثابة، وإنما أخرج الثاني مخرج الاستئناف؛ للدلالة على أنه تَفَضُّلٌ محض ليس في مقابلة ما أمروا به. وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب (تُغْفَر) بالتاء والبناء للمفعول، ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بالجمع والرفع غير ابن عامر فإنه وَحَّدَ، وقرأ أبو عمرو (خَطَايَاكم). ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ مضى تفسيره فيها.

(١٦٣) ﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم، والإعلام بما

إلى تقييد [مضى تفسيره فيها]؛ أي: في «البقرة».

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

هو من علومهم التي لا تُعْلَم إلا بتعليم أو وحي؛ ليكون ذلك معجزة لك عليهم. ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ عن خبرها، وما وقع بأهلها. ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه، وهي أيلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر، وقيل: مدين، وقيل: طبرية. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت، و﴿إِذْ﴾ ظرف لـ﴿كَانَتْ﴾ أو ﴿حَاضِرَةَ﴾، أو للمضاف المحذوف، أو بدل منه بدل اشتمال. ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ ظرف لـ(يَعْدُونَ) أو بدل بعد بدل. وقرئ: (يَعَدُّونَ) وأصله يعتدون ويعدون من الإعداد؛ أي: يُعِدُّون آلات الصيد يوم السبت، وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة. ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ يوم تعظيمهم أمر السبت ـ مصدر ـ سبتت اليهود؛ إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة. وقيل: اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه، ويؤيد الأول أن قرئ: (يومَ إِسْبَاتِهِم)، وقوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ وقرئ (لَا يُسْبِتُونَ) من أسبت، و(لَا يُسْبَتُونَ) على البناء للمفعول بمعنى: لا يدخلون في السبت، و(شُرَّعاً) حال من الحيتان؛ ومعناه: ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا إذا دنا وأشرف. ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم. وقيل: كذلك متصل بما قبله؛ أي: لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت، والباء متعلق بـ(يَعْدُونَ).

﴿١٦٤﴾ ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على (إِذْ يَعْدُونَ). ﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعة من

[أو للمضاف المحذوف]؛ أي: وهو خبر [والباء متعلق بـ«يَعْبدُون»] صوابه بـ«نبلوهم» فالباء سببية و«ما» مصدرية؛ أي: نبلوهم بسبب فسقهم عطف على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾[1]؛

---

(١) عبارة: (صوابه بنبلوهم فالباء سببية وما مصدرية؛ أي: نبلوهم بسبب فسقهم عطف على إذ يعدون) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

۞ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾.

أهل القرية؛ يعني: صلحاءهم، وهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم. ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾ مخترمهم. ﴿أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ في الآخرة لتماديهم في العصيان، قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع فيهم، أو سؤالاً عن علة الوعظ ونفعه؛ وكأنه تقاول بينهم، أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم، وقيل: المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وُعَّاظهم ردّاً عليهم وتهكماً بهم. ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ جواب للسؤال؛ أي: موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر. وقرأ حفص (مَعْذِرَةً) بالنصب على المصدر، أو العلة؛ أي: اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة. ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك.

١٦٥ - ١٦٦ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ تركوا ترك الناسي. ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ ما ذكرهم به صلحاؤهم. ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالاعتداء ومخالفة أمر الله. ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ شديد، فعيل من بؤس يبؤس بؤساً: إذا اشتد. وقرأ أبو بكر (بَيْئَسٍ) على (فيعل) كـ(ضيغم)، وابن عامر

أي: لا على ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ﴾؛ لأنه إما ظرف أو بدل فيلزم أن يدخل هؤلاء في حكم أهل العدوان وليس كذلك.

[وكأنه تفاؤل بينهم]؛ أي: قاله بعض الصلحاء لبعض[1] **[أو قول من ارعوى عن الوعظ]**؛ أي: كف عنه **[وقيل: المراد طائفة من الفرقة الهالكة]** مقابل للقول

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٧/ ٣٠٧].

۞ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾.

(بِئْسٍ) بكسر الباء وسكون الهمز على أنه (بِئْس) كـ(حِذْر)، كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء كـ(كِبْد) في (كَبِد)، وقرأ نافع (بِيْسٍ) على قلب الهمزة ياء كما قلبت في (ذِيْب)، أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسماً، وقرئ (بَيِّسٍ) كـ(رَيِّسٍ) على قلب الهمزة ثم ادغامها، و(بَيْس) بالتخفيف كـ(هَيْن)، و(بائس) كـ(فاعل). ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم. ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ تكبروا عن ترك ما نهوا عنه؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧]. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم، ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريراً وتفصيلاً للأولى. روي: (أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم؛ فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق؛ فأصبحوا يوماً ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين! فقالوا: إن لهم شأناً؟ فدخلوا عليهم؛ فإذا هم قردة! فلم يعرفوا أنسباءهم، ولكن القردة تعرفهم، فجعلت تأتي أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث). وعن مجاهد: (مُسِخَتْ قُلوبُهُم لا أَبْدَانُهُم).

﴿١٦٧﴾ - ﴿١٦٨﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾؛ أي: أعلم تفعل من الإيذان بمعناه كالتوعد والإيعاد، أو عزم؛ لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله،

بأنهم صلحاؤهم [أنسبائهم] جمع نسيب [من الإيذان] بمعناه؛ أي: بمعنى اعلم والإعلام المفهوم منه [**لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله**]؛ أي: يعلم نفسه بعد تردده فيه بجزمه به فيكون كناية لإطلاق اللازم وهو الإيذان على الملزوم وهو العزم

۞ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾.

وأجري مجرى فعل القسم كـ(عَلِمَ اللهُ) و(شَهِدَ اللهُ). ولذلك أجيب بجوابه وهو: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ والمعنى: وإذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود. ﴿مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ كالإذلال وضرب الجزية؛ بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام: (بخت نصر) فخرب ديارهم، وقتل مقاتليهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وضرب الجزية على من بقي منهم؛ وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ﷺ ففعل ما فعل، ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ﴾ عاقبهم في الدنيا. ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لمن تاب وآمن. ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾ وفرقناهم فيها؛ بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لأدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط، و(أُمَماً) مفعول ثان، أو حال. ﴿مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ صفة أو بدل منه؛ وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ﴿وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ تقديره: ومنهم أناس من دون ذلك؛ أي: منحطون عن الصلاح، وهم كَفَرَتُهُم وفسقتهم. ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنِّعَم والنِّقَم. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ ينهون فيرجعون عما كانوا عليه.

١٦٩ - ١٧٠ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ من بعد المذكورين. ﴿خَلۡفٞ﴾ بدل (سوء) مصدر نعت به، ولذلك يقع على الواحد والجمع. وقيل: جمع، وهو شائع في الشر، و(الخَلَف) بالفتح في الخير، والمراد به: الذين كانوا

[تقديره ومنهم ناس دون ذلك] أشار إلى أن منهم خبر مبتدأ محذوف هو ناس وأن دون ذلك صفته.

في عصر رسول الله ﷺ ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة من أسلافهم يقرأونها ويقفون على ما فيها. ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ حطام هذا الشيء الأدنى - يعني: الدنيا -، وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون مِنَ الرِّشَى في الحكومة وعلى تحريف الكلم، والجملة حال من الواو. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه، وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند إلى الجار والمجرور، أو مصدر (يأخذون). ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ حال من الضمير في ﴿لَنَا﴾؛ أي: يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين إلى مثله غير تائبين عنه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في الكتاب. ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ عطف بيان للميثاق، أو متعلق به؛ أي: بأن لا يقولوا، والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة، والدلالة على أنه افتراء على الله، وخروج عن ميثاق الكتاب. ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ عطف على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ من حيث المعنى فإنه تقرير، أو على ﴿وَرِثُواْ﴾ وهو اعتراض. و﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ مما يأخذ هؤلاء. ﴿أَفَلَا﴾ فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدنيء المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد، وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين. ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عطف على الذين ﴿يَتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿أَفَلَا﴾ اعتراض أو مبتدأ خبره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ على تقدير منهم، أو وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على أن الإصلاح كالمانع من التضييع. وقرأ أبو بكر (يُمْسِكُونَ) بالتخفيف وإفراد الإقامة لإنافتها على سائر أنواع المتمسكات.

[والفعل]؛ أي: وهو سيغفر [أي: يرجون المغفرة] أخذ الرجاء من قوله: «يقولون»؛ لأن القول فيه بمعنى الاعتقاد أو الظن [أو على ورثوا وهو]؛ أي: ألم يؤخذ [اعتراض]؛ أي: بين المتعاطفين [على التلوين]؛ أي: الالتفات [أو مبتدأ] عطف على قوله: «عطف على الذين يتقون» [وإفراد الإقامة]؛ أي: إفرادها بالذكر [لأنافتها]؛ أي: لارتفاع ذكرها بفضلها.

۞ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

﴿١٧١﴾ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾؛ أي: قلعناه ورفعناه فوقهم، وأصل النتق: الجذب. ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ سقيفة؛ وهي كل ما أظلك. ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ وتيقنوا. ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو؛ ولأنهم كانوا يوعدون به، وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه؛ وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم. وقيل لهم: إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم. ﴿خُذُوا۟﴾ على إضمار القول؛ أي: وقلنا خذوا، أو قائلين خذوا. ﴿مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم﴾ من الكتاب. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم على تحمل مشاقه، وهو حال من الواو. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق.

﴿١٧٢﴾ - ﴿١٧٤﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ أي: أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، و﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من: ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بدل البعض. وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (ذُرِّيَّاتِهِم). ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾؛ أي: ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ فنزل تمكينهم

[وتيقنوا أنه واقع بهم]؛ أي: لم يقبلوا أحكام التوراة.

[وهو]؛ أي: بقوة [حال من الواو]؛ أي: واو خذوا [بدل من بني آدم]؛

۞ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: كراهة أن تقولوا: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ لم ننبه عليه بدليل. ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟﴾ عطف على ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾، وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء؛ لأن أول الكلام على الغيبة. ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم؛ لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذراً. ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ يعني: آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك. وقيل: لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر، وأحياهم، وجعل لهم العقل والنطق، وألهمهم ذلك؛ لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه. وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب (المصابيح)، والمقصود من إيراد هذا الكلام هاهنا؛ إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم، والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية، ومنعهم عن التقليد، وحملهم على النظر والاستدلال كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: عن التقليد واتباع الباطل.

﴿١٧٥﴾ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على اليهود. ﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ هو أحد علماء بني إسرائيل، أو أمية بن أبي الصلت؛ فإنه كان قد قرأ الكتب،

يعني: من قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بإعادة الجار **[على طريقة التمثيل]**؛ أي: الاستعارة التمثيلية المركبة من عدة أمور متوهمة وهذا تبع فيه الزمخشري[1] وأجراه قوم على ظاهره وقالوا لا تترك الحقيقة مع إمكانها **[وقيل: لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذُرِّيَّةً..]** إلى آخره. الحديث رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ولا ينافيه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٦٦].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

وعلم أن الله تعالى مرسل رسولاً في ذلك الزمان، ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد ﷺ حسده وكفر به، أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله، ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآيات بأن كفر بها وأعرض عنها. ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ حتى لحقه وأدركه قريناً له، وقيل: استتبعه. ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فصار من الضالين. روي أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال: كيف أدعو على من معه الملائكة، فألحوا حتى دعا عليهم فبقوا في التيه.

﴿١٧٦﴾ - ﴿١٧٧﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَهُ﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء. ﴿بِهَا﴾ بسبب تلك الآيات وملازمتها. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا أو إلى السفالة. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات، وإنما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد، تنبيهاً على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه، وأن عدمه دليل عدمها؛ دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه، وأن السبب الحقيقي هو المشيئة، وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث أن المشيئة تعلقت به كذلك، وكان من حقه أن يقول: ولكنه أعرض

ما مرّ من أخذ الذرية من ظهور بني آدم؛ لأن بني آدم من ظهور آدم فالمخرج من ظهورهم مخرج من ظهره [من الكنعانيين] هو قول، والمشهور أنه من بني إسرائيل كما جرى عليه «الكشاف»[1] وغيره [فبقوا]؛ أي: موسى وقومه [أو إلى السفالة] قال

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٦٧].

عنها فأوقع موقعه ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، مبالغة وتنبيهاً على ما حمله عليه، وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ فصفته التي هي مثل في الخسة ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ كصفته في أخس أحواله وهو ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾؛ أي: يلهث دائماً؛ سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له، بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده. واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد. والشرطية في موضع الحال؛ والمعنى: لاهثاً في الحالتين، والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان. وقيل: لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره، وجعل يلهث كالكلب ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ القصة المذكورة على اليهود فإنها نحو قصصهم. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ تفكُراً يؤدي بهم إلى الاتعاظ. ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾؛ أي: مثل القوم، وقرئ: (سَاء مَثَلُ القوم) على حذف المخصوص بالذم. ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها. ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ إما أن يكون داخلاً في الصلة معطوفاً على (كذبوا) بمعنى: الذين جمعوا

الجوهري وغيره: السُّفَالة بالضم نقيض العلو، بالفتح النذالة(١).

[**والشرطية في موضع الحال**]؛ أي: مع أنها أيضاً بيان لوجه الشبه قال التفتازاني: ثم إن للنحويين في وقوع الجملة الشرطية حالاً من غير أن تجعل خبر مبتدأ، ويصدر بالواو مثل: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ كلاماً إلا إذا قصد التسوية بعطف النقيض على النقيض، مثل: «أتيتك إن تأتي وإن لم تأتني»، أو التأكيد، مثل: «آتيك وإن لم تكرمي» وإنما جاز ههنا؛ لأنها في معنى عطف النقيض على النقيض، أو لأنها في موقع المفرد؛ أي: دليلاً(٢).

[**أي: مثل القوم**] قَدَّرَ «مثل»؛ لأن المخصوص بالذم إنما يكون من جنس التمييز [**على حذف المخصوص بالذم**] تقديره: «ساء مثل القوم مثلهم» لقوله

---

(١) الصحاح، الجوهري [١٢٩/٧]. (٢) شرح الكافية، الاستراباذي [٤٦٠/٤].

۞ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾.

بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم، أو منقطعاً عنها بمعنى: وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم؛ فإن وباله لا يتخطاها، ولذلك قدم المفعول.

﴿١٧٨﴾ - ﴿١٧٩﴾ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ تصريح بأن الهدى والضلال من الله، وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض، وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ، والمعنى: تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين، والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء، وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه، وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها. ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا. ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾؛ يعني: المصرين على الكفر في علمه تعالى. ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾؛ أي: لا ينظرون إلى مَا خَلَقَ الله نظر اعتبار. ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ﴾ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر، أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾ فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار، وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها، وهم ليسوا كذلك؛ بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلة.

﴿١٨٠﴾ - ﴿١٨١﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنها دالة على معان هي أحسن

۞ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝١٨٣ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤﴾.

المعاني، والمراد بها الألفاظ، وقيل: الصفات. ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فسموه بتلك الأسماء. ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه؛ إذ ربما يوهم معنى فاسداً كقولهم: يا أبا المكارم يا أبيض الوجه، أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه! كقولهم: ما نعرف إلا رحمان اليمامة، أو: وذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من (الله)، والعُزَّى من (العزيز) ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقرأ حمزة هنا وفي (فصلت): (يَلْحَدونَ) بالفتح، يقال: لحد وألحد إذا مال عن القصد. ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ذكر ذلك بعد ما بيَّن أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضاً للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر، واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه ﷺ: «**لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله**». إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن فائدة فإنه معلوم.

۝١٨٢ ـ ۝١٨٤ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سنستدنيهم إلى الهلاك قليلاً قليلاً، وأصل الاستدراج: الاستصعاد أو الاستنزال؛ درجة بعد درجة. ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما نريد بهم، وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم، فيزدادوا بطراً وانهماكاً في الغيّ حتى يحق عليهم

[عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتي..»] إلى آخره. رواه الشيخان[1]

---

(١) صحيح البخاري [٦/٢٦٦٧/برقم: ٦٨٨١]، صحيح مسلم [١/١٣٧/برقم: ١٥٦].

۞ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

كلمة العذاب. ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ وأمهلهم عطف على ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾. ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ إن أخذي شديد، وإنما سماه كيداً لأنَّ ظاهره إحسان وباطنه خذلان. ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم﴾؛ يعني: محمداً عليه الصلاة والسلام. ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون. روي: (أنه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله تعالى! فقال قائلهم: إنّ صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح! فنزلت). ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ موضح انذاره بصوت بحيث لا يخفى على ناظر.

﴿١٨٥﴾ - ﴿١٨٦﴾ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟﴾ نظر استدلال. ﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ مما يقع عليه الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها، ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها، ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه. ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ عطف على (ملكوت)، و(أن) مصدرية أو مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وكذا اسم (يكون) والمعنى: أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما

[بأنه يهوِّت]؛ أي: يصوت يقال: هَيَّتَ به وهَوَّت به؛ إذا صاح، قاله الجوهري[١] [وما خلق الله من شيء] عطف على «ملكوت» و«من» بيانية [و«إن» **مصدرية أو مخففة من الثقيلة**] تبع فيه أبا البقاء واقتصر الزمخشري[٢] على المخففة. قال التفتازاني: لأن المصدرية لا تدخل الأفعال غير المتصرفة التي لا مصادر لها.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٢٦١].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٧٢].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

ينجيهم، قبل معافصة الموت ونزول العذاب. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾؛ أي: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به؟! وهو النهاية في البيان؛ كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر. وقيل: هو متعلق بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾، كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن؟! وماذا ينتظرون بعد وضوحه؟! فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به؟! وقوله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ كالتقرير والتعليل له. ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] بالرفع على الاستئناف، وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾، وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفاً على محل ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾، كأنه قيل: لا يهده أحد غيره وَيَذَرْهُمْ. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حال من (هُم).

﴿١٨٧﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: عن القيامة، وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها؛ إما لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لأنها على طولها عند الله كساعة. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرسَاؤهَا؛ أي: إثباتها واستقرارها، و(رسوُّ الشيء): ثباته واستقراره؛ ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة، واشتقاق ﴿أَيَّانَ﴾ مِنْ أيّ؛ لأنَّ معناه: أي وقت، وهو من: (أويت إليه)؛ لأنَّ البعضَ آوٍ إلى الكُلِّ. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ استأثر به لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً. ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ لا يظهر أمرها في وقتها. ﴿إِلَّا هُوَ﴾

[مغافصة الموت]؛ أي: مفاجأته [ورسوّ الشيء ثباته] قال الطيبي: الرسوّ إنما يستعمل في الأجسام الثقيلة فإطلاقه على الساعة تشبيه للمعاني بالأجسام [واشتقاق «أيان» من «أي»] المراد بالاشتقاق هنا: الأخذ، وإلا فالاشتقاق في غيره المتصرف مما يأباه الأكثرون. [لأن البعض أو إلى الكل]؛ أي: متساند إليه وأشار به إلى أن

والمعنى: أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها، واللام للتأقيت كاللام في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]. ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها؛ وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها. ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾ إلا فجأة على غفلة، كما قال ﷺ: «**إنَّ الساعةَ تهيجُ بالناسِ؛ والرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ، والرَّجُلُ يسقي ماشِيَتَهُ، والرَّجُلُ يُقَوِّمُ سِلْعَتَهُ في سُوقِهِ، والرَّجُلُ يخفِضُ ميزَانَه ويرفَعُهُ**». ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ عالم بها؛ (فعيل) من: (حَفِيَ عَنِ الشيء) إذا سأل عنه، فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به، ولذلك عُدِّيَ بـ(عن). وقيل: هي صلة (يَسْئَلُونَكَ). وقيل: هو من الحفاوة بمعنى الشفقة؛ فإن قريشاً قالوا له: (إن بيننا وبينك قرابة؛ فقل لنا: متى الساعة؟). والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها. وقيل: كأنك حفي؛ من: (حَفِيَ بالشيء): إذا فرح، ومعناه: كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه؛ أي: وأنت تكرهه لأنه من

أي بعض أويت، فأصلها «أوي» فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فصارت أيًا ثم زيدت النون فصارت أيَّان[1] [واللام للتأقيت] الأَوْلَى قول غيره بمعنى «في» [قال ﷺ: «إن الساعة تهيج بالناس..»] إلى آخره. رواه بمعناه الشيخان[2] [وقيل: «وهي»]؛ أي: عن [صلة يسألونك]؛ أي: لـ«أحفى» فيقدر لـ«حفي» صلة بالياء كما هو في الأصل؛ أي: «حفي بها» [وقيل هي]؛ أي: حفي.

[وقيل: معناه: كأنك حفي بالسؤال عنها] فـ(عن) متعلقة بمحذوف وهو السؤال [تحبه]؛ أي: السؤال [أي: تكثره] عبارة «الكشاف» تحبه وتؤثره؛ يعني: أنك تكره السؤال عنها؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به[3]. انتهى. أشار إلى ما حرَّره التفتازاني: أن المعنى: «أو حفي بالسؤال عنها محب له فرح به، فيسألونك عنها

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري [٥/ ٢٧٠].

(٢) صحيح البخاري [٥/ ٢٣٦٨/ برقم: ٦١٤١]، صحيح مسلم [٤/ ٢٢٧٠/ برقم: ٢٩٥٤].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٧٤].

۞ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾.

الغيب الذي استأثر الله بعلمه. ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أن عِلۡمَها عِندَ الله لم يؤته أحداً من خلقه.

١٨٨ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ جلب نفع ولا دفع ضُرّ، وهو إظهار للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه؛ من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة. ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بهما، ويجوز أن يكون متعلقاً بـ(البَشيرُ) ومتعلق (النَذيرُ) محذوفاً.

١٨٩ ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هو آدم ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا﴾ من جسدها؛ من ضلع من أضلاعها، أو من جنسها كقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿زَوۡجَهَا﴾ حواء. ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه؛ وإنما ذكر الضمير

لذلك؟ وليس كذلك! أي: بل تكرهه»، قال: وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ في موضع الحال؛ أي: مشبهاً حالك حال الحفيّ نظراً إلى زعمهم واعتقادهم أنك تحب ذلك، وليس كذلك لعلمك بأن الله استأثر بالعلم بها(١).

[استأثره] الأولى حذف الضمير [وإنما ذكر الضمير]؛ أي: في ليسكن بعد أن

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص [٤/٢١١].

۞ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾.

ذهاباً إلى المعنى ليناسب ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾؛ أي: جامعها. ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ خفَّ عليها، ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالباً من الأذى، أو محمولاً خفيفاً وهو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فاستمرت به؛ أي: قامت وقعدت، وقرئ (فَمَرَتْ) بالتخفيف و(فَاستَمَرَّت به) و(فَمَارَتْ) من المور؛ وهو المجيء والذهاب، أو من المرية؛ أي: فظنت الحمل وارتابت منه. ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها. وقرئ على البناء للمفعول؛ أي: أثقلها حملها. ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ ولداً سوياً قد صلح بدنه ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك على هذه النعمة المجددة.

﴿١٩٠﴾ ـ ﴿١٩١﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾؛ أي: جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما، فسموه عبد العزى وعبد مناف؛ على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ويدل عليه قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؛ يعني: الأصنام. وقيل: (لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل، فقال لها: ما يدريك

أنث في قوله: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخره. [ذهاباً إلى المعنى]؛ أي: معنى النفس [ليناسب] تذكير الضمير في قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] ولئلا يوهم لو أنثه نسبة السكون إلى الأنثى والأمر بخلافه ولأن الذكر هو الذي يميل في غالب الأمر إلى الأنثى ويجامعها ولأنه خُلِقَ أوَّلاً وخلقت هي إزالة لاستيحاشه فكانت نسبة المؤانسة إليه أولى.

[وقيل: لما حملت حواء..] إلى آخره. نظر في رده بقوله: «وأمثال ذلك لا يليق بالأنبياء» إلى الظاهر وإلا فقد روى نحوه الإمام أحمد[1] والترمذي[2] وحسنه

---

(١) مسند أحمد [٥/١١/٢٠١٢٩].

(٢) سنن الترمذي [٥/٢٦١/ برقم: ٣٠٧٧].

۞ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝١٩٣﴾.

ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب، وما يدريك من أين يخرج؟ فخافت من ذلك، وذكرت لآدم؛ فَهُمَّا منه، ثم عاد إليها وقال: إني من الله بمنزلة؛ فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث ـ وكان اسمه حارثاً بين الملائكة ـ فقبلت؛ فلما ولدت سمياه عبد الحارث). وأمثال ذلك لا يليق بالأنبياء، ويحتمل أن يكون الخطاب في (خَلَقَكُمْ) لآل قصي من قريش، فإنهم خلقوا من نفس قصي، وكان له زوج من جنسها عربية قرشية؛ فطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم: عبد مناف، وعبد شمس، وعبد قصي، وعبد الدار. ويكون الضمير في (يُشْرِكُونَ) لهما ولأعقابهما المقتدين بهما. وقرأ نافع وأبو بكر (شِرْكاً)؛ أي: شركة؛ بأن أشركا فيه غيره، أو ذوي شرك؛ وهم الشركاء، و(هم) ضمير الأصنام؛ جيء به على تسميتهم إياها آلهة.

١٩٢ ـ ١٩٣ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾؛ أي: لِعَبَدَتِهِم. ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فيدفعون عنها ما يعتريها. ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾؛ أي: المشركين. ﴿إِلَى

الحاكم وصححه(١) وهو قول كثيرٍ: كابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب، وهذا كما قال البغوي: ليس إشراكاً في العبادة ولأن الحارث ربهما فإن آدم كان نبيّاً معصوماً من الشرك ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبباً لنجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما أن اسم الرب يطلق على من لا يراد به أنه معبود فقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] ابتداء كلام وأريد به إشراك أهل مكة(٢) وقوله: «فهمّا» بضم الهاء وتشديد الميم من الهمّ وهو هنا الحزن، وقوله: وكان اسمه؛ أي: اسم «إبليس» [سَمَّتْه] وفي نسخة: «فَسَمَّياه»

(١) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٩٤/برقم: ٤٠٠٣]. (٢) معالم التنزيل، البغوي [٣/ ٣١٣].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾.

ٱلۡهُدَىٰ﴾ إلى الإسلام ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ﴾ وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء، وقيل: الخطاب للمشركين، و(هم) ضمير الأصنام؛ أي: إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ وإنما لم يقل: (أَمْ صَمَتُّم)؛ للمبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث إنه مسوّى بالثبات على الصمات، أو لأنهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل: سواء عليكم إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم.

﴿١٩٤﴾ - ﴿١٩٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تعبدونهم وتسمونهم آلهة. ﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ من حيث إنها مملوكة مسخرة. ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنهم آلهة، ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي قال لهم: إن قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم؛ فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض، ثم عاد عليه بالنقض فقال: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾، وقرئ (إِنْ الذين) بتخفيف (إنَّ) ونصب (عِبَاداً) على أنها نافية عملت عمل (ما) الحجازية ولم يثبت مثله، و(يَبْطُشُونَ) بالضم ههنا وفي (القصص) و(الدُّخان). ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي. ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من

[من حيث أنه]؛ أي: الدعاء [ولم يثبت مثله]؛ أي: عند الجمهور وإلا فقد جوزه المبرد [ويبطشون]؛ أي: وقرئ «يبطشون»[(١)].

---

(١) أي: بضم الطاء. انظر: تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري [ص٣٨٢].

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

مكروهي أنتم وشركاؤكم. ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فلا تمهلوني؛ فإني لا أبالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه.

(١٩٦) ـ (١٩٨) ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن. ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾؛ أي: ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده فضلاً عن أنبيائه. ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم. ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه.

(١٩٩) ـ (٢٠٠) ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾؛ أي: خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم. من (العفو) الذي هو ضد الجهد أو ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ عن المذنبين، أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم، وذلك قبل وجوب الزكاة ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ المعروف المستحسن من الأفعال ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم، وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق، آمرة للرسول باستجماعها. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ﴾ ينخسنك منه نخس؛ أي: وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء

[أي: خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل] العطف فيه عطف تفسير ولهذا قال بعضهم: «العفو المساهلة وترك البحث عن الأشياء» [من العفو..] إلى آخره. بيان لمعنى العفو [أو خذ العفو عن المذنبين] هو مع ما بعده عطف على خذ ما عفا لك [فلا تمارهم] من المماراة وهي المجادلة يقال: ماريت الرجل أماريه مراء إذا جادلته [ولا تكافئهم] بهمزة ساكنة فهو مجزوم بـ«لا» كالذي قبله

۞ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾.

غضب وفكر، والنزغ والنسغ والنخس: الغرز، شبَّه وسوسته للناس إغراءً لهم على المعاصي وإزعاجاً بغرز السائق ما يسوقه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ يسمع استعاذتك ﴿عَلِيمٌ﴾ يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه، أو ﴿سَمِيعٌ﴾ بأقوال من آذاك ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعاله فيجازيه عليها مغنياً إياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان.

﴿٢٠١﴾ - ﴿٢٠٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لـمَّـة منه؛ وهو اسم فاعل من (طاف يطوف) كأنها طافت بهم، ودارت حولهم؛ فلم تقدر أن تؤثر فيهم، أو من: طاف به الخيال يطيف طيفاً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (طَيْفٌ) على أنه مصدر أو تخفيف طيف كـ(لَيْن) و(هَيْن)، والمراد بالشيطان الجنس؛ ولذلك جمع ضميره. ﴿تَذَكَّرُوا﴾ مَا أَمَرَ الله بِهِ ونهى عنه. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها، والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾؛ أي: وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان ﴿فِي الْغَيِّ﴾ بالتزيين والحمل عليه،

[شبه وسوسته..] إلى آخره. أشار إلى أن في الآية استعارة تبعية حيث شبه الإغراء على المعاصي بالنزغ فاستعير للإغواء لفظ «النزغ» ثم اشتق منه «ينزغنك».

[سميع بأقوال] الأَوْلَى «لأقوال» [لَمَّةٌ منه]؛ أي: مس أو شيء قليل، قال الجوهري: يقال أصابت فلان من الجن لَمَّةٌ وهو المس والشيء القليل(١) [ولذلك]؛ أي: ولكون المراد بالشيطان الجنس [جمع ضميره]؛ أي: في قوله بعد: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ [الذين لم يتقوا] صفة كاشفة لإخوان الشياطين [يمدهم الشيطان]

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/١٤٩].

۞ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

وقرئ (يُمِدُّونَهُم) من (أَمَدَّ)، و(يُمَادُّونَهُم) كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغواء؛ وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم، ويجوز أن يكون الضمير للإخوان؛ أي: لا يكفون عن الغي، ولا يقصرون كالمتقين، ويجوز أن يراد بالـ(الإخوان) الشياطين، ويرجع الضمير إلى (الْجاهِلِينَ) فيكون الخبر جارياً على ما هو له.

﴿٢٠٣﴾ - ﴿٢٠٤﴾ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ من القرآن، أو مما اقترحوه. ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ﴾ هلا جمعتها تقولاً من نفسك كسائر ما تقرؤه أو هلا طلبتها من الله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ﴾ لست بمختلق للآيات، أو لست بمقترح لها ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق، ويدرك الصواب ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سبق تفسيره. ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له. وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقاً، وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة. واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم ـ وهو ضعيف ـ.

الأنسب «الشياطين» [فيكون الخبر جارياً على ما هو له]؛ أي: وهو إخوان الشياطين، وعلى الأول جارٍ على غير ما هو له وهو الشياطين [وهو ضعيف]؛ أي: مردود بخبر «الصحيحين»: **«لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب»**(١)

(١) صحيح البخاري [١/ ٢٦٣/ برقم: ٧٢٣]، صحيح مسلم [١/ ٢٩٥/ برقم: ٣٩٤].

۞ ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾.

﴿٢٠٥﴾ - ﴿٢٠٦﴾ ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما، أو أمر للمأموم بالقراءة سرّاً بعد فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه. ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ومتكلماً كلاماً فوق السر، ودون الجهر؛ فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ بأوقات الغدو والعشيات. وقرئ (والإِيْصَال) وهو مصدر (آصَلَ): إذا دخل في الأصيل، وهو مطابق للغدو. ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن ذكر الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾؛ يعني: ملائكة الملأ الأعلى ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ وينزهونه ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ ويخُصُّونه بالعبادة والتذلل، لا يشركون به غيره؛ وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين، ولذلك شرع السجود لقراءته، وعن النبي ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي؛ فيقول: يا ويله! أُمِرَ هذا بالسجود فسجدَ فَلَهُ الجنة؛ وأمرت بالسجود فعصيت فَلِيَ النار**»، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الأعراف) جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً، وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة**».

[**يعني: ملائكة الرفيق الأعلى**] الإضافة فيه بيانية [**وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين**]؛ أي: بتقديم المعمول المفيد لكون من عدا الملائكة لا يخصونه بالعبادة بل قد تشركون [**ولذلك**] ولكونه تعريضاً لمن ذكر [**لقراءته**]؛ أي: لقراءة مَنْ ذَكَر آية فيها سجدة وبَسْطُ ذلك يطلب من كتب الفقه [**وعن النبي ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة..»**] إلى آخره. رواه مسلم وغيره[1] [**وعنه ﷺ «من قرأ سورة الأعراف..»**] إلى آخره، موضوع[2].

---

(١) صحيح مسلم [١/٨٧/برقم: ٨١]، سنن ابن ماجه [١/٣٣٤/برقم: ١٠٥٢].
(٢) الفتح السماوي، المناوي [٢/٦٤٢/برقم: ٥٢٦].

الفهرس الموضوعات